

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191089

UNIVERSAL
LIBRARY

وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو

الجزء الثالث

من

كتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم للولى احمد بن مصطفى

المعروف بطاش كبرى زاده

المتوفى سنة ٩٦٢ هـ

رحمه الله تعالى

—————*—————

الطبعة الاولى

بمطبعة دائره المعارف العثمانية القائمة بمدينة

حيدرآباد الدكن (الهند) لازالت

شموس افادتها بازعة

الى يوم الدين

سنة ١٣٥٦ هـ

وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو

الجزء الثالث

من

كتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم للولي احمد بن مصطفى

المعروف بطائس كبرى زاده

المتوفى سنة ٩٦٢ هـ

رحمه الله تعالى

—*—

الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية القائمة بمدينة

حيدرآباد الدكن (الهند) لارانت

شموس افاداتها نازعة

الى يوم الدين

سنة ١٣٢٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرف الثاني من الرسالة

في العلوم المتعلقة بالتصفية الى هي ثمرة العمل بالعلم
قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل منا علم ورثه الله علم عالم يعلم - ولهذا العلم ايضا
ثمرة تسمى علوم المكاشفة لا يكشف عنها العبارة غير الاسارة كما قال صلى الله
عليه وسلم ان من العلم كهيئة المستكنون لا يعرفها الا العلماء بالله فادابطموا يكره
اهل الغرة - لا حرم رتبها هذا الطرف من الرسالة على مقدمة ودوحة لها سبع
و ثمرة لها طبعة -

المقدمة

اعلم ان الانسان مركب من عالمين لأن بدنه الكثيف من عالم الاحسام وروحه
اللطيف من عالم الملكوت ولما وحب في التركيب من المناسبة بين الاجراء
حقيق الله سبحانه وتعالى في البدن الكثيف جسما صوريا مسمى بالقلب
واودع فيها نحر الطيفا وصاد بذلك الروح اللطيف وحجسه في سجن هذا المدن
الكثيف لأن ذلك البخار اللطافة ناسب الروح العاوى ولوع حمسيتها ناسب
البدن الكثيف فصارت ذلك البخار طوعا امرا هته عنه ايضا رابطه الحق به قهرا

ولهذا قدر مفارقتة عنه بهذا العسر الشديد الذى تراه عند مفارقة الروح البدن
 جزاء لما عصى ربه فى النفرة عما خلقه لاجله - ثم ان الروح بعدما تعلقى بالبدن
 افاض قوى جزئية من محله الاصلى الذى هو القلب الى اطراف البدن حيث افاض
 الدماغ قوة مدركة والكبد قوة نفسانية الى غير ذلك من القوى الجزئية الحالة
 فى البدن - ثم ان طريق العلم بالروح ويسمى النفس الناطقة اما من طريق
 القوة المدركة المستمدة من الحواس ويسمى العلم الحسولى - او بلا واسطة تلك
 القوى ويسمى علما حضوريا واسباب العلم الحضورى الفكر او النظر فى
 المحسوسات واسباب العلم الحضورى تصفية النفس عن الشواغل الدنيوية اذ
 النفس كالمرآة وقد كدرها الشواغل الحسية فاذا صقلها الانسان عن تلك الشواغل
 ينتقش فيها المعلومات دفعة بلا حاجة الى التقاطها من طرق الحواس كمرآة
 مصقولة حودى بها شطر النور - واما النظر فلا يصقل منها الا قدر ما ينتقش فيها
 النتائج فلذلك يكون العلم الحضورى اكمل واتم من العلم الحسولى هذا ثم انه كما
 ان طريق العلم الحسولى النظر، كذلك طريق العلم الحضورى التصفية، والاول
 قد مر بما لا مزيد عليه واما طريق التصفية فامر ان اما بقطع النفس عن المأوقات
 بالرياضات والمجاهدات ويسمى هذا علم الباطن واما بانجذاب النفس الى عالم
 القدس بعد التصفية بواسطة عشقها الى العالم الروحانى فيفيض لها العلوم الحاصلة
 فى الروحانيات بالمشاهدة والتحقيق ويسمى علم المكاشفة والفرق بين العلمين
 لا يفهم الا بمثال - ومثال العلم الحاصل بالتصفية كمرآة صقلت ووصلت اليها الدور
 من كوة تقابلها ومثال الثانى وهو علم المشاهدة كمرآة مصقولة حودى بها قرص
 الشمس ووصل الى يسوع النور ولما كان العلم الثانى ثمرة للعلم الاول ونتيجة له
 ذكرنا الاول فى دوحه لها عدة شعب والثانى فى ثمرة لها -

الدوحة السابعة

من الرسالة

فى علوم الباطن ولها اربع شعب العبادات والعادات والمهلكات والمجيات

الشعبة الاولى فى العبادات وتنفرع هذه من عشرة اصول

الاصل الاول العلم وفيه مطالب - (المطلب الاول) فى معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم وقد مرشواهد هذه فى صدرالرساله بامالا مزيد عليه -

(المطلب الثانى) فى معرفة مايجب على المسلم من العلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - وقال اطلبوا العلم ولو بالعين واختلموا فى العلم الذى هو فرض عين وادعى كل طائفة ان ماعنده هو ذلك فقال الكلامى الكلام الذى يعرف به ذات الله وصفاته والنبوة والمعاد - وقال الفقيه الفقه الذى يعرف به الحلال والحرام - وقال المفسر والمحدث علم الكتاب والسنة التى يتوصل بهما الى كل العاوم - وقالت المتصوفة علم الحال من تحصيل الاخلاص وترك الآفات اذ بهما يتقرب العبد الى مولاه - وقال بعضهم هو علم الباطن وخصوا الوجوب على اقوام مخصوصين وليس كذلك والصحيح ان المراد به عاوم المعاملة دون المكاشفة وهو العلم بالمباني الخمسة الاسلام كما نطق به الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس فاول الواجب على العاقل البالغ تعلم كلمتى الشهادة ثم وثم وهذا يختلف باختلاف الازمان والاشخاص اذ يجب على من لا يقدر على التفصيل العلم الاجمالى بمضمون هاتين الكلمتين واذا قدر على التفصيل يجب عليه مقدار فهمه والافلا - وايضا يجب على البالغ تعلم اركان الصلاة ما يصح ويفسد دون الصبى وكذا يجب على الغنى تعلم احوال الزكاة والحج دون الفقير - هذا حال الاعتقاد والعمل - واما الترك فلا يجب على الابكم تعلم حرمة الكلام ولا على الاعمى تعلم مايحرم به النظر وعلى هذا القياس وبالجملة الواجب على العبد من العلم هو قدر ما يتجدد عليه من الوقائع من عباداته ومعاملاته وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والازمان -

(المطلب الثالث) فى المحمود من العاوم والمذموم منها واعلم ان العلوم اما شرعية تستفاد من الانبياء فقط واما غير شرعية يستبد با دراكها العقلاء وغير الشرعية فان توقف عليه قوام امور الدنيا كالطب لبقاء الابدان وكالحساب لقسمة الوصايا والمعاملات

والمعاملات فهي محدودة بمنزلة الصناعات الجزئية من الفلاحة والحياكة والحجامة والسياسة فهذه من فروض الكفايات فكذا العلوم المذكورة - وان لم يتوقف عليه قوام الدنيا لكن يحسن للانسان تعاطيها فهي فضيلة كالتعمق في دقائق الحساب والطب - واما ان لم يتوقف عليه شيء من امور الدنيا فان اخل ببعض الامور فهي العلوم المذمومة كالسحر والطلسمات والشعوذة وامثال ذلك من التلبسات وان لم يخل بذلك فهي العلوم المباحة كالاشعار والتواريخ وما يجري مجرى ذلك - واما العلوم الشرعية فهي محدودة كلها لكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وليست كذلك فتقسم الى الحمودة والمذمومة اما المحموده فاما اصول كالكتاب والسنة والاجماع والقياس واما فروع اما ذنوبى كما كثر مسائل الفقه او أخرى ك بعض مسائله ومعرفة احوال القلب من اخلاقها (١) المحموده والمذمومة واما مقدمات تجرى مجرى الآلات كاللغة والنحو والمعاني وعلم كتابة الخط لانه صار ضروريا في الغالب لتوقف حفظ العلوم الشرعية عليها واما متمات كعلم القراءات والمخارج في اللفظ وكعلم التفسير في المعنى وكعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم القرآنية التي سبق تفصيلها - وكذا الحال في الحديث كعلم أسامي الرجال واحوالهم وغير ذلك - واما العلوم المذمومة فاعلم اولان العلم لا يذم من حيث انه علم واما يذم لأمور اما انه لا يقدر الخائض فيه (على) ادراكه فيكون مذموما في حقه كما كثر من اشتغل بالعلوم الفلسفية ولم يقدر على تمييز الحق عن خلافه واما لاضراره بغيره كعلم السحر والطلسمات فانها وسيلة الى اضرار الخلق والوسيلة الى الشر شر - واما لاضراره بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه من حيث انه حساب للشمس والقمر غير مذموم بل قد ورد في القرآن (والشمس والقمر بحسبان) وقوله (والقمر قدرناه منازل) بل ذمه من حيث بيان الاحكام وهو مذموم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر النجوم فأمسكوا واذا ذكر اصحابي فأمسكوا - وقال عمر رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا - وانما ذم لاحد ثلاثة امور اما انه ربما

يوهم الخلق ان الكواكب هي المؤثرة في الحوادث واما لانه ظن وتحمين فالحكم به جهل لاعلم وقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام ثم انمحي وانمحي ومايتفق من الاصابة على الندور فاتفق كظن الانسان ان المطر ينزل اليوم فيقع واما لانه علم لايفق وجهل لا يضر لانه تضييع العمر بلا فائدة - اذا عرفت ان من العلم المحمود والمذموم فاعلم ان من العلوم الشرعية ماهو المحمود صورة والمذموم معنى - منها الفقه وقد كان يطلق الفقه على علم طريق الآخرة ومعرفة آفات النفوس ومفاسد الاعمال والاحاطة بحقارة الدنيا وشرف نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب والآن خص بمعرفة الفروع الغريبة والفتاوى العجيبة والاطلاع على عللها وتتبع المقالات المتعلقة بها والاستكثار من المسائل الفرعية حتى تفرغات الطلاق واللعان والسلم والاجارة سواء تجرد للامور الاخروية اولا - وقد كان في العصر الاول الاصل معرفة امور الآخرة وامور الدنيا بالتبع لها والآن انعكس الحال فتدخل الذم الى الفقه من هذه الجهة وان (كان) محمودا في الاصل (ومنها العلم) وقد كان يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وافعاله في عبادته وخلقه وخصصوه اليوم بمن يشتغل بالمناظرة في المسائل الفقهية وغيرها ويقال له هو الفحل في العلم والعالم على الحقيقة ومن لم يكن كذلك يعدونه من الضعفة وان كان عارفا بالله وصفاته والمبدأ والمعاد والتفسير والاخبار (ومنها التوحيد) وقد كان يطلق على ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه جل جلاله والآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بالمناقضات والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم انفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان ابواب الجدل والمعاراة كان مما يشتد النكير عليه في العصر الاول - ومنها الذكر والتذكير وقد كان في العصر الاول يطلق على التكلم في علم الآخرة التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات النفس والاعمال وخواطر الشيطان ووجه الجذر منها ويذكر بالاء

بآلاء الله سبحانه ونعائه وتقدير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وغيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى قد ورد الحث عليه فنقل ذلك الآن الى ماترى من حال الوعاظ وما يواظبون عليه من القصص والاشعار والسطح والطامات اما القصص فهو بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصص لأنهم ان (١) اقتصروا على القصص الواردة فى القرآن لأصابوا نكبتهم غيروا وزادوا ونقصوا حتى انهم من سمح نفسه (١) وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذه من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب (واما الاشعار) فاكثرها فى الوعظ مذموم والمستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه ومجالس الوعاظ لا تحوى الاجالاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات فتحرك الاشعار المشتملة على توصف العشق ومدح الوصال وبث آلام المهجر ما هى مستكنة فى قلوبهم من نيران الشهوات فيزعمون ويتواجدون على تصور الفساد اللهم الا اذا كانت الاشعار مشتملة على المواعظ والحكم او كانت الحضار الخواص خاصة فاولئك يزاون الشعر الوارد فى المخلوق على ما استولى على قلبهم من حب الخالق . (واما الشطح) فاما دعاوى طويلة عريضة فى العشق مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشااهدة بالروية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا واما كلمات غير مفهومة لها طواهر رائقة فيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، وهذا اما ان لا يفهمه القائل ايضا واما لخبط فى عقله وتشويش فى خياله او تكون مفهومة للقائل ولا يقدر على التعبير لقلة ممارسته التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة - قال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما يتكرون أتريدون ان يكذب الله ورسوله - وهذا فيما يفهمه صاحبه فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهم القائل دون السامع فلا يحل ذكره (واما الطامات) فمنها ما ذكرناه من الشطح وامر آخر وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهر المفهوم الى امور باطنة لا يسبق

منها الى الافهام حقيقة يعتمد عليها كدأب الباطنية فى التأويلات - وهذا ايضا حرام فان الالفاظ اذا صرفت عن ظواهرها بلا نقل من الشرع او دليل من العقل لبطل التعويل على النصوص وبهذا توصل الباطنية الى هدم الشرائع اذ النفوس ماثلة الى المستغرب ومستلذة له (ومنها الحكمة) وقد كانت الحكمة تعد خيرا كثيرا كما نطق به التنزيل بقوله (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) وقوله صلى الله عليه وسلم كلمة من حكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها والآن نقل الى الطبيب والشاعر والمنجم حتى الذين يدحرجون القرعة على اكف السواد فى شوارع الطرق فانظر هذا النقل من اين الى اين اذا عرفت متارالتباس فى العلوم فعليك ان تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف ولا تتدل بحبل الغرور حتى تشبه بالحلف فاعلم ان من العلم ما هو المذموم قليلا وكثيره ولا فائدة فيه دينا ودنيا او ضرره يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم ومنه ما هو المحمود كله كالعلم بالله سبحانه وتعالى وبصفاته وافعاله وسنته فى خلقه فانه بحر لا ساحل له وما خاض فيه الا الانبياء والاولياء والراغبون فى العلم فمفتاحه اولا التعلم والجد ومشاهدة احوال العلماء وآخره المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتقرينه عن علائق الدنيا وانتشبه بانبياء الله واوليائه (واما العلوم) التى لا يحمد منها الا قدر مخصوص فهى العلوم التى هى فروض الكفايات فان لكل علم انتصارا واقتصادا واستقصاء فان كنت اصلحت نفسك فلا عليك الاستقصاء فيها لا صلاح غيرك وكيفيك الاقتصاد بل هو الخير اذ لا يفى الاعمار بالاستقصاء فى كل العلوم فاستقصاء البعض دون الآخر ليس بخير بل الاحسن الاقتصاد فى الكل - وان لم تكن اصلحت نفسك اولافياك ان تقصد اصلاح غيرك وتترك نفسك اذلا اعظم منه خسرانا فعليك ان تشتغل اولا بتطهير نفسك من ظاهرها الاثم وباطنها بحيث تجعله دينا وعادة منتشرة فيك - ثم اشتغل بفروض الكفايات على التدرىج الذى سنذكر لك ذلك فابتدى بكتاب الله ثم بسنة رسوله ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من النسخ والنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك

وكذلك في السنة - ثم اشتغل بالفروع من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم بقدر ما يتسع له وقتك ولا تستغرق عمرك في واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وان طلبت الزيادة عليها واتسع لك الوقت فاقصر من شائع علم اللغة قدر ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبتها على غريب القرآن والحديث وتعد التعمق فيه واقصر من النحو على قدر ما يتوقف عليه معرفة الكتاب والسنة وتعمق في التفسير قدر ما يعده العلماء وسيطا ثم اصرف ذهنك على لطائفه و اشاراته - وفي الحديث قدر تحصيل ما في الصحيحين والصحيح الستة قدر ما يحتاج اليه في الاعمال وحصل نسخة صحيحة منها او منها على رجل خبير بمتون الحديث ودع حفظ اسامي الرجال ومعرفة علمهم لأن السلف من جامعي الصحاح قد كفينا (١) مؤنتها - واما الفقه فيكفي فيه حفظ البداية والوقاية والمنظومة للنسفي - واما الكلام فيكفي فيه قدر محافظة عقائد وارادة في الكتاب والسنة وان قدرت مع ذلك على دفع المبتدعة فأحسن وأحسن واما الخلافيات فلا حاجة لك بها على كل حال اذ الغرض منها اقبال الناس ووفور الحرمة والحشمة عند الولاة وهذا من اخس الاغراض وارذلها سيما اذا ادى الى بذل العلم في باب هؤلاء سيما مع طلب رضاهم في الاحكام - اللهم عفوا عفوا - واما المنطق فهو داخل في علم الكلام - واما الفلسفة فما كان منها مخالفا للشرع فاكثره مباحث علم الالهى وبعض من الطبيعي فذلك في حكم السحر بل اضر منه لانه يؤدى الى الكفر اسرع من السحر وما لم يكن مخالفا للشرع كبعض مسائل الالهى واكثر مسائل الطبيعي وكل مباحث الرياضى فلا منع عنها فهو في حكم علم الحساب الا ان يخاف ان يستدرج مشتغله الى العبور الى البواقي فيمنع منها البعض دون ذلك - فالذى يجب عليك الاقبال بعلوم (٢) الآخرة وهى قسبان علوم معاملة وعلوم مكاشفة والاول طريق للثاني - اما علوم المعاملة فهى معرفة احوال القلب اما ما يحمدها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والرضا

(١) كذا والظاهر - كفونا - ح (٢) كذا -

والقناعة والتقوى والاحسان والسخاء وحسن الظن والخلق والمعاشرة والصدق والاخلاص - واما ما يذم منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب البقاء في الدنيا والكبر والرئاء والغضب والفخر والخيلاء والتنافس وطول الامل والفرح بالدنيا والانس بأهلها الى غير ذلك - واما ما عاوم المكاشفة فعرفة ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله وحكمته ومعرفة معنى النبوة والنبي ومعنى الوحي والملائكة والشياطين ومعرفة الجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره الى غير ذلك من الاحوال بأن يرتفع العطاء ويتضح جليلة الحق اتضاحا يجرى مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان وانما يشغل عنه كدرا قاذورات الدنيا فاذا صقل القلب عنها يتجلى له تلك العلوم بلا شك ويتلأأ فيه انوار تلك الحقائق لا محالة وهذه العلوم لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها الا من يعرفها فلا تحقر واعلم ان آتاه الله علما فان الله عز وجل آتاه اياه وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم يعني علم المكاشفة اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم وهما البدعة والكبر وقيل من كان محبا للدنيا ومصرعا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واكل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين -

المطلب الرابع في آداب المعلم والمتعلم ووظائفها وقد استوفينا هذا الباب في اول الكتاب فلانشتغل باملال الاصحاب بسلوك طريق الاسهاب -

المطلب الخامس في آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة -

اعلم انه قد ورد في شأن العلماء نصوص واخبار تدل على انهم اشد عذابا يوم القيامة اذا لم يعملوا بعلمهم والذين يقصدون بعلمهم التنعم في الدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها ولا حاجة الى ذكر تلك الاخبار والآثار لشهرتها عند العلماء ، وحاصل

وحاصل الجميع ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل ثم ان الفائزين المقربين من العلماء لهم علامات بها تمتاز (١) عن علماء الدنيا - فلنذكر منها مع كثرتها اثنتى عشرة علامة - منها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انها كالضرتين متى ارضيت احداهما اسخفت الاخرى وكسفتى ميزان فى رجحان احداها خفة الاخرى كالشرق والمغرب يستلزم قرب احدهما البعد من الآخر فان من لم يعلم كدورة الدنيا وامتزاج لذتها بألمها، بل يقال ان امور الدنيا اما عين الم او مقدمة للألم، فهو فاسد العقل غافل عن المشاهدة والتجربة فكيف يكون من العلماء من لاعقل له - وايضا من لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر بالنصوص ومن لا ايمان له لا يكون عالما - وايضا من غفل عن مضادة الدنيا والآخرة وان الجمع بينهما نفع بلا ضرر فهو جاهل بالشرائع كلها بل هو كافر بما بين دفتى المصاحف كلها فكيف يعد من زمرة العلماء - ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو اسير الشيطان وقد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه الدرجة - وقيل -

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها دئاب

ومنها ان لا يخاف قوله فعلة بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو اول عامل به ولا ينهى الا عن شىء ينتهى هو عنه اولا - قيل -

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم (امورا) انت تأتيها

وقيل

لانه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

والآيات والاخبار والآثار فى هذا الباب اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر ومنها ان تكون عنايته لتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعة متجنباً فى العلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيال والقال - ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن

بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل وكما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله سبحانه قربه وارتفع في علماء الآخرة حزه والتحقيق ان التزين بالمباح ليس بحرام لكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر محظورة فالحزم اجتناب ذلك - ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل اليهم البتة ما دام يجد عن الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخاطبتهم وإن جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخاطط لهم لا ينفع عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باطهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجاههم فيزدري نعمة الله تعالى او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه بمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت - وعلى الجملة فمخاطبتهم مفتاح لعدة شرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط - (ومنها) ان لا يكون مسارعا للفتوى بل يكون متوقفا متحرزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان وجد عما يعلمه تحقيا افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد او تخمين احتاط و دفع عن نفسه واحال على غيره وان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم - (ومنها) ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تثمر المراقبة في دقائق علم القلوب والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكر والانقطاع اليه عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتوح الله له من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوى الالباب (ومنها) ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين

اليقين الذى هو رأس مال الدين - واعلم ان اليقين عند المتكلمين هو رجحان احد طرفى الحكم رجحانا لا يقبل التشكيك وهو الذى لا يتصور الايمان بدون بلوغه هذه الرتبة وعند الفقهاء والصوفية واكثر العقلاء ان يستولى ذلك الادراك على النفس ويغلب على القلب وهذا انفعال للقلب عن هذا الادراك ونفوذ فى القلب مثل تأثير الحياء فى اليد وانفعال اليد منه مثلا يقال ان هذا الرجل لا يوقن بالموت لما انه يغفل عنه ويسهو عن العمل بمقتضاه ويقال هذا الرجل له قوة اليقين بالآبوت يعنى انه مستغرق الهم فى استعداده مع ان كليهما متساويان فى القطع بموته وربما يعبر عن هذا المعنى بالاذعان وعن الاول بالادراك - والتحقيق فيه انك قد عرفت فيما ذكرناه من التحقيق ان فى الانسان قوة جزئية محلها الدماغ من شأنها الادراك بالظر وفيه قوة كلية محلها القلب الاول فاليتين بالمعنى الثانى حاصل فيه وهما مشتركان فى معنى التصديق الحازم الثابت المطابق للواقع الا ان الحاصل فى القوة الجزئية لتوقفه على التفات النفس الى ذلك ربما يسهى عنه ويغفل فلا يعمل بمقتضاه بخلاف الثانى فانه الحاصل فى النفس لا فى الآية (١) فلا يحتاج الى التفات النفس الى ذلك مثل احتياجه فى الاول لانه علم حضورى لا يغيب عن النفس فلا يغفل عنه اصلا ولا ملازمة الكدورات فالادراك المذكوران متحدان والتغاير بحسب المحل - ومن نظر الى اتحادها حقيقة يقول الايمان لا يزيد ولا ينقص ومن نظر الى مغايرتها بحسب المحل يقول بزيادته ونقصه اذ لا يخفى ان الايمان الحاصل بطريق العلم الحضورى اقوى من الحاصل بطريق العلم الحصى فاحفظ هذه الغاية لانك قلما تجد لها فيما عهدت من الكتب ولذلك ترى اكثر المؤمنين لاقتصارهم بالايمان على الطريق الاول يغفلون عن كثير من احكامه - واما الذين يكتفون على الطريق الثانى ترى فيهم الحياء والخوف والذل والاستكانة والخضوع وغير ذلك من الاوصاف المتشعبة من الايمان (ومنها) ان يكون العالم حزيناً منكسراً مطرقاً صامتا يظهر اثر الخشية على احواله ويكون نظره مذكراً لله تعالى والآخرة وتكون صورته دليلاً على علمه فهم الذين سيماهم على وجوههم من اثر السجود

(ومنها) ان يكون اكثر بحثه فيما يفسد من الاعمال وفيما يشوش القلوب ويشوش
الواسوس ويشير الشره ولا يكون ممن يتبعون غرائب التعريفات في الحكومات
والا قضية ويتعنون في وضع صور ينفى الدهر لا تقع او تقع لغيره لانه اذا
وقعت وفي العالمين بها كثرة يكفون مؤنته وما ابعد عن السعادة من باع مهم
نفسه اللازم بهم غيره النادر اثارا للقبول او التقرب من الخلق على القرب من
الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون من أبناء الدنيا فضلا محققا عالما بالدة نق
وجراؤه من الله تعالى ان لا ينتفع من الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه
بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العالمين وفوز
المقرين وذلك هو الخسران المين - و(منها) ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته
وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما الذي
يقلد عليه (١) هو صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما
يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماع منه صلى الله عليه وسلم - ثم اذا
قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فينبغي ان يحرص على فهم اسراره
ولا يكون وعاء للعلم لاعالما ومن كشف عن قلبه الغطاء صار متبوعا لمن يجيء
بعده فلا ينبغي ان يقلد المجتهد الاخر فاذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا
غير مرضى فلا اعتماد على التصانيف ابعدا لانها محدثة بعد الصحابة وصدور التابعين
وانما حدثت بعد مائة وعشرين سنة من الهجرة واما السلف فقد امتنعوا عن
تصنيف الكتب بل كتب الاحاديث حتى ان ابا بكر كره كتب المصاحف في
مصحف واحد كما عرفت تفصيله وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه
الموطأ وقال ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كعاب
ابن جريج في الآثار - حروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة
ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنن شتى متشورة مبوبة ثم
كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع
حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات

ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ فأخذ علم اليقين فى الاند راس ذلك الزمان حتى صار يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص الزخرف كلامه بالعبارات المسجمة عالما واصبح علم الآخرة مطويا (ومنها) ان يكون شديد التوقى من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور ولينظر هل كان احوال الصحابة واعمالهم التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الاوقاف واموال الايتام ومخالطة السلاطين ام الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجلبه الى غير ذلك واكثر معروفات هذه الاعصار منكرات عصر الصحابة كترين المساجد وتنجيدها واتفاق الاموال العظيمة فى دقائق عماراتها والقرش الرقيقة فيها وقد كان فرش البوارى فى المسجد من بدع الحجاج وكانوا لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا (ومن ذلك) التاجين فى الاذان والقرآن (ومن ذلك) التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى غير ذلك فاذا سمعت هذه الاوصاف فكف من اهل الانصاف بأن تنصف بها او تقر بتقصيرك فيها واياك واياك ان تكون الثالث الشقى فتصير من البطالين حتى تلحق بزمرة الهالكين فنعوذ بالله من خدع الشيطان وبها هلك الجمهور ونسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا يغيره الحياة الدنيا ولا يغيره الله الغرور -

المطلب السادس فى العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

اعلم ان شرف العقل معلوم بالضرورة ولا سيما قد ذكرنا شرف العلم والعقل منبعه ومطلعه واساسه ويجرى منه مجرى الشجر من الثمر والنور من الشمس والرؤية من العين فما يدل على شرف العلم دليل على شرف العقل بالضرورة وكيف لا يشرف وهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه واعظم البهائم بدنا واشدهم ضراوة واقواهم (١) سطوة اذا رأى الانسان احتشم وهابه لشعوره بما يختص به من العقل الذى تسهل به الحيل وكذلك ترى كثيرا

من الأتراك واجلاف العوام من الأتراك مع قرب رتبهم من البهايم يوقرون مشايخهم بالطبع - ثم اعلم ان العقل يطلق على معان احدها اوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهايم وبه استعد لقبول العلوم النظرية وتدير الاصناعات الخفية الفكرية وهذا ما قيل فى حده انه غريزة يهيا بهادرك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء (وثانيها) انه بعض العلوم الضرورية لجواز الحائزات واستحالة المستحيلات وهى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز وهو ايضا صحيح لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا اذ يقال صار الصبي عاقلا وهو بهذا المعنى وامان اثبت هذا ونفى المعنى الاول اعنى الغريزة المذكورة فقد اخطأ (وثالثها) علوم تستفاد من التجارب لهذه الاحوال فان من هذبت التجارب يقال له فى العرف عاقل ويقابله غبي غمر جاهل (ورابعها) ان تنتهى قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها وهى الغاية القصوى للقوة الغريزية المذكورة والمعين الأولان باطبع للانسان والاخيران بالاكتساب - ثم اعلم ان اتفاوت يتطرق الى هذه الاقسام سوى ! الثانى منها لان الضرورى لا تفاوت فيه واما الرابع فلا يخفى تفاوت الناس فيه وذلك بالتفاوت فى الشهوة اذ يغلب بعض الشهوة فى البعض فلا يقدر على تركه ويضعف فى الآخر فيتركه وقد يتفاوت فى شخص واحد فان الشاب لا يقدر على ترك الزنا بخلاف الشيخ غالبا - واما بالتفاوت فى العلم بغائلة الشهوة كالعالمى والعالم فى معرفة ضرر المعصية - واما الثالث فان الناس متفاوتون فى علوم التجارب اذ قد يتفاوت الانسان فى الغريزة والتجارب ثمرتها وقد يتفاوت فى الممارسة فيتفاوت التجارب - واما الاول اعنى تفاوت الغرائز فلا سبيل الى جحدها لأن من جوز أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل السوادية واجلاف البوادي فقد خلع ربقة الانسانية عن عنقه واولا هذا التفاوت لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما اقتصموا الى بليد لا يفهم الا بعد تعب طويل والى ذكرى يفهم بأدنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق العلوم

يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالا لهام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي - واما ما تسمع من المتصوفة من ذم العقل والمعقول فذلك اطلاق خامس وهو معنى المجادلة والمناظرة بالمناقضة والازمات كما هو مدار صنعة الكلام لانهم يذمون نور البصيرة التي هي اساس العلوم الشرعية وان ذمت هي فما الذي يحمدا الا انهم لم يقولوا انكم اطلقت العقل على معنى مذموم لشيوعه عند الناس في هذا المعنى لاجرم ذموا العقل والمعقول لكن بهذا المعنى المذموم لا بمعنى كل الاطلاقات والله اعلم - (الاصل الثاني) في قواعد العقائد وهي اصل الاصول ومبنى الاسلام ومقدمة جميع الاحكام ومبناها تصحيح كبرى الشهادة وتفصيلها ويرجع الى معرفة المبدأ والمعاد - ولما كان تفصيلها خارجا عن طوق هذا الكتاب وصارت كتب السلف مشحونة بها ضربنا عن ذلك صفحا والله الموفق - واجمال هذا الكلام ان هذا الركن من الاسلام على اربعة اركان كل ركن عشرة اصول -

(الركن الاول) معرفة الله عز وجل ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدومه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس بمختصا بجهة -

(الركن الثاني) في صفاته وهي ايضا عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلم متنازها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والا رادة -

(الركن الثالث) في افعال الله تعالى ومداره ايضا على عشرة اصول وهي ان افعاله مخلوقة له تعالى وانها مكتسبة لالمباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق وانه له تعالى تكليف ما لا يطاق وله ايها (١) البرى ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة لا واجب مؤيدة بالمعجزات -

(الركن الرابع) في السمعيات ومداره ايضا على عشرة اصول وهى اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامة - واذا عرفت هذا الاجمال فاطلب تفاصيلها من كتب القوم والغرض بيان عقيدة اهل السنة وانهم باى عقيدة يمتازون عما عداهم من اهل البدع واللاهواء نسأل كمال اليقين واثبات في الدين انما ولكافة المسلمين والله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده -

الاصل الثالث علم اسرار الطهارة - قال الله تعالى (والله يحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، الطهور ونصف الايمان ، واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخبار والفضلات - والثانية تطهير الجوارح عن الآثام - والثالثة تطهير القلب عن ذمائم الاخلاق - والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين - والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذى فيها اد المقصود في السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته وان يحل ذلك فيه الابان يرتحل عنه ما سوى الله تعالى وكذا المقصود في القلب التحلى بالاخلاق الحمودة ولن يتيسر ذلك الا بالتخلى عن الاخلاق الذميمة وكذا المقصود من الجوارح تزيينها بالطاعات ولا يتيسر ذلك الا بتطهيرها عن الآثام - وكذا الحال في الظاهر بكل من هذه المراتب لا يمكن الا بتطهير ما قبلها فاصل الكل طهارة السر ولكن تتوقف على طهارة مقدماتها الى ان ينتهى الى طهارة الظاهر ولا تظن ان هذا ينال بالمنى او ينال بالهوى والذي يهمنى الآن معرفة احوال طهارة الظاهر وهى اقسام (طهارة) عن الخبث وقد استقصى الكلام في ذلك في كتب الفروع (وطهارة) عن الحدث من الوضوء والغسل والتميم - اما الوضوء فقد استوفى الفقهاء فرائضه وسننه وآدابه ولما ذكره هنا بعضا من آدابه وهو انه اذا خرج من الغائط اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه خارجا من الغائط الا توضأ وبيدئ بالسواك وينوى تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا وكان يقول عليكم

عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب - وعن علي رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب الباع - ثم يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ويقول أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يقول عند غسل يديه اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهاكة - ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويقول عند المضمضة اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكرك - ويقول عند الاستنشاق اللهم اوجدني رائحة الجنة وانت عني راض وعند الاستنثار اللهم اني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار - ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك - ويقول عند غسل اليد اليمنى اللهم اعطني كتابي بيمينى وحاسبني حسابا يسيرا - ويقول عند غسل الشال اللهم اني أعوذ بك ان تعطيني كتابي بشالي أو من وراء ظهري - ويقول عند مسح الرأس اللهم عشي برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك - ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادى الجنة مع الابرار - ويقول عند مسح الرقبة اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال - ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار - ويقول عند غسل اليسرى اني أعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين - فاذا فرغ عن الوضوء رفع رأسه الى السماء وقال اشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهدان محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمجدك لا اله الا انت عملت سوء وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا - يقال من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدرسه ويكتب له ثواب ذلك يوم القيامة -

(الركن الرابع) في السمعيات ومداره ايضا على عشرة اصول وهى اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامة - واذا عرفت هذا الاجمال فاطلب تفصيلها من كتب القوم والغرض بيان عقيدة اهل السنة وانهم بأى عقيدة يمتازون عما عداهم من اهل البدع والاهواء نسأل كمال اليقين واثبات في الدين انا ولكافة المسلمين والله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده -

الاصل الثالث علم اسرار الطهارة - قال الله تعالى (والله يحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، الطهور نصف الايمان ، واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخبار والفضلات - والثانية تطهير الجوارح عن الآثام - والثالثة تطهير القلب عن ذنائب الاخلاق - والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين - والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها اد المقصود فى السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته وان يحل ذلك فيه الابان يرتحل عنه ما سوى الله تعالى وكذا المقصود فى القلب التحل بالاخلاق المحموده ولن يتيسر ذلك الا بالتخلي عن الاخلاق الذميمة وكذا المقصود من الجوارح تزيينها بالطاعات ولا يتيسر ذلك الا بتطهيرها عن الآثام . وكذا الحال فى الظاهر اكل من هذه المراتب لا يمكن الا بتطهير ما قبلها فاصل اكل طهارة السر ولكن تتوقف على طهارة مقدماتها الى ان ينتهى الى طهارة الظاهر ولانظن ان هذا يال بالمنى او ينال بالهوى والذى يهمنى الآن معرفة احوال طهارة الظاهر وهى اقسام (طهارة) عن الخبث وقد استقصى الكلام فى ذلك فى كتب الفروع (وطهارة) عن الحدث من الوضوء والغسل والتيمم - اما الوضوء فقد استوفى الفقهاء فرائضه وسننه وآدابه ولذكروا ههنا بعضا من آدابه وهو انه اذا خرج من الغائط اشتغل بالوضوء فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وخارجا من الغائط الاتوضأ ويبتدى بالسواك وينوى تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله فى الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يستاك فى الليلة مرارا وكان يقول عليكم

عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب - وعن علي رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم - ثم يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ويقول أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون ثم يقول عند غسل يديه اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهاكة - ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويقول عند المضمضة اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكرك - ويقول عند الاستنشاق اللهم اوجدني رائحة الجنة وانت عني راض وعمد الاستشارة اللهم اني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار - ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك - ويقول عند غسل اليد اليمنى اللهم اعطني كتابي بيمينى وحاسبني حسابا يسيرا - ويقول عند غسل الشال اللهم اني أعوذ بك ان تعطيني كتابي بشالي او من وراء طهري - ويقول عند مسح الرأس اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك - ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادى الجنة مع الابرار - ويقول عند مسح الرقبة اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاعلال - ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار - ويقول عند غسل اليسرى اني أعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل الاقدام المنافقين - فاذا فرغ عن الوضوء رفع رأسه الى السماء وقال اشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهدان محمدا عبده ورسوله سبحانهك اللهم وبمحمدك لا اله الا انت عملت سوء وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا - يقال من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدرسه ويكتب له ثواب ذلك يوم القيامة -

ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطمح نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب سبحانه وليس تطهيره الا بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة - الا ترى ان من قصد مناجاة ملك زين ثيابه مهما امكن وطهره عن الالوان ومع ذلك نجس وجهه الذي محل نظر الملك هل يكون جديرا للتعرض بالبوار عند السلطان ومتصفا بسخافة العقل عند الاخوان -

فاما كيفية الغسل والتيمم فذكورة في كتب الفروع ولندكرها هنا آداب التنظف عن الاوساخ والفضلات الظاهرة التي اهملها الفقهاء في كتب الفروع وهي نوعان عارضى وطبيعى - اما الاول فثمانية (الاول) يستحب غسل الرأس وترجيله وتدهينه ازالة للشعث - (والثاني) يزيل ما في معاطف الاذن والصماخ من الدرن والاوزاخ لكن ينظفه برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع (والثالث) (والرابع) وكذا ما في الانف وما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان ويزيله بالسواك (والخامس) ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل ويزيله بالغسل والتسريح بالمشط ولكن ينبغي ان يكون قصده ان لا يزدريه الموام ولا تستصغره اعينهم لا التزين الذي هو المكروه للرجال وانك ترى رجلا من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم اراعام المبتدعة واذلال المحالفين لا التزين وهذا امر باطن سوف يكشف يوم تبلى السرائر فتعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر (والسادس) وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل (السابع) تنظيف الرواجب وهي رؤوس الانامل وماتحت الاطفار من الوسخ كل هذه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها فوقت للباس قلم الاطفار وتنف الابط وحلق العانة اربعين يوما (والثامن) الدرن في جميع البدن ويزيله بالحمام وقد دخلت الصحابة حمامات الشام حتى قال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابي الدرداء وأبي ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب بالحياء فهذا تعرض لآفته

لآفته ولذلك خلصته (١) فلا بأس بطلب فائدته عند الامن من آفته ولكن يجب عليه وظائف من الواجبات والسنن اما الواجبات ان يصون فرجه عن نظر الغير وعن مسه لازالة الوسخ وغيره خصوصا ما بين السرة والعانة وما فوق الركبة اذ العوام لا يتحاشون عن كشفها بناء على انها ليست بعورة غليظة بل التحريم لكونه من حماها فلا يتساهل في امرها - ومنها ان يفض بصره عن عورة غيره ويمنعهم عن كشفها لأن النهي عن المنكرات واجب ومثل هذه الآفات صار الحزم ترك الحمام في هذه الاوقات ولهذا يستحب تخلية الحمام لمن قدر عليها وان لم يقدر واوجبت الضرورة الدخول فليستر عورته بازار وليستر عينيه بازار آخر ليحفظ عينيه عن عورة غيره واما النساء فالافضل منعهن عن الحمام اذا وجد في البيت مستحرم وكذا اذا لم يوجد ولم تقع ضرورة واذا وقعت ضرورة ككونهن مريضة او نساء فليترن بمئزر ساخن وليتخذهن معها امكن هن - فاما السنن فتحسين النية بان لا يدخلها للترين والهوى بل للتنظيف لاجل الصلاة ويعطى الحامى الابرة قبل الدخول وهو الافضل لرفع الجهالة من احد العوضين وتطيب لنفسه واما العوض الآخر فيستعمل من الماء قدر الحاجة ومقدار الحاجة ما يعينها العرف ويقدم رجاء اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المحبث الشيطان الرجيم ويدخل وقت الخلوة ويجوز ان يتكلف التخلية للضرورة وان لم يمكن فليدخل مع الاحتياط التام اذا وقعت ضرورة والا فاحتياط في الترك - (ومنها) ان لا يسلم عند الدخول ولا يجيب السلام بل يقول عافاك الله وان اجاب غيره يسكت ولا بأس بان يصافح في الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الاسرا ولا بأس بالاستعاذة من الشيطان جهرا - ويكره الدخول بين العشائين وقرىبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين - ولا بأس بان يدل لكة غيره وينبئ ان يتذكر في الحمام حرجهم وظلمته ويتعظ بذلك ومهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة ومن منافعها الطيبة ، وما قيل ان الحمام بعد

النورة امان من الجذام وقيل النورة في كل شهر مرة تطفىء الحرارة وتنقى اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائماً في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من القرس - ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذلك شربه - واما للتنظيف عن الفضلات الطبيعية فثمانية ايضاً (الاول) حلق الرأس ولا بأس به للتنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجل، واما القرعة في المفرق فممنوع لانها من دأب اهل الشطارة وكذلك يمنع ارسال الذوائب لغير الاشراف لانه من شعارهم فيكون تلبيساً (والثاني) قص الشوارب والاحاديث فيه كثيرة واما حلقها فلم يرد وقيل انه مكروه - وبدعة - ولا بأس بترك سبالة لبعده عن الفم (الثالث) تنف الابط في كل اربعين يوماً وذلك سهل على من تعود ذلك ابتداء واما من لم يتعود وتالم بذلك فيكفيه الحلق اذا المقصود النظافة وذلك يحصل به (الرابع) حلق العانة او استعمال النورة ولا يتأخر عن اربعين يوماً (الخامس) قلم الاظفار ويستحب ذلك لبشاعة صورتها وازالة ما يجتمع فيها من الاوساخ وقد امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم واتكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ (السادس والسابع) قطع السرة في اول الولادة وقته (١) ان يثغر الولد مخالفة لليهود فانهم يخنثون في اليوم السابع من الولادة ولأنه ابعد عن الخطر وقد ورد في الحديث ختان النساء مكرومة (والثامن) ما طال من اللحية قال الفقهاء اخذ ما زاد على القبضة لا بأس به قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين والنخعي - قال بعضهم تركها واعفاؤها احب واختاره الحسن وقادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والمختار التوسط بأن لا ينتهى الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب وهذا افراط في القص وان لا يطول طولاً مفرطاً يشوه الحلقة ويطلق أسنة المغتابين بالنز إليه ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل وقال الشاعر -

هلوفة يحملها مائق مقلوب هرون بها لائق

والهلولة بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة وواو ساكنة ثم فاء مفتوحة للحية الطويلة - وما اشتهر بين الطلاب من القاف بدل الفاء فغلط والمثلث هو الاحتمق ومقاب هرون نوره - واعلم ان اللحية فيها عشر خصال مكروهة بعضها اشد من بعض (احدها) خضابها بالسواد فهو منهي عنه واول من خضب بالسواد فرعون وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخضاب بالسواد خضاب الكفار - وفي رواية خضاب اهل النار - وغير ذلك من الاحاديث - تزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه واطلقوا على انه كان خضب لحيته فرد عمر نكاحه واجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك - الا ان يخضب لاجل الغزو فينئذ يجوز ان صحت النية ولم يكن فيه هوى ولا شهوة وقد فعله بعض العلماء للغزو (ثانيها) تبييضها بالكبريت استعجالا لاطهار عاو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ واطهار الكثرة العلم وترفعوا عن الشباب وكل هذا منهي عنه للكذب والزور مع اظهار الحق في اظهار العلم لان كثرة العلم لا تحصل بطول السن ولا تنقص بالشباب بل العلم غريزة تقوى بالشباب وكان عمر يقدم ابن عباس على مشيخة الصحابة ويسأله دونهم وكان ابن عباس يقول ما آتى الله سبحانه عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى (قاوا سمعنا) فتي يذكرهم يقال له ابراهيم (وقوله عز وجل) (انهم قتيه آمنوا برهم) وقوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء - فقليل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشمه الله عز وجل بالشيب - وقيل أوشين هو فقال كلكم يكرهه - ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه كم سن القاضي ايده الله واراد أن يرميه بصغر السن فقال سن عتاب بن أسيد حين ولي اماره مكة وقضاءها فالحقه - قال مالك قرأت في بعض الكتب لا يفرنكم اللحي فان التيس له الحية - وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك (الثالث) الخضاب بالحمرة والصفرة جائز للغزو والجهاد وايضا ورد في الحديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين -

وكان السلف يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة فمن ابس نفسه بالتشبه بالصالحين فهو مذموم كما انه مذموم للترين وبغض الشيب (الرابع) تنف بياضها استنكافا من الشيب وهونور المؤ من وهذا منهي عنه كالخضاب بالسواد في العلة (الخامس) تنفها في اول الشباب تشبها بالمرء فهو من المنكرات الكبار وتنف بعضها بحكم العبث والهوس مكروه ومشوه للخلقة - وكان . . . يتنف فكيه فرد عمر شهادته - وكذا رد ابن أبي ليلى قاضى المدينة - سيما واللحية زينة الرجال - يقال ان لله تعالى ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحي وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس والا احتشام عن التعرض لعرضه - قال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري الاحنف لحية بعشرين الفا - وقال شريح القاضي وددت ان لى لحية بعشرة آلاف درهم - وكان الاحنف وشريح من السادات الطلس وهو جمع الا طلس وهو من لا شعر في وجهه وهم اربعة والباقيان هما عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة (السادس) تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع وهذا مكروه (السابع) الزيادة في اللحية وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي او ينتهى الى نصف الخط وذلك يبين هيئة اهل الصلاح (الثامن) تسريحها لاجل الناس - قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لظهار الزهد (التاسع والعاشر) النظر الى سواده وبياضها بعين التعجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق والافعال وسيأتى تفصيل ذلك بعون الله تعالى -

الاصل الرابع في علم اسرار الصلاة وفيهما مطالب

المطلب الاول واعلم ان للصلاة مراتب واطوار لا تكشف تفاصيلها الا بمقال وهو أن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وهو الحياة والروح وباعضاء ظاهرة يتوقف عليها الحياة كالقلب والكبد والدماغ وباعضاء لا يتوقف

عليها الحياة ولا يفوت بدونها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبأعضاء لا يتوقف عليها الحياة ولا يفوت بدونها مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالجبين واللحية والاهداق وحسن اللون وبأعضاء لا يتوقف عليها ما ذكر كلها ولكن يفوت بها كمال الحسن كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداق وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات خمس يمكن اعتبارها في العبادات - فروحها وحياتها الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص وسننيتها (والدرجة الثانية) كالركوع والسيجود والقيام والقراءة والقعدة الأخيرة اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها (والدرجة الثالثة) كالسنن من التكبيرة ورفع اليدين والشهد الاول وقراءة الفاتحة وغيرها مما لا تفوت الصلاة بفواتها لكن تكون خادجا ناقصا (والدرجة الرابعة) هي الآداب المعتبرة في الصلاة (والدرجة الخامسة) هي لطائف تلك الآداب - واعلم ان الصلاة تحفة وقربة لك تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان اليه فاذا احسنت الوصيفة في خلقتها وجمالها وآدابها الظاهرة واخلاقتها الباطنة يتقبلها السلطان عند عرض حاجة صاحبها فيعوضه بما يليق بشأن السلطان من الكرامات السنية والعز والجاه وكذلك الصلاة اذا تقرب الى الله تعالى تامة في معناها وصورتها وفرائضها وسننها يتقبلها الحق سبحانه وتعالى يوم العرض الاكبر فيجازيها بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واللاترديد عليك وتصير هي خصما عليك وتقول ضيعتني ضيعك الله فتمتبه نظر الفقيه من الصلاة نظر الطبيب في الانسان فان الطبيب في صدد حفظ صحته وابقاء حياته وان كان مشوه الخلقة مذموم الخلق كذلك الفقيه ينظر في احوال الصلاة مقدار ما لا تكون الصلاة صلاة اذا لم يراع شرائط الفقه - وانما الذي ينظر اليه اصحاب القلوب نظر من يهدي العبيد الى السلطان حيث ينظر الى درجات يكمل بها رتبة الانسانية صورة ومعنى - كذلك العارف ينظر الى الصلاة مقدار ما يكون مقبولا عند الملك الديان وسبيلا للفوز من الرضوان - ولما عرفت في الكتب الفقهية رتبة نظر الفقيه فلبين

هاهنا الاحوال المتبعة في الصلاة عند العارف بالله تعالى وصفاته -

المطلب الثاني

الشروط الباطنة من اعمال القلب - منها علم الخشوع وحضور القلب - قال الله تعالى (اقم الصلوة لذكرك) والغفلة ضد الذكر - وقوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون) وسكر الغفلة يشاركه في هذا المعنى - وقوله صلى الله عليه وسلم اما الصلاة تمسكن وتواضع - ويفهم منه الحصر - وقوله من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا بعدا - وصلاة الغافل لا تمتع منها - وقوله كم من قائم حظه من الصلاة التعب والنصب - وقوله ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وايضا الشرع دل على ان المصلي مناج ربه ، ومن المعلوم ان الغفلة تنافي المناجاة اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق دفع الغفلة هو ان الصلاة ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود (اما الذكر والقراءة) فالمقصود منهما الحمد والثناء والتضرع والدعاء ولا بد أن تخاطب به الحق تعالى والالم يكن ذكر وقراءة - وخطابه تعالى لا يمكن بالمشاهدة فهو بالقلب - فالغفلة تنافي المقصود من الذكر والقراءة - وايضا الصلاة شرعت لتسقيط القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان فيه ولا تقع بمجرد حركة اللسان فيما ذكر وذلك ظاهر فلا بد من حضور القلب (واما الركوع والسجود) فالمقصود بهما التعظيم ولو جاز التعظيم بمجرد حركة البدن لم يبق فرق بين تعظيم الخلق والخالق ولم تكن الصلاة من الامور التي يمتحن بها المسلمون وتجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها وان حضور القلب روح الصلاة فان اقل ما يبقى به رمق الصلاة الحضور عند التكبيرة والنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينسبط الروح في اجزاء الصلاة - واما امر الفتوى فلما كان لعامة الناس بحيث لا ينحصر البعض دون البعض كما قال صلى الله عليه وسلم لم في حق الفتوى حكيم على الجماعة حكيم على الواحد ، ولما عجز الكل عن حضور القلب في جميع اجزاء الصلاة واشتراطوا الحضور ونوفى لحظة ولما صار الاولى بذلك التكبيرة

التكبيره الافتتاح لان احكام الاساس احكام للبناء من غير عكس اشتراطوا الحضور عندها - واما القيام والقعود فان القيام تنبيه على اقامة القلب على نعت من الحضور فالغفلة رد للقلب عن الاقامة فكما ان الالتفات بالجسد يورث الكراهة كذلك الالتفات بالقلب بل ذلك اشد كراهة بل لا تكون صلاة عند التحقيق وان لم يعده الفقهاء من المفسدات وذلك لبعثهم عن افعال البدن دون افعال القلب والافلو سئلوا عن ذلك لأجابوا بما ذكرناه - اللهم الا من لا يعرف من الفقه لظاهره ورسمه - وكذا القعود فكما ينبغي ان يكون البدن على وجه الادب قعود الناس عند السلاطين كذلك يكون قلبك عنده على ان تشكر الله تعالى على توفيقه لهذا العمل الصالح واتمام هذه الطاعة وان يخاف منه تعالى انه فرغ من فعل هل وقع له محل في حضرته ام رد وضرب به وجه صاحبه وان يتذكر في قلبه انه مودع لصلاته وربما لا يعيش لمثلها - اذا عرفت هذا فلنذكر سبب حضور القلب وثمراته واعلم ان حضور القلب هو خلو القلب عن غير من ينجيه وسببه الهمة فان القلب تابع لله شاء صاحبه ام أبى ولا حيلة في صرفه عن الدنيا وحصر همه في الصلاة الملاحظة ان الغرض الاصل من الحياة الايمان بالمبدأ والمعاد ومعرفة ان الدنيا احقر من ان يتلهى بها وان الآخرة خير وابقى - وهذا الغرض لا يحصل الا بالصلاة فالملاحظة المذكورة وسيلة الى جعل الصلاة اكبرهم المصلى وهذا المهم يثمر حضور القلب (واما ثمرات حضور القلب) فمنها التفهم وهو اشتغال القلب على ملاحظة المعنى من اللفظ فكمن رجل يحضر قلبه مع اللفظ دون المعنى فكمن من معنى لطيف يفهمه المصلى في اثناء الصلاة ولم يكن يفهمه قبل ذلك وهذه هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر لا من يقرأ وهو غافل عن معنى ما قرأه وسببه بعد حضور القلب الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة بالتزوع عن اسباب تجذب الخواطر الى الشواغل الدنيوية ، فمن احب شيئا اكثر ذكره ولذلك من احب غير الله لا تصفوا صلاة عن الخواطر (ومنها التعظيم) وهذا أمر وراء ما ذكرناه اذكم من رجل حاضر القلب اذا خاطب عبده لا يكون معظما

له فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله تعالى وعظمته
 وثانيهما - معرفة حقارة النفس وكونها مسخرة لربها فيتولد منهما الاستكانة
 والانكسار والخشوع المعبر عنه بالتعظيم (ومنها الهيبة) وهى أمر زائد على التعظيم
 منشأها خوف يصدر عن الاجلال لامطلق الخوف فان من خاف من السبع لا يجله
 ولا يهابه وهذه تتولد من معرفة كونه تعالى غنيا عن العالمين بحيث لو اهلك الاولين
 والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة مع نفوذ قدرته وغلبة سطوته - ومن طالع
 ما يجرى على الانبياء والا ولاء من المصائب والبلاء مع قدرته على عافيتهم يعرف
 جلال الله تعالى وقهره فيحصل من هذه المعرفة الهيبة (ومنها علم الرجاء) وهذا
 زائد على الهيبة اذ كم من واحد يهاب ملكا ولا ير جوه والعبد ينبغي له ان يرجو
 ثواب الله تعالى بصلاته كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله فسيبه معرفة لطف الله
 وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة للمصلي فمن اليقين
 بلطفه وصدق وعده يتولد الرجاء ويحمي ايمانه بين الخوف والرجاء الذى
 لا مهرب عن التوسط بينهما (ومنها علم الحياء) فهو زائد على الكل اذ يمكن قصور
 التعظيم والخوف والرجاء لمن لا يتوهم التقصير والذنب وسيبه استشعاره
 التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حق الله عز وجل سيما اذا عرف
 عيوب نفسه وآفاتا وقلة اخلاصها وخبث دخليتها وميلها الى الحظ العاجل مع
 العلم بعظيم جلال الله وبأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت
 وخفيت - وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى
 الحياء واذا عرفت ان هذه الثمرات اصلها حضور القلب وان سببه دفع الخواطر
 وكان ذلك من صعاب الامور للساكنين فلا علينا ان نذكر ههنا بعضا من علاج
 دفع الخواطر -

واعلم ان الخواطر إما حسى او خيالى فالاول ما يشغله من طرق الحواس الظاهرة
 واكثرها منها السمع والبصر - اما السمع فكأن يشغل المصلى اصوات الطيور اذا
 صلى فى حائط اوسع من ينشد شعرا او يقص شيئا - واما البصر فكأن يشغله
 ما له

ما له وقع في قلبه وهو بمرأى في صلاته أو يشغله شيء له بريق ولعلان أو علم كإرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخميصة التي آتاه بها أبو جهنم وعليها علم وقال اذهبوا بها إلى أبي جهنم فانها اهتني آنفا عن صلاتي وأتوني بانجانية أبي جهنم - ونظائر هذه الاسباب ان يغض بصره الا عن موضع سجده او لا يترك في البيت ما يشغله او يصلي في بيت مظلم وكان بعض العلماء يقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ولهذا يحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة والاولى للبتدى اختيار البيت المظلم لحفظ بصره او الصغير لجمع همه واما الاقوياء فيحضرون المساجد ويقدررون على غض البصر حتى لا يعرفون من على يمينهم وشمالهم - واما الاسباب الخيالية فاصعبها علاجا واشدها على القلب فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من امر إلى آخر وغض البصر لا يغنيه فعلاجه صرف النفس إلى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعين على ذلك بان يذكر قبل التحريمة امر الآخرة وموقف المأجاة وخطر المقام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع وان يتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم صلوا صلاة مودع بان يفرض في نفسه انه آخر صلاة يصليها وانه آخر عمل يختم به على اعماله - ودفع الخواطر من أصعب الامور وشبهوها بالذباب لانه كلما ذب آب ولهذا سمي ذبا كما كذلك الخواطر كلما اردت دفعها تهجم عليك من كل جانب يعرفها من يزاول علاجها الا ان اصل ذلك كله حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنع كل فساد - ومن انطوى باطنه على حب الدنيا فلا يطمع في ان تصفونه لذة المناجاة في الصلاة ومن فرح بالدنيا فلا يفرح بالله عز وجل وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه وهذا هو الدار (١) المر - ولهذا استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة والداء عضا لا حتى يئس بعض من القاصرين عن دفعها حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلي ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا واذا كان حالهم كذلك فلا مطمع فيه

لأمثالنا وابتته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها ليكون من خلطوا اعمالها و آخر
سيئاً ولكن علو الهمة من الايمان فعليك ان لا تترك المجاهدة وتدخل نفسك في
زمرة الرجال - وللحروب رجال وللثريد رجال -

المطلب الثالث

في بيان كيفية احضار القلب عند كل ركن ركن وكل شرط شرط

اما الشرائط (فمنها الاذان) فاذا سمعت النداء فاحضر في قلبك هول النداء يوم
القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للجأبة والمسارة فان المسارعين اليه هم الذين
ينادون باللطف يوم العرض الاكبر - فاذا وجدت في قلبك عند النداء الفرح
والاستبشار فلك البشري بالنور يوم الفصل (ومنها الطهارة) فانك اذا أمرت
بتطهير ظرفك الابد وهو المكان وطرفك الاقرب وهو الثياب وقشرك وهو بدك
فما ظنك بلبك وهو موضع نظر معبودك فبادر بالتطهير بالتوبة والندم على ما فرط
وتصميم العزم على الترك في المستقبل فهذا تطهير باطنك (ومنها ستر العورة) فاذا
وجب ستر مقابح بدنك عن الخلق فكيف ستر مقابح قلبك عن الخالق وهو موضع
نظره فاذا لم يستر ذلك عن الله تعالى سائر فعليك بحوها عن قلبك بالندم والحياء
والخوف فتدلل به نفسك وتستكن تحت الخجلة فتقوم بين يديه قيام العبد المسيء
الآبق عند مولاه (ومنها الاستقبال) فهو في الظاهر صرف وجهك عن سائر
الجهات الى جهة بيت الله فاذا كان هذا مطلوباً منك فترى ان صرف القلب من
سائر الامور الى امر الله عز وجل ليس مأموراً ؟ هيئات هيئات فلا مطلوب منك
الا مطابقة وجه قلبك وجه قالك فكما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بصرفه
عن سائر الجهات كذلك لا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفريغ عما سواه
(ومنها الاعتدال) وهو قول بين يدي الله عز وجل بالقلب والبدن فليكن رأسك
مطرقاً مطأطأ مستكيناً اذا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع
عند العرض والسؤال بل انك قائم بين يديه في الحال وان كنت تعجز عن معرفة
كنه جلالة فقدر ان رجلاً صالحاً من اهلك او ممن ترغب في ان يمر فك باصلاح
فعند

فعند ذلك كيف تخشع جوارحك خيفة ان ينسبك ذلك العبد العاجز الى قلة الخشوع فاذا انصفت نفسك بهذا واعترفت فقل لها انك تدعى معرفة الله وحبه فلا تستحي منه ان تخشى عبدا من عباده والله احق ان تخشاه (ومنها النية) فاعزم على اجابة الله عز وجل في امتثال امره رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقرب منه متقادرا للملة باذنه لك في المناجاة مع انك في اين من جنابه وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى بحيث يليق ان يعرق جبينك من الخجل وترتعذ فرائضك من الوجل ويصفو وجهك من خوف الزلل - (ومنها التكبير) فاذا انطقت به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك كما اذا كنت اطوع لهواك منك لله عز وجل فيوشك ان يكون التكبير كلاما مجردا وما اعظم هذا الخطر لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكبرياء الله عز وجل وعفوه - (ومنها دعاء الاستفتاح) فاذا قلت (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) فان اردت وجهك الظاهر فقد اثبت لله جهة وان اردت وجه قلبك وانت عن الله ساه وغافل يكون كذبا فأى شيء تطمع في صلاة اولها كذب واختلاق واياك واياك عن ذلك فاجتهد في ان تصرف وجه القلب فيما سواه اليه وان كان في حال ذلك كلام - (ومنها القراءة) قلنا س فيها اما رجل يتحرك لسانه وقلبه عن لسانه ذاهل واما رجل يتبع لسانه قلبه ويكون لسانه ترجان قلبه فيفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين واما رجل سبق قلبه الى المعاني ويخدم لسانه قلبه ويكون لسانه ترجان قلبه وفرق بين ان يكون لسانه ترجان قلبه وبين ان يكون معلم قلبه وهذه درجة المقربين - (ومنها الركوع والسجود) فينبغي ان تجتهد عند ذلك في تريق قلبك وتجديد خشوعك وتقصد تواضعا بهما سيما عند السجود فانه على درجة الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لاتجعل حائلا بينه وبين الارض فافعل فانه ادل على الذل واجلب للخضوع فعند ذلك يظهر لك خلقت من التراب ورددت الى اصله فافكره بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثر فعند ذلك فليصدق رجائك في رحمة ربك فانها تتسارع

الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر - (ومنها التشهد) فاجلس فيه متأدبا وتأمل معنى التشهد بتمامها واجعل مفهوم ذلك حالالك كأنك تتحقق به - ثم ادع بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهاال وصدق الرجاء بالاجابة واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين وعلى من في يمينك او يسارك من جماعة المؤمنين فاذا اتممت الصلاة فاشكر الله تعالى على التوفيق بمثل هذه النعمة الجزيلة واخطر ببالك انك مودع اصلواتك هذه - وربما لاتعيش لمثلها - قال النبي صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع - ثم كن بين خصلتين خصلة الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر وباطن فتردد صلاتك في وجهك وخصلة الرجاء في أن يقبلها بفضلها وكرمه - واهل الصلاة الغافلين فانها على خطر الا ان يتعمد الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتعمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته ثم اذا امكن له الصلاة على ما وصفناه يكون سبيل الحصول انوار في القلب يفتح بها علوم المكاشفة فالمكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفونها في الصلاة لاسيما في السجود واذ لا قرب من الرب اكثر منه - قابل عز وجل (واسجد واقترب) وتختلف تلك المكاشفة بالقوة والضعف وانقلا والكثرة والجلاء والخفاء على قصد صفاء المصلى عن الكدورات البشرية حتى ينكشف لبعضهم اعيان الاشياء وبعضهم مآلها كصورة الحيفة للدنيا وصورة الكلب الجاثم عليها - وايضا تختلف باعتبار صرف الهمة فمن واحد ينكشف له من صفات الله وجلاله ومن آخر من افعاله ومن آخر من دقة ثقل علوم المعاملة ويكون ليقين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لاتحصى فلما كانت المكاشفة بقدر صقالة القلب ولم يتحقق ذلك في الاكثر حرموا عنها ومع ذلك لم يكتفوا بنقيصة الحرمان بل وقعوا في حب الانكار لما ان الطباع مجبولة على انكار غير الحاضر لكن اياك اياك ان تنكر امثال ذلك فان منح الله تعالى خارجة عن اطوار الطباع والعقول والله تعالى هو المسؤول لنيل المأمول -

المطلب الرابع

في علم وظائف الامامة

(اولها) ان لا يتقدم على قوم يكرهونه وان اختلفوا فالامر الى الاكثر الا ان يكون الاقل اهل الخير، وايضا التقدم على من هو افقه واقرأ منه الا اذا امتنع هو فاذا حصل له شرائط الامامة يكره له المدافعة وقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد الاقامة ففسد بهم وما روى عن مدافعة الصحابة لا يثار من هو اولى منه وخوفهم على انفسهم الشهرة وخطر أن الائمة ضماء وربما يشتغل قلب من لم يتعود ذلك حياء من المتقدمين سيما في الجهر بالقراءة فيقوته الاخلاص والخضوع (وثانيتهما) اختيار الامامة على الاذان اذا خير بينهما وقيل بل يختار الاذان ولكن الجمع مكروه والاختلاف بالنظر الى تعارض الاخبار في فضائل كل منهما (وثالثتها) ان يراعى الامام الاوقات فيصل في اوائلها ففضل اوائلها على اواخرها كفضل الآخرة على الدنيا حتى رجحوها على الانتظار لكثرة الجماعة حتى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر عن صلاة الفجر في سفر لأجل الطهارة فقدم الصحابة عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه حتى فاتته ركعة فقام يقضيها حتى قال احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر في صلاة الظهر فقد موأبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الصلاة فقام الى جانبه، ولا ينتظر الامام المؤذن ولا غيره وانما ينتظر المؤذن الامام (ورابعها) ان يؤم محلصا ومؤديا امانة الله تعالى في جميع شرائطه واركانه ومن الاخلاص ان لا يأخذ عليها اجرا وكذا المؤذن لكن هذا ان اخذ الاجر من المقتدين وان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم في هذا الموضع إما من السلطان او من غيره فلا يحكم بحرمة ولكنه يكره ولكن يكون الاجر في مقابلة مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في اقامة الجماعة لاعلى نفس الصلاة والفتوى اليوم على الجواز والكراهة عند المتورعين والعاملين بالعزيمة (وخامستها) الطهارة باطنا عن القسوق والكبائر والاصرار على الصغائر والقوم كالوفد وهو شفيعهم فهو اولى بهذه فان تذكر حدثا في انشاء صلاته

فلا ينبغي ان يستحيى بل يستخلف من يقرب منه فقد تذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنب فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (وسادستها) ان لا يكبر حتى يسوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خلا امر بالتسوية - وكان السلف يتحاذون بالماكب ويتضامون بالبعاب والمؤذن يؤخر الامة عن الاذان ليتفرغ الناس ويستعدوا ، وفي الخبر ليمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الأكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه لانه نهى عن مدافعة الاخبيين وامر بتقديم العشاء على العشاء (وسابعتها) ان يخفف الركوع والسيجود ولا يزيد في التسبيحات على ثلاث هذا اذا كثر الجمع واما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالتسعة ، ولا يزيد في دعاء التشهد على المأثور ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع وينوي بالتسليمتين القوم والملائكة وان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن واذا وثب يقبل بوجهه على الناس ولا يقوم المأموم قبل ائتمال الامام - واما باقي الاداب والشرائط فذكرها في كتب الفقه فليطلب منها فان لم تلتزم الا ذكر ما امله الفقهاء -

المطلب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها

والآحاديث والآثار في فضلها كثيرة مشهورة ومال الكل الى ان هذا اليوم عظم الله تعالى وسبحانه به الاسلام وخصص به المسلمين حتى حرم الاشتغال بعد النداء بكل صارف عن السعي الى الجمعة - وفي الحديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه - وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام على ظهره - ثم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط (احدها) الوقت حتى لو وقعت التسليمة خارج وقت الظهر فانت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا وفي المسبوق خلاف (وثانيها) المكان فلا يصح الا في المصر وقد عرفت في علم الفقه ويشترط اذن السلطان (وثالثها) يشترط الجماعة الا في سائر الصلوات وعند بعضهم اربعون ذكورا مكلفين احرارا مقيمين فان نقص واحد ولو في الخطبة والصلوة

والصلاة تبطل (ورابعها) اتحاد الجماعة فالو صلى اربعون متفرقين ماتصح (وخامسها) ان لاتصح جمعتان فان فعلوا فالصحيح هو الا قدم تحرمة الا ان تقع ضرورة - (وسادسها) الخطبتان وقيل تصح بقوله الحمد لله وقيل لابد من خطبتين طويلتين يجلس بينهما وقيل هما فريضتان والقيام فيها فريضة وكذا الجلسة بينهما - وفي الخطبة الاولى اربع فرائض التحميد واوله الحمد لله، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوصية بتقوى الله سبحانه، وقراءة آية من القرآن، وكذا فرائض الثانية الا انه يجب الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الاربعين - واما السنن فان زالت الشمس وأذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه يردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام الامام مقبلا بوجهه على الناس لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او العزة كي لا يعبت بهما ويضع احدهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يتمطط ولا يتغنى وتكون قصيرة بليغة جامعة - وتستحب قراءة الآية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب احسن ولا يشمت العاطس ايضا - هذه شروط الصحة - واما شروط الوجوب فقد علم في الفقه - واما آدابها فهي عشرة (الاول) ان يستعد لها يوم الخميس عز ما عليها واستقبلا لافضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر لانها ساعة قوبلت بالساعة المهمة في يوم الجمعة ويغسل ثيابه ويختار البيض ويعد الطيب ويفرغ قلبه من الاشغال المانعة من البكور الى الجمعة وينوى في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا لامفردا فانه مكروه بل مع ضم الخميس والسبت وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة وقيل ويجمع اهله في هذه الليلة واستحبوا اخذا من حديث من بكر وابكر وغسل واغتسل وقالوا معناه حمل اهله على الغسل - ويروى بالتخفيف اى غسل ثيابه وبهذه الآداب يدخل في زمرة الغائمين ويخرج

من زمرة الغافلين كما قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس وأخسهم نصيبا من أصبح فيقول ايش اليوم - وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في المسجد الجامع لأجلها (والثاني) اذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر فان كان لا يكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة وهذا الغسل مستحب استحبابا مؤكدا وعند البعض سنة وعند آخرين واجب ومن اغتسل ثم احدث لم يبطل غسله والاحب ان يحترز (الثالث) الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي بالكسوة والنظافة والطيب اما الكسوة فاجبها البيض من الثياب ولا يلبس ما فيه شهرة ولا السواد وليس في لبس السواد فضيلة فضلا عن كونها سنة بل قيل انها بدعة محدثة والعمامة مستحبة في هذا اليوم سيما من وقت السعي الى الجمعة الى تمام الصلاة - واما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وما يشابه هذه ، قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء - فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود ولتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه، روى ذلك في الاثر قال الشافعي من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله (الرابع) البكور الى الجامع وفضله عظيم ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة ويكون سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فيه قاصدا للبادرة الى جواب نداء الله والمسارة الى مغفرته ورضوانه والفضل لمن راح الى الجمعة في الساعة الاولى ثم الثانية الى ان خرج الامام وحينئذ طويت الصحف ورفعت الاقدام والاخبار في هذا الباب كثيرة (الخامس) في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى الرقاب ولا يبرين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك اللهم الا ان يجلسوا عند باب الجامع وفي قدام الجامع موضع خال فانه لاحرمة لهم كذا روى عن الحسن وعنه ايضا اذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم لأنه تكليف

جواب في غير محله (السادس) ان لا يمر بين يدي الناس ولا يجلس هو الى قرب من اسطوانة او حائط حتى لا يمر بين يديه فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه وان لم يجد حائطا او اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قد در الذراع ليكون ذلك علامة لحده - (السابع) ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه في الخبر من غسل واغتسل وبكر واجتهد ودا من الامام واستمع كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام - وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى الا ان في طلب الصف الاول شرائط ثلاثة احدها ان لا يرى هناك من الامام وتوابعه منكرا يعجز عن تغييره والا فالتأخر له اسلم واجمع اللهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة منهم بشرين الحارث وقيل له في التأخر قال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد - وثانيها ان لا يكون عند المنبر مقصورة منقطع من المسجد للسلطين واما المقصورة فقد ذكره بعضهم الصلاة فيها الا ان الاقرب ان الكراهة لأجل التخصيص والمنع والا فلا كراهة - وثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ويكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب - (الثامن) ان يقطع الصلاة والكلام عند خروج الامام بأن يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة - وان كان بعيدا قيل يجوز أن يتكلم في العلم وغيره لكن الاولى السكوت اذ الصلاة اذا حرمت في ذلك الوقت فخرمة الكلام فيه اولى - (التاسع) ان يراعى في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيره فاذا فرغ من صلاة الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فقد روى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان - ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميدا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ، يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب

ثم يصل بعد الجمعة ست ركعات وفي رواية اربعاً وفي رواية ركعتين والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل الافضل -

(العاشر) ان يلزم المسجد حتى يصل العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل وكان للاول ثواب الحج وللثاني ثواب العمرة فان لم يأمن من التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او يخاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكر الله عز وجل مفكراً في آلائه شاكراً على توفيقه خائفاً من تقصيره مراقباً لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تقوته الساعة الشريفة ولا ينبغى ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا فانه منهى عنه -

بيان آداب نهار الجمعة وهي سبعة

(الاول) حضور مجالس العلم بكرة او بعد الصلاة وبعد العصر ولا يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير وان وجد عالماً يذكر بايام الله عز وجل ويفقه في دين الله يجلس اليه واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من النافلة - فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس العلم افضل من الف ركعة وكذا يزجر القصاص ويخرجهم من المسجد لانه لاخير فيهم وانه بدعة وقد كثر نكير الصحابة في حق القصاص (الثاني) ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة - وفي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً الا اعطاه - وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصل - واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر وقيل قبل غروب الشمس ويروى هذا عن فاطمة رضي الله عنها تروىها عن ابيها صلى الله عليه وسلم - وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل انها تتنقل في ساعات يوم الجمعة كتتنقل ليلة القدر - قال الغزالي وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره - واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات

الانتمضوا

ألا تعترضوها - فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات (الثالث) يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم ويقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى - ولو اتى بالمشهور في التشهد لكان مصليا ايضا وينبغي ان يضيف اليها الاستغفار فان ذلك مستحب ايضا في ذلك اليوم -

(الرابع) ان يكثر من قراءة القرآن خاصة سورة الكهف ، عن ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والذبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال - ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة ان قدر وليكن ختمه القرآن في ركعتي الفجر (اذا) قرأ بالليل وفي ركعتي المغرب وبين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العباد يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة يقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ايلتها فحسن - وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة ولياليها وكان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ، وفي العشاء الآخرة سورة الجمعة وسورة المنافقين وكان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في صبح الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان -

(الخامس الصلاة) يستحب ان يصلى اذا دخل المسجد قبل ان يجلس اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع

ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف ويصليهما بعد تصلية (١) الامام الى جانبه اذ حينئذ يشرع في مدح السلاطين ولا يجب استماعه - ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور من ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص - ويستحب ان يصلي في هذا اليوم صلاة التسبيح وهتعر فيها وكان ابن عباس يصليها بعد الزوال والاحسن في يوم الجمعة ان يشتغل بالصلاة الى الزوال وبعد الجمعة باستماع العلم الى العصر ثم بالتسبيح والاستغفار الى المغرب -

(السادس) الصدقة وهي تضاعف في هذا اليوم الا ان يتصدق ع-لى من سأل والامام يخطب لانه مكروه - وكره بعض العلماء التصديق على السائل اذا تخطى رقاب الناس الا ان يسأل قائماً او قاعداً في مكان - قال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئاً الا اعطاه - قال بعض السلف من اطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احداً ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له -

(السابع) ان يجعل هذا اليوم للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يتبدى فيه السفر - فقد روى ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه - والسفر فيه بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تقوت - وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء لشربه او امسبله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فان لم يكن منه بد قالوا يعطى الثمن خارج المسجد وبالجملة يزيد في هذا اليوم في اوراده وانواع خيراته فان الله سبحانه اذا احب عبداً استعمله

في الاوقات الفاضلة (١) بسئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته وحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت - ويستحب في يوم الجمعة دعوات مخصوصة وردت بها الآثار وستعرف في باب الدعوات ان شاء الله تعالى -

المطلب السادس.

في علم النوافل من الصلوات.

فاعلم ان ماعدا الفرائض من الصلوات اما سنن او مستحبات او تطوع والاول ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وواطب عليه والثاني ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواطبة عليه والثالث ما لم يرد في عينه اثر ولكنه تطوع به العبد في مناجاة ربه مع ورود الشرع بفضل الصلاة . طلقا وتسمى هذه الثلاثة نافلة . مقابلة للفرص وقد يعرض لبعض السنن فضيلة الآخر (٢) فان سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء - وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم الرواتب الاخر - واعلم ان النوافل اربعة اقسام ما يتعلق باسباب وما يتعلق باوقات - وهذا اما ان يتكرر في اليوم والليلة او في الاسبوع او في السنة وهذه اربعة اقسام -

(القدم الاول) ثمانية خمسة منها رواتب الصلوات الخمس وثلاثة ورامها وهو صلاة الضحى وما بين العشائين والتهجد - اما رواتب الصلوات الخمس فقد عرفت في علم الفقه واما صلاة الضحى . فاكثر ما نقل فيها ثمان ركعات هذا رواية ام هاني وفي رواية عائشة اربعا ويزيد ما شاء الله لم تحدد الزيادة وروى ست ركعات وقيل اقلها ركعتان واعلاها اثنتى عشرة ركعة - هكذا ذكر السهروردي في العوارف ووقتها اذا اشرفت الشمس وارتفعت وكانت في ربع السماء من جانب الشرق وهذا نظير وقت العصر في الربع الغربي - واما صلاة ما بين العشائين فهي سنة مؤكدة ولها فضل عظيم ويقال لها صلاة الاوابين وعددها ست ركعات - واما صلاة التهجد ووقتها الثلث الاخير من الليل الى طلوع الفجر وينبغي انه لا ينأى عنها وبينها وبين طلوع الفجر وتقليل هذه الصلاة بلا نوم بعدها افضل من

تطويلها مع النوم عقيبها - واختلف في عدد ركعاتها واولها ركعتان الى اثنتي عشرة ركعة واما فضائلها فخارجة عن حد الاحصاء -

(القسم الثاني هي صلاة ايام الاسبوع واليايه - ١) (يوم الاحد) يصلى فيه اربع ركعات وفى رواية خص وقتها بما بعد الظهر يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آمن الرسول مرة وفى رواية يقرأ فى الاولى تنزيل السجدة وفى الثانية تبارك ثم تشهد وسلم ثم يصلى الاخرين ويقرأ فى كل منهما سورة الجمعة وكل هذه السور بعد الفاتحة واما فضائلها اعطاه الله ثواب نبى وحجة وعمره وبكل حرف مدينة فى الجنة من مسك اذ فر وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطى له بعد ذلك نصرانى ونصرانية حسنات وكان حقا على الله ان يقضى حاجته -

(يوم الاثنين) يصلى ركعتين عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسي والاخلاص والمعوذتين مرة مرة وبعد السلام يستغفر الله عشر مرات ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له كل ذنوبه ، رواه جابر - وفى رواية انس اثنتي عشرة ركعة يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ الاخلاص اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة - وفضائلها دخول الجنة مع كرامات من الحلل والتيجان وتشيع الملائكة له مع كل منهم هدية له -

(يوم الثلاثاء) يصلى فيه عند انتصاف النهار عشر ركعات وفى رواية عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات رواه انس - واما فضائلها لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما وان مات فى هذه المدة مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة -

(يوم الاربعاء) اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة

(١) عامة الصلوات المذكورة فى هذا القسم توجد فى كتب الفضائل كالا حياء وغيره وقد حكم عليها ائمة الحديث بان احاديثها كذب او واهية فلا يثبت بها انظر الآلى المصنوعة - ج - ١ ص ٢٥ وما بعدها -

آية الكرسي مرة والاخلاص ثلاثا والمعوذتين ثلاثا، رواه معاذ وفضائلها دفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وشدا ئد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي ونادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأ نف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك -

(يوم الخميس) ركعتين بين الظهر والعصر يقرأ في الاولى بعد الفاتحة آية الكرسي مائة مرة، وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله مائة مرة ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة رواه ابن عباس وفضائلها اعطاه الله ثواب صوم رجب وشعبان ورمضان وثواب الحج وكتب له بعد ذلك من آمن بالله وتوكل عليه حسنة (يوم الجمعة) اذا ارتفعت الشمس قد ررمح او اكثر يصلى بعد اسباغ الوضوء سبعة الضحى ركعتين من صلاتها ايماننا واحتسابا كتب الله تعالى له مائتي حسنة ومحامنه مائتي سيئة - ومن صلى اربع ركعات رفع الله عز وجل له في الجنة اربعائة درجة ومن صلى ثمانى ركعات رفع الله له في الجنة ثمانى مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتى عشرة ركعة كتب الله سبحانه له الف ومائتي حسنة ومحامنه الف ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الف ومائتي درجة، رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعا - وفي رواية ابن عمر مرفوعا من صلى يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد لله - قل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له -

(يوم السبت) يصلى اربع ركعات يقرأ في كل منها فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات وبعد الفراغ آية الكرسي، رواه ابو هريرة مرفوعا وفضائلها كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله تعالى مع النبيين والشهداء -

اما اللآلى الى قليلة الاحد يصلى عشرين ركعة في كل ركعة الفاتحة مرة والاخلاص خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ثم استغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه

مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن آدم صفوة الله وفطرته - و ابراهيم خليل الله - وموسى كليم الله - وعيسى روح الله - ومحمد حبيب الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كان له من الثواب بعدد من دعا الله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين رواه انس -

ليلة الاثنين يصلى اربع ركعات يقرأ فى الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرة وفى الثالثة ثلاثين وفى الرابعة اربعين كلاهما بعد الحمد لله ثم سلم وقرأ قل هو الله خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله عز وجل ان يعطيه سؤل الله فيما سأل وتسمى هذه صلاة الحاجة رواه انس -

ليلة الثلاثاء يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم آية الكرسي خمس عشرة مرة ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة -

ليلة الاربعاء يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات - ومن صلاها نزل له من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة - وفى رواية فاطمة رضى الله تعالى عنها ست ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية وبعد صلاته يقول سبعين مرة بحزى الله محمدا عنا ما هو اهل غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار وفى رواية عثمان ابن مظعون عشر ركعات وقرأ فى كل منها الحمد لله وآمن الرسول الى آخر السورة مرة والاخلاص ثلاث مرات من صلاها فكأنما خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان كانت مثل زبد البحر وورق الشجر وعدد النجوم والامواج او زبد البحار والخلق

والخلق والخلائق وغفر الله له ذنوب السر والعلانية وادخله الجنة في اول زمرة من زمرة المتقين والفائزين والمقربين دون حساب وعذاب ولا عرض وسؤال وباهى الله به الملائكة وسماه العتيق من النار - فقال عثمان بن مظعون يا رسول الله ان هذا ثواب عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان والذي بعثني بالحق ان الله يعطى لمن صلى هذه الصلاة اجر من صدق اثنى عشر نبيا واجر من جاهد في الله حق جهاده الف سنة وبنى الله له في الجنة دار السلام الف قصر مع ماله عند الله من المزيد -

ليلة الخميس يصلى ركعتين مابين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد والمعوذتين خمس مرات فاذا نرج من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لو ائله فقد ادى حقها وان كان عاقلا لها واعطاه الله تعالى خير ما يعطى الصديقين والشهداء رواه ابو هريرة -

ليلة الجمعة يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد احدى عشرة مرة فكأنا عبد الله اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليالها رواه جابر - وفي رواية انس يصلى صلاة العشاء الآخرة في جماعة ويصلى ركعتى السنة ثم يصلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوثر ثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة - فمن فعل هذه فكأنا احيا ليلة القدر - وقال صلى الله عليه وسلم اكثر وامن الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة - ليلة السبت يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة من صلاتها بنى له قصر في الجنة وكأما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله تعالى يغفر له - رواه انس -

القسم الثالث ماتكر دبتكر السنين وهى اربعة الاول صلاة العيدين وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبى ان يراعى فيها سبعة امور -

الاول التكبير - والثاني يغتسل ويتزين ويتطيب يوم العيد ، والثالث يخرج من طريق ويرجع من آخر - الرابع الخروج الى الصحراء الا في المطر في الآفاق والا بمكة وببيت المقدس ويجوز للضعفاء ان يتخلفوا بالمسجد وان كان يوم صحو - الخامس رعاية الوقت ويستحب تعجيل صلاة الاضحية للذبح وتأخير الفطر للصدقة - السادس يقرأ في الركعة الاولى سورة ق بعد الفاتحة وفي الثانية اقربت بعد الفاتحة ايضا - السابع ان يضحي بكبش ومن ارد أن يضحي فلا يقلم اظفاره في عشر ذي الحجة - قال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحي ست ركعات وقال هو من السنة -

الثاني التراويح عشرون ركعة وكيفية مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين والسنة ان يصلها مع الجماعة وتفصيل هذه في كتب الفقه -

الثالث صلاة رجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات والا خلاص اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ صلى على محمد سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد بسجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته فانها تقضى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار - هذه الصلاة مستحبة وطعن فيها بعض المتأخرين وادعوا أن الحديث الوارد فيها موضوع وقيل خبر آحاد الا انه لمواظبة اهل القدس بل سائر المسلمين في الامصار لا يسمعون بتركها - ولهذا احببت ايرادها (١) -

(١) انظر كتب الباعث على انكار البدع والحوادث لابن شامة - ح -

الرابع صلاة شعبان في الليلة الخامسة عشر منه يصلي مائة ركعة بخمسين تسليمة يقرأ في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد مائة مرة - كان السلف يصلونها ويسمونها صلاة الخير وربما صلاها جماعة - روى عن الحسن رضى الله عنه انه قال حدثني ثلاثون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة اذناها المغفرة (١) -

القسم الرابع

ما يتعلق بأسباب عارضة وهي تسعة

الاولى صلاة الحسوف وهذه مذكورة في كتب الفروع

الثانية - صلاة الاستسقاء وهي مثل صلاة العبد بلا فرق الا انه يخرج فيها بثياب بذلة واستكانة متواضعين بعد ما صاموا ثلاثة ايام وتقديم صدقة وتوبة عن المعاصي والخروج من المظالم ثم يخرج اليوم الرابع بالصبيان والعجائز وعند البعض يخرج الدواب لمشاركتهم في الحاجة - وفي الحديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبها ثم رتع لصب عليكم العذاب صبا - وعند البعض لا يمنع اهل الذمة اذا خرجوا ممتيزين والمختار عندنا منعهم -

والثالثة - صلاة الجنازة وتفصيلها وتفصيل صلاة الاستسقاء مذكور في كتب الفقه -

الرابعة - تحية المسجد وهي ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انهم جوزوها في الاوقات المكرهة وعند الخطبة ولو اشتغل بفرض او قضاء تأدت به التحية وحصل الفضل والمقصود عدم خلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد فيما يحق المسجد ولهذا يكره الدخول بلا وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها

(١) انظر الآلى المصنوعة في الاحاديث الموضوعية ج ٢ ص ٣١٣٠ - ح

عدل ركعتين في الفضل -

الخامسة - ركعتان بعد الوضوء مستحبتان اذ الوضوء معرض الآفات فالمبادرة الى استيفاء المقصود به اولى -

السادسة - ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه يدفعان مدخل السوء ومخرج السوء - وكذلك عند ابتداء السفر في المنزل وعند الرجوع منه في المسجد كل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين يصلي ركعتين اذا أكل اكلة او شرب شربة وفي كل امر يحدثه كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة وكانوا يقدمون في عقد النكاح والنصيحة والمشورة الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذا عند شراء دار جديدة والخروج من منزل والدخول فانه نوع سفر خفيف وكذا عند الاحرام -

السابعة - صلاة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في فعله او تركه فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد بعد الفاتحة فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امرى وعاجله وآجله فقد ربه لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امرى وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اين ما كان ثم رضني به انك على كل شيء قدير - رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن - وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسلم الامر ويدعو بما ذكرناه -

الثامنة - صلاة الحاجة فمن ضاق عليه امره ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تمذره عليه - فقد روى عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثني عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي

وقل

(٦)

وقل هو الله احدا اذا فرغ يخر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى احصى كل شىء بعلمه - سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الاله - سبحان ذى المن والفضل - سبحان ذى العز والكرم - سبحان ذى الطول ، اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكمالاتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلى على محمد - ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى - قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعا ونوها على معصية الله -

التاسعة - صلاة التسبيح وهذه ان لم تختص بوقت ولا سبب الا ان المستحب ان لا يخلوا الاسبوع عنهما مرة واحدة او الشهر ولهذا اوردتها هاهنا - روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشىء اذا انت فعلته غفرا الله سبحانه ذنبك اوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطاه ، وعمره ، سره وعلانيته تصل اربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركب فتقولها عشر اثم ترفع رأسك فتقولها عشر اثم تسجد فتقولها عشر اثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشر اثم تسجد السجدة الثانية فتقولها عشر اثم تقوم فتقولها عشر اثم تسجد سبعون ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات وان استطعت ان تصلها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي السنة مرة - وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشر بعدها والباقي كما سبق عشر اثم ولا تسبيح بعد السجدة الا خيرة قاعدا وهو الا حسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا تسليمة واحدة وان صلاها ليلا فتسليمتين احسن اذ ورد أن صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله

ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لكان احسن - فقد ورد في ذلك بعض الروايات ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المسكروهة الاتحية المسجد دون غيرها واما في مذهبنا فلا يجوز الا الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجمازة وركعتي انطواف والذي افسده ثم اعاد والله اعلم بالصواب -

الاصل الخامس

(في علم اسرار الزكاة وفيه مطالب - ١)

(المطلب الاول) في مراعاة شروطه الظاهرة وهي خمسة الاول النية وهي ان ينوى بقلبه زكاة الفرض او نوى التوكيل باداء الفرض - الثاني البدار عقيب الحول ويجوز تعجيله قبل الحول - الثالث ان يخرج المنصوص عليه ولا يبده بقيمته وهو الاحوط وان جاز ذلك في الاصح - الرابع ان لا ينقل الى بلد آخر الا الى قريبه والى احوج من اهل بلده - الخامس ان لا يخص بصنف واحد من الاصناف الاربعة ولا يتكلف جميع الاصناف وتفاصيل هذه الشروط خارج عن طوقنا مع استيفائها في الكتب الفقهية -

(المطلب الثاني) في بيان الآداب الباطنة للزكاة وهي ثمانى وظائف (الاولى) ان يفهم ان الغرض من الزكاة الامتحان بان لا يكون لها محبوب سوى الواحد الحق ولها مراتب احدها الذين نزلوا عن جميع اموالهم كما فعله الصديق رضى الله عنه - وثانيها الذين يدخرون على قدر الحاجة وصرف الحاجة (٢) في وجوه البر - وثالثها الذين يقتصرون على اداء الواجب وهذه اقل الرتب - الثانية التطهير من صفة البخل التي هي من المهلكات - الثالثة شكر النعمة المالية (الوظيفة الثانية) التمجيل وقت الاداء اظهارا للرغبة في الامثال وايصال المسرة الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان يعوق من الخيرات لان في التأخير آفات -

(الوظيفة الثالثة) الاسرار فان ذلك ابعد من السمعة والثناء (الوظيفة الرابعة) ان يقصد اقتداء الناس عند الاظهار لأن تأخير السائل خيفة من الرثاء غير صحيح بل ينبغي ان يتصدق ويتحفظ عن الرثاء بقدر الامكان اللهم الا ان يتأذى الفقير

بهتك سره فعند ذلك يستحسن الاخفاء -

(الوظيفة الخامسة) ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى كما قال تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) - قيل المن ان يذكرها والأذى ان يظهرها - وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء ، والأذى ان يعيره بالفقر - وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والأذى ان يوبخه وينتهره بالمسكنة - واعلم ان المن والأذى ينشآن من رؤية المعطى نفسه محسنا وانه ظن باطل لما عرفت من ان الغرض منه اظهار حب الله وتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكر لنعمة المال طلبا للزيد - فظهر منه انه لامعا ملة بينه وبين الفقير الا فضل الفقير عليه بقبول اوساخ ماله وتسببه لأداء فرضه وتخصيصة التواب الجزيل - ومن علم فضل الفقر على الغنى وان صلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسة ايام وانه مسخر له يكتسب المال لأجله وهو ينتفع به بلا حساب ولا عذاب في طريق كسبه كيف يطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير في المجالس وهذا معنى المن وكيف يعيره ويخشن الكلام ويقطب الوجه ويهتك السر بالاطها وفنون الاستخفاف وهذا معنى الأذى - وهذا المن والأذى وان كانا امرين باطنيين الا ان لهما علامة ظاهرة وهو أن الفقير لو جنى عليه بعد التصديق وفرض هذه الجناية قبله ثم ينظر هل كان استنكاره على ما فعله بعد التصديق زائدا على استنكاره على ما فعله قبل التصديق فان كان زائدا ففي باطنه المن ثم الأذى يلزمه عادة ولا اقل من الجواز فيمن جاز منه المن (١) - واما علاج هاتين الرذيلتين اما باطنا فملاحظة الامور المذكورة واما ظاهرا فالتذلل للفقير والمئالة بان يقبل صدقته حتى كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما ويسأله قبولها - وكان بعضهم يبسط يده لياخذ الفقير منه لتكون يد الفقير هي العليا - وكانوا لا يتوقعون منه الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله فالمذكور اولاهو العلم وثانيها هو العمل والقلب ينصبغ بالاعمال الحسنة ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل -

(الوظيفة السادسة) ان يستصغر العطية والاداخل العجب وهو من المهلكات

ويحبط الاعمال وهو غير المن والاذى اذنى بناء المساجد والربط العجب دونها والدواء للاستعظام والعجب اما العلم فانه يستحي من حيث انه بذل من الكثير بالقليل وقنع بأخس درجات البذل - وايضا المال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ووقفه لبذله وايضا انه يرجو في الآخرة الثواب وهو عوضه اضعاف ما اعطاه فكيف يستعظم بما ينتظر ثوابه - واما العمل فهو أن يستحي من ان لم يبذل كله لله وهو الاحب عنده والمال كله لله وهو استعمل البخل وترك ما احبه صاحب المال -

(الوظيفة السابعة) ان ينتقى من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه واحله ويستحي من ان يؤثر نفسه واهله وعبيده على الله تعالى والمال له تعالى وايضا انه يبقى اطيبه لمن يرثه من بعده ولا يقدم ذلك لنفسه وليس له من ماله الا ما أكل فأفناه وما لبس فأبلاه وما تصدق فأبواه -

(الوظيفة الثامنة) ان يطلب لصدقته من تركه به الصدقة من الاتقياء وهؤلاء ستة اصناف ، الاول الاتقياء المتجردون لتجارة الآخرة والمعرضون عن الدنيا فتكون شريكاً لهم في طاعتهم باعانتك اياهم - الثاني العلماء خاصة فان في ذلك اعانة للعلم وهو اشرف العبادات ، مهما صحت فيه النية ، الثالث ان يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد من جملة توحيده ان يحمدا لله تعالى عند أخذه ويشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة لأنها مقهور مسخر بتسخير الله تعالى - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى بسره - الرابع من يكون مستترا ومخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة او ممن ذهبته نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل - قال الله تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الخافا) - وينبغي ان يفحص هؤلاء في كل محلة عن اهل الدين فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال - الخامس ان يكون معيلاً او محبوساً بمرض او بسبب من الاسباب - قال الله تعالى لا للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) اى حبسوا في طريق الآخرة اما العيلة

اوضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصودو الجناح مقيد الاطراف بهذه الاسباب - السادس ان يكون من الاقارب وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى -

المطلب الثالث

علم آداب قابض الصدقة

ولا يستحق الاخر لا عبد ولا مسلم لا كافر ولا يعطى الى هاشمى ولا مطلبى لان الله تعالى صانها عن اوساخ الناس وادل منها خمس الغنائم فان المصارف ثمانية منهم الفقراء وهم الذين ليس لهم مال ولا قدرة على الكسب ، ومنهم المساكين وهم الذين لا يفي دخلهم بخرجهم - ومنهم العالمون وهم الساعون لحفظ اموال المسلمين كالعريف والكاتب والمستوفى والحافظ ولا يدخل فيهم السلطان والقاضى ، ومنهم المؤلفة قلوبهم وهم سقطوا بعزة الاسلام اليوم ، ومنهم المكاتبون ، ومنهم الغارمون في طاعة او مباح ، ومنهم الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزة ، ومنهم ابن السبيل وهم الفقراء الذين لهم مال في بلادهم (واما وظائف القابض) خمسة -

الاول ان يفهم ان المال لاجل المعاونة على عبادته تعالى فالاغنياء يتعبون في كسبه وحفظه وركبوا متن الخطر وصار المال عليهم محنة وقتنة وبلية والفقراء انتفعوا بالمال ولم يقاسوا شداؤدهم وهذا منتهى النعمة فليأخذوه رزقا من الله وعونا على طاعته ولينو تقديمه على الطاعة ومن صرفه الى المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للقت والبعاد من الله تعالى -

الثاني ان يشكر المعطى فيدعوه ويشئى عليه الكرم الكونه واسطة لا يمنع رؤية النعمة من الله - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكره الله تعالى ، فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض الاستعظام وعلى كل منهما القيام بحقه -

الثالث ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه كما موال الا تراك

والجنود وعمال السلطان الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه يعرف له ما لنكا
معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة -

الرابع ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فيما يقدر ما يأخذ فلا يأخذ الا القدر المباح
مثلا يأخذ بقدر دينه ان كان مديونا وان كان مسافرا بقدر الزاد وكراء الدابة
الى مقصده وان كان في منزله اثاث يستغنى عنه او عن نفاسته وجودته فليحترز
عن قبوله فان الورع في ذلك ، ومنهم من لم يجوز اخذ ما زاد على قوت يومه وهذه
مبالغة ، ومنهم من لم يجوز ما زاد على شهر وهو اقرب للتقوى ، ومنهم من لم يجوز
ما زاد على قوت سنة وهذا اقصى ما يرخص فيه مستدلا بان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اندر لعل له قوت سنة وذلك لان السنة اذا تكررت تكررت اسباب
الدخل والاقرب الى الاعتدال الكفاية الى السنة وما زاد على ذلك ففيه خطر فيما
دونه تضيق -

الخامس ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن
فلا يأخذه منه لانه لا يستحق مع شركائه الا الثمن وانتقص من الثمن بمقدار ما يصرف
الى اثنين من صنفه ، وهذا السؤال واجب والناس فيه مستأهلون لا اذا غلب
على ظنه عدم النقص عن قدر الواجب -

المطلب الرابع

في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها ولا حاجة الى ذكر فضائلها
لشهرتها وكثرة الآيات والاخبار في ذلك - اما اخفاء الصدقة ففيها معان -
الاول انه ابقى للستر على الآخذ واصون لستر مروءته وصاروا ممن يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف -

الثاني انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه
ويظنون انه مستغن عنه وانه آخذ على زيادة قدر الحاجة في اخفاء صيانتهم عن
هذه الجرائم -

الثالث اعانة المعطى على اسرار العمل لان في السر فضلا - الى الجهر والاعانة على
اتمام

اتمام المعروف معروف -

الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتها نأ وليس لأؤمن ان يذل نفسه - الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة - قال صلى الله عليه وسلم من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها -

واما الاظهار والتحدث ففيه اربعة معان ، الاول الاخلاص والصدق والسلامة من تلبس الحال والمراية -

الثاني - اسقاط الجاه والمزلة واطهار العبودية والمسكنة والتبرى من الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن عين الخلق -

الثالث - ان العارف لا ينظر له الا الى الله تعالى فلا حاجة الى الاخفاء والسر والعلانية عنده سواء والا لتقص في توحيده -

الرابع ، ان الاظهار لا قامة الشكر - واذا عرفت هذا الاختلاف فاعلم ان الحق لا يجوز بفضيلة الاخفاء او الاظهار مطلقا بل يختلف الحكم بحسب اختلاف الاحوال وايسرها الاخذ في الملاء والرد في السر الا ان يستوى عنده السر والعلانية وهذا هو الكبريت الاحمر -

المطلب الخامس

كان ابراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون الأخذ من الصدقة افضل فان في أخذ الزكاة مزاجمة المساكين وربما لا يؤجد فيه سبب الاستحقاق كما في الكتاب - واما الآخرون فقالوا يأخذ الزكاة لكونه اعانة على الواجب ولو ترك المساكين أخذ الزكاة لأثموا ولانه لا منة فيها وانما هي حق الله تعالى رزقا لعباده الصالحين ولانه أخذ بالحاجة والحاجة معلومة وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب اعطاء الصدقة لاهل الديانة ولان موافقة المساكين ادخل في التواضع - والصدقة قد تعطى في معرض الهدية ولا يتميز عنها والقول الحق في هذا انه مختلف باحوال الشخص والنية فان كان شبهة في اتصافه بصفة الاستحقاق فليترك الزكاة وان كان مستحقا وكان له ضرورة يجوز أخذها فاذا خير بين الزكاة والصدقة فان

كان صاحب الصدقة يتركها لولم يأخذ هو يأخذ الصدقة ففيه تكثير للخير وتوسيع على المساكين اذا الزكاة تحصل لهم خاصة وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على المساكين فهو خير - وأخذ الزكاة على كل حال اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب احوالها -

الاصل السادس

في علم اسرار الصوم وفيه مطالب

المطلب الاول

في الواجبات الظاهرة وهي خمسة

الاول مراقبة اول شهر رمضان برؤية الهلال او بتكبير شعبان - الثاني النية والافضل ان يتوى كل ليلة - الثالث الامساك عن المفطرات الثلاث عهد (١) ذكر الصوم - الرابع الامساك عن الاستمنا - الخامس الامساك عن انحراج القىء بالاستقاء -

المطلب الثاني

في لوازم الافطار وهي اربعة القضاء والكفارة والغدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائم وتغاصيل هذه في علم الفقه -

المطلب الثالث

في السنن وهي ستة تأخير السجود وتعجيل الافطار على التمر والماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزول والجلود في شهر رمضان ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المثز ودا ب ودأب معه اهله اى اذا موا انصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انه في اوتارها واشبه الاوتار احدى وثلاث وسبع والتابع في هذا الاعتكاف اولى -

المطلب الرابع

في اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان الصوم اما صوم العموم وهو كف الفرج والبطن عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص وهو كف الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص وهو كف القلب عما سوى الله تعالى الا دنیا تراد للدين ، اما صوم العموم فقد عرفت شرائطه في علم الفقه ، واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين لايتم الا بستة امور الاول، غض البصر عن المحارم والمكاهة وما يلهي عن ذكر الله - الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت او شغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان - الثالث كف السمع عن الاصغاء الى مكروه لأن كل ما حرم الله قوله حرم الاصغاء اليه - الرابع كف بقية الجوارح عن المكاهة وكف البطن عن الشبهات ولا معنى للصوم الذي هو الامساك عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحلال - الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فقامن وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن ملىء من حلال فكيف يستفاد من الصوم قهر عدوا لله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاتته ضخوة نهاره وربما يزيد من انواع الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر والرمضان جميع الاوقات ما لا يؤكل في سائر الاوقات - واعلم ان مقصود الصوم كسر الشهوة بالخوى ليتقوى بذلك على التقوى فاذا هاجت شهوة النفس بالجوع طول النهار ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت - على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان - وذلك لا يحصل الا بان يأكل اكلة في كل ليلة في غير رمضان بل من الادب ان لا ينام في النهار كثيرا حتى يحس بجوعه وعطشه فيصفو عند ذلك قلبه ويخفف على اوراده وتهجده فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء بل المراد بليلة انقدر هي الليلة ينكشف فيها عن شيء من الملكوت

ومن جعل بين قلبه وصدره خلاة من الطعام فهو من ملكوت السماء محبوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الجحباب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ الكل تقليل الطعام - السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري هل يقبل صومه فهو من المقربين او يرد فهو من المفقوتين - فان قلت الصوم هو ترك المفطرات الثلاث كما ذكره الفقهاء فمن اين احدث هذه الشروط قلت الفقهاء يبحثون عن الافعال الظاهرة للكافرين واما الافعال الباطنة فخارجة عن نظرهم - ولو سئل فقيه عن حرمة الغيبة مثلا يحكم بحرمته بل هو اشد من الافطار في نهار رمضان عمدا ومع ذلك يقول ان الغيبة غير مفطرة - وذلك لخروجها عن نظره لا لانها غير مفطرة حقيقة ولو كان مجرد الامساك عن المفطرات الظاهرة كافيا فاي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش - واعلم ان لكل عادة طاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشوره درجات ولكل درجة طبقات فاولئك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او يتحيز الى غمار ارباب اللباب -

المطلب الخامس

في التطوع بالصيام

مذلك يتجدد اما في كل سنة اوفى كل شهر اوفى كل جمعة - اما السنة بعد ايام رمضان يوم عرفة ويوم عاشوراء وعشر ذى الحجة وعشر المحرم - ولا يجوز استقبال رمضان بيوم او يومين الا ان يوافق ورد او يجوز وصل شعبان كله برمضان والاشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذوالقعدة وذوالحجة ومحرم ورجب ثلاثة سرد واحد ها فردوا فضلها ذوالحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والايام المعدودات وذوالقعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج ليس من الاشهر الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج - واما ما يتكرر في الشهر فاوله واسطه وآخره والايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر - واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة - واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة فمن كرهه نظر

نظر الى الاخبار الواردة في كراهته وسبب كراهته ، واما صوم العيدين وايام التشريق والصوم فيها حرام او تركه العمل بالارخصة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الصحيح ان من رأى صلاح نفسه فيه فليفعل سوى الايام المنهية كما فاعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين - والا فضل صيام داود وهو ان يصوم يوماً فيصبر ويفطر يوماً فيشكر - وذلك اشد على النفس واكثر في قهرها وقد ورد في فضل ذلك اخبار والا فضل ان يراعى السالك احوال قلبه ويفطر في وقت الحاجة الى الافطار يصوم عند الحاجة الى الصوم اذا الغرض من الكل اصلاح القلب لا غير -

الاصل السابع

في علم اسرار الحج وفيه مطالب

المطلب الاول

في فضيلتها وفضيلة البيت ومكة وهذه الفضائل مذكورة في كتب الاحاديث والآثار والاخبار فلا نطول الكتاب بذكرها -

المطلب الثاني

في فضل الاقامة بمكة وكراهتها

اما فضيلتها فاشهر من ان تذكر - واما كراهيتها فلما كره المحتاطون المقام بها لمعان احدها خوف التبرم من جهة الغربة او حرها او معاشها او الانس بها حتى تسقط مهابة البيت من عينه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يصرف الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمكم ويا اهل الشام شامكم ، وثانيها تهديد الشوق الى بلده حتى تنبعث داعية العود والمفارقة ، وثالثها الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محذور وبالحرى ان يورث مقت الله لشرف الموضع - وعن ابن عباس لان اذنبت سبعين ذنباً بركة احب الى من ان اذنبت ذنباً واحداً بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف - ولا تظن ان كراهية الاقامة تنافي في

شرف الموضع بل ذلك لعجز الناس عن القيام بحقه وكيف لا وانها احب بلاد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان النظر الى البيت عبادة وان الحسنات تضاعف فيها -

المطلب الثالث

في فضيلة الاقامة بالمدينة

وهذه ايضا اشهر من ان تذكر وما مر في الاقامة بمكة جارا هنا ايضا وبالجملة الغرض الاعظم للسالك اصلاح دينه وقلبه واذا صالح حاله في بلد فليزِم الاقامة بها ولا يسافر الا لعلم او اصلاح حال ولا يترك وطنه ايضا الا لما ذكر وليختر من البلاد ما هو اقرب للخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة والمعاش وفي الخبر من رزق من شيء فليزِمه - وفيه ايضا البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى - وعن سفیان الثوري انه قال لا ادري اى البلاد اسكن قيل له خراسان قال مدهاب مختلفة وآراء فاسدة فقيل له الشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة فقيل فالعراق قال بلد الجبارة قيل له مكة قال يذيب الكيس والبدن -

المطلب الرابع

في وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته

ولما كانت هذه المسائل مستوفاة في الكتب الفقهية اكتفينا بها -

المطلب الخامس

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر رجل -

الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية

الاولى في المال ينبغي ان يتدبى بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة له ولمن تلزمه نفقته الى وقت الرجوع فيرد ما عنده من الودائع ويستصحب مالا من خلل طيب ما يكفي له لذهابه واياه من غير تقثير بل قدر ما يواسى به الضعفاء

الضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه وليشتر لنفسه دابة قوية على الحمل لاتضعف اويكثر بها فان اكثرى فليظهر للكارى كل ما يريد ان يحمله من كثير وقليل ويحصل رضاه فيه -

الثانية فى الرفيق فينبغى ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره واذا افارق اخوانه يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل فى ادعيتهم البركة - والسنة فى الوداع ان يقول استودع الله ديسكم وامانا ناكم وخواتيم اعمالكم - وكان الذى صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر فى حفظ الله وكنفه وزودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الى الخير اينما توجهت -

الثالثة فى الخروج من المنزل ينبغى اذا هم بالخروج ان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص واذا فرغ من رفع يديه دعا الله تعالى عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب فى السفر وانت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا فى سفرنا هذا سلامة اليدين والبدن والمال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم فى جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك -

الرابعة اذا حصل الى باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رب اعوذ بك ان اضل او أضل او أزل او أزل او اظلم او أظلم او اجهل او يجهل على اللهم انى لم انخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك شوقا الى لقاءك - فاذا مشيت قل اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت -

اللهم انت ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما اهمنى به ولا اهتم به وما انت اعلم به
منى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك - اللهم زدنى التقوى واعفر ذنبى
ووجهنى للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه -

الحامسة فى الركوب ، واذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
(سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) اللهم انى وجهت

وجهى اليك وفوضت أمري اليك وتوكلت فى جميع امورى اليك انت حسبى
ونعم الوكيل - فان استوى على الراحلة واستوت تحتته قال سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا
للهتدى لولا ان هدانا الله) اللهم انت الحامل على الظهور وانت المستعان على الامور .

السادسة فى النزول - والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر مسيره
فى الليل ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اطلن
ورب الارضين السبع وما اقلن ورب الشياطين وما اضلن ورب الرياح وما
ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من
شر هذا المنزل وشر ما فيه اللهم اصرف عنى شر شرارهم - فاذا نزل المنزل
صلى ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما
خافى فادجن عليه الليل يقول يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر
ما فىك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن
ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم -

السابعة فى الحراسة - ينبغى ان لا ينفرد عن القافلة لئلا يغتال او ينقطع ويحتاط
بالليل ويفترش ذراعه ان نام فى اول الليل وينصبه وجعل رأسه فى كفه ان
نام فى آخرها كذا نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسفاره وذلك لئلا ينام
فيفوته الفجر - ويستحب فى الليل ان يتناول الرقيقان فى الحراسة فهو السنة .
فان قصده سبع او عدو فليقر آية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص

والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخيرات الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى يسمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ كتب الله (لأغلبن انا ورسلى ان الله عزيز ذو انتقام) تحصنت بالله العلى العظم واستعنت بالحى الذى لا يموت اللهم احرمنا بعينك اتى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامانك برحمة ورأفة انك انت ارحم الراحمين -

الثامنة - اذا علا شرفا يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف ولك الحمد على كل حال واذا هبط سبج معها خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جلالت السموات بالعزة والجبروت -

الجملة الثانية في آداب احرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة

الاول ان يغتسل عند الاحرام وينزى غسل الاحرام وينظف بتسريح رأسه ولحيته وقلم اظفاره وسائر ما مر في باب الطهارة من انواع النظافة -

الثانى - يحرم ويرتدى ويتأزر بثوبين ابيضين والبياض احب الثياب الى الله عز وجل ويتطيب في بدنه وثيابه وان بقى جرمه بعد الاحرام -

الثالث ان ينوى الاحرام بالحج والعمرة قرانا او افرادا كما اراد اذا انبعث به راحلته او اذا ابتدأ السير ان كان راجلا ويكفى مجرد النية لا اعتقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية التلبية بان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك - وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيدك والرباء اليك والعمل لبيك بحجة حقاً تعبدوا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد -

الرابع - اذا انعقد احرامه بالتلبية يستحب له ان يقول اللهم انى اريد الحج فيسره لى واعنى على اداء فرضه وتقبله منى اللهم انى نويت اداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعانى من وفدك الذين

رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء مانويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ونخى وعظامي وحرمت على النساء والطيب ولبس المحيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة المذكورة في كتب الفروع .

الخامس - يستحب له تجديد التلبية عند ازدحام الرفاق واجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعاصوته بحيث لا يسمع حلقه ولا ينهر فانه لا ينادى اصم ولا غائبا ولا بأس برفع الصوت والتلبية في مسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات فان هذه المساجد مظنة المناسك واما غيرها فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع الصوت -

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف هي ستة

الاول - الاغتسال بذي طوى لدخول مكة والاعتسال المسنون في الحج تسعة في الاحرام من الميقات لدخول مكة لطواف القدوم للوقوف بعرفة للوقوف بمزدلفة وثلاثة اغتسال للجمرات الثلاث ولا غسل ارمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع -

الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي وبشري ودمي على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك -

الثالث ان يدخل مكة من الجانب الابطح وهي ثنية كذا بفتح الكاف ويخرج من ثنية كذا بالضم وهي الثنية السفلى والاولى العليا -

الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لاله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمه وشرفه اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزده من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلي جنتك واعذني من الشيطان الرجيم -

الخامس - فليدخل المسجد الحرام من باب بنى شمية وليقل اللهم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك - ويرفع يديه وليقل اللهم انى اسألك فى مقامى هذا فى اول مناسكى ان تقبل توبتى وتتجاوز عني خطيئتي وتضع عني وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله منابة للناس وانما وجعله مباركاً وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجى رحمتك اطلب مرضاتك -

السادس - ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتى اديتها وميثاقى تعاهدته اشهدلى بالوفاء ، فان لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته وليقل ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم الا الصلاة المكتوبة اذا حضرت الجماعة -

الجملة الرابعة - فى الطواف امان القدوم والغيره وآدابه ستة -

الاول - شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة لأنه صلاة الا انه يباح فيه الكلام وليضطجع اولا وهو أن يضع وسط ازاره تحت ابطنه الايمن ويجمع طرفيه على منكبيه الايسر فيرنى طرفا وراء طهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشغل بالدعية التى سذكرها -

والثانى - بعد الاضطجاع يجعل البيت عن يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتحن عنه ليكون الحجر قدما فيه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل يمينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا منه ثم يبتدىء الطواف -

الثالث - يقول فى ابتداء الطواف قبل مجاوزة الحجر بسم الله والله اكبر اللهم ايماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم - لم يطوف واول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم ان البيت بيتك

والحرم حرمك والامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار - وعند ذكر المقام يشير بعينيه الى مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين اعذني من الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي من الدار وآمن من احوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ، ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء النظر في الاهل والمال والولد واذا بلغ الميزاب فليقل اللهم اظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا ظمأ بعدها ابدا - واذا بلغ الركن الشامي فليقل اللهم اجعله حجاً مرووراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم ، فاذا بلغ الركن اليماني فليقل اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر واعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة - وليقل بين الركن اليماني والحجر الاسود ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار وعذاب القبر - واذا بلغ الحجر الاسود فليقل اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر - وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف به كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط -

الرابع - ان يرمل في الثلاث الاول من الاشواط ويمشي في البواقي وتفصيله في كتب الفقه -

الحامس - اذا تم الطواف فليأت الملتزم وهو ما بين الحجر والباب وموضع استجابة الدعاء ويلتصق بالبيت وليتعلق بالاستار وليضع خده الايمن وليقل اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني من كل سوء وقنني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك -
وليحمد الله

وأيحمد الله كثيرا في هذا الموضع وإيصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء وليدع بحوائجهم الخاصة ويستغفر الله من كل ذنب - وكان بعض السلف يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي -

السادس - إذا فرغ مما ذكر فليصل خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية سورة الاخلاص وليقل بعدها اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى اللهم اعصمني بالطفلك حتى لا اعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين - اللهم جيبني الى ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين اللهم وكما هديتني للإسلام فثبتني بالطائف ودلائلك عليه واستعمني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرتي من مضلات الفتن - ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف -

(الجملة الخامسة) في السعي - وهو سبع مرات يتدئ بالصفا فيقبل اولاً على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا للهدى بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الاياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسوت وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون - اللهم اني اسألك ايمانا دائما و يقينا صادقا وعلمانا فعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية والمعاقة في الدين والدنيا والآخرة - ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو الله تعالى بما شاء من حاجته ثم ينزل ويتدئ السعي ويقول رب اغفر وارحم واعف وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار) فاذا سمى وانتهى الى المروة صعدوها واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء -

الجملة السادسة في الوقوف - يخرج من مكة الى منى لمبياً فاذا انتهى الى منى قال اللهم ان هذه منى فامنن على فيها بما مننت على اوليائك واهل طاعتك - وليكن هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لانسك فيه فاذا اصبح سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعداها من سخطك اللهم اليك غدوت واليك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وافضل - ثم ياتي عرفات ويفعل هناك ما هو مسطور في الكتب لكن اعظم اركان الوقوف الدعاء اذ في مثل تلك البقعة في مثل ذلك اليوم في مثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعاء والدعاء ما ثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفه اولى ما يدعوه وهو هذا ، لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري - وليقل اللهم رب لك الحمد كما تقول وخير ما تقول لك صلواتي ونسكبي ومحياي ومماتي واليك ما بي واليك ما تبى اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الامر وعذاب القبر ، اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار ومن شر ما هبت به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وبغائه نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود واشرف منزل عليه واكرم مسؤول ما لديه اعطى العشية افضل ما تعطى احداً من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين ، اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات وفاطر الارضين والسموات خبث اليك الاصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي اليك ان تذكرني في دار البلى اذ انسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري واعلاني لا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجهل المشفق المعترف

المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهاال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضريع دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك خده ورغمك انفه ، اللهم لاتجمعاني بدعاك شقيا وكن بي رءوفا رحيميا يا خير المسؤولين واکرم المعطين الهى من مدح اليك نفسه فاني لاثم لنفسي ، الهى انحست المعاصي لسانى فما وسيلة من عمل ولا شفيع الا الادل ، الهى انى اعلم ان ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجهها ولكمك اکرم الاكرمين ، الهى ان لم اكى اهلا ان اباغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغنى ، رحمتك وسعت كل شىء وانا شىء ، الهى ان ذنوبى وان كانت عظما ما فهى صغار فى جنب عفوك فاعفها يا كريم ، الهى انت انت وانا انا ، انا العواد بالذنوب وانت العواد الى المغفرة الهى ان كنت لاترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون ، الهى تجنبت طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك على واکرم عفوك عني فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى وفقرى اليك وغناك عني الاغفرت لى يا ارحم الراحمين ياخير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بجرمة الاسلام وبذمة مده عليه افضل الصلاة والسلام اتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ما سألت وحقق رجائى فيما تمنيت ، الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه ، الهى ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذله مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك فى العفو عنه طالب اليك فى كل حوائجه راج لك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فيما ملجأ كل حى وولى كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك ، اللهم اليك نرجنا وبفنائك انحنواياك املنا وعندك طلبنا ولاحسناتك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيبتك الحرام - حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فيه (١) خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لايزداد على السؤال الا تكرما وجودا وعلى

كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا انك جعلت لكل ضيف قري ونحن اضيفاك
فاجعل قرانا . منك الجنة، اللهم لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل
عطية ولكل راج ثواب ولكل متمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك
رحمة ولكل ذاع اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفو وقد وفدنا الى بيتك الحرام
ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك
فلا تخيب رجاءنا ، الهنا تابتعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك واطهرت
الصبر حتى نطق الصوامت بحجبتك وظهرت المنى حتى اعترف اولياؤك بالتقصير
عن حقك وظهرت الآيات حتى افصح السموات والارضون بأدلتك وقهرت
بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك
حلمت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصوا سترت واذا اذنبوا غفرت واذا
دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت
الهي انك قلت في كتابك المين لمحمد خاتم النبيين (قل للذين كفروا ان ينتهوا
يفغر لهم ما قد سلف) فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد
لك بالوحدانية محبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوائف
الاجرام ولا تجعل حظنا منك انقص من حظ من دخل في الاسلام ، الهما انك
احببت التقرب اليك بعق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل
فأعقنا وانك امرتنا ان نتصدق ع-لى فقرائنا وانت احق بالطول فتصدق علينا
ووصيتنا بالعفو عن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا
اغفر لنا وارحمنا انت . ولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وقنا برحمتك عذاب النار -
وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن
ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الاصوات يا من لا تغلظه المسائل ولا تختلف
عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسألة السائلين اذقنا برد
عفوك وحلاوة مغفرتك - وليدع بما بداله وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع
المؤمنين والمؤمنات وليالج في الدعاء وليعظم المسألة فان الله سبحانه لا يتعاطمه

شئ - قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلى - وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم اولاً انى كنت فيهم -

السابعة فى بقية اعمال الحج - فاذا بلغ المزدلفة يغتسل بها لانها من الحرم ثم يقول اللهم هذه مزدلفة جمعت السنة مختلفة تسألك حوائج وثناء فاجعلنى ممن دعائك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته - ثم يبيت بها تلك الليلة واحياً وها سنة لمن قدر عليها واذا انتصف الليل فليأتها هب للرحيل وايتزود منها سبعين حصاة ولاباس بالزيادة عليها اذربها يسقط بعضه وليكن الحصى خفافاً تحتوى عليها اطراف البراجم ثم يسير بعد صلاة الفجر واذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة يقف ويدعوها بهذا الى الاسفار اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام مع الاركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام - ثم يرمى الجمرات فى المواضع الثلاثة ويقول مع كل حصاة منها الله اكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصدقاً بكتابتك واتباعاً لسنة نبيك - ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء ويقطع التكبير الاعقيب الصلوات من ظهر يوم النحر الى صبح آخر ايام التشريق وصفة التكبير الله اكبر الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلاً لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر - ثم يقول عند ذبح الهدى بسم الله والله اكبر اللهم ملك وبك ولك تقبل منى ما تقبلت من ابراهيم خليلك ثم ليحلق وليقل اللهم اثبت بكل شعرة حسنة وامح عني بكل شعرة سيئة وارفع لى عندك بها درجة ثم يحل له كل شئ الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف طواف الزيارة ثم يحل له كل شئ - وهذا الطواف كما سبق والامام يخطب فى هذا اليوم بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ففى الحج اربع خطب خطبة السابع ، يوم عرفة ، يوم النحر ، يوم النفر الاول ، وكلها بعد الزوال وافراد

الاخطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة - ثم يبيت بمنى وهى ليلة القر لقرار الناس لانهم لا ينفرون وفى صبح الثانى من يوم العيد يغتسل للرمى فيرمى الجمرة الاولى سميع حصيات ثم اذا تعداها انحرف عن الجادة قليلا ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يرمى الجمرة الثانية وبقف كما فى الاولى ثم الثالثة ولا يقف عندها ثم يبيت تلك الليلة بمنى وهى ليلة النفر الاول - فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من ايام التشريق روى احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى والعود الى مكة لكن ان لم يخرج الى الليل يلزمه المبيت بمنى حتى يرمى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حصاة كما سبق - والتفصيل فى كتب الفقه -

الجملة الثامنة فى صفة العمرة

من اراد ذلك فلينعقد الاحرام ويأبى ويقصد مسجد عائشة ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلى الى ان يدخل المسجد الحرام ثم يطوف ويسعى كما وصفناه فى الحج ثم يلحق رأسه فيتم عمرته واذا دخل البيت فليدخله حافيا وقرأ وليصل بين العمودين وهو الافضل - قال بعضهم وقد سئل عن دخول البيت والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيته فكيف اراهما اهلا لأن اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا - وليكثر شرب ماء زمزم وليستق الماء بيده ان امكنه وليرتوئمه حتى يتضلع ويلقى اللهم اجعله شفاة من كل داء وسقم وارزقنا الاخلاص واليقين والمعاونة فى الدنيا والآخرة - قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب لهاء يشفى (١) ما قصد به

الجملة التاسعة فى طواف الوداع

وهذا ايضا كما سبق لكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ صلى ركعتين خالف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امك حمانى على ما سخرت لى من

خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعتنتي على قضاء مناسكك فان كنت رضية عني فازدد عني رضا والافن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا اوان انصرا في ان اردت غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن مقالي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني منه الجنة والأحب ان لا تصرف بصرك عن البيت حتى تغيب عنه -

(الجملة العاشرة) في زيارة المدينة وآدابها - واما فضلها فاكثر من ان يحصى فمن قصدها فليكثر في طريقه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وقع بصره على جدارها فليقل اللهم هذا حرم رسولك صلى الله عليه وسلم فاجعله لي وقاية من النار وأمنا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من برئ الحرة وليتطيب ويلبس افضل ثيابه وانظفها وليدخل متواضعا ومعظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله (رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ثم ليقصم المسجد ويدخله ويصلي بجانب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر بحذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد - ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدير القبلة ويستقبل القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر وليجعل القنديل على رأسه وليس من السنة مس الجدار وتقبيله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقول السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا امين الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا احمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ابا القاسم، السلام عليك يا ماحي، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا اكرم ولد آدم

السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح السر، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا سيد الامة، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين، السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين، جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واظهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهذا ناك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وكرم وشرف وعظم - وان كان احد اوصى بتبليغ السلام فليقل السلام عليك من فلان وفلانة ثم ليتأخر قد رذراع ويسلم على ابي بكر الصديق لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند منكب ابي بكر رضى الله عنهما ثم يتأخر قليلا قد رذراع ويسلم على الفاروق وعمر وليقل السلام عليك يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بأمر الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاك الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه - ثم ليرجع ويقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله ويمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت وتوكل الحق (واوانهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما انقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زلنا معترفين بخطا

بخطا يا نا و تقصير نا فتب اللهم علينا و شفّع نبك هذا فينا و ارفعنا بمنزلة عندك و حقّه عليك اللهم اغفر للمهاجرين و الانصار و اغفر لآخواننا الذين سبقونا بالايان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبك و لا من حرمك يا ارحم الراحمين - ثم ليأت الروضة و يصلى فيها و يكثر من الدعاء ما استطاع و ليدع عند المنبر - و يستحب ان يضع يده على الرمانة التى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يضع يده عليها عند الخطبة - و يستحب ان يزور يوم الخميس قبور الشهداء بأحد فيصلّى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم يخرج و يعود الى المسجد الصلاة انظره فلا يفوته فريضة جماعة فى مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم -

و يستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و يزور قبر عثمان و قبر الحسن بن على بن ابى طالب و فيه ايضا قبر على بن الحسن و محمد بن على و جعفر بن محمد و يصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها و عنهم و يزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم و قبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذلك كله بالبقيع - و يستحب ان يأتى فى كل سبت مسجد قباء و يصلى فيه و يأتى بئر اريس التى تفل فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم من ريقه فيتوضأ منها و يشرب من مائها - و يأتى مسجد الفتح و هو على الخندق و كذا سائر المساجد و المشاهد و هى ثلاثون موضعا يعرفها اهل المدينة - و كذا يقصد طلبا للشفاء سبعة آبار التى توضأ و اغتسل منها و شرب من مائها رسول الله صلى الله عليه و سلم -

و اعلم ان الاقامة بالمدينة ان امكن فلها فضل عظيم - و فى الحديث لا يصبر على لوائها و شدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة و غير ذلك من الاحاديث - و ان لم يمكن الاقامة و عزم على الخروج فالمستحب ان يأتى قبر النبي صلى الله عليه و سلم و يعيد دعاء الزيارة كما سبق و يودع القبر و يسأل الله ان يرزق اليه العودة و يسأل السلامة فى سفره ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة و هى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل ان زيدت المقصورة فى المسجد

فاذا خرج يقدم رجله اليسرى ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وتبعله آخر العهد بنبيك وحط اوزارى زيارته واصحبنى فى سفرى ويسر رجوعى الى اهلى واجعلنى من السالمين يا ارحم الراحمين، اوليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة ويصلى فيها وهى عشرون موضعا فاذا رجع الى بلده السنة ان يكبر على كل شرف ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آتئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده - وفى رواية وكل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون واذا اشرف على مدينته فليحرك دابته وليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد او لافيصل فيه ركعتين ثم يدخل بيته ويقول عند دخوله توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا - ثم اذا استقر فى منزله لا ينسى ما انعم الله عليه من زيارة بيته وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم ولا ينبغي ان يكفر هذه النعمة ويعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى لأن علامة الحج المبرور أن يعود زاهدا فى الدنيا راعيا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت -

المطلب السادس

فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة وهى عشرة

احداها ان تكون النفقة حللا بلا تجارة تشغل القلب وتفرق الهم بل يكون همه مجرد رضائه تعالى وذكره وتعظيم شعائره ومن جملة الحج لغيره وقد تورع عنه ارباب القلوب الان يكون قصده الإقامة بمكة ولم يكن له ما يبلغه فيتوصل بالدنيا الى الدين لاعتكسه فيكون قصده زيارة البيت واسقاط الغرض عن اخيه المسلم بولست اقول الاجرة حرام او مكروه بل اقول الاولى ان لا يفعل لثلاث يعطى الدين يلدنيا ولو أخذه لاجل التوسل بالدنيا الى الدين كما سبق فلا بأس به -

ثانيتهما - ان لا يعاون اعداء الله بتسليم الكوس الى العمال انظمة المترصدين في الطرق بل يتلطف في حيلة الخلاص لأن في ذلك ذلا وصغارا على المسلمين ببذل جزية ولا يحل العون عليه ولا الرضا به وان اوله باننا مضطرون في ذلك فنقل له فاين اضطرار في الخروج عن البيت وترك زى الفقراء حتى تطالب بها -

ثالثتهما - التوسع في الزاد وطيب النفس بالانفاق من غير تقتير بان يمنع ما وجب عن نفسه او عن قوت ما عليه مؤنته شرعا او مروءة - ولا اسراف بان يترفه بأطياب النعم وانواع الاطعمة على عادة المترفين - واما كثرة الخير فقد قيل لا سرف في الخير ولا خير في السرف والدرهم الواحد في طريق الحج بسبعة - ورابعتهما - ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن فيصون لسانه من اللغو والخناء والفحش ويحفظ الاوامر ويترك النواهي ويلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله تعالى ويعاملهم بحسن الخلق وهو احتمال الاذى لا مجرد كف الاذى وسمى السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال -

وخامستها - المشي ان قدروله بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كذا ورد الاثر عن ابن عباس وسئل ما حسنات الحرام قال الحسنة بمائة الف وان اضاف اليه الاحرام من ديرة لعله فقد قيل انه من تمام الحج كما قال تعالى (واتموا الحج والعمرة لله) وقيل الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة وابعد عن الضجر واذى الغير واقرب الى سلامته وتمام حجه والتحقيق ان الاول لمن قدر عليه والثاني لمن ضعف عنه وضجر فلا مخالفة بين القولين -

وسادستها - ان يتجنب عن المحامل فانه من زى المترفين قيل وقد احدثها الخجاج وكان العلماء في وقته يكرهونها -

وسابعتهما - ان يكون اشعث ابر غير مائل الى التفاخر والتكاثر وفي الحديث انما الحاج الشعث العبري يقول الله تعالى انظروا الى زواربتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق ويروى ان اهل اليمن على هذه الهيئة ولهذا قيل لهم زين الجحيج وينبغي ان يحتجب الحمرة في زيه والشهرة كيف ما كانت على العموم -

وثامنتها ان يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق كالحمل ومنها النوم عليها والوقوف عليها وقوفا طويلا ومن السنة نزوله عن الدابة بكرة وعشية يروحها ويوقع السرور في قلب المكاري وقد ورد في الخبر ان في كل كبد حري اجرا وكان السلف يشترطون مع المكاري عدم النزول ويوفون الا جرثم ينزلون ليكون ذلك من حسنات انفسهم -

وتاسعها - ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويختار سمين النعم ويأكل منه في التطوع دون الواجب والقليل الجيد خير من كثير الدون -
وعشرتها - طيب النفس بما انفق من نفقة وهدى وما اصابه من الخسران والمصيبة في المال والبدن فانها من دلائل قبول حجه ومن اماراة القبول تبديل اخوانه البطالين اخوانا صالحين ومجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة -

المطلب السابع

في الاعمال الباطنة وطريق الاخلاص فيها وذلك في عدة امور

الاول - الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتزهد عن الشهوات واللذات والتجرد الى الله تعالى في جميع الحالات ولهذا انفرد الرهبان من الملل السالفة عن الخلق في قلل الجبال فتركوا اللذات الحاضرة واستوحشوا عن الخلق للانس بالله تعالى فاثني الله عليهم في كتابه فقال (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فلما اندرس ذلك واقبل الناس على الشهوات وفتروا عن العبادة بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية طريق الآخرة ففزع الناس الرهبانية في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج - وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون - وهذا من عناية الله تعالى بهذه الامة بحيث اعطى لهم في الناس ما حصلوه في الجبال وجعل لهم الحج رهبانية بتشريف بيته العتيق بان اضافه الى نفسه مع تزهره عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ثم جعل ما حوله حرما وحرما صيده وقطع شجره وجعل عرفات كالميدان لقضاء حرمة فقصد عباده من كل اوب سحيق غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لغزته

لغزته حتى تعبدتهم باور لا يفهمون معناها كترددات السعى ورمى الجمار تحقيقا لمقام العبودية وابتلاء لعباده ليمتاز المطيع عن اتباع نفسه هواها وعمل بمقتضى الطباع واعتقدها امورا فارغة عن الحكمة وليس كذلك بل لها حكم واسرار تغفل عنها العقول ولهذا صار ابلغ انواع التعبدات -

الثانى - انه ينبعث من الفهم المذكور الشوق بان الابصار القانية قصرت عن النظر الى وجه الله الكريم وصار ذلك فى دار القرار جعل النظر الى بيته فى الدنيا سببا الى استحقاق لقاء رب البيت فى الآخرة بمقتضى وعده الكريم فيشتاق المحب الى اسباب اللقاء -

الثالث - العزم بان يصحح عزيمته باخلاصه واجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر عن ان يقصد قرب البيت ويبعد عن رضا ربه -

الرابع - ان تقطع (١) وليس معناه ترك الوطن والاهل والاولاد والاموال بل رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فان كل عظمة علاقة تنادى عليه اين تفصد وانت مضيع امره فى منزلك -

الخامس - ان تقطع قلبك عن الالتفات الى ما وراءك كما قطعت وجهك عن النظر الى ما وراءك فتوجه اليه بقلبك كتوجهك بقلبك والافليس لك منه الا النصب والعناء والتعب والشقاء وليذكر عند قطعه العلائق الظاهرة والباطنة توجهه الى سفر الآخرة وليكتب وصية لأهله واولاده اذ المسافر لعل خطر الاماوى الله تعالى -

السادس - يطلب الزاد والراحلة من موضع حلال وليذكر أن المسافر يطلب من الزاد ، الا يتغير فى اول منزل بل لا يتغير على طول السفر فكذلك سفر الآخرة لا يصاح له زاد الا التقوى وما عداه يتخلف عند موته وكرهه وليذكر عند حضور الراحلة الشكر لله تعالى على ان سخرها له تحمل عنه الاذى وترفع عنه المشقة فليتذكر عنده مركب الآخرة فينبغى ان يصلحه فوق ما يهتم لراحلة السفر -

السابع - شراء ثوبى الاحرام من مال حلال فليتذكر عنده الكفن ولله فيه اذليس

في ثوب الاحرام مخيط فكذا في الاكفان -

الثامن - الخروج من البلد وليتذكر عنده الخروج من القبر والتوجه الى الحشر ولا يدري كيف حاله ايقتال في الطريق ام يصل الى مقصده سالما كذلك في الآخرة لا يعرف مال امره -

التاسع - فليتذكر عند دخول البادية الوقوف في المحشروان ما في البادية من الحيات والسباع نظير ما في الحشر من الاهوال والمخاوف - واما الاحرام والتلبية التي هي اجابة نداء الله عز وجل في قوله (واذن في الناس بالحج) نظير نداء الخلق بالنفخ في الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة -

العاشر يتذكر عند دخوله مكة الانتهاء الى حرمه وامنه مع خوفه من ان لا يكون من اهل القرب ولكن ينبغي ان يغلب رجاؤه اذ الكرم عميم وليتذكر عند وقوع البصر على البيت وحضور عظمته في قلبه مشاهدة رب البيت وعظمته - ويرج ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم في العقبى كما رزقه النظر الى بيته العظيم في الدنيا وليتذكر عند ذلك دخول الجنة آمنين وليسأل ذلك من الله تعالى -

الحادى عشر - فليتذكر عند الطواف التشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولتعرف ان المقصود الاعظم طواف قلبك بذكر رب البيت فلا تبتدئ الامنه ولا تحتم الابيه كما ان الطواف يبتدئ بالبيت ويحتم به واعلم ان اصل الطواف في عالم الملكوت وهو تطواف القلب بحضرة الربوبية وان مثاله في عالم الملك هو البيت فكما ان القلب يطوف بالبيت كذلك القلب يطوف بربه اذ الموازنة بين عالم الملك والملكوت معلومة لمن فتح الله له هذا الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة كطواف الانس هذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على مارواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله عز وجل -

الثاني عشر - فاعتقد عند الاستلام انك مبيع لله تعالى على طاعته فصمم عند ذلك على قيامك بالوفاء ببيعتك فمن غدر في المبيعة استحق الموت الا ترى الى ما ورد في الحديث ان الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه وليذكر عند التعلق باستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالاعفو وبذل الأمن في المستقبل ويرجو التحصن عن النار في كل جزء يلاقه البيت -

الثالث عشر - ليتذكر عند السعي تردد العبد لفناء دار الملك جائيا وذاهباً مرة بعد اخرى اطهاراً للخلاص في الخدمة ورجاء للاحظة بعين الرحمة وليذكر ايضا تردده بين كفتي الميزان مرددا بين العذاب والغفران -

الرابع عشر - وليتذكر بالوقوف بعرفات اجتماع الناس يوم الحشر في العرصات مع الانبياء والاولياء وطمع كل امة في شفاعة هؤلاء وترددهم في الرد والقبول بلوغ كل منهم ما هو المأمول الا ان الموقف لما لم ينفك من الاوتاد والابدال وطبقات الصالحين وارباب القلوب سيما عند اجتماع القلوب بالضرعة والابتهال وارتفعت ايديهم الى جنبه وامتدت اعناقهم نحوابه وشخصت ابصارهم نحو السماء فلا تظن ان مجيب الدعوات يخيب آمالهم (١) ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان لن يغفر الله له اذ لا طريق في استدرا رحمة الله عز وجل مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد -

الخامس عشر - ليقصد برمي الجمار اظهار العبودية والاتهاض لمجرد الامثال من غير حظ للعقل والنفس بل يقصد التشبه بآدم النبي صلوات الله عليه حين عرض ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجة بشبهة او يفتنه بمعصية فأمر الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله وان خطر لك ان ذلك رمي لاجل الشيطان واما انا فلا فائدة لي في رميها فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان يصدك بهذا عن امتثال

امر الرحمن ويلقى في قلبك ان هذا ايضا هى اللعب فاطرد هذا عن نفسك بالحد في الرمي ترغم بذلك انف الشيطان فهو في الصورة رمى الجمار وفي الحقيقة ارغام انف الشيطان بامثال امر الله تعالى وترك حظ النفس -

السادس عشر - ان تعرف ان الهدى تقرب الى الله تعالى بامثال امره وارح عند ذبحه ان يعتق بكل جزء منه جزء من اجزاء بدنك بذلك من النار بمقتضى وعده الكريم فكلما كان الهدى اعظم واكبر كان القداء من النار اعم واعظم -

السابع عشر - اذا وقع بصرك على حيطان المدينة فاذكر فضيلة هذه البلدة وانها دار هجرة خير البشر صلى الله عليه وسلم وفيها تربته المطهرة وتربة وزيره القايمين بالحق من بعده وضع قدمك في تلك البلدة على السكينة والوقار اذ طالما تشرف بقدم النبي صلى الله عليه وسلم في العشي والابكار وارح من الله تعالى ان يمنحك رؤيته في دار القرار كما يسر لك رؤية هذه الديار التي فيها قبره الشريف وقبرا صحابه الكبار واذا ذكر عند دخول مسجده انه اول عرصة اقيمت فيها فرائض الله تعالى وجمعت افضل خلق الله حيا وميتا وعظم املك في ان يرحمك الله عز وجل بسبب دخولك اياها فادخل خاشعا ومعظما وما اجدر هذا المكان تعظيما يقدر عليه انسان -

الثامن عشر - اذا زار رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعلم ان زيارته ميتا كزيارته حيا واذا رآته حيا فكيف تعظمه فا قدر ذلك القدر وراعه في حق زيارة قبره ولا تدن منه كل اندن ولا تقبله بل قف من بعيد ما تلابن يديه كما كنت تفعل لو زرت في حياته - واعلم انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في الالحد بازائك واحضر عظم تربته في قلبك - واذا اتيت منبره توهم صعوده وطلعتة البهية قائما على المنبر وقد احدث به المهاجرون والانصار وهو يحثهم في خطبته على طاعة الله تعالى واسأل الله ان لا يفرق بينك وبينه في القيامة -

التاسع عشر - اذا فرغت من هذه الاعمال فاخطر بالبال انك بين خطر رد الاعمال وبشارة قبولها وتحزن وتخف على عدم معرفتك بانك من زمرة المحبوبين اورد

حجتك والحقت بالمطرودين -

العشرون - ان تمتحن قلبك بعد قدومك وطنك انك ان ازددت تجافيا من دار
الغرور الى دار انس بالله تعالى اوزدت الفرار من دار الذلة والخسار ووازن
اعمالك فان كان من قبيل الشق الاول دل على القبول والافيوشك ان يكون
حظك من هذه الاعمال التعب والعناء والنصب والشقاء نعوذ بالله من الحرمان
من ان ننسلك في حزب الشيطان فعليك بمحاسبة نفسك في كل غدوة وعشية وتدارك
أمرك من قبل ان تدخل في الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون اذ عند ذلك تعظم
الحسرة والخسار - ولا يمكن التدارك بالتوبة والاستغفار نهنا الله تعالى واياكم
قبل حلول المنية ولا يحرمنا بحرمة نبه عن هذه الامنية صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وذرياته واحبا به وسلم تسليما -

الاصل الثامن

في علم فضيلة الاذكار والتلاوة والاوراد - وفيه مقدمة ومطالب

المقدمة

اعلم ان من المقدمات المقررة عند الخواص بل العوام ان السعادة في لقاء الله الملك
العلام ولا سبيل اليه الا بالحب له والمعرفة وهما لا يحصلان الا بدوام الفكر في صفاته
واقفاته وان كل جمال وكمال شعبة من جناب جلاله وحضرة جماله ثم ان النفس
لما ابتليت بمصاحبة هذا البدن ليعينها في بلوغ مطالبه ولما احتاج البدن الى حسن
تدبير النفس اياه وتربيته ولن يسخر اللطيف الكفيف بالاختيار حتى يقاسى رعايته
وتربيته اودع الله سبحانه وتعالى بينها رابطة الحب لتكون تلك الرابطة واسطة
تلك الرعاية - ثم ان النفس الجاهلة بسبب شوقها الى البدن ربما تميل الى شهواته
ومقتضياتها فتنسى ما خلقت لاجله من معرفة مبدئه وتدبير معاده فلا بد لازالة
هذا الميل عنها من اختيار التدرج وذلك التدرج بالذكر ثم الفكر ثم الشوق
ثم العزم ثم قطع العوائق ثم السلوك الى المطلب ولما كان اصل الكل الذكر
المنتج للفكر وذلك لا يحصل بالقدر اليسير منه لما نازعته الشهوات البدنية لاجرم

امر الرحمن ويلقى في قلبك ان هذا ايضا هي اللعب فاطرد هذا عن نفسك بالحد في الرمي رغم بذلك ان الشيطان فهو في الصورة رمى الجمار وفي الحقيقة ارغام ان الشيطان بامثال امر الله تعالى وترك حظ النفس -

السادس عشر - ان تعرف ان الهدى تقرب الى الله تعالى بامثال امره وارح عند ذبحه ان يعتق بكل جزء منه جزء من اجزاء بذلك من النار بمقتضى وعده الكريم فكلما كان الهدى اعظم واكبر كان الفداء من النار اعم واعظم -

السابع عشر - اذا وقع بصرك على حيطان المدينة فاذكر فضيلة هذه البلدة وانها دار هجرة خير البشر صلى الله عليه وسلم وفيها تربته المطهرة وتربة وزيره القائمين بالحق من بعده وضع قدمك في تلك البلدة على السكينة والوقار اذ طالما تشرف بقدم النبي صلى الله عليه وسلم في العشي والابكار وارح من الله تعالى ان يمنحك رؤيته في دار القرار كما يسر لك رؤية هذه الديار التي فيها قبره الشريف وقبرا صحابه الكبار واذا ذكر عند دخول مسجده انه اول عرصة اقيمت فيها فرائض الله تعالى وجمعت افضل خلق الله حيا وميتا وعظم املك في ان يرحمك الله عز وجل بسبب دخولك اياها فادخل خاشعا ومعظما وما اجدر هذا المكان تعظيما يقدر عليه انسان -

الثامن عشر - اذا زار رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعلم ان زيارته ميتا كزيارته حيا واذا رآته حيا فكيف تعظمه فا قدر ذلك القدر وراعه في حق زيارة قبره ولا تدن منه كل اندنو ولا تقبله بل قف من بعيد ما تلابن يديه كما كنت تفعل لو زرت في حياته - واعلم انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في الالحد بازائك واحضر عظم تربته في قلبك - واذا اتيت منبره توهم صعوده وطلعتة الابهية قائما على المنبر وقد احدث به المهاجرون والانصار وهو يحثهم في خطبته على طاعة الله تعالى واسأل الله ان لا يفرق بينك وبينه في القيامة -

التاسع عشر - اذا فرغت من هذه الاعمال فاخطر بالبال انك بين خطر رد الاعمال وبشارة قبولها وتحزن وتخاف على عدم معرفتك بانك من زمرة المحبوبين اورد

حجتك والحق بالمطر ودين' -

العشرون - ان تمتحن قلبك بعد قدومك ووطنك انك ان ازددت تجافيا من دار
الغرور الى دار انس بالله تعالى اوزدت الفرار من دار الذلة والخسار ووازن
اعمالك فان كان من قبيل الشقى الاول دل على القبول والافوشك ان يكون
حظك من هذه الاعمال التعب والعناء والنصب والشقاء نعوذ بالله من الحرمان
من ان ننسلك في حزب الشيطان فعليك بحاسبة نفسك في كل غدوة وعشية وتدارك
أمرك من قبل ان تدخل في الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون اذ عند ذلك تعظم
الحسرة والخسار - ولا يمكن التدارك بالتوبة والاستغفار نهنا الله تعالى واياكم
قبل حلول المنية ولا يحرمنا بحرمة نبيه عن هذه الامنية صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وذرياته واحبا به وسلم تسليما -

الاصل الثامن

في علم فضيلة الاذكار والتلاوة والاوراد - وفيه مقدمة ومطالب

المقدمة

اعلم ان من المقدمات المقررة عند الخواص بل العوام ان السعادة في لقاء الله الملك
العلام ولا سبيل اليه الا بالحب له والمعرفة وهما لا يحصلان الا بدوام الفكر في صفاته
واقفاته وان كل جمال وكمال شعبة من جناب جلاله وحضرة جماله ثم ان النفس
لما ابتليت بمصاحبة هذا البدن ايعينها في بلوغ مطالبه ولما احتاج البدن الى حسن
تدبير النفس اياه وتربيته ولن يسخر اللطيف الكفيف بالاختيار حتى يقاسى رعايته
وتربيته اودع الله سبحانه وتعالى بينهما رابطة الحب لتكون تلك الرابطة واسطة
تلك الرعاية - ثم ان النفس الجاهلة بسبب شوقها الى البدن ربما تميل الى شهواته
ومقتضياتها فتنسى ما خلقت لاجله من معرفة مبدئه وتدبير معاده فلا بد لازالة
هذا الميل عنها من اختيار التدريج وذلك التدريج بالذكور ثم الفكر ثم الشوق
ثم العزم ثم قطع العوائق ثم السلوك الى المطلب ولما كانت اصل الكل الذكور
المنتج للفكر وذلك لا يحصل بالقدر اليسير منه لما نازعته الشهوات البدنية لاجرم

كان الواجب على الانسان الذكر المستغرق للاوقات حتى ينتهي الى الفكر
وينزع النفس عن الشهوات ولما كان استغراق الكل متعذرا واستغراق الاكثر
متعسرا الوجوب المصالح الضرورية للبدن وجواز الملاذ المباحة لاجرم لابد من
قانون ينتهي الذكرك بذلك القدر الى الفكر فمن غلب اوقات ذكره فهو بمن يرجع
كفة حسناته - واما من ساوى بينهما فامر به الى الله مع ان سعة الرحمة تعظم
الرجاء في امره - واما المستغرق جميع اوقاته فهو لاء هم المنتهون الفائزون بالجنان
من غير حساب - واما المبتدئ فلا يمكنه ذلك اذ تدخله السامة والملال والله تعالى
لا يمل حتى تملوا فلا بد في حقهم من التلطف والتدرج من فن الى فن لان التفتن
يروح النفس ويرغبها في الزيادة عليه فلا بد من بيان اوقات التلاوة والاذكار آثناء
الليل واطراف النهار كما قال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل
فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وقال تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال (وسبح بحمد ربك حين
تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) ثم قال في حق القارئ (كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وبالا سحرهم يستفرون) وقال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) الى غير ذلك من الآيات -

المطلب الاول

في علم آداب التلاوة وفضيلتها

لا يخفى على احد سيما من سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى
ان احدا اوقى افضل مما اوقى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى - وقوله صلى الله عليه وسلم
لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار - وكذلك لا يخفى ذم تلاوة الغافلين كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رب تال للقرآن والقرآن يلعنه - فلا بد من ذكر
آداب يتجربها من نقيصة الغفلة ورذيلة التقصير ثم ان الآداب لها ظاهر وباطن
والآداب الظاهرة عشرة -

الاول في حال إقارئي - وهو أن يكون على وضوء ويقرأ على السكون والوقار

اما

أما قائماً أو جالساً مستقبلاً القبلة مطراً رأسه غير متربع ولا متكئ ويجلس جلوسه عند الاستاذ وأفضل أحوال القراءة في الصلاة قائماً ويكون في المسجد، ثم غير متوضئ، ثم المضطجع وإن لم يخل عن الفضيلة ولكن إن قرأ مضطجعا ينبغي أن يضم رجليه -

الثاني - في المقدار وله مراتب منهم من يختم في اليوم واليلة مرة أو مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في ثلاث وهذا الوسط وهو الأفضل - ومنهم من يختم في أسبوع وقد فعله كثير من الصحابة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم - ومنهم من يختم في كل شهر - وانختم في اليوم واليلة مرة أو مرتين أو مرات مكررة وفي الشهر مرة مباينة في الاقتصار والاحب بينهما إلا أن الحق أن القارئ أن كان من العباد يختم في الأسبوع مرة أو مرتين وإن كان من أرباب القلوب أو ممن اشتغل بنشر العلم في الأسبوع مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن ففي الشهر مرة لكثرة حاجته إلى ترديد الآيات وتكريرها -

الثالث - في القسمة من قسم القرآن على سبعة يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وفي الليلة الثانية بالانعام إلى هود وفي الثالثة بيوسف إلى مريم وفي الرابعة بطله إلى طسم وفي الخامسة بالعنكبوت إلى ص وفي السادسة بتزليل إلى الرحمن وفي السابعة وهي ليلة الخميس يختم - وقيل في السبعة الأحزاب الأول ثلاث سور والثاني خمس والثالث سبع والرابع تسع والخامس إحدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من في وهذه تجزئة الصحابة - وما سوى هذه من الاحماس والعواشر محدث -

الرابع - الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالجمرة وغيرها فإن ذلك تزيين وحسد من الخطأ واللعن - وأما ما نقل من الكراهة فيها وفي أمثالها لخواهم عن أن يؤدي فتح هذا الباب إلى أحداث زيادات يطرق بها التغير إلى القرآن - أما الذي نحن عليها فلم يبلغ إلى تلك الدرجة مع فائدة

الاعراب والصون عن اللحن والخطأ فهذه بدعة حسنة -

الخامس - البكاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وطريق التباكى ان يلقى في قلبه الحزن ومنه ينشأ البكاء - قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا - وطريق التحازن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود ثم يتأمل تقصيره فيحزن ويبكى لاحالة فان لم يحزن بهذه فليبك عـلى فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب -

السادس - الترتيل وقد عرفت ان الغرض من الذكر الفكر والترتيل معين عليه وبذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيما اذا كان القارئ اعجميا لا يفهم المعنى فانه يستحب له الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام -

السابع - رعاية حق الآيات مثل ان يسجد في مواضعها ولوسمع من غيره ويسجد على طهارة ويشترط لها شرائط سجدة الصلاة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة -

الثامن - ان يعوذ قبل القراءة ويقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ريب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقرأ سورة قل اعوذ برب الناس وسورة الفاتحة وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسوله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم واذا مر بآية تسبيح سبّح وكبر وان مر بآية استغفار استغفر ودعا وان مر بآية سؤال سأل وان مر بآية تخويف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله اعوذ بالله ، اللهم ارزقنا ، اللهم ارحمنا - واذا فرغ يدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن وهو اللهم ارحمنا بالقرآن العظيم واجعله لى امانا ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلينى منه ما جهات وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا ارحم الراحمين -

التاسع - وأدنى الجهر في حق الصلاة وترتب الثواب اسماع النفس ومرتبة اسماع الغير مستحب وقد تعارضت الاخبار في حق الجهر والاسرار الا ان الجمع بينهما ان الاسرار افضل لمن يخاف فيه الرثاء والتصنع واما فيمن هو بخلافه فالجهر افضل الا ان يشوش وقت مصل آخر لأن فيه فوائد كثيرة ليس في الاسرار لانه خير متعدد يوقظ القلب ويجمع الهم الى الفكر ويجمع اليه سمعه ويطرد النوم منه ومن غيره ويزيد في نشاطه ويقلل من كسله وقد يبعث نوم الكسلان الى القراءة ففهما حضر شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمع اثنان او اكثر يضا عف الأجر بقدره -

العاشر - تحسين القراءة من غير تمطيط يغير النظم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم - وقال ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت يتغنى بالقرآن - وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وغير ذلك -

المطلب الثاني

في الآداب الباطنة وهي ايضا عشرة

الاول - فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه حيث انزله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه مع كونه صفة قديمة قائمة بذاته - ولو استنار كنه جمال كلامه في كسوة الحروف والالفاظ لما ثبت لسامعه عرش ولا ترى كما لم يطبق الجبل مبادئ تجليه حتى صار دكا لولا تثبيت الله تعالى موسى لما اطاق سماع كلامه ومثلوا لذلك بتأديب الحيوانات باصوات دالة على كلمات لا يفهم الحيوان الا بكسوة اصوات تمكنها تمييزها من النفير والصفير فالكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل - وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كالظل مع الشمس فهو ملك محجوب غائب وجهه ظاهر أمره وشمس ظاهرة بالاضواء وعنصرها مكنون -

الثاني - تنظيم المتكلم بان يتفكر أن ظاهر الجلد كما انه محروس عن البشر ما لم يتطهر

عن الاحداث والاخبار كذلك معناه محجوب بحكم عزه وجلاله عن باطن القلب ما لم يتطهر عن الحوادث والاكوان او يتنور بنور التعظيم والتوقير فيعظم الجلد بتعظيم الكلام عن يد غير متطهر والكلام بتعظيم متكلمه عن لسان غير متطهر عن الكذب والغيبة والبهتان - والمتكلم بالتفكر في صفاته وافعاله بتطهير القلب عن تلوث الحدثن وكدورات الملوان -

الثالث - حضور القلب وترك حديث النفس وهذه الصفة تتولد عن التعظيم فان المعظم لاحد يستأنس بكلامه ويحضر اليه قلبه ويجمع اليه همه - وكان بعض السلف اذا لم يحضر قلبه عند قراءة سورة اعادها -

الرابع - التدبر وهو وراء احضار القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن وقد يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبره والمقصود من القرآن التدبر ولذلك سن فيه الترتيل فاذا لم يتمكن من التدبر فليردد - وعن ابي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنايلة فقام بآية يرددها (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فذك انت العزيز الحكيم) وقام سعيد بن جبير بهذه الآية يرددها (واما تاروا اليوم ايها المجرمون) وعن ابي سليمان الداراني اني لأتلو الآية فاقم فيها اربع ليال او خمس ليال واولا اني اقطع الفكر فيها ما جا وزتها الى غيرها - وعن بعض السلف انه بقى في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها - وقال بعض الدارين لى في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة ولى في ختمة ثلاثون سنة ما فرغت منها -

الخامس - التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يلقى بها اذ القرآن مشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه ووامره وزواجره والجنة والنار فتحت هذه معان مدفونة لا يصل اليها الا الموفقون - ولذلك قال ع-لى رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاحة الكتاب - وقد قيل لا يكون المرید مریدا حتى يجد في القرآن ما يريد ويعرف النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد - فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه -

السادس - التخلّى عن موانع الفهم لأسباب وحجب سدّها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن - منها تحقيق مخارج الحروف واعظم ضخمة الشيطان القراء الذين اطاعوا تلبيس الشيطان الذين يخيل اليهم الشيطان ان الحروف لم تخرج من مخارجها فيصرفهم عن تكشف المعاني بل الخزم في ذلك قدرا لا قصار - ومنها التقليد لمذهب مسموع له ويتعصب له فيحرم من غيره ولو كان حقّا وان لمع برق الحق على بعد وبداله حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد اسلافك الذين كانوا على الحق - وقول الصوفية العلم حجاب ارادوا به هذا النوع من العلم لا العلم الحقيقي المؤيد بالبرهان والعيان مثلاً من علب عليه مذهب التجسيم ولا حظ معنى القدوس انه منزّه عن كل ما يجوز لمخلوقاته يكره عليه الشيطان ويصدّه عن ذلك بالتقليد قبل ان يستقر في قلبه - ومنها ان يتراكم على مرآة قلبه صدى المعاصي والشهوات فلا تكشف له اسرار الكتاب وان ذلك قال تعالى (انما يتذكر اولوا الالباب) وقال تعالى (تبصرة ودكرى لكل عبد منيب) ومنها ان يقلد تفسير اظهرا يروى عن قتادة ومجاهد ويعتقد أن ما وراءه تفسير بالرأى - وهذا ايضا من اعظم المنحجب اذ القرآن لا تنقض عجائبه وستعرف التفسير بالرأى ان شاء الله تعالى -

السابع - التخصص - وذلك ان يقدر أن المقصود بكل خطاب في القرآن من الامر والنهي والوعيد والوعيد وان القصد من القصص والاخبار ليس الا الاعتبار وكيف لا والقرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لأجله ولأجل امته عامة -

الثامن - التأثيرات مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الخوف والحزن والرجاء وغير ذلك ومن لم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان وهذه قليل الحدودى وتلاوة القرآن حق تلاوته انه يشترك فيه اللسان والعقل والقلب - فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر

والانزجار والالتفاف للسان والعقل ترجان والقلب يتعظ فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط كقوله تعالى (وانى اغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) يتضاءل خضوعا من خيفته حتى كأنه يموت - ومنهم من مات عند سماع آية الوعيد ومنهم من نحر مغشيا عليه وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسماؤه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته - وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله سبحانه ولدا وصاحبة يفض صوته ويكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم - وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا -

التاسع - اترقى الى ان يسمع الكلام من الله عز وجل فدرجات القراءة ثلاثة ادناها ان يقدر العبد نفسه كأنه ماثل بين يدي مولاه وهو مستمع منه فيقرأ بالتملق والتضرع والابتهاال - واوسطها ان يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه باللطافة ويناجيه بانعامه فقامه عند هذا الحياء والتظيم والاصغاء والفهم وهذه درجة اصحاب اليمين - واعلاها ان يرى في كلام (١) المتكلم وفي الكلمات الصفات ويكون مقصورا لهم على المتكلم كأنه مستغرق بمشاهدته عن غيره وهذه درجة المقربين وفي مثل هذه الحالة تعظم الخلاوة ولذة المناجاة -

العاشر - التبرى من حوله وقوته وأن يشاهد نفسه بعين الرضا والالتفات اليها بالتركية فاذا تلا آيات الوعد يشهد بذلك للوقنين ولا يرى نفسه اهلا لها بل يتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة شهد نفسه هياك وقد ر نفسه المخاطب خوفا واشفاقا ، ثم رؤيته نفسه بصورة التقصير يكون سبب قربه الى ان يجاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى في قراءته فحينئذ انكشف له الملك والملكوت ، وحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تمكشفت له صورة الجنة فيشاهدها عيانا وعلى هذا الحال آيات الخوف اذ حينئذ كوشفت له المارعيانا -

(١) كذا لعله والكلام -

المطلب الثالث

في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل لعلك بالبال ان ما ذكرت من المعاني يرجع الى التفسير بالرأى وانه مما اسكر عليه الشرع حتى شنع العلماء على اهل التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر صريح -

فاعلم انه لا يجوز التهاون بالتفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر وهذا امر اتفاق وانما الخلاف في ان وراءه معان اخر يفهمها من اعطى فهمه ام لا والحق جواز ذلك عقلا ونقلا - اما نقلا فقوله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن طهرا وبطنا وحدا ومطلعا - وقال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب - وقوله ايضا الا ان يؤتى الله عبدا فهما في القرآن - ومعلوم ان تلك البطون والحد لم تنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ايضا ان قر سبعين بعيرا في الفاتحة لم يمكن بالنقل وكذا ما يؤتى الله عبدا فهما خارج عن النقل فظهر أن في القرآن معان كثيرة وراء النقل ومثال هذه الاحبار والآثار كثيرة - واما عقلا فهو ان الهى عن التفسير بالرأى اما لحمله على معتقده الباطل وهواه واما بأن يعتقد على ذلك جهلا او يعتقد على خلافه لكن يلبس على خصمه - واما ان يفسره على ظاهر العربية من غير نقل وسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن حلص فهمه عن هذه الآفات لا يشغله الوعيد المذكور ثم من يؤيد فهمه بنور الكشف والشهود فذلك ما اشار اليه ابن عباس من اراد علم الاولين والآخرين فليتور القرآن ولعلك سمعت فيما سبق ما يفتح عليك الاشكال المذكورة والله ولى التوفيق في كل الامور ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار القرآن وما يرتبط بمقدمااتها ولوحاقها لانقطع العمر قبل استيفائها وما من كلمة في القرآن الا وتحققها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراغبين في العلم من اسراره بقدر غيرة علومهم

وصفاء قلوبهم وتوفير دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى الى درجة منه واما الاستيقاظ فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما لنفد البحر قبل ان تنفذ اسرار القرآن -

المطلب الرابع

في علم الادكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والاستغفار وفيه انواع -

النوع الاول فضيلة الادكار قال تعالى (فاذكروني اذكركم)

وقال (واذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال (ولذكرا لله اكبر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا ذكرني عبدى في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملائ ذكرته في ملائ خير من ملائ واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه اى اسرعت اجابته وقال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وذكر من جعلتهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيابه -

النوع الثانى - فضيلة التسبيح والتحميد قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين (وحمد ثلاثا وثلاثين) وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بـ لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر - روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال توات عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال صلى الله عليه وسلم فإني انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح تأتيك الدنيا واغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة ملك ثوابه - وقال ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله

والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الاغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر - وقال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - وقال يا عبد الله بن قيس ايا ابا موسى اولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قل بلى قال قل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم - وقال من قال حين يصبح رضى الله ربنا وبالا سلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبينا كان حقاً على الله تعالى ان يرضيه يوم القيامة - قال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته وقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قل الملك كفيت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق الشياطين فيقوانون لاسبيل لكم عليه قد هدى وكفى ووقى -

النوع الثالث - فضيلة التهليل - قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قالت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له - وقال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرز من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك - وقال ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله، الافتحت له أبواب الجنة يدخل من ايها شاء - وقال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ثم قال اللهم اغفرلى اودعا استجيب له وان توضأ وصلى قبلت صلاته -

النوع الرابع - فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل فقال اما ترضى يا محمد انه لا يصلى عليك احد من امتك الا صليت

عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عبدا من ذلك او يكثر - وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بى اكثرهم على صلاة - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على من اوتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة، حلت له شفاعتى - وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم على الاراد الله على روى حتى ارد عليه - وقيل يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قواوا اللهم صل على محمد وعلى آله وارواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد - (١)

النوع الخامس - فضيلة الاستغفار - قال الله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال الله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الاستغفار يقول (سبحانك) اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك انت التواب الرحيم - وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم - ثلاث مرات يغفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر اوردها عاج او عدد ورقى الشجر او عدد ايام الدنيا - وقال فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطائى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم

وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير - وقال من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه واوكات كرب النمل وروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك عـلى وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت -

المطلب الخامس

في ادعية مأثورة معزية (١) الى اربابها يدعى بها صباحا ومساء
ومنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني
العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميونة فقام
يصلى من الليل فلما صلى ركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة من
عندك تهدي بها قاي وتجمع بها شمل وتلم بها شعش وترد بها الفتى وتصلح بها ديني
وتحفظ بها غائي وترفع بها شاهدي وتركي بها عملي وتبيض بها وجهي وتأتمني
بها رشدی وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا وبقينا ليس بعده
كفر، ورحمة اناك بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم اني اسألك الفوز عند
القضاء وما نزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء،
اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك
فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من
عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف
عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك وخير انت معطي
احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه يارب العالمين، اللهم اجعلنا هادين
مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلمنا لاوليائك نحب بحبك الناس
ونعادي بعدا وتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا
الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظم ذى الجبل الشديد والامر الرشيد أسألك الآن يوم الوعيد والجنة دار
الخلود مع المقرين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود فك رؤف ودود
انت تفعل ما تريد سبحان الذى تعطف بالعز، وقال به، سبحان الذى لبس المجد
وتكرم به سبحان الذى لا ينبغي التسبيح الاله (سبحان) ذى الفضل والنعم
سبحان ذى العزة والكرم سبحان الذى احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لى
نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى لحمى
ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن
يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى
نورا وأجعل لى نورا -

ومنها دعاء عائشة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع
الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم
اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم وأسألك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعذك
مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من
امر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين -

ومنها دعاء فاطمة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمدك ان تسمى
ما اوصى به ان تقولى يا حى يا قيوم برحمتك استغث لا تكن لى نفسى طرفه عين
وأصلح شأنى كله -

ومنها دعاء أبى بكر الصديق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك
بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وتوراة موسى
وانجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحى اوحيته وقصاه
قضيته اوسا تل اعطيته اوغنى اقنيتة او فقير اغنيته اوضال هديته وأسألك باسمك
الذى ازلته على موسى واسألك باسمك الذى تثبت به ارزاق العباد وأسألك باسمك

الذى وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاطلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقنى القرآن والعلم وتحاطه بلحمى ودمى وسمى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين -

ومنها دعاء بريدة الاسلمى روى انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة ألا اعلمك كلمات من اراد به خيرا علمه اياها ثم لا يسيهن اياه ابدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقوى رضاك ضعفى وحد الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام مستهى رضاى اللهم انى ضعيف فقوى وانى دليل فأعزنى وانى فقير فأغننى -

ومنها دعاء قبيصة بن الحارث اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبر سننى وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لديك فاداصليت الغداة فقل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتين امننت من النعم والجذام والبرص والقالج - واما لآحرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وافض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك - ثم قل صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة -

ومنها دعاء ابي الدرداء قيل له قد احترقت دارك وكانت النار فى محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال ان النار لما دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما ندرى أى قوليك اعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هو لاء الكلمات فى ليل او نهار لم يضره شىء وقد قلتين وهى هذه اللهم انت ربى لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى

العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم انى اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم - وروى عن ابي الدرداء انه قال من قال كل يوم سبع مرات (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما هم به من أمر آخرته صادقاً كان بها او كاذباً - ومنها دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه لى بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى حسنة تقبلها وزكها وضاعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم - قيل من دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد أدى شكر يومه -

ومنها دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجوه واصبح الامر بيد غيرى واصبحت مرتها بعملى فلا فقير اقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤى بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا اكبر همى ولا تسلط على من لا يرحنى -

ومنها دعاء الخضر عليه السلام يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا فى كل موسم لم يفترا الا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله ، كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها ثلاثا اذا اصبح امن من الغرق والحرق والسرقة -

ومنها دعاء معروف الكرنى قال مجده بن حسان قل لى معروف الكرنى ألا انا املك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عند هن قلت اكتبها لى قال لا ولكن ارددها عليك كما ارددها على بكر بن خنيس (حسبي) الله الحليم القوى لمن بغى على حسبي الله الشديد لمن كاذبى بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسألة فى القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القوى عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم -

ومنها دعاء عتبة الغلام وقد رثى في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقبل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين -

ومنها دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة لما اراد الله عز وجل ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سرى وعلا نيتى فاقل معدرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاعفر لى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يا باسرقاى وقيما صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبته على ورضنى بما قسمته لى - فاعسى الله عز وجل اليه انى قد عفرت لك ولن يا تبنى احد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا عفرت له ذنوبه وكشفت غمومه وهومومه ونزعت الفقر من بين عينيه وابجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدھا -

ومنها دعاء على بن ابي طالب رضى الله عنه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجّد نفسه كل يوم ويقول انى انا الله رب العالمين انى انا الله لا اله الا انا الحى القيوم انى انا الله لا اله الا انا العلى العظيم انى انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد، انى انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدئ كل شئ والى يعود انى انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن (العزيز) الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتر القهار الحكيم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السراخفى، القصاد الرزاق للخلاق والخلق - وذكر قبل كل كلمة انى الله لا اله الا انا كما اوردنا فى الاول فن دعا بهذه الاسماء فايقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا - فن دعا بها كتب من الساجدين المحبتين الذين

يحيى ورون مجددا و ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين -

ومنها دعاء ابي المعتمر سليمان التيمي وتسبيحاته روى ان يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رأيت من الاعمال قل رأيت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذا كروه في ما بقى في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا يقطع اولاه ولا ينفد اخره -

ومنها دعاء ابراهيم بن ادهم روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يوما هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقاءه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله عز وجل خاضعا ولسوى الله عز وجل في الالهية جا حدا والى الله سبحانه وتعالى فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله عز وجل منيبا اشهد الله واشهد ملائكته ورسله وحمة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه بأنه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان مجددا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض والشفاة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه ناموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربى لارب لى الا انت خلقتنى وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر اللهم انى

ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدنى لأحسن الاخلاق فانه لا يهدى لأحسنها الا انت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك الخير كله بيدك انا لك واليك أستغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد الذى وعلى آله وسلم تسليما كثير احاتم كلامى ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين يا رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا روي سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا فى زمرة غير خزايا ولا ناكسين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضانى وان كنت طالما سبحانك سبحانك يا على يا عظيم يا رب يا بر يا رحيم يا عزيز يا حنان سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بمواجهها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراقها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حى يا حلیم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وانت حى لا تموت بيدك الخير وانت على كل شىء قدير -

المطلب السادس

فى ادعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم والآل والاصحاب محذوفة الاسانيد مما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر على ما روى الغزالى فى الاحياء - واعلم ان من اداد حرث الآخرة لابد له من الذكر كما بيناه ومن افضل الذاكر والدعوات المأثورة عن الاخبار فقل فى مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير - وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم

نبيا ثلاث مرات - وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا انت اعوذ بك من شرفسى ومن شر الشيطان وشركه - وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اعتال من تحتى اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولى غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسى ذكرك ولا تجعلني من الغافلين - وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك على وأبوء بذنبي فأغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت - وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات - وقل اللهم إني أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك ان اظلم او اطم او اعتدى او يعتدى علي او اکتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وقلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا مقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب، اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على (كل شيء قدير وعلى كل) غيب شهيد اللهم اني أسألك ايما نال لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنة الخلد اللهم اني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربني الى حبك وان تتوب على وتغفر لي وترحمني واذا اردت ان تقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقد رتك على الخلق احبني ما كانت الحياة خيرا الى وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا الى أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر

والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضره وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهدين اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا ووسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة ووسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته الحمد لله الذى سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى رسول الاميين وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اولياءك المتقين وحرزك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما يرضيك عنا ووفقنا لمحبك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا سلك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائحه وخواتمه اللهم بقدرتك على تب عالى انك انت التواب الرحيم وبجملتك على اعف عنى انك انت المغفار وبعلمك على اعفر لى انك انت الرحمن وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على انك انت الملك الجبار سبحانه وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى فاعفر لى ذنبى انك انت ربى انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم ألهمنى رشدى وقى شرف نفسى اللهم ارزقنى رزقا حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافة فى الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تفتنه المغفرة هب لى ما لا يضرى وأعطنى ما لا ينفعك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وتوفى مسلما والحقنى بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ربنا

عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا انما سمعنا مناديا ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنوا ربنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد، ربنا لا تؤاخذنا ان نسبها او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا تكاملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما رحمتني صغيرا، واعفر لئومين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والادوات، رب اعقر وارحم وتجاوز عما تعلم فانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل -

انواع الاستعاذة الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم - اللهم اني أعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارضي العمر واعوذ من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني أعوذ بك من طمع يهدي الى طمع وطمع من غير طمع ومن طمع حين لا مطمع اللهم اني أعوذ بك من علم لا يفيق وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه يئس الضجيع ومن الخيانة فانها يئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارضي العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا او اهة محببة منية في سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والنعيم من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار - اللهم اني أعوذ بك من التردى واعوذ بك من الهم والفرق والهرم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت في طلب دنيا اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت وما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء

والاهواء اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء اللهم
 انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من
 فتنة الدجال اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ومن شر لسانى وقلى وسوء
 ظنى، اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار البقاء فان جار البادية يتحول اللهم
 انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر و
 الكفر والفسوق والشقاق والفاق والسمعة والرئاء واعوذ بك من الصمم والبكم
 والجنون والجذام والبرص وسبى الأسقام اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك
 وتحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى أعوذ بك من عذاب
 النار وفتنة المار ومن عذاب القبر وفتنة القبر وشرفة العنى وشرفة الفقر
 وشرفة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم انى أعوذ بك من نفس
 لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب، اللهم انى أعوذ بك من
 شر العمر ومن ضيق الصدر اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وعلبة العدو
 وشماتة الأعداء -

المطلب السابع

فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

مها دعاء الخروج الى المسجد - اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا
 واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا واما مى نورا
 واجعل من فوقى نورا اللهم اعطنى نورا - وقل اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك
 وبحق ممشائى هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء
 سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر
 الذنوب الا انت - وان خرجت من المنزل لحاجة فقل - بسم الله أعوذ بك ان اظلم
 او اظلم او اجهل او يجهل على بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى
 العظيم التكلاّن على الله - فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر جميع ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك - وقدم

رجلك اليمى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد من يبيع اويبتاع فقل لا اربح الله تجارتك - واذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لارد عليك - امر بذك رسول الله صلى الله عليه وسلم -

ومنهاد عاء بعد ركعتى الصبح - اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلى - الدعاء الى آخره قدمر فيما سبق - ومنهاد عاء الركوع - اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربى خشع لك سمعى وبصرى ونهى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين - وان احببت فقل سبحان ربى العظيم ثلاثا اوسبوح قدوس رب الملائكة والروح - فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد لك الحمد ما اعطيت ولا معطى لما لمعنت ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم - فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وبك آمن فؤادى وابوء بنعمتك على وابوء بذنبى وهذا ما جنيت على نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت - او تقول سبحان ربى الا على ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام - وتدعوا بسائر الادعية التى ذكرناها هذا عند الشافعى - واما عند ابى حنيفة فلا يزيد فى الركوع على ان يقول سبحان ربى العظيم ثلاثا ونحسا اوسبعا وتسعا وفى السجود على ان يقول سبحان ربى الا على كذلك -

ومنهاد عاء كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وطلعت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت - ومنهاد عاء دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى اعوذ بك من شرها وشر ما فيها

ما فيها اللهم انى اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفة خاسرة -

ومنها دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عن سواك -
ومنها دعاء عند لبس الثوب الجديد اللهم كسو تنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك
من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له -

ومنها دعاء عند التطير اللهم لا يأتى بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم -

ومنها دعاء عند رؤية الهلال اللهم أهله علينا بالامن والسلامة والاسلام ربى
وربك الله - ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالقتك اللهم انى أسألك خير هذا
الشهر وخير القدر واعوذ بك من شريوم الحشر - ويكبر قبل الدعاء اولا ثلاثا -
ومنها دعاء هبوب الريح اللهم انى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما
ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به -

ومنها دعاء اذا بلغك وفاة احدا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم
اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلف على عقبه فى الغابرين اللهم
لا تحرمه اجره ولا تقتلنا بعده -

ومنها دعاء اذا تصدقت بصدقة ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم -

ومنها دعاء عند الحشر ان عسى ربنا ان يدرنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون -

ومنها دعاء عند ابتداء الامور ربنا آت من لدنك رحمة وهيبى لنا من امرنا رشدا، رب
اشرح لى صدرى وبسر لى امرى - ومنها دعاء عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانه فكما عذاب النار، تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا -

ومنها دعاء عند صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
ومنها دعاء عند رؤية الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك -

ومنها دعاء عند المطر اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله

سيب عذاب - ومنها دعاء عند الغضب اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم -

ومنها دعاء عند الخوف من قوم اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شروهم ومنها دعاء عند الغزاة اللهم انت عضدى ونصيرى وبك اقاتل ومنها دعاء طنين الاذن صل اولاً على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرى - ومنها دعاء اذا استجيب دعوتك الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت استجابة دعوتك فقل الحمد لله على كل حال - ومنها دعاء عند اذان المغرب اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعائك وحضور صلواتك أسالك ان تغفرلى -

ومنها دعاء اذا اصابك هم - اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ناوئذ فى قضائك أسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهب حزني وهمي - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال هذا الاذهب الله عز وجل همه وابدله مكانه فرحاً فقل يا رسول الله أفلا تعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى يسنى لمن سمعها ان يتعلمها -

ومنها دعاء اذا وجدت وجعاً فى جسدك او جسد عرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى انسان قرحة او جرحاً وضع سبابة فى فيه وجعلها على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضاً بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا - واذا وقع فى جسدك فضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر -

ومنها دعاء اذا اصابك كرب لا اله الا الله العلى الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض والعرش الكريم -

ومنها

ومنها دعاء عند النوم فتوضأ اولاً ثم توسد يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شىء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بما صيتها انت الاول فليس قبلك شىء وانت الآخر فليس بعدك شىء وانت الظاهر فليس فوقك شىء وانت الباطن فليس دونك شىء اقض عني الدين وأغنني من الفقر اللهم ابك خلقت نفسى وانت تتوفاها لك عمتها ومحياها اللهم ان امها فاعفر لها وان احببتها فاحفظها اللهم انى اسألك العافية باسمك ربى وضعت جنى فاعفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك واجأت طهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا مجا ولا ملجأ (منك الا اليك، آمنت) بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت - ويكون هذا آخر دعائك فقد امر صلى الله عليه وسلم بذلك - وليقل قبل ذلك - اللهم ايقظنى فى احب الساعات اليك واستعمنى باحب الاعمال لديك وقربنى اليك زلفى وتباعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى وأستغفر لك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى -

ومنها دعاء يدعى به عند الصباح اذا استيقظت من نومك الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم عليه السلام حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم اناسألك ان تبعتنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نتجرع فيه سوءا ونجرحه الى مسلم فإناك قلت وقولك الحق (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالناهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى) اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر

حسبنا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله
 ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله
 ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله
 عليه وسلم نبياً ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير -

ومنها دعاء يقوله اذا امسى يقول الدعاء المذكور الا انه يقول إسمينا ويقول
 مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسماؤه كلها من شر ما ذراً وبرأ ومن شر كل
 ذي شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم -
 ومنها اذا نظرت في المراة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى
 وحسنى وجعلى من المسلمين -

ومنها دعاء اذا اشترى خادماً او غلاماً او دابة فخذبنا صيته وقل اللهم انى اسألك
 خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه -
 ومنها دعاء اذا هنأت بالنكاح بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير -
 ومنها دعاء اذا قضيت الدين فقل للقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك - انما
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية
 لا يستغنى سالك سبيل الآخرة عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر
 والصلاة والوضوء ذكرنا ذلك كله فى كتاب الطهارة والصلاة والحج -

المطلب الثامن

فى ادعية مأثورة رواها الشيخ العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي نقلتها من
 نسخة منقولة من نسخة منقولة من نسخة منقولة ثلاثاً من خط السبكي المذكور
 ذكر ذلك فى آخر طبقاته الكبرى روح الله روحه -

عن وهب بن منبه ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له تجد فيما تقرأ من الكتب
 دعاء مستجاباً تدعوه عند الكرب قال نعم قال اللهم انى اسألك يا من يملك حوائج
 السائلين ويعلم ضمائر الصامتين فان لكل مسألة منك جواباً حاضراً غيباً والى
 صامت منك علماً محيطاً باطناً مواعيدك الصادقة وايا ديك الفاضلة ورحمتك الواسعة
 ان

ان تفعل بي كذا وكذا - فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في المنام ما كنت ارى ان احدا يحسنه -

وعن أبي خالد ان العذاب لما هبط على قوم يونس وجعل يحوم على رؤسهم مثل قطع الليل المظلم مشى ذوو العقول منهم الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا انا نزل بنا ما ترى فعلنا دعاء ندعوه عسى الله عز وجل ان يرفع عنا عقوبته فقال قولوا يا حي حين لاسى تحيي الموتى يا حي لا اله الا انت - فكشف الله عز وجل عنهم -

وعن ابن عباس ان عليا رضى الله عنهم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيئا من الدنيا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده والذي بعثني بالحق نبيا يا على ما عندى لا قليل ولا كثير لكنى اعلمك شيئا اتانى به جبريل عليه السلام فقال يا محمد هذه هدية من الله عز وجل لم يعطها احدا من الانبياء قبلك وهى تسعة عشر حرفا لا يدعوا بها ملهوف ولا مكروب ولا محزون ولا سرق ولا حرق ولا عبد خاف سلطانا الا فرج الله عنه اربعة منها مكتوبة على جبهة جبريل عليه السلام واربعة مكتوبة حول العرش واربعة حول الكرسي قال فكيف ادعوا بها يا بنى الله قال قل يا عماد من لاعمد له يا مسند من لاسند له يا ذخى من لادخره يا حرز من لاحرز له يا غياث من لا غياث له يا كريم العفو يا حسن البلاء يا عظيم الرجاء يا عون الضعفاء يا منقذ الغرقى يا منجى الهلكى يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل انت الذى سجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس ودوى الماء وخفيف الشجر يا الله لاشريك لك يا رب يا رب - ثم تدعو بحاجتك وبما بك لا تقوم من مقامك حتى يستجاب لك -

عن عبدالله بن ايوب قال ليعقوب بن داود فى الطواف قلت له احب ان تخبرنى كيف كان سبب خروجك من المضيق قال كنت فى المضيق فاتانى آت فى منامى قال لى يا يعقوب كيف ترى مكانك فقلت وما سؤالك اما ترى ما انا فيه قال قم فأسبغ الوضوء وصل اربع ركعات وقل يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل يا ذا النواهل والنعم يا عظيم يا ذا العرش العظيم اجعل لى مما انا فيه فرجا ومخرجا -

فانتبهت لحفظت الدعاء فقممت وتوضأت وصليت دعوت به فلما اسفر الصبح جاؤا فاحرجوني -

وعن قدامة بن عتبة العتكي وكان من اصحاب عتبة الغلام قال رأيت عتبة الغلام في النوم فقلت يا عبد الله ما صنع الله بك - قال دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا بخط عتبة في الحائط يا هادي المضلين ياراحم المذنبين يامقيل عثرات العاثرين -

وعن بعضهم قال اتى الحجاج رجل عزم على قتله فلما دخل تكلم بشيء فخلى سبيله فقبل اى شيء قلت قال قلت يا عزيز يا حميد ياذا العرش المجيد اصرف عني كل جبار عنيد -

وعن حصين كان سعيد بن المسيب يدعو أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلهاته التامة من شر السامة والعامة ومن شر ما خلقت يا رب ومن شر ما انت آخذ بناصيتها ومن شر الدنيا وما فيها -

وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال حدثني بعض اصحابنا بهذا الدعاء قال كان الصالحون من التابعين يدعون اذا دخلوا على السلطان فيقولون (١) ه البطش من السلطان وطله وهو بسم الله اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اخسئوا بها ولا تكلمون اخذت قوتك بقوة الله بيني وبينك سترا لله الذي كانت الانبياء يستترون به من سطوات الجبابرة الفراغنة جبريل عن يمينك وميكائيل عن شمالك ومحمد صلى الله عليه وسلم امامك والله عز وجل مطلع عليك يجبرني ويمنعني منك بحوله وقوته -

وعن محمد بن يحيى قال بينما على كرم الله وجهه يطوف بالكعبة اذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة يناذى يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلظه السائلون يا من لا يتبرم بالخاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك - قال له على رضى الله عنه دعؤك هذا قال نعم قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به في دبر كل صلاة (٢) انصبح في مصلاه مائة مرة فليقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم يا قديم يا دائم يا حي يا فرد يا وتريا احد يا صمد - وكان مقاتل يقول من دعا بهذا الدعاء فلم يستجب فليعلن مقاتلا في قبره -

وعن جعفر بن محمد ما من نبي الا وخلف في اهل بيته دعوة مجابة وقد خلف فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوتين مجابتين اما الواحدة فلشدائدنا واما الاخرى فلحوائجنا - اما التي لشدائدنا يا كائن دائما لم يزل يا الهى يا اله آباى يا حى يا قيوم اجعلنى لك مخلصا - واما التي لحوائجنا يا من يكفى من كل شىء ولا يكفى منه شىء - يا الله يا رب محمد صلى الله عليه وسلم ثم تسأل حاجتك -

وعن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد أن يوعيه الله حفظ القرآن فليكتب هذا الدعاء في اناء نظيف بعسل ما ذى ثم ليغسله بماء المطر قبل ان يمس الارض وليشر به على الريق ثلاثة ايام فانه يحفظه باذن الله تعالى وهو، اللهم انى اسألك مسئولا لم يسأل مثلك اسألك بحق محمد رسولك ونبيك وابراهيم خليلك وصفيك وموسى كليمك ونحيك وعيسى كلمتك وروحك واسألك بصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وفرقان محمد واسألك بكل وحى اوحيته وبكل حق قضيته وبكل سائل اعطيته وبكل ضال هديته وغنى اقنيته وفقير اعنيته واسألك بأسمائك التي دعاك بها ادعياءك وانبياءك فاستجب لهم واسألك بكل اسم انزلته في كتابك واسألك باسمك الذى وضعت على النهار فاستنار واسألك باسمك الذى وضعت على الليل فاطم واسألك باسمك الذى وضعت على الجبال فأرست واسألك باسمك الذى وضعت على الارضين فاستقلت واسألك باسمك الذى استقل به عرشك واسألك باسمك الواحد الاحد الفرد الصمد العزيز الذى ملأ الاركان كلها الطاهر المطهر المبارك المقدس الحى القيوم نور السموات والارض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال واسألك بكتابك المبارك ان ترزقنى حفظ كتابك القرآن وحفظ اصناف العلم وثبتها في قلبى وسمى وبصرى وتخطها بلحمى ودمى وتستعمل بها جسدى في ليل ونهارى فانه لاحول ولا قوة الا بك -

عن أبى رجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد به حلقة البلاء وكانت

ضيقة يقول تضيقتى تنفرجى ثم يرفع يديه فيقول بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم اكفنا بأس الذين كفروا انك اشد بأسا واشد تذكلا -

وعن نعيم بن أبى هند قال كنت جالسا عند يزيد بن أبى مسلم امام الحجاج وهو يعذب الناس فذكر رجلا فى السجن فبعث اليه بغيط وعضب فأنى به وما اشك ان استتفع (١) به فلما قام بين يديه رأيت الرجل يحرك شفثيه بشيء لم اسمع فرفع رأسه فقال خلوا سبيله اوردوه فقمتم الى الرجل وذكرت له القصة وقالت له ما الذى قالت - قال قلت هذا الدعاء انى اسألك بقدر تركك التى تمسك بها السموات السبع ان يقع بعضهن على بعض ان تكفينيه -

وعن البراء بن عازب قال دخلت على على بن أبى طالب ذات يوم فقلت يا امير المؤمنين سألتك بالله الا ما خصصتنى باعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خص به جبريل عليه السلام بما ارسل به اليه الرحمن عز وجل فقال لولا سألت ما نشرت ذكر ما اريد أن استره حتى اخمن لحدى اذا اردت ان تدعو باسم الله الاعظم اقرأ من اول الحديد ست آيات وآخر الحشر فاذا فرغت فتكلم فقل يا من هو كذا وكذا افعل بى كذا وكذا فوالله لو دعوت به على شقى لسعد قال البراء فوالله لا ادعوها للدنيا ابدا - قال على رضى الله عنه اصببت كذا او صانى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير انه اذن لى فى الأمر البارح - روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع وهو يطوف بالكعبة ومعه ولداه الحسن والحسين رضى الله عنهما قائلا فى جوف الليل -

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وعين جودك يا مولاي لم تنم هب لى بجودك فضل العفو عن زللى يا من اليه رجاء الخلق فى الحرم ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطا فمن يجود عالى العاصين بالعم فقال على لو اديه اطلب الى هذا القائل فأتياه فقال لا اجب امير المؤمنين فا قبل يجر شقه

حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك قال انى من امرى فى ضيق فان ثبت لم تقبل توبتى وان سألت لم يقبلنى عثرتى - قال له ولم ذلك قال له لاني كنت رجلا مشهورا بالطرب والعصيان وكان والدى يعظنى ويحذرنى بمصارع الجهال ويقول لى ان الله سطوات ونقات وما هى من الظالمين ببعيد فلما الح فى الموعظة خلف ليدعون على ويأتى مكة مستغيثا الى الله عز وجل ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شقى الايمن فندمت على ما كان منى اليه وداريته وراضيته الى ان ضمن لى ان يدعولى حيث دعا على فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الماقة ودمت به بين صخرتين فمات هناك - فقال لى امير المؤمنين احقا ان اباك رضى عنك - فقلت اللهم كد لك فقام على رضى الله عنه وصلى ركعات ودعا بدعوات اسرها الى الله عز وجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى ثم عاد الى الصحة كما كان ثم قال لولا انك حلفت ان اباك رضى عليك اادعوت لك -

وعن جعفر بن محمد الصادق عجبتم لامرئ كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله والله تعالى يقول (لولا اذ دخات جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله) وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبى الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول واموض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول (فواته سيئات ما مكروا) وعجبت لمن اصابه غم كيف لا يقول (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) الى قوله (فننجينا من الغم) قال سفيان بن عيينة انه تعالى لما قال (وكذلك ننجى المؤمنين) كان وعد الكل مؤمن من قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ان ينجيه من الغم والله لا يخاف الميعاد -

بخط الشيخ القرطبي قل وانت ساجد اللهم يا لطيف يا لطيف بجميع عبادك الطيف بى باطفك الخفى الذى ما لطفته باحد الا كفى - ثم يرفع رأسه ويقول فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم -

ومن كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي ان اردت كرامتي فعليك بطاعتي
والاعراض عن معصيتي فان زلت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة فاعلم قربي منك
ونظري اليك واحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي
وقل يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود يا اول
يا آخر يا طاهر يا باطن ضاقت على الارض بما رحبت وضافت على نفسي ولا منجا
منك الا اليك فتب على يا تواب بانك انت التواب الرحيم

ذكر الحافظ ضياء الدين في سيرة الشيخ العباد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي انه
قال ما رأيت مثل هذا الدعاء اسرع اجابة يا الله يا الله انت الله بلى والله انت الله
لا اله الا انت الله الله الله والله لا اله الا الله -

قال الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي سمعت الشيخ الامام الوالد وهو
الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله اذا اهتم بأمر قرأ قوله تعالى
(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) الى قوله (ذو فضل عظيم)
تسع عشرة مرة عشرين الامة وكان الوالد يذكر أن هذا مجرب لداهم الأمر
ومعضله -

وجدت في بعض المجامع مرويا باسناد مجهول الى ابي الحسن محمد بن جعفر قال
وجدت ببلاد الهند حجرا منقوشا بالعبرانية ببلد سرنديب -

انا الموجود فاطلبني تجدني	فان تطالب سواي لم تجدني
تجدني اين تطلبني عبيدي	قربيا منك فاطلبني تجدني
تجدني ماجدا صمدا كريما	كثير البر فاطلبني تجدني
تجدني مستغاثا بي مغيثا	انا الجبار فاطلبني تجدني
اذا اللهفان ناداني كظيما	اقل ليك فاطلبني تجدني
اذا المضطر قال الاتراني	نظرت اليه فاطلبني تجدني
انا بالمرء ارحم من اخيه	ومن ابويه فاطلبني تجدني
فان هو تاب تبت عليه اني	انا التواب فاطلبني تجدني

أتذكر ليلدة ناديت سرا ألم اسمعك فاطلبنى تجددنى
 انا الجبار لا شيء كئلى انا الفقار فاطلبنى تجددنى
 انا الرب الذى يخشون منى جميع الخلق فاطلبنى تجددنى
 وليس يبيحك الفردوس غيرى انا الرزاق فاطلبنى تجددنى
 أتعرف غافرا للذنوب غيرى انا الفقار فاطلبنى تجددنى
 مسأ غفر للعباد ولا ابالى غدا فى الحشر فاطلبنى تجددنى
 واكرم من اريد بغير بخل انا الوهاب فاطلبنى تجددنى
 وارحم من يتوب وكان عندى له الاكرام فاطلبنى تجددنى
 فمن مثلى ولم ترقط مثلى ولست تراه فاطلبنى تجددنى
 ولبعضهم وذكر أنه ما ردها من هوى شدة الا وفرجها الله عنه

وارب نازلة يضيق بها القفى ذرعا وعند الله منها المخرج
 ضاقت فلما استكملت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
 ولبعضهم

كم اعقبت نوب الزمان جليلا وكفين خطبا قد أهم جليلا
 لا تياسن من الاله فروحه ان لم يفسدك بكرة فاصيلا
 وأمل لطائف صعبه فاطلا لما كشف الهموم وبلغ المأمولا
 يارب مسكروه تعذر حله ليلا فأصبح عقده محولا
 وملهمة اعيانها نهارا حلها امست يسهل خطبها تسهلا
 وعن جعفر الخلدى قال ودعت المزين فقلت زودنى شيئا فقال ان ضاع منك
 شيء اواردت ان يجمع الله بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه
 اجمع بينى وبين كذا فما دعوت بها شيئا الا استجيب-

وروى ابن أبى الدنيا ان طائوسا قال انى لى المحرذات ليلة اذ دخل على بن الحسين
 فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لأسمعن الليلة الى دعائه فصلى ثم سجد فاصغيت
 بسمى اليه فسمعتة يقول فى سجوده عبيدك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك

قال طائوس لحفظتهن فما دعوت بهن في كرب الافرج عني -

وروى ايضا عن الحارث الكعبي ان رجلا جاء الى الحسين بن علي يستعين به على عني في حاجة فقال له الحسين ان امير المؤمنين قد خلا في بيت اذا حزبه امر خلافه قل فادني الى الباب حتى اسمع كلام امير المؤمنين قال فسمعته يقول يا كهيمعص يا نور يا قدوس يا حي يا الله يا رحمن رددتها ثلاثا اغفر لي الذنوب التي تحل المقم واغفر لي الذنوب التي تغير النعم واغفر لي الذنوب التي تورث المندم واغفر لي الذنوب التي تجبس السقم واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء واغفر لي الذنوب التي تدبيل الاعداء واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء واغفر لي الذنوب التي تمسك غيث السماء واغفر لي الذنوب التي تنظم الهواء واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء -

سمعت بعضهم يذكر أنه رأى بخط من يعتمد اذا غلب المرء في مواقفه فليقل في دبر كل صلاة (رب اني مغلوب فانتصر) مائة مرة -

ومن شعر الشيخ أبي اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه ويقال انها ابيات مباركة لبست ثوب الرجا والياس قدر قدوا وقتت اشكو الى مولاي ما أجد وقلت يا عدتي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر اعتمد وقد مددت يدي والضر مشتمل اليك يا خير من مدت اليه يدي فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروي كل من يرد ولا يبالى القاسم السهيل وقيل ما رددتها ذو حاجة ثلاث مرات ويدعو الاستجيب له يا من يرى ما في الضمير ويسمع انت المعد لكل ما يتوقع يا من يرجي للشدايد كلها يا من اليه المشتكى والمفرج يا من خزائن فضله في قول كن مالي سوى فقرى اليك وسيلة فبالا فتقار اليك فقرى ادفع مالي سوى قرعى لبابك حيلة فأن رددت فالى باب اقرع ومن الذي ادعوا وهتف باسمه ان كان فضلك عن فقيرك يمنح

حاشا لفضلك ان تقنط عاصيا الفضل اجزل والمواهب اوسع

وله ابیات اخر

قال تاج الدين السبكي كنت اسمع الشيخ الامام اراد والده تقى الدين السبكي
رحمها الله يرددها ويدعو عقيبتها ويقول ان الاجابة عقيبتها مجربة وانه كان يقول
ما سألت الله بها في شيء الا اعطانيه وهي -

صرفت الى رب الانام مطالبي ووجهت وجهي نحوه ومآربي
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه مايك يرجى سيبه فى المتاعب
الى الصمد البر الذى فاض جوده وعم الورى طرا بجزل المواهب
مجرى من الخطب المخوف وناصرى مغشى اذا ضاقت على مذاهبى
مقبل اذا زلت بنى النعمل عاثرا واسمى غفار واكرم واهب
فزال بوائى الجيـل تطفأ ويدفع غنى فى صدور النوائب
ورزقنى طفلا وكهلا وقبلها جنينا ويمحى وبى المكاسب
اداسدد الاملاك دونى غلقت ونهمه عن غشيانهم زجر حاجب
فرعت الى باب المهيمن طارقا مدلا اناذى باسمه غير هائب
فلم الف حجابا ولم اخش منعة واوكان سؤلى فوق هام الكواكب
كريم يابى عبده كلما دعا نهارا وليلا فى الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدى داعيا وان كنت خطاء كثير المعاييب
فما ضاق عفوى عن جريمة خاطيء وما احد يرجو نداى بخائب
فلا تخش املا وان كنت مكثرا فعفوى مبذول الى كل طالب
سأسا له ماشئت ان يمينه تسح دفاقا باللهى والרגائب
فحسى ربي فى المراهز مايجـأ وحرزا اذا خيفت سهام النوائب
ولا بى الفضل يوسف بن محمد التوزرى قصيدة تسمى الفرج بعد الشدة تشتمل
على الاسم الاعظم لانها جربت لاستجابة الدعاء وهي -

اشتدى ازمة تنفرجى قد آذن ليلك بالبلد--ج

وظلام الليل له سرج
وسحاب الخير له مطر
وفوائد مولانا جميل
وله سارج محي ابداء
فلربما فاض المحي
والخلق جميعا في يده
ونزولهم وطلوعهم
ومعايشهم وعواقبهم
حكم نسجت بيد حكمت
فاذا اقتصدت ثم انعرجت
شهدت بعجايبها حجج
ورضا بقضاء الله حجج
واذا انفتحت ابواب هدى
فاذا حاولت نهايتها
لتكون من السباق اذا
فهنالك العيش وسهجنه
فهج الاعمال اذا ركعت
ومعاصي الله سماجتها
ولطاعته وصباحتها
من يخطب حور الخلد بها
فكن المرضى لها بتي
واتل القرآن بقلب ذي
وقيام الليل مسافتها
وتأملها ومعاينها

حتى يفشاه أبو السرج
فاذا جاء الابان تجي
لسروح الانفس والمهج
فاقصد محي ذاك الارج
بيحور الموج من البلج
فذو وسعة وذوو حرج
فالى درك وعلى درج
ليست في المشي على عوج
ثم انتسجت بالمتسج
فبمقتصد وبمنعرج
قامت بالامر على حجج
فعلى مركزته فهج
فاجعل لخزائنها واج
فاحذر اذ ذاك من العرج
ماجئت الى تلك الفرج
فلمبتهم حج ولمسهم حج
فاذا ما هجت اذن تهج
تردان لذي الخلق السمج
انوار صباح منبل حج
يظفر بالخور وبالنجج
ترضاه غدا وتكون نجج
حزن وبصوت فيه شج
فاذهب فيها بالفهم وجي
تأت الفردوس وتفترج

واشرب تسنيم مفجرها
مدح العقل الآتيه هدى
وكتاب الله ربا ضته
وخيار الخلق هدايتهم
فاذا كنت المقدام فلا
واذا ابصرت منار هدى
واذا اشتاقت نفس وجدت
وثنا يا الحسنيا حكمة
وعباب الاسرار اجتمعت
فالرفق يدوم لصاحبه
صلوات الله على المهدي
وابي بكر في سيرته
وابي حفص وكرامته
وابي عمرو ذى النورين
وابي حسن في العلم اذا
قال تاج الدين السبكي سمعت غير مرة الشيخ الامام يعنى والده ينشد لنفسه
هذين البيتين -

الهي فوضت الامور جميعها اليك فدبرني بمأشئت والطف
وسلمني اللهم يارب واجهي وخذيدي وامن وجدوتلطف
هذا ما اورده السبكي من الدعوات فيما يوجد في آخر كتاب الدعوات (١) حامدا
لله تعالى خالق الارض والسموات ومصليا على نبيه محمد شفيع الامة في العرصات
وعلى آله وصحبه المتدرجين الى اعلى الدرجات وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول

(١) كذا وقد مضى بلفظ - الطبقات وليست هذه الادعية في طبقات السبكي

ولا قوة الا بالله العلى العظيم - يقول الفقير المعترف بالتقصير كما كتبت هذه الادعية المنظومة تذكرت حرزا منظوما وضعه الشيخ الزاهد أبو عمر ان موسى الفاي رحمه الله وقد رأيت ان اثبت ذلك ههنا لما رأيت ان جمع كل شيء الى شكله ونظيره احسن واولى وسماه صاحب النظم المبارك حرزا لاقسام لجميع العلل والاسقام يكتب بالزعران ويبخر باللبان ويلوى عليه بخيط حرير ابيض وتشده على عضدك وانت طاهر تقي وتعصم تقضى الحاجات ان شاء الله سبحانه وتعالى تبدأ بالبسملة و فاتحة الكتاب والموذنين وما يختار من آى القرآن ثم تكتب الحمد وهو هذا المنظوم المبارك الشافى -

بدأت باسم الله فى اول السطر
وصليت فى الثانى على خير خلقه
تعوذت بالرحمن فى السر والجهر
اذا استفتح القراء فى محكم الذكر
ونسألك اللهم من فضلك الرضا
توسلت بالاقسام اسأل راغبا
ونرغب فيما يرغب الخلق ساجدا
باسمائك اللهم انت الهنا
بجلمة ما اثنى عليك اولوالنهي
بمالك ربى فى سمواتك العلى
بما سبحتك الخالق بالألسن التى
بذكرك عند العارفين بقدره
باحصائك الاشياء عدا وخبرة
بما فى السموات العلى من مقرب
بأنك انت الله خالق ما يرى
سميع بصير عالم متفضل

فاسماؤه حصن منيع من الضر
مجد المبعوث بالفتح والمصر
من الشرك والشيطان مادمت فى دهرى
فباسمك يا مولاي استفتح المقرئ
تحل عقود العسر فى ايسر اليسر
ونرغب للرحمن فى السر والجهر
الى مالك الاملاك فى الفع والضر
بديع السموات المدبر السلام
من المجد والتعظيم والحمد والشكر
من الملك والسلطان والعز والمصر
تخيرت للتسبيح والحمد والشكر
بما قلت فى القرآن بالشفع والوتر
بتكسير اواج البحار وبالقطر
بمن فى تخوم الارض من ملك نذر (١)
وما لا يرى حتى من الذرى القفر
يجازى باحسان ويعفو عن الوزر

بجملته ما انزلت في الكتب كلها
 بكتبك بالاقلام بالرسائل بالها
 بفضل صلاة الصبح رب وبالضحى
 برضوان خزان المعيم بمالك
 بجملته من لباك من طهر آدم
 بمآل وفدا لله من نصر ربهم
 بجاه النبيين الذي اصطفتهم
 بآدم اذ كرمته واصطفيته
 بثيث بادريس بنوح بصاح
 بحرمة اسمعيل صادق وعده
 بيعقوب بالاسباط باليسع الرضا
 بيونس الاصفى بصاحب مدين
 بأيوب ذي البلوى بداود بابنه
 بمن قد قرأ التوراة عن طهر قلبه
 بأى نبي كان في اى امة
 واذنخن لم نسمع به وبذكره
 كذا ذكرنا انه كان مخلصا
 بموسى بهارون بعيسى بن مريم
 بأخرهم بعثا بأولهم مـدى
 بجاه خليل المصطفى وانيسه
 بجاه ابن خطاب أبى حفص الرضا
 بجاه على ارفع القوم في الهدى
 هما السيدان السابقان الى الهدى
 بحزمة بالعباس عمى نبينا

على الرسل تبياناً لمن كان ذا حجر
 بتقدير ك الاشياء بالنهى والامر
 بذكر غروب الشمس بالظهر والعصر
 معذب اصحاب الجحيم على الحجر
 من المؤمنين الصالحين اولى الطهر
 بزوار قبر الهاشمي الى الحشر
 اولو الايدي والابصار والعز والفخر
 وعلمته العلم الذي كان لا يدري
 يهود بلوط بالخليل الذي يقرى
 باسحاق لما جاء في كبر العمر
 بيوسف اعلى الناس في ارفع الذكر
 شعيب بالياس بذي الكفل بالخضر
 سليمان من غل الشياطين للحشر
 وهل كانت التوراة تقرأ عن الطهر
 الى اى ما قوم في اى ماعصر
 واذنخن لم نعلم سواه ولم ندر
 يحيى الحصور السيد الطيب الشر
 بكل نبي لست منه على خبر
 محمد المبعوث بالفتح والنصر
 فنعم انيس الغار كان أبو بكر
 بجاه الشهيد المستجاب أبى عمرو
 ومن كعلی في الهداية والنصر
 شهيدان صهراهما فيا اشرف الصهر
 بفخرهما المنسوب في ارفع الفخر

بفاطمة الزهراء سيدة النساء بسببى رسول الله فخر على فخر
 بآل رسول الله كلهم معا بمجدهم فوق الفراقد والنسر
 باصحابه بالطاهرات نساؤه بعائشة الموصوفة الذكر بالذكر
 بطالحة منهم بالزبير بصحبه سعيد وسعد ذى الفضائل والبر
 وتاسعهم ذاك ابن عوف ربيعهم بجاه ابن جراح هو الطيب النشر
 بما كان فيهم من خصال رضية كزهدي الدردا وصدق ابى ذر
 باشيا عهم بالتابعين باقتدائهم كلهم الاخيار كالانجم الزهر (١)
 بما كان يدعو المصطفى في جهاده بما كان يدعو اول الليل ربه
 بشعبان بالشهر الاصم بقدره بما كان يدعو عند منصدع الفجر
 بحق طنون الواقفين على منى بحرمة شهر الصوم بالعيد بالقطر
 بميقات موسى بالثلاثين ليلة بحق يقين الناس في ساعة النفر
 بقدر ليالى العشر وهى فضيلة باتما لها من بعد ذلك بالعشر
 بما تهب الداعين في ليلة القدر بايام حج الناس بالعيد بالنحر
 بعرضك بالكرسى ندعوك ربنا بلوحك بالاقلام تجرى بما تجرى
 بالانجيل بالتوراة انزلتها على كليكم موسى بالصحائف بالزبر
 بحق كتاب انت بينت فضله على ما سواه من كتاب ومن سر
 باوله ام الكتاب وختمه اعوذ برب الناس من نفثة السحر
 بما فى الم ذلك قلته وبآل عمران المعظمة الذكر
 بيا ايها الناس اتقوا ربكم (١) بسورة اوفوا بالعقود وبالنذر
 بالانعام بالاعراف بالتوبة التى تلى سورة الانفال كالسطر بالسطر
 بالانفال والانفال كانت لأحمد والله ربى عالم السر والجهر
 بيونس اذ تتلى بهود بيوسف بسورة ابراهيم بالرعد بالحجر
 بمقدار ما فى النحل من ذكر نعمة مننت بها حقاً يقيناً لمن يدرى

يسبحان من اسرى ليل بعبده من المسجد الاقصى الى البيت والحجر (١)
 بسورة ذكر الكهف ثم بمریم بطه بذكر الانبياء على الاثر
 وبالحيج ثم المؤمنين باثرها وبالنور والفرقان يا جابر الكسر
 بحق طواسين الثلاث فلم يقف سواد على ما في الفواتح من سر
 وبالروم ثم النكبت وبعتها بلقان ذى الوعد الصدوق مع الذخر
 سألتك بالاحزاب من بعد سجدة باسمائك الحسنی بالائك الزهر
 وفي سبأ والحمد لله فاطر ضياء يضيء القلب كالقمر البدر
 بسورة يس المعظم قدره فما هي الا كالة لادة في النحر
 وبالتاليات ثم ص وبعتها بسورة تنزيل الكتاب من الذكر
 بسبع الحواميم الكريم محلها فما هي الا كالعرائس في الخدر
 وبالسورة المذكور فيها مجد وانا فتحناسورة الفتح والنصر
 وبالحجرات ثم ق وطورها وبالذاريات الذر حاملة الوقر
 وبالنجم والرحمن نسأل راغبا وباقتربت ادعوك يا كاشف الضر
 اذا وقعت يشفى بها كل مؤمن ويشفى بآيات الحديد وبالحشر
 بسورة ذات الامتحان وفضلها بقدم سمع اللهم فاعظم بها اجرى
 بسورة ذكر الصف والحرب واللقاء بينناك المخصوص في السر والجهر
 بسورة يوم الجمعة الازهر التي يحرم فيها الشغل بالبيع والتجر
 بسورة اصحاب النفاق وفضلها اعوذ نفسي من نفاق ومن غدر
 بسورة يوم الجمع يوم تعابن به يعلم الخير الخسيس من الشر
 بفاتحة التحريم يا ايها النبي فيارب اطلق اخا الأسر
 سألتك يا ذا الملك بالملك سائلا بنون بما يتلوه من نفخة الحشر
 بنوح بقل اوحي الى سال سائل ثم القيامة والدهر
 يا ايها المدثر انهض مبلفا فانك مبعوث نذير من النذر

وفي نبأ والمرسلات قوارع
وفي عبس الوعظ البليغ لوانه
وبانفطرت ادعوك بالشمس كورت
بسورة قوم بالمكايل طففوا
سألتك ربي بالبروج وطارق
قصدتك بالاعلى وبالبلد الذي
بغاشية بالشمس بالليل بالضحي
وبالتين والزيتون نسأل راغباً
بلم يكن القصوى بسورة زلزلة
بسورة اهل الفيل والهمز قبلها
بسورة ايلاف بسورة كوث
بسورة ذكر الكافرين بفضل قل
وبالعلق العظمى وبالناس بعدها
له الحمد في الاولى له الحمد في الاخرى
له الملكوت الله جل جلاله
بمن لم يزل فوق الخلائق واحداً
بمن يكشف الشكوى بمن يصرف البؤى
بمن قال يا موسى انا الله فاستمع
وخذ هذه اللواح اخذ بقوة
برحمتك اللهم وهي محيطة
باسمائك اللهم وهي كريمة
تفضل على المرضى من امة احمد
انا ناوذكرانا كهولاً وشباناً
وفرج به من كل ذاء وعلة

وسورة ذكر النازعات من الذكر
يصادف قلب المرء اقصى من الحجر (١)
وبالسماء انشقت وادعوك بالفجر
فكألوا عباد الله بالبخس والخسر
يحط بها وزرى ويشدد بها ازرى
بها اقسام الرحمن في محكم الذكر
بما في الم نشرح من الشرح للصدر
(اليك) وباقرأ باسم ربك والقدر
بالها كم والعاديات وبالعصر
بقارعة والناس سكرى من الذعر
وتبت وبالماعون بالفتح والمصر
هو الله ربي خالق الخلق والامر
تحفظهما أمن من البأس والضر
له الحمد اعلانا له الحمد في السر
يقرون بالتوحيد للواحد الوتر
بمن اتقن الاشياء في حكمة تجري
بمن يعلم النجوى ويعفو عن الوزر
مطيعاً لما يوحى ولا تعص في امرى
ولاتسه يا موسى بن عمران عن ذكرى
بمالك ياربى من العفو والغفر
تنجى بها داعيك في البر والبحر
بكشفك عنهم ما شكوه من الضر
فطيار ضيعا في الذراع وفي الحجر
ومن كل ما يشكوه يا كاشف الضر

من العلل التي خلقت لجسومهم (١) كمثل اتجاع العين والسن والظهر
ومن حمة او حمرة او شقيقة ومن وجع في الرأس والجنب والصدر
ومن شر عين الحاسدين وبأسهم ومن شر ابليس اللعين انى الشر
ومن شر ما يؤذى ومن شر حاسد ومن شر سواس يوسوس في الصدر
ومن نظرة المعيان في المال كله ومن نظرة المعيان بالله فاذهبي
ولا تقربى من علق الحرز حوله وقد جاء ان العين حق عن النبي
فيارب نخ العين عمن شكابها ومن يشتكى في جسمه بتهـ وجمع
وانت الذي اجبت ايوب اذ دعا ففرجت عنه الضر منك تفضلا
فان كان باطل الصغير قرية فاني بما قسمت من قسم الرضا
وان عسرت عن الولادة حامل وخفف بهذا الحرز عن كل مثقل
وان كان مصروعا من الجن يشتكى فأنقذه يا ذا الطول من شر صرهم
وان كان سلطان يخاف وعيده فاني باسم الله حصنت حاملا
وان كان هذا الحرز عد مسافر فلا يخل من حرز الصيانة رحله
وان كان هذا الحرز في رحل تاجر بفضل ودرزق منك لا بمشقة
كمثل اتجاع العين والسن والظهر ومن وجع في الرأس والجنب والصدر
ومن شر ابليس اللعين انى الشر ومن شر سواس يوسوس في الصدر
ومن الكسب والانعام من كل ما يجري بحق الذي نتلوه من طيب الذكر
باسماء ربي في الحديد وفي الحشر وكم صار من انسان بالعين في القبر
بحق الذي يتلى من السور الغر فانت الذي تبلى وانت الذي تبرى
فقال الهى مسنى الم الضر فاصبح ايوب النبي بلا ضر
تحاطه في الندى والمهد والحجر نعوذ بربي من قرين ومن غدر
فيارب يسر بعد عسر الى يسر من الحاملات والوالدات على طهر
عليه وقوع الصرع في منتهى الشهر بحق النبي المصطفى خاتم النذر
له صولة في النهى منه وفي الامر كتابي هذا من عدو ومن قهر
له سفر في البر أو لجة البحر من السارق الغازي وفي ليله يسرى
فبارك له فيما يحاول من تجر فانك ذو الفضل العظيم لمن يدرى

بكرسيه بالعرش بالنور بالبهاء وباللوح والاقلام تجري بما تجري
 بآياته الحسنى بمكنون سره بطه ييس المعظمة الذكر
 بما جاء فى القرآن من كل آية الى المصطفى المبعوث بالفتح والنصر
 تنجى بها داعيك من كل آفة ومن كل ما يعد وعلى العبد والحر
 ومن الم الحمى والبرد بعدا يغطى بما يغطى فيؤلم بالضر
 فيا حامل الحرز المبارك والدعا نجوت بحمد الله من جملة الشر
 فسنه بما صان النبي محمدا وايداه بالنصر فى منتهى بدد
 اجنبا بما ندعوك ما قد وعدتنا بكشفك بلوائى لهيف ومضطر
 وصل على جبريل فى كل مرة وصل على كل الملائكة الطهر
 وصلى على المختار ماذر شارق ومالاح نجم فى السماء لمن يدري
 وهاها انتهت قصيدة حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام وعدد ابائها مائة
 وخمسة واربعون بيتا -

واعلم ان الدعوات المنقولة بين الناس اكثر من ان تحصى لكن لم يعرف لنا
 صحة اسنادها وصدق روايتها - ولنذكر نبذا مما غلب على طنى صدقه تميمما
 للفايدة واتما ما للارام وان ادى ذلك الى التطويل فى الكلام والله الموفق -

ومن ذلك دعاء الخضر عليه السلام ذكره العلامة فى تفسيره قال روى عن ابن
 المهاجر قال قدم الخليفة المنصور مكة فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى
 آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء
 المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حتى اسبح
 فيبنا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور ابغى
 والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور
 فى مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج بخلص ناحية من المسجد فارسل اليه
 فدعاه فاتاه الرسول فقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل
 مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور ابغى

والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني فنصح للنصور ووعظ وذكر بما يطول شرحها حتى بكى المصور بكاء شديدا ونحب وارفع صوته ثم قال ياليتني لم اخلق ولم اك شيئا وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسى عليك بالرجل ان لم تأتني به لأضربن عنقك واغناظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسى فطلب الرجل فبينما هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلى في بعض الشعاب فقعده حتى صلى ثم قال ياذا الرجل اما تتقى الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي الى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا يقتلك قال وكيف؟ قال تحسن تقرأ قال لا فخرج من مزود كان معه رفاقه مكتوب شيئا قال خذ فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال ثنا دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الى فان رأيت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به صباحا ومساء عدمت ذنوبه ودام سروره ومحبت خطايه واستجيب دعاؤه وبسط في رزقه واعطى امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول اللهم لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلا نية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك واجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي اطمعني ان اسألك ما لا استحقه بما قصرت فيه ادعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك لمحسن الى واني لمسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الى واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فجد بفضلك واحسانك على انك انت التواب الرحيم - قال فاخذته فصيرته في جيبى ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين فسلمت عليه فرفع رأسه وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر - قلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امرى

مع الشيخ ثم اخذ الرق وامر بنسخه واعطاني عشرة آلاف درهم وقال نجوت
ثم قال أنعرفه؟ قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام -

ومن الادعية الصحيحة الاسناد الى جعفر الصادق دعاء مسمى بدعاء الجيب -
روى ابن فخر الدين الرومي جمعه في عمل الليل والنهار عن العلائي ذكره في
كتاب العدة عند الكرب والشدة عن ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج بعد
الشدة عن الفضل بن الربيع قال حج الخليفة المنصور سنة سبع واربعين ومائة
فلما قدم المدينة قال لي ابعث الى جعفر بن محمد يعني الصادق رضي الله عنهما
وقال قتلتني الله ان لم اقتله فامسكت عنه رجاء ان ينساه فاغلظ في الثانية
فقلت هو باباب فقال ائذن له فخرجت اليه فلما دنونا من الباب قام فحرك
شفتيه فدخل فلم فقال لاسلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني وتبغيني
التوائل في ملكي قتلتني الله ان لم اقتلك - فقال له يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى
فشكروا ن داود (١) ابتلى فصبر ويوسف طم فغفر فنكس طويلا ثم رفع رأسه باللفظ
وقال الى وعندى يا ابا عبدالله البري الساحة السليم الناحية القليلة الغائلة جزاك الله
من رحم خيرا افتناول يده فأجلسه على مفرشه فدعا بالغالية فطيبه بيده بحيث يقطر
ثم قال له في حفظ وكلاءة ياربيع الحق ابا عبدالله جائزته وكسوته فانصرف
فلحقته بالجواثر السنية فقلت له إني رأيت قبلك ما لم تر ورأيت بعدك ما قد
رأيت ورأيتك تحرك شفتيك فما الذي قلت قال انك رجل من اهل البيت ولك
محبة وود وهو دعاء احفظه من آباءي عليهم السلام واسمه دعاء الجيب وينبغي
لمن يتوقع بلية او خوفا ان لا يخلو جيبه عنه وهو، اللهم احسنى بعينك التي لا تنام
واكفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك على انت ثقتي ودجائي رب كم
نعمة انعمت بها على قل لك عندها شكرى وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها
صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويامن قل عند بلائه صبرى فلم
يخذلنى ويامن رآنى على الخطايا فلم يفضحنى يا ذا المعروف الذى لا ينقضى ابدا ويا ذا
النعم التي لا تحصى عددا، أسألك ان تصلى على محمد وآله كما صليت على ابراهيم انك

حميد مجيد اللهم انه عبد من عبادك القيت عليه سلطانا من سلطانك فخذ سمعه
وبصره وقلبه الى ما فيه صلاح امرى وبك ادرأى نحره واعوذ بك من شره
اللهم اعنى بدنى على دنياى وسلى آخرتى بالتقوى واحفظى فيما غبت عنه ولا تنكلى
الى نفسى فيما حضرته يامن لا يضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك
وأعطنى ما لا ينقصك انك انت الوهاب يا الهى أسألك فرجا قريبا ورزقا واسعا
وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية ودوام العافية وأسألك
الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم برحمتك يا ارحم الراحمين،
قال الربيع فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال موسى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال
ابن يحيى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال محمد بن هارون فكتبته عنه فها هو فى جيبى
وقال القطان فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال أبو الحسين العاقولى فكتبته عنه
فها هو فى جيبى وقال الشاشى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال جعفر الهمذاني فكتبته
عنه فها هو فى جيبى قال أبو الحسين العراقى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال شيخ
والدى واستاذہ الشيخ محمد الفيروزابادى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال
شيخى واستاذى ووالدى أبو البركات الشيخ فخر الدين الرومى فكتبته عنه
فها هو فى جيبى قلت وانا الفقير الحقير تراب قدم الفقراء فكتبته عنه رضوان الله
عليهم اجمعين وقد رأيت له اثرا ظاهرا وانتفعت به عدة فعليك ان تنخرط فى
هذا السلك بشرط الاعتقاد الصحيح الجازم انتهى - واعلم يا نى لولا خوف
الاطناب لمألت الكتاب من هذا الباب لكنه يكفيك هذا القدر الآن والله
المستعان فى كل حين وأوان -

المطلب التاسع

فى فضيلة الدعاء وآدابه

قال الله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجبوا الى وليؤمنوا بى) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقال
تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) وقال صلى الله عليه وسلم ان الدعاء

هو العبادة ثم قرأ (ادعوني استجب لكم) وقال، الدعاء مخ العبادة ، وقال ليس شئ اكرم على الله من الدعاء وقال ، ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له ، وقال، سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج -

اما آداب الدعاء فهي عشرة

الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل -
الثاني، ان يغتنم الاحوال الشريفة كزحف الصفوف في سبيل الله اذ عنده تفتح ابواب السماء وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة واعقاب الصلوات المفروضة وبين الاذان والاقامة وحالة الصوم وحالة الدجود والحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات اذ وقت السحر وقت صفاء القلب ويوم الجمعة ويوم عرفة وقت اجتماع المهمم وتعاون القلوب على استدرا رحمة الله تعالى -
الثالث، ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطنه ويمسح بهما وجهه في آخر الدعاء وينبني ان يضم كفيه ويحمل بطونهما على وجهه وينبني ان لا يرفع بصره الى السماء - قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء ولتخطفن ابصارهم (١) -

الرابع، خفض الصوت بين المخافة والجهركذا ورد الاثر عن عائشة رضى الله عنها قالت، في قوله تعالى (ولا تجهر بصوتك ولا تحافت بها) اى بدعائك -

الخامس، ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان السجع تكلف ولا ياسب ذلك في محل التضرع - وقيل معنى قوله تعالى (انه لا يحب المتدين) التكلف للابحاج -
والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة لانه اذا جاوزها ربما اعتدى في دعائه فيسأل الله بما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء - ويقال ان العلماء

(١) كذا والحديث في صحيح مسلم بلفظ - ينتهن اقوام عن رفعهم ابصارهم عند الدعاء في الصلاة الى السماء الخ -

والاببدال لايزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد بذلك آخر سورة البقرة فان الله عزوجل لم يخبر في موضع من ادعية عباده باكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل - واعلم ان المنهى عنه هو التكلف للسجع - واما اذا كان غير متكلف وصدر عن طبع فلا نهى عن ذلك - ووقع عن النبي صلى الله عليه وسلم أسألك الا من يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود لك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد - وبالجملة اصل الدعاء الضراعة والابتهاال - فينبغى ان يتحفظ عما ينافيه من الكلفة من السجع وغيره وان لم يخل بها فلا بأس -

السادس، التضرع والخشوع والرغبة والرهبة كما هو شأن الدعاء -

السابع، ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت فانه لا مكره له - وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء - وقال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عزوجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل - الثامن، ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا وينبغى ان لا يستبطنى الاجابة فيقول قد دعوت فلم يستجب لى بل يقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات اذا تعرف الاجابة ومن ابطأ عنه الاجابة يقول الحمد لله على كل حال -

التاسع يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ولا يبدأ بالسؤال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب - وقال ابو سليمان الداراني من اراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحتم بالصلاة عليه فان الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما - كذا

* * * * *

العاشر - وهو الادب الباطن والاصل في الاجابة ان يتوب عن الذنوب ويرد المظالم ويقبل على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة

المطلب العاشر

في فائدة الدعاء مع انه لا مرد للقضاء

واعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج الثبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيمتد افعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعاضدان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل ان لا يحمل السلاح وان لا تسقى الارض بعد القاء البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل الله تعالى ربط الاسباب بالمسببات ويقال له القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذى قدراخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدره بسبب وقدر لدفعه سببا ايضا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته على ان في الدعاء في نفسه فائدة العبادة وثواب الذكر والخير العاجل ولا يخلو اصلا عن طائل والله المجيب وانا السائل اسأل منه الاقتفاء بأعظم الوسائل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وعلى آله واصحابه وذريته واحبابه -

الاصل العاشر

في تقسيم الاوراد ونفيلتها واحكامها

واعلم ان السالك لطريق الآخرة اما عابد او عالم او متعلم او دال او محترف او واحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ففيه مطالب -

المطلب الاول

في ترتيب اوراد العابد المتجرد لعبادة الله عز وجل فلنذكر اولاً فضيلة الاوراد قال الله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلاً - وسبحه ليلاً طويلاً) وقال تعالى (وسبح

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال تعالى (اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات) الى غير ذلك من الآيات واعلم ان في النهار سبعة اورداد ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد، ومنه الى الزوال وردان، ومنه الى العصر وردان، ومنه الى المغرب وردان - وفي الليل اربعة اورداد، من المغرب الى نوم الناس وردان وفي النصف الاخير الى الفجر وردان، ثم ورد خامس وهو ورد النوم -

والاول ورد الصبح وفضله كثير في الآيات منه قوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) وقوله (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) فاذا انتبه من النوم يدعو بدعاء الاستيقاظ وقد مر وبأس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته، امثالاً لامر الله تعالى واستعانة على عبادته (١) من غير قصد رثاء ورعونة ثم يباشر الطهارة على ما مر ثم يستاك ويتوضأ على ما مر ثم يصلي ركعتي الفجر في منزله ثم يدعو بدعاء ابن عباس اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قاي الى آخر الدعاء وقد مر ذكره ثم يخرج ويدعو بدعاء الخروج ويمشي بالسكينة والوقار ويدخل المسجد ويدعو بدعاء الدخول ثم يطالب النصف الاول ان وجد فرجة ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلها في البيت ويدعوا بما يدعى بعدها وقد سبق وان كان صلاهما صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة فانه بمنزلة غزوة في سبيل الله كذا ورد في الآثار والاحب التغليس عند الشافعية وعند الحنفية الاسفار - وينبغي ان لا يترك الجماعة لأنها فرض كفاية عند الشافعية وسنة مؤكدة عندنا ثم يشتغل بعد ركعتي الفجر بالدعاء بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مع آدابها الظاهرة والباطنة ثم يقعد في مصلاه الى طلوع الشمس ويستغل عند ذلك بأربعة انواع - احدها الدعاء ويقول اولا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام واليك يعود السلام حيناً ربنا بالسلام وادخلنا دار

سلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يقول سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب
 ؟اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده
 الخير وهو على كل شىء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا اله
 الا الله لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون - ثم يبتدئ ويدعو
 لا دعية المذكورة كلا او بعضا بقدر طاقته وما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف
 بلى لسانه -

انيها - الاذكار المكررة ثلاثا اوسبعا واكثرها مائة اوسبعين واوسطها عشر
 يكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر الا ان القليل مع المداومة
 نضل واشد تأثيرا فى انقلاب من غير مداومة وتلك الاذكار عشر -

لاولى - لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى
 يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير، الثانية - سبحان الله والحمد لله ولا اله
 الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم، الثالثة - سبحان قدوس
 ب الملائكة والروح، الرابعة - سبحان الله العظيم وبحمده -

الخامسة - استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة -

سادسة - اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند -
 سابعة - لا اله الا الله الملك الحق المبين، الثامنة - بسم الله الذى لا يضر مع اسمه
 شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم -

تاسعة - اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد -
 ماثرة - اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم انى اعوذ بك من
 نزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون - فهذه عشر كلمات اذا كرر
 كل واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكر
 احدة مائة لأن لكل واحدة منها فضلا على حيا لها وللقلب لكل منها نوع تلذذ
 استراحة وامن من الملل -

لها - القراءة فالأفضل ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من

قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين - ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها - ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - الى آخرها والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ونحو آيات من اول الحديد وثلاث آيات من آخر سورة الحشر - وان اراد أن يستكمل الفضل فليقرأ المسببات العشر وهى سورة الحمد والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات - ويقول سبعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا ويستغفر للأئمة من المؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولو لديك سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات رواها كرز بن وبرة عن ابراهيم التيمى انه اهداها اليه الخضر عليه السلام - وقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم - وقال اذا لقيتَه فسل عن ثوابه فذكر ابراهيم التيمى انه رأى ذات ليلة فى منامه كأن الملائكة جاءت فاحتماته حتى ادخلته الجنة فرأى فى الجنة امورا عظيمة فقال للملائكة لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها - قال واتانى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرنى انه سمع هذا الحديث منك، فقال صلى الله عليه وسلم صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى فى الارض فقلت يا رسول الله من فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى فقال والذى بعثنى بالحق انه ليعطى بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر (له) جميع الكبائر ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذى بعثنى بالحق ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا - وكان ابراهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب ولعله كان بعد هذه الرؤيا -

واعلم انه ان اضاف الى ذلك ما انتهى اليه ورده من القرآن كان احسن وافضل -
 ورابعها الافكار وذلك اما في المعاملات بأن يحاسب نفسه بأن يتفكر في تقصيره
 وفي دفع الصوارف والموافق عن الخير وطريق الاخلاص في النيات ، واما في
 المكاشفات بأن يتفكر في جلال الله تعالى ونقمة فيزداد خوفا وفي جماله ونعمته
 ويزداد شكرا والفكر اشرف العبادات لأن فيه الذكر ومادة المعرفة اذ الفكر
 مفتاح المعارف ويحصل من المعرفة التعظيم ومنه المحبة - وايضا الذكر وان
 اورث الانس الذي هو نوع من المحبة (فالمحبة) الحاصلة من الفكر اقوى واثبت
 واعظم أولا يرى ان العشق لمن يشاهد جماله بالعين اقوى من العشق لمن كرر على
 السمع وصفه اذ ليس الخبر كالعيان -

قال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى به سأل المعاينة الحكيم

ولهذا صار يقين العارفين الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة
 التي هي اقوى من البصر الظاهر اجل واعظم من يقين العباد المواطيين على ذكر
 الله بالقلب واللسان اذ ليس معهم من محاسن الصفات الا اموار جيلة (١) لا تنفي
 الغليل ولا تسقي الغليل الا الاقل من القليل الذين قنعوا من اليقين بالدليل -
 الورود الثاني وهو الذي من طلوع الشمس الى صحوة النهار وهي منتصف ما بين
 الطلوع الى الزوال وذلك اثنى ثلاث ساعات من نهار يكون اثنى عشرة ساعة
 اذهب ربع النهار وفي هذا الربع وطيفتان -

احداها صلاة الضحى وهي نوعان احدهما وقت اشراق الشمس وهو وقت ظهور
 نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات الارضية المانعة عن اشراق نورها وهذا
 ركعتان وقد مر ذكرهما ويسميان صلاة الاشراق - وثانيها وقت اشتداد
 حر الشمس اذا رمضت الفصال وهو الضحى الا على فيصلى عند ذلك اربعا او ستا
 او ثمانيا ويسمى ذلك صلاة الاوابين - نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا ان صلاة الاوابين اذا رمضت

الفصل - ولذلك يقال اذا اقتصر على واحد من النوعين فهذا الوقت افضل -
 وثانيهما - الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرة من عيادة مريض
 او تشييع جنازة ومعاونة على برو تقوى وحضور مجلس - لم وقضاء حاجة لمسلم
 ونحو ذلك - فان لم يوجد شيء من امثال هذه عاد الى الوطائف الاربعة التي
 قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلاة تطوعا اذ حينئذ تحل الصلاة -
 الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال فالصلاة في كل ساعة مستحبة
 او مفروضة من الصبح الى الضحوة ثلاثا ومنها الى الزوال ثلاثا وكذا منه الى
 العصر ومن العصر الى المغرب فالضحى نظير العصر الا انه لم يفترض لانه وقت
 اشغال الناس ومعاشهم ف يخفف عنهم فوطيفة الوقت المذكور الاقسام الاربعة
 ويزيد امرين احدهما الاشتغال بالكسب وتدير المعاش فان كان تاجر يحضر السوق
 وسدكر شرائطه ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه - وثانيهما القيولة
 وهي سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار
 فان كان لا يقوم بالليل لكن كان بحيث لو لم يتم لاشتغل بالتحدث مع الناس
 فالنوم احب اليه وكذا لو كان بحيث لا يشط بدون النوم للاذكار والوطائف
 المذكورة فنومه على النيتين المذكورتين يصير قربة ولكن ينبغي ان يتببه قبل
 الزوال بقدر الاستعداد للصلاة وحضور المسجد قبل وقت الصلاة وان لم يتم
 ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت
 غفلة الناس واشتغالهم بهموم الدنيا فالخدمة عند اعراض العبيد عن باب مولا هم
 جدير بان يزيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ولهذا المعنى صار احياء الليل قربة
 وفضلا -

الورد الرابع - ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبه وهو اقصر اوراد
 النهار وافضلها فاذا حضر المسجد قبل الزوال فليصبر الى فراغ المؤذن عن جواب
 اذانه ثم ليقيم الى احياء ما بين الاذان والاقامة وهذا هو المراد بقوله تعالى (وحين
 تظهرون) وليصل اربع ركعات لا يفصل بينها بتسليم ويطوّلها اذ فيها تفتح ابواب

السَّاءَ وليقرأ فيها سورة البقرة اوسورتين من المثني اواربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء - واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة ثم يصلي بعده ركعتين ثم اربعا يقرأ فيها آية الكرسي وآخر للبقرة والآيات التي اوردناها في الورد الاول -

الورد الخامس - ما بعد ذلك الى العصر فيه تكف ما بينهما في المسجد مشتتلا بالذكر والصلاة وفنون الخير وكان ذلك سنة السلف لأنه وقت غفلة الناس لكن ان كان البيت اسلم لدينه واجمع لهما فهو افضل - وفي هذا الوقت يكره النوم اذ يكره نومتان بالنهار وهذا الوقت هو المراد بالأصال في قوله تعالى (والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وطلا لهم بالغد والاصال) واعلم ان اعتدال النوم ثمانى ساعات بالليل والنهار اللذين هما جميعا اربع وعشرون ساعة وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار ولا يزيد عليه فحسب ابن آدم ان عاش ستين ان ينقص من عمره عشرين سنة وهو ثلث عمره ولكن لا ينقص منه لثلاثيحتل البدن فيضيع طاعته وكماله الا ان يتعود السهر بالتدريج ويتمرن عليه من غير اضطراب - وقد شاهدنا ذلك في بعض العباد مع قوة ابدانهم في العبادات -

الورد السادس - بعد دخول وقت العصر وليس في ذلك صلاة غير اربع ركعات بين الاذان والاقامة ثم يصلي العصر ثم يشتغل بالوظائف الاربع المذكورة وان اشتغل بالتلاوة وبتدبر كان افضل -

الورد السابع - وقت اصفرار الشمس وهو المراد بقوله (فسبحان الله حين تمسون) فيستحب فيه الدعاء والتسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكر في الورد الاول مثل ان يقول أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، ويستغفر ويقول (واستغفروا ربكم انه كان غفارا) (واستغفره انه كان توابا) رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين - فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين الراحمين - ويستحب ان يقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها والليل اذا ينشئ والمعوذتين ولتغرب الشمس وهو في الاستغفار كما قال تعالى (واستغفر لذنوبك

لذنبك - وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال
إليك وادبار نهارك - الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ثم يشتغل بصلاة المغرب وبذلك
انقضت مرحلة من عمره - فحينئذ يحاسب نفسه هل كان شرا من امسه فكان
من الملعونين فعند ذلك فليعزم على تلافي ما سبق من تفریطه فان الحسنات يذهبن
السّيات والليل خلفه النهار فيداوى تفریطه بالليل اوساواه فكان من المغبونين لأن
من استوى يومه فهو مغبون - قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بورك لى فى يوم
لا ازداد فيه خيرا فان رأى زيادة فى خيره فليحمد الله عز وجل وليشكره على
توفيقه وتسديده اياه لطريقه وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له غروب ولا طلوع
بعده فيغلق باب التدارك فيبادر الى الخيرات قبل فواتها -

بيان اوراد الليل وهى خمسة -

الاول الاشتغال باحياء ما بين العشائين الى غيبوبة الشفق وهى المراد فى قوله
تعالى (ان ناشئة الليل) وليحذر عن النوم فى ذلك الوقت ويصلى بعد المغرب
ركعتين يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد من غير تخلل كلام وشغل
عقيب صلاة المغرب ثم يصلى اربعا يطيلهن ثم يصلى ما تيسر له الى غيبوبة الشفق
فان كان منزله قريبا من المسجد فلا بأس ان يصلى هاتين الصلاتين فى بيته اذا لم يكن
قصد العكوف فى انتظار الغتمة - وان قصد ذلك فهو افضل ان لم يدخله التصنع
والرثاء والسمعة -

الورد الثانى من وقت العشاء الى حدنوم الناس وهو جماعة او ثلاثة - الاول
ان يصلى بين الاذان والاقامة اربع ركعات ويصلى بعد الفرض ركعتين ثم اربعا
ويقرأ فيها آخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها - الثانى ان يصلى
ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر - والحزم تقديمه على النوم اذ ربما لا يستيقظ
ويثقل عليه القيام الا ان يعتاد ذلك فالتأخير افضل وليقرأ فى هذه الصلاة قدر
ثلاثمائة من السور التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل
سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمزم والواقعة فان

لم يصل فلا بدع قراءة هذه السورة بعضها قبل النوم - روى ان ما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل - وفي رواية كان يقرأ المسبحات كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية - وبعض العلماء يزيدون سبح اسم ربك الاعلى لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب هذه السورة وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات - الثالث الوتر قبل النوم والتأخير افضل لمن وثق بالانتباه ويقول بعد السلام من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جلمات السموات والارضين بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت - الورد الثالث النوم وانه من العبادة ان روعيت آدابه - وورد في الحديث اذا نام العبد على طهارة وذكر الله عز وجل يكتب له صلياً حتى يستيقظ ويدخل في شعارة ملك فان تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دغاله الملك واستغفره - وفي الخبر اذا نام العبد على طهارة رفعت روحه الى العرش - هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب المكاشفين بالاسرار في النوم - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح - وآدابه عشرة الاول الطهارة والسواك اذ بذلك عرج بروحه الى السماء فتصدق رؤياه والافتصير اضغاث احلام كذا ورد في الخبر الا ان المراد طهارة الظاهر والباطن جميعاً لانها هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيوب - الثانية ان يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة وكلما انتبه استاك كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وان لم يتيسر له الطهارة يتيمم فان لم يجد فليقعد مستقبل القبلة ويشغل بالذكر والدعاء والتفكير فذلك يقوم مقام قيام الليل - الثالث ان لا يبيت الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأت من القبض في النوم - يقال من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيامة يتزاورون الاموات ويتحدثون فهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية - وذلك مستحب خوفاً من العقاب

وموت الفجاءة تخفيف الالمن ليس مستعدا للوت بكونه مثقل الظهر بالمظالم
الرابع ان ينام تأثبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لايحدث نفسه بظلم
احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ - الخامس ان لا يتنعم بالفرش الناعمة بل
يترك ذلك او يقتصد فيه - وكان بعضهم يكرهون الفراش المهيأ للنوم وكان اهل
الصفة لا يتركون بينهم وبين التراب حاجرا ويقولون منها خلقنا واليهما نرد وكانوا
يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم الا ان ذلك في البلاد الباردة
يضر بالمزاج - فالاعتصاف فيها ان (لا) يعين للنوم فراشا بل ينام على ما يقعد عليه في انهار
اي شيء كان - السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه - وقد
كان السلف نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة الا ان يقصده الاستعانة
على قيام الليل وان غلبه النوم عن الصلاة او الذكر وصار لا يدرى ما يقول فليمن حتى
يدري ما يقول - قال صلى الله عليه وسلم لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده
(يغلبه) لاتبغض اليك عبادة الله عز وجل - السابع ان ينام مستقبل القبلة اما كهيئة
المحتضر بان يستلقى على قفاه ورجلاه الى القبلة او كهيئة المقبور بان ينام على جنب
ووجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الايمن - الثامن الدعاء عند النوم وقد مر
ذلك ويستحب ان يقرأ آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها (والهمك الله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم) الى قوله لا آيات لقوم يعقلون - يقال ان من قرأ هذا عند
النوم حفظ عليه القرآن لم يمسه - ويقرأ من سورة الاعراف (اذ ربكم الله الذي
خافى السموات والارض في ستة ايام) وآخر نبى اسرائيل (قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن) الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرأ المعوذتين
ويبث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وذلك مروى من فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من
آخرها وهذه الآي لاستيقاظ قيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما ارى
رجلا مستكلا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا
وعشرين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات

الاربع مائة مرة - التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم اخو الموت والتيقظ نوع
بعث ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة فلا بد للنائم
وان يفتش عن قلبه عند النوم انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى
وحب لقائه اوحب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على
ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب - انما سر الدعاء عند التنبيه بما
سبق ويقول مهما تنبه من النوم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات
والارض وما بينهما العزيز الغفار - وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند
النوم واول ما يجرى على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فان علامة الحب ذلك
وليحرب قلبه بذلك فانها علامة تكشف عن باطن القلب -

الورد الرابع يقوم في السدس الاخير من الليل الى التهجد وهو اسم لما بعد الهجود
والهجوم وهو النوم اذ حينئذ يهتز العرش وتتشر رياح الجنة العدن وينزل
الجبار سبحانه الى سماء الدنيا كما ورد في الخبر فبعد ما فرغ من دعاء الانبياه يتوضأ
ثم يستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
ثم يسبح عشرا ويمجد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذوالملك والملكوت
والجبروت والكبرياء والمظمة والجلال والقدرة ثم يقول هذه الكلمات فانها
ماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور
السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات والارض ولك الحمد انت
بهاء السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن
عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق
ومجد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك
خاصمت واياك حاكت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت
خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لأحسن الاعمال لا يهدي
لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها عني الا انت اسألك مسألة

البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن
 بي رؤفا رحيم يا خير المسئولين واكرم المعطين - قالت عائشة رضی الله عنها
 كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب
 جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
 انت تحكم بين عبادك فيها كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
 انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم - ثم يفتتح الصلاة ويصلي خفيفتين (١)
 ثم يصلي مثنى ما يسر له ويختم بالوتر إن لم يكن صلاة - ويستحب ان يفصل بين
 الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة يستريح ويزيد في نشاطه للصلاة وقد صح في
 صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين
 طويلتين ثم ركعتين دون اللاتي قبلهما هكذا الى ثلاث عشرة ركعة بالتدريج
 وسئلت عائشة رضی الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخبر) في قيام
 الليل ام يسرقا قالت ربما امر وربما جهر - وقال صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب
 اوترت صلاة النهار فاوتر صلاة الليل -

الورد الخامس - الندس الاخير من الليل وهو وقت السحر فيصل ركعتي الفجر ثم
 يقول (شهد الله انه لا اله الا هو واللائكة واولو العلم) الآية ثم يقول وانا اشهد
 بما شهد الله به نفسه وشهدت ملائكته واولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه
 الشهادة وهي لي وديعة عنده وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني
 بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها على وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير
 مبدل تبديلا -

فهذا ترتيب الاوراد للعباد ومع ذلك فقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في
 كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت حتى الغيبة والبصلة وكسرة
 خبز وعيادة مريض وشهادة جنازة اذ قد ورد في فضل كل منها الاحاديث
 والاخبار والآثار - واعلم ان الاولى من بين الاوراد قراءة القرآن في الصلاة
 قائما مع التدبر لأنه يجمع جميع انواع الازكار لكن ربما تعسر المواظبة عليها فيجوز

للعابد الانتقال من نوع الى نوع لا يلحقه فيه الملل اذ الغرض تحصيل صفاء الباطن والتحقيق ان احوال الاشخاص متفاوتة فمن واحد يرى الصفاء في نوع ومن آخر في غيره فعليه ان يلزم ما وجد عنده في قلبه فتحا و صفاء وتوزيع الاوراد انما هو لأجل دفع الملل وتجربة لما له فيه الصفاء فاذا اصابه فليواطب عليه وذلك يختلف باختلاف الطبائع وتتفاوت الاحوال وكان في الصحابة من ورده في اليوم واللييلة اثنتي عشر الف تسبيحة وفيهم من ورده ثلاثون الف وفيهم من يصلي ثلاثمائة ركعة الى ستمائة ركعة والى الف ركعة ولم يكن اقل من مائة ركعة وكان فيهم من يحتم في اليوم مرة ومرتين ومنهم من ورده آية واحدة يرددها بالتفكر الى غير ذلك

المطلب الثاني

العالم الذي ينفع بعلمه بفتوى او تدريس او تصنيف فترتيب اوراده يخالف ترتيب اوراد العابد لأن العلم افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وفيه منفعة الخلق وهذا يتم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يصلح بها المتعلم عبادة عمره وانما المراد بالعلم العلم المذكور للآخرة لا العلم الذي يتوسل به الى المال والجاه وقبول الخلق فينبغي للعالم ان يوزع اوقاته ولا يلحقه الكلال فيخصص ما بين الفجر الى طلوع الشمس ومنه الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر وحل مشكلات العلوم الدينية - فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهجوم الدنيا اكثر واوفر - ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت (١) او طهارة او مكتوبة او قبولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول عمل اللسان والثاني عمل القلب والثالث عمل العين واليد والرابع عمل السمع لترويح به العين واليد اذ المطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضر الى البصر وعند الاصفرار يعود الى عمل اللسان - هذا تقسيم النهار -

واما تقسيم الليل فالاولى فيه تقسيم الشافعى حيث جعل الثالث الاول للطباعة وتربية العلم والثانى للصلاة والثالث للنوم الا ان ذلك ربما لا يتيسر فى ليالى الصيف الا اذا كثر النوم بالنهار والا فليجعل الطباعة والصلاة اقل من الثالث وايضم ما فضل منها الى النوم اذ البدن اذا ضعف يفوت الكمال الكثير - اللهم الا ان يعتاد ذلك بالتدريج وقد شا هدنا من يفعل ذلك -

المطلب الثالث

فى المتعلم والتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكه حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة ، والتعاقب او النسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف -

المطلب الرابع

فى المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يستغرق الاوقات فى العبادات لئلا يضيع له العيال بل ورده فى وقت الصداقة حضور السوق والاشتغال بالكسب لكن ينبغي ان لا ينسى الله عز وجل فى صناعته فهو اطب على ما يمكن جمعه مع العمل فاذا فرغ من كفايته يعود الى اوراده -

المطلب الخامس

فى الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى لأمر من امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فخفه ان يشتغل باوراماس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه اذ قال مالى وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت امر المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت نفسى فظهر بما ذكر أن العلم والرفق بالمسلمين مقدمان على كثير من العبادات لتعدى نفعها الى العامة -

المطلب السادس

الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى اصبح ربه هم واحد فلا يحب الا الله

عز وجل ولا يخاف ولا يرجو الا منه - فمن ترقى رتبته الى هذا الحد (لا) يحتاج الى ترتيب الاوراد وتوزيعها لأن قلبه مع الله في كل وقت فلا يحرك له ولا مسكن الا الله تعالى ولا تتميز عنده عبادة عن عبادة وهو الذي يستغنى عن تعليم المعلمين فذلك خارج عن خطابنا في هذا الباب الا انه ينبغي للريد أن (لا) يدعى لنفسه تلك المرتبة ويتكاسل عن وظائف العبادات وان احاط به حسن الظن بنفسه وألقاه في العجب فعليه ان يتذكر حاله بما سذكروه ان شاء الله تعالى -

خاتمة في قيام الليل وهو صنفان اما قبل النوم او بعده

الصنف الاول يسمى صلاة الاوابين وهي ركعتان من واطب عليهما بنى الله له قصرين في الجنة - قيل يقرأ في الاولى بعد الفاتحة عشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها من قوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم - ان في خلق السموات والارض) الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ويقرأ في الثمانية بعد الفاتحة آية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله تعالى (الله ما في السموات وما في الارض) الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة - ووصف في الحديث ثوابها يخرج عن الخصر - وفي رواية اربع ركعات من واطبها عدلت له عبادة سنة او كأنها صليت ليلة القدر - وفي رواية عشر ركعات من واطبها بنى له قصر في الجنة - ونقل عن كرز بن وبره وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا اعمله في ليلتي قال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم احدا وأقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم من كل ركعتين واقراء في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقراء في كل ركعة بعد الفاتحة الا خلاص سبعا ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبعا وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبعا ثم ارفع رأسك من السجود واستوجسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم باذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين

والآحرين يارحمى الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمنى من سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحى به اليه وكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته منى علمه اياه - ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وكلهم وعلمه -

الصف الثاني - القيام بعد النوم والآيات والاخبار والآثار فى فضله اكثر من ان تحصى ومن الآيات قوله عز وجل (ان ربك يعلم انك تقوم اذنى من ثلثى الليل ونصفه) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) الآية وقوله جل ذكره (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه - وقال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله تعالى وكفير الذنوب ومطر دة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم - وقال لأبى ذر لو أردت سفرا اعددت عدة فكيف سفر طريق الآخرة ألا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى فذاك ابى وامى قال صم يوما شديد الحر ليوم الشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لو حشمة القبور وحج حجة لظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها - ومن الآثار قيل للحسن ما بال المتهجرين من احسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن تعالى فالبسهم نورا من نوره - وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل - وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك - واعلم انك اذا عرفت فضيلتها فعليك ان تعرف الاسباب

المسهلة لقيام الليل وهى اما ظاهرة او باطنة - الاول ان لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام - الثانى ان لا يتعب بدنه بالنهار فى الاعمال فان ذلك ايضا مجلبة للنوم - الثالث ان لا يترك القيلولة - الرابع ان لا يحتجب الاوزار بالنهار فانه يحول بينه وبين اسباب السعادة - الثانى اربعة ايضا - الاول سلامة القلب من الحقد على احد من المسلمين ومن البدع ومن فضول هموم الدنيا لان من كثر همه فمات ولو استيقظ - الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل لأن ذكر جهنم يطير نوم العابدين - الثالث ان يعرف فضل قيام الليل فيهيجبه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى الجنان - الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله عز وجل وقوة الايمان لان من احب مولاه احب الخلوة به والتذ المناجاة معه - واعلم ان محبة الله تعالى لا ينكرها الا من ران قلبه بالبدع او غلب عليه حب الدنيا والا فهى من اعظم اللذائذ ولا لذة فوقها بل لا امة غيرها وقد شهد العقل والنقل بوجودها - اما العقل فان من احب شخصا بسبب جماله او عا لما سبب كما له كيف يريد رؤيته وسماع كلامه والخلوة به وبمناجاته وليس التلذذ بالنظر الى المحبوب فقط بل يلتذ من وراء سترا وفي بيت مظلم ولا بسماع كلامه فقط اذ ربما يلتذ مع عرض حاله الى المحبوب وان لم يروا يتكلم واما النقل فيشهد له احوال المحبين فى قيام الليل وتلذذهم بالمناجاة ومن لم ينتبه بهذا المقدار لا يعترف بالتطويل والاكثر - فاعلم ان قيام الليل سميع مراتب الاولى - احياءه كلا وهذا شأن الاقوياء - الثانية قيام نصفه والاحسن ان ينام الثلث الاول والسدس الاخير ويصير قيامه فى الوسط - الثالثة قيام ثلثه بان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجمله نوم آخر الليل محمود لانه يذهب الناس بالغداة ويقلل صفرة الوجه اتى هى سبب الشهرة - وايضا سبب لكشف حجب الغيوب كما يشاهده ارباب القلوب وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام - الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسة وافضله ان يكون فى النصف الاخير

وقبل السدس الاخير - الخامسة - ان لا يراعى التقدير فان ذلك انما يتيسر
 لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر فاذا كان غيم يقوم اول الليل ثم
 ينام وهذا اشد الاعمال وافضلها فتكون له قومتان ونومتان (١) وقد كان هذا
 من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولى العزم
 من الصحابة والتابعين - السادسة - وهى الاقل ان يقوم قدر اربع ركعات
 او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة مشتغلا بالذكر والدعاء
 فيكتب في جملة قيام الليل برحمة الله وفضله - وقد جاء في الاثر صل من الليل
 ولو قد رحل الشاة - السابعة ان يقوم بين العشائين ثم يقوم قبل الصبح وقت
 السحر وهى اذن المراتب ويقوم طرفى الليل فقط - ثم اعلم ان الايالى التى يحسن
 احياؤها خمس عشرة ليلة فى السنة ستة منها فى رمضان هى اوتار العشر الاخير
 اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبعة عشر من رمضان وهى التى صبيحتها يوم
 الفرقان يوم التقي الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقيل هى ليلة القدر واما الثمانى الاخر
 فالليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة
 سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قال صلى الله عليه وسلم
 للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ
 فى كل منها بعد الفاتحة سورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم
 فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة
 ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه
 ما شاء من أمر دينه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان
 يدعو فى معصية - فاما ليلة النصف من شعبان فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ بعد
 الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها - وليلة عرفة وليلة العيد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتى العيد لم يميت قلبه يوم تموت القلوب
 واما الايام الفاضلة فهى تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم
 عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وفى الحديث من صام

فيه كتب الله له صيام ستين شهرا وهو يوم هبط فيه جبرئيل بالرسالة على محمد صلى الله عليه وسلم ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى ايام التشريق ومن فواضل الايام فى الاسبوع الاثنتان والخميس ترفع فيهما الاعمال الى الله عز وجل والله تعالى اعلم بحقائق الاورد-

الشعبة الثانية

فى العادات ويتفرع ذلك عن عشرة اصول

الاصل الاول

فى آداب الأكل وفيه مطلب

المطلب الاول

فى احوال المنفرد وهى ثلاثة اقسام

القسم الاول فى آدابه قبل الأكل وهى سبعة الاول ان يكون الطعام حلالا فى الشرع فى نفسه ومن جهة كسبه وطيبا فى الودع - سرى - معنى الحلال الطيب وهو من الفرائض واصول الدين - الثانى غسل اليد قبل الطعام وبعده قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعد ينفى الالم - الثالث ان يوضع الطعام على السفرة دون الحوان والموائد لانه اقرب الى التواضع واوفى لسنة وان جاز الأكل على غيرها ايضا - الرابع ان يحسن الجلسة بان يجثو على ركبتيه ويجلس على طهر قدميه او ينصب رجله اليمنى على اليسرى كذا فى صلى الله عليه وسلم وكان يقول انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ويكره قائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب والشرب متكئا مكروه ويضر المعدة - الخامس ان ينوى بأكله ان يتقوى على الطاعة ليكون اكله عبادة ولا يقصد التلذذ والتنعم ويعزم على التقايل اذ الشبع يمنع العبادة وبه يعرف كون نيته قصد العبادة (١٩)

العبادة بان لا يمد يده الا وهو جائع ويرفعه قبل الشبع ومن فعل كذا استغنى عن الطبيب واغوى على العبادة وادنى درجات الأكل واوسطه ماورد في الحديث ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلاث للطعام وثلاث للشراب وثلاث للنفس - الخامس ان يرضى بالموجود ويقنع بالحاضر ولا ينتظر الزيادة مثلاً اذا حضر الخبز لا ينتظر الا اتمام - السابع ان يجتهد في تكثير الايدى على الطعام ولو من اهله وولده لان فيه البركة وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده -

القسم الثانى فى آداب حالة الأكل وهو أن يتدبّر بسم الله ويختتم بالحمد لله بل يقول مع اللقمة بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن الرحيم ولو قال مع كل لقمة بسم الله لكان احسن لثلاث يصده الشره عن ذكر الله ويجهز ليد كر غيره وياكل باليمين ويبدأ بالملح ويختتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يتلعه لم يمديه الى الاخرى فان ذلك عجلة مذمومة وان لا يذم ما كولا وان يأكل مما يليه الا الفاكهة لأنه ليس نوعاً واحداً وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه ولا اللحم بالسكين ولا يضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به ولا يمسح يده بالخبز اذا ورد الامر فى الحديث باكرام الخبز وانه من بركات السماء واذا كان باللقمة اذى فليمت ذلك ولا يأكل ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يعلق اصابعه فانه لا يدري فى اى طعامه البركة وورد النهى عن النفخ فى الطعام الحار بل يصبر الى ان يسهل أكله وياكل من التمر ورا سبعا وتسعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا فى كفه بل يجمعه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا ما له عجم او ثفل وان لا يكثر الشرب اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه ويقال ان ذلك مستحب طباً لأنه دباغ المعدة - واما الشراب فادبه اخذا الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصالعباً ولا قائماً ومضطجعاً ويراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى

الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية ويشرب في ثلاثة انفاس ويحمد كل مرة في اواخرها ويسمى في اوائها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم - والكوز وكل ما يدار على القوم يدار بمنة كذا اوردته السنة - وقال صلى الله عليه وسلم لم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فاراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا -

القسم الثالث - في الآداب بعد الطعام وهو أن يغسل يده بعد لعق اصابه ويلتقط فتات الطعام - قال صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده - وقيل انه مهوور الحور العين ويخلل اسنانه ويرمى ما خرج الا ما يجتمع بين اصول اسنانه فخرج بلسانه وليتمضمض بعد الخلال وان يلحق القضة وان يشكر على الطعام بقلبه - وان أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا - وان أكل شبهة فيقول الحمد لله - على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وقرر أبعاد الطعام قل هو الله احد ولا يلاف قريش ولا يقوم قبل رفع المائدة - وان أكل طعام غيره فليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين - وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفيء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويكي كن يأكل ويلهو، وليقل اذا أكل لبنا خاصا به اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء باللبن لعموم نفعه - وان أكل غير اللبن قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا منه - ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من

من ضلالة واغثت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مبارك فيه كما
انت اهلكه ومستحقه - اللهم كما اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اللهم اجعله عوننا لما
على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك - واما كيفية غسل اليد بالاشنان
لان يجعله على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب
اصابعه على الاشنان اليا بس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ويدلك
ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك
عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله -

المطلب الثاني

في آداب الجماعة في الأكل وهي سبعة

الاول ان لا يبتدئ قبل من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون
المقتدى فيعجل لئلا ينتظر فيعجل - الثاني ان لا يسكتوا بل يتكلمون بالمعروف
وحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها وانما السكوت من فعل الاعاجم - الثالث ان
لا يأكل زيادة على رفيقه فان ذلك حرام ان لم يرض رفيقه به والطعام مشترك بل
يقصد الا يثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا استأذنه وفعل الكل وينشط رفيقه
ويرغبه في الأكل ان قلل ويقول ولا يزيد على ثلاث لئلا يكون الحاح ولا يحلف
عليه بالأكل لما قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه - الرابع ان لا يحوج
رفيقه الى ان يقول له كل ويحمل عنه مؤنة القول ولا يدع ما يشتهي فانه تصنع
ورثاء بل يجري على المعتاد ولا ينقص عن عادته في الواحدة حتى لا يحتاج الى
التصنع عند الاجتماع الا ان يقلل اثارا لآخوانه ونظرهم عند الحاجة لانه حسن وان
زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فلا بأس به بل هو حسن -
الخامس - غسل يده في الطشت واذا قدمه اليه غيره اكراما له فليقبله كما قدم انس
الى ثابت فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها اليه فانما
يكرم الله عز وجل - ويروى ان الرشيد صب على يد أبي معاوية الضرير ثم قال
يا ابا معاوية تدري من صب على يدك قائل لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير

المؤمنين انما اكرمت العلم واجلته فأجلك الله واكرمك كما اجلت العلم واهله
وينبئ ان يجمعوا الماء في الطشت لأنه اقرب الى التواضع وابتعد عن التشبه بالمجم
واما الخادم فقد كره بعضهم ان يصب الماء قائماً وكره بعضهم جلوسه واما وضع
الخادم لذلك ليس بتكبر اذا كانت له نية صالحة اذ الحاجة قائمة والعادة جارية وفي
الطشت سبعة آداب ان لا يزيق فيه وان يقدم المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم
وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائماً وان
يمسح الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب
صاحب المنزل الماء على يده يضيفه هكذا فعل مالك على الشافعي في اول نزوله عليه
وقال لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض - السادس ان لا يراقب أكل
صاحبه بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه لئلا يستجيبوا ولا يمسك قبل اخوانه الا
اذا كانوا (لا) يحتشون الأكل بعده بل يتوقف اولاً ثم يأكل - السابع ان لا يفعل
ما يستقذره غيره بان ينفذ يده في القصعة او يخرج شيئاً من فيه وان احتاج اليه
يصرف وجهه عن الطعام واخذه ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في
الدسومة ولا يغمس ما قطعه بسنه في المرقة والخل ولا يتكلم بالمتقذرات -

المطلب الثالث

في آداب تقديم الطعام الى اخوانه الزائرين وله فضل كثير وفي الخبر لا يحاسب
العبد على ما يأكله مع اخوانه وكذا على السحور وما افطر عليه وكانت الصحابة
يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة
القرآن ولا يتفرون الا عن ذواق - واما آدابه ان لا يدخل وقت الأكل بلاذن
وفي الخبر من مشى الى الطعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراماً - واما اذا
كان جائعاً فقصده بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت الأكل فلا بأس به
اذ فيه اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وكان ذلك عادة السلف قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان
وأبي ايوب الانصاري لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً وكان لعون بن عبد الله
المسعودي

المسعودى ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة فكان اخوانهم يعولونهم بدلا من كسبهم وهم كانوا يتبركون باطعامهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته علما بفرحه فله ان يأكل بغير إذنه اذا مراد من الاذن الرضا لاسيما فى الأطعمة وامرها على السعة - فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقال تعالى (او صديقكم) وقد فعله السلف - واما آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر ولا يستقرض لأجله وان لم تسمح نفسه فلا يقدم وان رأى المحتاج - وانتكف هو أن تريد على ما تأكله فى الجودة والقيمة وانما يكره لادائه الى كراهة الزائر ومثله وانقطاعه عن المجيء اليه - ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيؤذى عياله وكان السلف يقولون لاندري ايها اعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم عليه او الذى يحتقر ما عنده ان يقدمه ومن الآداب ان لا يقترح ولا يتحكم بشيء فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعمين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة الا اذا علم انه يتيسر له ولا يكره له الاقتراح - ومن الآداب ان يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل وكذا لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل يقدم ان كان فان أكل والا فارفع -

المطلب الرابع

فى آداب الضيافة وكانت الضيافة سنة ابراهيم الخليل وكان يكنى ابا الضيفان وكان اذا اراد أن يأكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه ولصدق نيته فيها دامت ضيافته فى مشهده - ونقل عن قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف - وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام - وفيها ستة آداب -

احدها الدعوة فيدعو الاتقياء دون الفساق وقد ورد فى الحديث أكل طعامكم الا برار فى الدعاء لمن دعاه ويقصد الفقراء ولا ينحس الاغنياء - وفى الحديث

شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الا غنياء ويذاد عنه الفقراء وينبى ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهلهم ايجاش وقطع رحم - وكذا يراعى الترتيب في اصدقائه ومعارفه لأن تخصيص البعض ايجاش الباقين - وينبى ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسني بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين - ولا يدعو من يعلم انه يشق الاجابة عليه واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب ولا يدعو الا من يحب اجابته -

وثانيها الاجابة فهي سنة مؤكدة وقيل بوجوبها في بعض المواضع - وفي الحديث لودعيت الى كراع لأجبت ولواهدى الى ذراع لقبلت - ولها آداب خمسة الاول ان لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير لأن ذلك تكبر الا اذا دعى فخرا او تكلفا فليعمل ولا يجيب - ولهذا قال بعض الصوفية لا تجب الادعوة من يرى انك أكلت رزقك وانه سلمه اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول الوديعة منه - الثاني لا يمتنع عن الاجابة لبعده المسافة ومقدار مسافة الاجابة معلوم من العرف والعادة - وقيل يجيب اذا كان قدر ثلاثة اميال - الثالث ان يحضر ولو صائما تطوعا ولينوادخال السرور على قلب اخيه فانه افضل منه الا اذا علم من الداعي تكلفا فيتعامل واذا لم يفطر فضيافته الطيب والحديث الطيب - الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش او كان في مكان منكر من فرش دياج او اناة فضة او تصوير حيوان او سماع الملاهي او الهزل او اللعب فان الاجابة عنده هذه محرمة او مكروهة وكذا اذا كان انداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طابا للمباهاة والفخر - الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن بل الاقتداء بالسنة -

وفي الحديث لودعيت الى كراع لأجبت - وينبى التحرز عن المعصية وفي الحديث من لم يجيب الداعي فقد عصي الله وينبى اكرام اخيه المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فأنما يكرم الله - وينبى ادخال السرور في قلبه

قلبه لقوله صلى الله عليه وسلم من سمر مؤمنا فقد سر الله وينوى ايضا سنة الزيارة -
 ثالثا آداب الحضور فيدخل بلا تصدربل يتواضع ولا يطول عليهم الانتظار
 ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل استعدادهم ولا يراحم الحاضرين في المكان بل يجلس
 حيث يأمر صاحب الدعوة ولا يجلس مقابلة حجرة النساء ولا يكثر النظر الى
 موضع خروج الطعام فانه من الشره ويخص من يقرب منه بالتحية اذا جلس
 واذا بات الضيف في منزله فليعرفه القبلة وموضع الطهارة والوضوء ويغسل رب
 البيت يده اول قبل الطعام وبعده يتأنر واذا رأى في البيت منكرا غيره ان قدر
 والا انكر بلسانه وانصرف كفرش الديباج واوانى الفضة والذهب والتصوير
 والملاهي وحضور النساء المكشفات الوجوه - ومنها ستر الحيطان بالديباج
 وعند البعض لا يحرم اذ الحرمة للرجال والجدار ليس منهم واما النظر فلا يحرم
 كما اذا لبس الحرير الجوارى - ورابعها احضار الطعام وله آداب خمسة الاول
 تعجيل الطعام فان ذلك سنة ، الثاني ترتيب الاطعمة لتقديم القاكهة اولى شرعا
 وطبعاً ثم اللحم والثر يد لان له فضلا على سائر الاطعمة - وفي الحديث فضل
 عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام - فان جمع اليه حلاوة فقد جمع
 الطيبات وتماها بشرب الماء البارد والماء الفاتر في غسل اليد - قال المأمون الماء
 المثلوج يخلص الشكر لله وزينة المائدة بالقول لحضرتها - ويستحب ايضا ان
 يقدم من الالوان الطفها حتى يستكفي منها من يريد ويكثر الأكل بعده وعادة
 المرفهين تقديم الغليظ ليكثر من اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في
 استكثار الأكل - ومن سنة المتقدمين ان يقدموا الالوان جملة دفعة ليا كل كل
 واحد مما يشتهى وان لم يكن عنده الالون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا
 اطيب منه - الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى
 يرفعوا الايدي - وايضا لا يرفع يده قبل الضيفان بل يكون آخرهم رفعاً -
 الخامس ان يقدم قدر الكفاية اذ النقص منه نقص في المروءة والزيادة عليه
 تصنع الا ان يطيب نفسهم بأكلمهم الجميع - وفي الحديث انه لا يحاسب عليه - وعن

ابراهيم بن ادهم ليس في الطعام سرف وينبغي ان يعزل نصيب اهل بيته
ثلاثا تطعم اعينهم الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضييق صدورهم وتنطق
في الضيفان السنهم - وايضا رفع الزلة حرام الا اذا صرح بالاذن صاحب الطعام
او علم انه لا يكره ذلك ومع ذلك ايضا فلا يخص نفسه بما لا يرضى به رفيقه -

خامسها - الانصراف وله آداب ثلاثة الاول من سنة الضيف ان يشيع الى باب
الدار كذا ورد في الحديث وذلك من اكرام الضيف وقد امرنا به وتما
الاكرام طلاقة الوجه وطيب الكلام عند الدخول والخروج وعلى المائدة -
والثاني ان من التواضع ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير
يحكى ان استاذ الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه فرده الاب في اربع مرات وهو
يرجع في كل مرة تطيبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه
النفوس اطمأنت بالتوحيد وترى الكل من الله الواحد القهار فيتذل له بالتواضع -
والثالث ان لا يخرج الابرضا صاحب المنزل واذنه ويراعى قلبه في قدر الاقامة
واذا نزل ضيفا فلا يقيم فوق ثلاثة ايام ثلثا يتبرم به ويحتاج الى اخراجه الا اذا الح
رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك -

فوائد متفرقة

الأكل في السوق دناءة وجوزة البعض والحق انه يختلف باختلاف البلاد
والعادات وتفاوت احوال الاشخاص - قال ع-لى كرم الله وجهه من ابتدأ
غذاءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات
عجوة قتلت كل دابة في بطنه - ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زببة حمراء
لم ير في جسمه شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والتريد طعام العرب
والشفارجات تعظم البطن وترعى الانثيين ولحم البقر داء ولبنها وسمنها شفاء
والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء بشيء افضل من الرطب -
والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم - ومن اراد
البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين

وعن بعض الحكماء لا تمكح الافانة ولا تأكل الافتيا ولا تأكل الم ينضج
طبخه ولا تشرب دواء الامن علة ولا تأكل من الفاكهة الانضيجها ولا تأكل
طعاما الا أجدت مضغه - وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا
شربت فلا تأكل منه شيئا ولا نجس العائط والبول فاذا أكلت بالهارقم واذا
أكلت بالليل فامش قبل ان تمام ولو مائة خطوة وفيه تقول العرب تغد تمد تعش
تمش - كما قال تعالى فذ(هب الى اهله يتمطى) اى يتمدد - وقيل حبس البول
يفسد الجسد افساد النهر ما حوله اذا سد مجراه - وفي الخبر قطع العروق مسقمة
وترك العشاء مہرمة -

ومن الفوائد الجليلة الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى وتيل الحمية
مستحسنة والحق ان الحمية من المضرات نافعة للبدن بلا شك وانما التى تمنع هى
الحمية التى يعتادها البدن فاذا تغير عنها ولو بشئ قليل يتضرر بها البدن - ويستحب
ان يحمل الطعام الى اهل الميت وهو سنة الاما يهيأ للنوايح والمغنيات فلا يأكل
معهن وكذا طعام الظلمة - وقيل اذا صح التوكل لا يضر حمل الطعام معه واذا
صححت الية لا يضر التوسع فى الطعام ، وقد امر أبو على الروذبارى فصنعوا له
الخلاوى من اجمال السكر على هيئة انية ومحارب واعمدت ثم امر واتبها الصوفية
قال الشافعى الأكل على اربعة انحاء الأكل باصبع من المقت باصبعين من الكبر
وبثلاث من السنة وبما زاد من الشره - وقال اربع تقوى البدن أكل اللحم
والطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع تقوى البصر الجلوس
فى حبال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس - واربع
توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود
فى استدبار القبلة - واربع تزيد الجماع أكل العصافير وأكل الاطريف الاكبر
وأكل القسقى وأكل الجرجير - والنوم على اربعة انحاء، نوم الانبياء وهو النوم
على القفا يتفكرون فى خلق السموات والارض ، ونوم على اليمين وهو نوم
العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهم طعامهم ، ونوم على الوجه

وهو نوم الشياطين - واربعة تزيد في العقل ترك فضول الكلام ، والسواك ،
ومجالسة الصالحين والعلماء - واربعة من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضوء ،
وكثرة السجود ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن - وقال ايضا عجبت
لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت
لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت - وقال لم ار شيئا انفع في الوباء من
البنفسج يدهن به ويشرب -

الاصل الثاني

في آداب النكاح وفيها مطالب

المطب الاول

في الترغيب فيه وعنه

واختلف فيه قال بعضهم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى وبعضهم عكس
لكن لمن ليس له توقان يشوش حاله - وقيل الافضل الترك في هذا الزمان
وبيان الحق فيه يتوقف على تفصيل امر التفصيل - اما الترغيب فيه فيقول الله تعالى
(فانكحوا الايامي منكم) وهذا امر - ويقول صلى الله عليه وسلم المكاح سنتي فمن
رغب عن سنتي فليس مني - وقال من ترك التزويج مخافة العيلة فليس مني وكان
ابن مسعود يقول ولم يبق من عمرى الا عشرة ايام لأحببت ان اتزوج ولا الهى
الله عزربا - قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه
كان ازهدا صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع
هشيرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء - وقيل فضل
المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل افضل من سبعين
ركعة من عزب - واما الترغيب عنه فيقول صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد
للمائتين الخفيف الحذى لاهل له ولا ولد - وفي الخبر قلة العمالي احد اليسارين
وكثرتهم احد الفقيرين - وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل
ولا مال - وقد ظهر من مساق ما قد مناه ان ما نقل في الترغيب عنه مشروط
بشروط

بشرائط بخلاف الترغيب فيه -

المطلب الثانى

فى فوائد النكاح وهى خمسة

الاول الولد وهو الاصل الذى وضع لاجله النكاح لئلا يخلو العالم من جنس الانس
واما الشهوة للتلطف فى السياقة الى اقتناص الولد - ولما اقتضت الحكمة الازلية
ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها لعدم قصور القدرة
الازلية عن ايجاد الاشخاص ببعدها عن الوقوع قدر الولد بالازدواج اتما ما
لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم
ففى تحصيل الولد قرابة من اربعة اوجه احدها فضل النكاح والأمن من غوائل
الشهوة وموافقة محبة الله فى السعى لبقاء جنس الانسان، وثانيها طلب محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم فى من يياهى به ، وثالثها طلب التبرك بدعاء الولد الصالح له
بعده ، ورابعها طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه الاول
فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو اقواها عند ذوى البصائر النافذة
فى عجائب صنع الله ومجارى حكته وذلك لان الله تعالى خلق اعضاء الجرائنة
واعضاء مهياة لها وخلق البذر وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الزوجين
فمن له بصيرة نافذة يفهم من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى
ليس برقم حروف واصوات ان الصانع الحكيم اراد من عباده الاولاد والنسل
ولذلك عظم الشرع الوأدسيما وقد صرح بالامر وباح بالسر بان قال تناكحوا
تكثر واياك ان تتوهم التنافى بين محبة الله تعالى وارادة فنائهم لأن ارادة الفناء
يمكن جمعها مع كراهته كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل
ما ترددت فى شىء انا فاعله كترددى فى قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت
وانا اكره مساءته ولا بد منه وفى قوله ولا بد من الموت اشارة الى سبق الارادة
والتقدير المذكور فى قوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله عز وجل هو (خلق
الموت والحياة) وتحقيق هذا المقام خارج عن طوق هذا المختصر لانها داخلية فى

علوم المكاشفة ووراءها سر القدر الذى منع الشرع عن افشائه فظهر من هذا ان من رغب عن النكاح فقد ضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم عليه السلام عقب بعد عقب الى ان انتهى اليه حتى ختم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له الوجه الثانى من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فلهبهااته بكثرة امته حتى قال خير نسائكم الودود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد هذا يدل على ان الاصل من التزوج الولد دون الشهوة لأهلها اكل في الحسناء وانها املاح للتحصين وغض البصر، الوجه الثالث ان يبقى له ولد يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثا ولد صالح يدعو له - الحديث الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون شفيعا والاخبار في ذلك كثيرة -

الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه وقعت الاشارة في الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم من بكح فقد احرز نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر - واعلم ان هذه الفائدة دون الفائدة الاولى لأن الغاية الاحيرة أشرف من الغاية المتقدمة فالغاية الاخيرة هى الولد والمتقدمة هى اللذة ومع ذلك ففي اللذة مصلحة اخرى بباطنة سوى المصلحة الظاهرة اتي هو الولد وذلك ان يستدل المناكح بهذه اللذة العظيمة السريمة الاقطاع الى اللذة الدائمة التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لتكون باعثة على عبادة الله تعالى فانظر الى هذه الحكمة ثم الرحمة ثم النعمة الالهية كيف غيبت تحت شهوة واحدة حياتين حياة طاهرة وهى بقاء النسل وحياة باطنة وهى التوسل الى لذة الآخرة سبحانه من لم يعمل ذرة من ذرات ملكوت السموات والارض الاجل تحتها من لطائف الحكم وعجائبها ماتحار فيها العقول وانما ينكشف للقلوب الطاهرة الصافية الراغبة عن زهرة الدنيا وغرورها واعوالها -

الفائدة الثالثة النظر الى وجهها والملاعبة معها لان في ذلك اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول في الامور وهى عن الخلق (١) نفور لأنه على

خلاف طبيعتها فلو كلفت المداومة جمحت وتآبت واذا زوحت بالذات المباحة في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يباحي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعات عوناً على تلك الساعات -

الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل اذ التكفل بجميع اشغال المنزل يضعح اكثر الاوقات ولم يفرغ للعلم والعمل ولذلك قيل المرأة الصالحة ليست من الدنيا قال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا) قال المرأة الصالحة الفائدة الخامسة - مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقيهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربية الاولاد اذ ليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراها - وقد قال صلى الله عليه وسلم ما اتفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤخر في رفع اللقمة الى في امرأته - وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال - واعلم ان هذه الفائدة للعابدين واما ارباب القلوب فربما يشغلهم العيال عن الكمال -

المطلب الثالث

في آفات النكاح وهي ثلاثة

الاولى - اقواها العجز عن طلب الحلال فان المتأهل ربما يتبع هوى زوجته والحلال ربما يعز عليه فيبيع آخرته بدينه ويقال ان اهله وعيانه يكونون خصاء له في القيامة بانه اطعمنا الحرام ونحن لا نعلمه ولذا قال ابن سالم ترك الزوج افضل في زماننا هذا الامن له شبق كشبق الحمار ولا يملك نفسه اصلاً -

الآفة الثانية - القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقيهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا ايضاً خطر لأن كل احد راع ومسؤول عن رعيته الا ان هذه

يسر من الآفة الاولى ومع ذلك فهى آفة عظيمة لا يسلم منها الاحكيم عاقل يتغافل عن زللهن ويدارى اخلاتهن اذ الاغلب عليهن السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف -

الآفة الثالثة - وهى دون الاولين ان يكون الولد والاهل شاغلين له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر ولست اعنى المال الحرام فان ذلك مما اندرج تحت الاولين بل التنعم بالمباح والامعان فى ملاعبة النساء والاولاد ولا يتفرغ للفكر فى الآخرة والاستعداد لها - اذا عرفت مجامع الفوائد والآفات فى النكاح فاعتبر هذه الفوائد والآفات واعرض نفسك عليها فان اتفقت فى حقه الآفات بان يكون شابا محبا محتاجا الى التحصين ومنفردا محتاجا الى تدبير المنزل فانظر ان اجتمعت فى حقه الفوائد من المال والخلق الحسن وعدم صد الكاح اياه عن الشغل بالله فعليه الكاح - فان اتفقت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان بعض الفوائد مع بعض الآفة فعليه ان يوزن بالميزان القسط فأيهما ارجح فالحكم له مثلا من ليس له حاجة الى كسر الشهوة وكان حظه الولد فقط ولم يتيسر له الكسب الحلال فالعزوبة افضل لأن عدم الولد خير من الطعام الحرام واما ان خاف الزناء مع الكسب الحرام فالنكاح اولى واما اذا خاف المظر الحرام مع الكسب الحرام فالعزوبة اولى لان النظر يقع احيانا فهو اهن الشرين وان آمن النظر ايضا ولكن لم يقدر على دفع وسواس الجماع فالعزوبة اولى لأن عمل القلب اقرب الى العفو من القوت الحرام - فان قلت فمن امن الآفات كلها فبالفضل له التخلي للعبادة والنكاح قلت يجمع بينهما ان كان من العباد لأن الكسب الحلال لاجل العيال عبادة وان كان من اهل القلوب يشوشه طلب المعاش فالتخلي افضل له - فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ولم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج مع ان التخلي للعبادة افضل قلت الكلام فى مثل هذه المواضع لا يليق بامثالنا الا ان بعضا من العلماء قال الجمع افضل لمن قويت

منته وعلت همته وتشمر لذلك كما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم حتى كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته - اما عيسى عليه السلام وان كان الظن به القدرة على الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة لكن لعله عمل بالحزم ولم يتشمر لذلك او عز في زمانه طلب الحلال والله اعلم باسرار احوالهم -

المطلب الرابع

في شروط العقد وهي اربعة

الاول - اذن الولي فان لم يكن فالسلطان - الثاني رضا المرأة - الثالث الشاهدان الرابع ايجاب وقبول - وتفاصيل هذه الشروط في كتب الفقه - واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي بعد العدة بلاخطبة من الغير والخطبة قبل النكاح ومزج التحميد والصلاة بالايجاب والقبول ايضا وان يلتقى امر الزوج الى سماع الزوجة كما يستحب نظر الزوج اليها قبل النكاح ليكون احرى ان يؤدم بينهما واحضار جمع اهل الصلاح سوى الشاهدين - ومنها ان ينوى بالمكاح اقامة السنة وغض البصر وطالب الوالد وسائر الفوائد لايجرد الهوى لئلا يصير من عمل الدنيا -

المطلب الخامس

في احكام المنكوحة وهي نوعان

الاول ما يعتبر فيها للحل وموانعه تسعة عشر - الاول ان تكون منكوحة للغير، الثاني ان تكون معتدة للغير - الثالث ان تكون مرتدة - الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زندقية او اهل اباحة - السادس ان تكون كتابية قد دانت بدنيهم بعد التبديل او بعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف - السابع ان تكون رقيقة والنكاح حر قادر على طول الحرية الثامن ان يكون كلها او بعضها مملوكة للنكاح ملك يمين - التاسع ان تكون ذات رحم محرمة للزوج - العاشر ان تكون محرمة بالرضاع - الحادى عشر ان تكون محرمة بالمصاهرة - الثاني عشر ان تكون خامسة في النكاح اوفى العدة -

الثالث عشر أن تجتمع في النكاح مع امرأة لو كانت ذكرا حرمت الاخرى عليه -
 الرابع عشر أن تكون مطلقة ثلاثا للزوج - الخامس عشر أن لا تكون ملاعنة
 للزوج السادس عشر أن لا يكون احد الزوجين محرما - السابع عشر أن تكون
 ثيبا صغيرة وفيه خلاف ابي حنيفة - الثامن عشر أن تكون دون البلوغ وفيه
 ايضا خلاف ابي حنيفة - التاسع عشر أن تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لأنهن من امهات المؤمنين وذلك مما لا يوجد في زماننا هذا -

النوع الثاني الخصال المطيبة للعيش وهي ثمانية - الاولى ان تكون صالحة ذات
 دين لأنها ان كانت ضعيفة الدين في نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين
 الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه وكذا ان كانت فاسدة
 الدين باستهلاك ماله - الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ
 والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كان ضررها
 اكثر من نفعها - الثالثة حسن الوجه اذ الطبع لا يكتفى بالدميمة فيفوت غض
 البصر والنهي عن التزوج للجمال كون الغرض الاصل الجمال دون الدين لانه
 لا يطلب اصلا - الرابعة ان تكون خفيفة المهر لأن ثقلها يفسد مقاصد النكاح
 وايضا يخالف السنة - الخامسة ان تكون ولودا وقدر - السادسة ان تكون
 بكرافقها ثلاث فوائد احداها ان الابكار تحب ازواجهن اذ الحب للحبيب الاول
 ثانيها انهن مرغوبات عند الازواج فان بعض الطباع تنفر عن التي مستها يدغير يده
 ثالثها ان البكر لا تحن الى الزوج الاول لما مر - السابعة ان تكون نسبية من اهل
 الدين والصلاح اذ للتربية مدخل عظيم في حسن الاخلاق، الثامنة ان لا تكون
 من قرابته القريبة فان ذلك يقلل الشهوة ومن ذلك يخلق الولد ضاويا اى نحيفا -

المطلب السادس

في آداب المعاشرة وهي صنفان

الاول ما على الزوج وهي اثنا عشر امرا - احدها الوليمة وهي مستحبة ويستحب
 التهئة فيقول الداخلك بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير ويستحب اظهار
 عليه

النكاح - وفي الخبر فصل ما بين الحلال والحرام الذف والصوت - وثانيها حسن الخلق وليس هو كلف الاذى عنهن بل احتمال الاذى منهن كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ترهما عليهن لقصور عقولهن وكان آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحسان اليهن - كذا ورد في الحديث - وثالثها ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن في الاعمال والاخلاق وذلك مشهور مذكور في كتب الاحاديث - ورابعها ان لا ينسبط في المداعبة الى درجة تسقط هيئته لان ذلك يفسد خلقها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانتباض مهما رأى منكرا وفي الحديث تعس عبد الزوجة -

قال الشافعي ثلاثة ان اكرمهم اهانوك وان اهنهم اكرموك المرأة والخادم والنبطي اراد ان محضت الاكرام ولم تمزجه بالغلظة - وبالجمله قامت السموات والارض بالعدل وكل ما جاوز حده انعكس على ضده والغالب عليهن ركافة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الابنوع لطف ممزوج بسياسة - خامسها الاعتدال في الغيرة بان لا يتغافل عن مبادئ الامور التي تحشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن - وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع عورات النساء الا انه لا يدخل عليها الرجال ولا هي تخرج الى الاسواق ولا يخرجن الى المساجد الآن وقد كن يخرجن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الزمان قد تغير وقد اذن لهن ان يخرجن في الاعياد خاصة ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن لكن يمنعن من الخروج الى النظارات ومجامع الناس لغلبة الفساد في زماننا واذا خرجن ينبغي ان يغضضن ابصارهن من وجوه الرجال ووجوههم في حقن كوجه الامرء في حق الرجال حيث يحل النظر اذا لم يحتمل الفتنة والايكره - سادسها الاعتدال في النفقة والاقتصار فلا يقتصر ولا يسرف وينبغي ان لا يستأثر عن اهله بما كوله طيب لان ذلك خارج عن المعاشرة بالمعروف واذا اكل يقعد كل العيال على مائدته ولا يصف عندهم طعاما لا يطعمهم ويجب

عليه اطعام عياله الحلال ويجوز للرأة التصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك وان لم يأذن لها بذلك صريحا اذ الحلال شاهد بالاذن - وسابعها ان يعلم زوجته احكام الحيض واحكام الصلاة ويلقنها اعتقاد اهل السنة وان لم يعلم الزوج ذلك فعليه ان ينوب عنها في السؤال فان لم يفعل فعليها الخروج للسؤال ويعصى الرجل بمنعها وبعد تعلم الفرائض ليس لها طلب الفضل وحضور مجلس الذكرا لارضاء زوجها - وثامنها ان يعدل بين نسوته ولا يميل الى بعضهن وان اراد السفر يقرر بينهن وان لم يعدل بينهن جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل كذا في الحديث فيعدل في العطاء والمبيت واما الحب والوقاع فلا يدخل تحت الاختيار - وتاسعها في المشوز وهذا ان كان من جانبها معا ومن الرجل فلا بد من حكين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما (ان يريد اصالحا يوفق الله بينهما) وان كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤد بها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي له التدرج في التأديب يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينتجع ولاها طهره في المضجع او انفردها في الفراش وهجرها وهوى البيت من ليلة الى ثلاث وان لم ينتجع ضربها ضربا غير مبرح ولا يضرب وجهها وله ان يهجرها في امر الدين الى شهر او عشر - عاشرها في آداب الجماع وبستحب ان يبدأ باسم الله ويقرأ قل هو الله احد اولا يكبر ويهمل ويقول بسم الله العظيم العلى اللهم اجعله ذرية طيبة ان كنت قدرت ان يخرج من صلبى .. وفي الحديث لو أن احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان - واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك (الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا) الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع صوته اهل الدار وينحرف عن القبلة اكرا ما للقبلة ولينط نفسه واهله بثوب ويفض صوته ويأمر المرأة بالسكينة وفى الخبر لا يتجرد ان تجرد العيرين ويقدم التلطف بالكلام والتقبيل ولا يجامع في ثلاث ليال من الشهر الاول والنصف والآخر يقال ان الشيطان يحضر الجماع في

في هذه الليالي ولا يقوم عنها حتى تقضى وطرها من الرجل - والعدل في الجماع ان يأتيها في كل اربع ليال ولا حق لها دون الاربع اذ عدد النساء اربعة ثم يزيد وينقص بحسب الحاجة والقدرة - ولا يأتيها في الحيض لأنه حرام ويورث الجذام في الولد ويستمتع بجميع بدن الحائض سوى الموضع المكروه في القبل والذب ووله ان يستمني ببطنها وان اراد العود بعد الجماع يغسل فرجه ثم يعود وكذا اذا احتلم واداد أن يجامع وان اراد النوم جنباً فليتوضأ وضوءه للصلاة فانه سنة - ويكره الغزل عنها واذا قدر الله ولداً لا يمنعه شيء - ويحل الغزل في زوجته برضاها وفي امته مطلقاً - الحادي عشر منها آداب الولادة وهي خمسة - الاول ان لا يكثر فرجه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدرى الخير في ايها - وفي تربية البنات فضائل تذكر في الاحاديث - الثاني ان يؤذن في اذنه اليمنى ويقم في اذنه اليسرى - وفي الحديث من فعل كذلك دفعت عنه ام الصبيان - ويستحب ان يلقنوا له اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر - الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق الاولاد - وفي الحديث احب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن - وقال صلى الله عليه وسلم سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي - قال بعض العلماء ذلك في عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم - وكره من يكنى ابا عيسى فقال ان عيسى لا اب له وينبغي ان يسمى السقط ويقال انه يطالب اياه ويقول انت ضيعتني وما سميتني وان لم يدر أنه غلام او جارية يسمى باسم يجمعها كحزمة وطلحة وعماره وعتبة وعنبسة وبستحب تبديل الاسماء القبيحة ، بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصي بعبدالله - وورد النهي في مثل افلح وبركة اذ يقال ثم بركة ؟ فيقال لا -

الرابع العقيقة في اليوم السابع عن الذكر بشاتين وتجاوز شاة واحدة وعن الانثى شاة واحدة ولا بأس ان تكون الشاة ذكراً أو أنثى - ومن السنة ان يحلق رأسه اليوم السابع ويتصدق بزنة شعره فضة او ذهباً - الخامس ان يحنكه بتمررة او حلاوة - الثاني عشر في آداب الطلاق وانه مباح لكنه ابغض المباحات وليراع فيه اربعة

أمور - الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه - الثاني ان يقتصر على طلاق واحد - ولا يجمع بين الثلاث - والثالث ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف - واستخفاف - ويطيب قلبها بهدية - على سبيل الامتاع - والجبر لما يجعها به من اذى - الفراق - الرابع ان لا يفتش سرها لا عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في ذلك وعيد عظيم -

الصف الثاني في حقوق الزوج عليها - اذ النكاح نوع رق فعليها طاعة الزوج في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة فلا تعطى شيئا من بيته الا باذنه ولا تصوم تطوعا الا باذنه والا لا يقبل منها - ولا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب - وأهم الحقوق امران احدهما السر والصيانة والآخرة المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وكانت امرأة السلف او ابنته تقول زوجها اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار - ولا نفرط في بذل ماله الا الذي يفسد فان اطعمت عن رضا كان لها مثل اجره وان اطعمت بلا رضا كان له الاجر وعليها الوزر - روى ان السماء بن خازجة الفزارى قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذي منه درجت وصرت الى فراش لا تعرفه وقرين لم تأفقه فكونى له ارضا يكون لك سماء وكونى له مهادا يكون لك عمادا وكونى له امة يكون لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينسأك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه ولا تشم منك الا طيبا ولا يسمع الاحسان ولا ينظر الاجمىلا - ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجملها ولا تردى زوجها لقبحه وتلازم الصلاح والانتباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب واسباب اللذة في حضور زوجها ولا تؤذى زوجها بحال وتقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها والقول الجامع في ذلك ان تكون قاعدة في بيتها لازمة لمغزها لا تكثر اطلعاها قليلة الكلام لجبر انها لا تدخل عليهم للاوقت يحب الدخول عليهم عادة ولا تخرج بلا اذن زوجها وان اذن لها تذهب

فى المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق همتها صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها . متنظفة فى جميع احوالها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها ولا تسبهم واذا مات زوجها تحم عليه اربعة اشهر وعشرا وتلزم مسكن النكاح ولا تنتقل عن ذلك الى اهلها الى آخر العدة ولا تخرج الا لضرورة -

الاصل الثالث

فى آداب الكسب والمعاش وفيه مطلب

المطلب الاول

فى فضل الكسب والحث عليه

اما الكتاب فقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) وقوله (وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم التاجر المصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر الا ان فضل التجارة اذا كان لقوت العيال وتعففا عن السؤال واما اذا كانت للثروة والادخار فذمومة لانه اقبال على الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة - فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق - وايضا التجارة افضل وان حصلت له النفقة بلا سؤال لانه يصير كالا على الناس فالتجارة تكون افضل الا ان الحق ان قبول صدقتهم والتخلى للعبادة افضل اذ فيه اعانة للناس على الخيرات والصدقات -

المطلب الثانى

فى بيان احوال العقود الاربعة

العقد الاول البيع وقد أحله الله وله ثلاثة اركان احدها العاقد فلا يعامل الصبي والمجنون لأنها غير مكلفين والعبد العاقل بلا اذن سيده والاعمى لعدم

رؤية المبيع فيوكل غيره - اما الكافر فتجوز معا ماله غير بيع المصحف منه والعبد المسلم والسلاح للحربي منهم فان فعل فهو عاص ربه - واما الجندية من الاثر الك والاكرا د والخنونة والظلمة وأكلة الربا وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يملك منهم شيئا الا ما يعرف انه حلال بعينه - ثانيا المعقود عليه فقيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه كالكلب والخنزير والفيل (١) والزبل والخمر - الثاني ان يكون منتفعا فلا يجوز بيع الفأر والحية ويجوز بيع الطيور المليحة الصورة كالطوطى والطوس او مليحة الصوت كالبلابل والقارى ولا يجوز بيع الملاحى والمزا مير لحرمتها - الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقدا او مأذونا فيه من جهة المالك فلا يصح بيع مال الوالد من الولد وعكسه اعتمادا على ان يرضى اذا عرف وكذا الزوج والزوجة بل ينبغي تقدم الرضا - الرابع ان يكون المعقود عليه مقدور التسليم شرعا وحسا فلا يصح بيع السمك فى الماء والجنين وعسب انفحل واللبن فى الضرع والآبق ولا يجوز تفريق الولد من امه - الخامس ان يكون المبيع مقبوضا عقارا او منقولاً - وثالثها لفظ العقد فلا بد من حريان ايجاب فى قبول متصل بلفظ دال على المقصود منهم إما صريح او كناية ويجوز بالتعاطى عند ابى حنيفة فى النفيس والخسيس وعند الشافعى لا يجوز وينبى ان يحكم فيه الحال بان يعلم انه يرضى بالبيع وان علم الكراهة يصرح - وايضا الاحتياط التصريح فى النفيس كالعبد والفرس والدار والتعاطى فى الخسيس كالخبز واللحم والبقول وان صح التعاطى فى كليهما - واما تمييز النفيس عن الخسيس فبالعرف وان كان مشتبها فعليه الاحتياط بان يصرح الايجاب والقبول هذا من حيث الورع فيه ان تستفتى قلبك الا ان فى الشرع يجوز فى الكل التعاطى هو الصحيح من مذهب ابى حنيفة -

العقد الثانى - عقد الربا وقد حرمه الله ومحجب الاحتراز منه على الصيارفة وباعة الاطعمة اذ لاربا الا فيهما - فالصير فى يحترز من النسيئة بل يبيع يدا بيد - وعن

الفضل وهو التفاوت في الوزن والكيل عند اتحاد الجنس ولا يفيد الجودة والرداءة -

العقد الثالث التسلم وله شروط عشرة - الاول ان يكون رأس المال معلوما علم مثله - الثاني ان يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق - الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه - الرابع ان يستقصى الاوصاف بأن لا يبقى وصف تغاير فيه - الخامس معلومية الاجل بالاشهر والايام - السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه - السابع ان يذكر مكان التسليم - الثامن ان لا يعقله بعين، كثمرة هذا البستان ونحوه - التاسع ان لا يكون المسلم فيه شيئا نفيسا يعز وجوده، كدرة موصوفة بما يعز وجودها - العاشر أن لا يسلم في طعام اذا كان رأس المال، طعاما اوفى نقد اذا كان هو نقدا لانه عين الربا -

العقد الرابع الاجارة ولها ركنان الاجرة والمنفعة اما العاقد واللفظ فكا في البيع بعينه اما الاجرة فينبغي ان يكون معاوما وموصوفا كالتم في البيع ولا يجوز بكل، ما يتوقف حصوله على عمل الاجير ككراء الدار بعمارتها وصلاح الشاة بجملتها واما المنفعة فهي العمل، وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه - وتندرج تحته امور خمسة الاول ان يكون متقوما فيه كلفة وتعب فلا يصح اجرة الطعام واجرة الكلام، الثاني ان لا تتضمن استيفاء عين مقصودة كلبن المواشى واحيز في الموضة استحسانا، الثالث ان يكون مقدور التسليم حسا وشرعا فلا يجوز استئجار الاخرس على التعليم والمعلم على تعليم السحر او الصائغ على صبغة او انى الذهب وغير ذلك من المحرمات، الرابع ان لا يجب العمل على الاجير فلا يجوز اجرة الجهاد وسائر العبادات التي لانيابة فيها ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ونحو ذلك وفي اجرة الامامة والاذان والتدريس واقرأ القرآن خلاف واما اجرة تعليم مسألة او سورة بعينها لشخص معين فصحيح، الخامس ان يكون المنفعة والعمل معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والجمال يعرف قدر المحمول الى غير ذلك -

العقد الخامس القراض وفيه ثلاثة اركان الاول ان يكون رأس المال معلوما مسلما الى العامل - الثاني الربح بان يشرط له الثلث او النصف او ما شاء من مقدار شائع فلا يجوز تقديره بمقدار معين كالمائة مثلا - الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين او بتأقبت -

العقد السادس الشركة وهي اربعة وثلاثة منها باطلة - الاولى شركة المفاوضة وهو أن يقول تفاوضنا في كل مالنا وعلينا ومالاها ممتازان - الثانية شركة الابدان وهي ان يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل وهي باطلة - الثالثة شركة الوجوه وهي أن تكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة الآخر العمل وهذا ايضا باطل - الرابعة شركة العنان وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر التميز الا بقسمة وياذن كل منهما لصاحبه في التصرف وحكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين وهذا صحيح -

المطلب الثالث

في العدل في المعاملة وهذا قسبان

الاول ما يعم ضرره وهو انواع احدها الاحتكار والذي يدخر الطعام الى غلاء الاسعار وهذا حرام في الشرع الا انه في اجناس الاقوات واما في غيرها كالادوية والعقاقير والزعفران فلا وان ما كولا ثم هو زمان احتياج الناس الى القوت واما زمان غنى الناس عنه فلا - ولهذا قيل اوصى بعض التابعين رجلا لا تسلم ولدك في صنعتين ولا في بيعتين اما البيعتان فبيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتعنى الغلاء وموت الناس - والصنعتان ان يكون جزارا فانها تقسى القلب او صواغا فانه يزخر بالدنيا بالذهب والفضة - وثانيها ترويج الزائف من الدراهم اثناء النقد فهو ظلم فيعم فيه الضرر فيكون وزرا له ولغيره لانه فتح هذا الباب والويل الطويل لمن مات وذنبه باق الى مائة سنة او اثنتين يعذب بها في قبره - واعلم ان في الزائف امور خمسة الاول اذا وجده ينبغي ان يطرحه في موضع لا تناله الايدي ، الثاني ان يتعلم طريق النقد ليحفظ دينه لا يحفظ ديناه ، الثالث انه

لا يبرأ عن الاتم باعلام المعامل فقط اذ ربما يروجه على غيره - الرابع ان اخذ الزيف وطرحه في بئر فهو عامل بخير - الخامس الزائف ما لا تقرر فيه اصلا واما المغشوش فان كان نقد البلد ففيه رخصة والا فان علم مقدار الدثرة فيجوز والا فلا يجوز اصلا -

القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل والضابط فيه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه وذلك اربعة - الاول ان لا يثنى على سلعة فان كان بما ليس فيها فهو كذب وان قبل ذلك فهو ظلم وكذب والافهو كذب واسقاط مروءة وان اثنى على السلعة بما هو فيها فان عرفه المشتري فهو هذيان وكلام لا يعنيه فما يلغظ من قول الاديه رقيب عتيد - وان لم يعرفه فلا بأس به وان كان نيته ان يعرف اخوه المسلم فيقضى به حاجته ولا يخلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس التي تدع الديار بلاقع مع كونها من الكبائر وان كان كاذبا فقد جعل الله عرضة لآيما نه والدنيا اخس من ان يذكر اسم الله لتربحها - وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله لا والله وويل للصانع من غدا أو بعد غد - الثاني ان يظهر جميع عيوب السلعة خفيها وجليها فذلك واحب والا كان عاشا والغش حرام وفي حكمه عرض الثياب في المواضع المظلمة وهذا وان نقص من الثمن لكن لذلك جهتي التلمية (١) احدهما ان الدنيا امر حقير والريح ربح الآخرة - وثانيهما ان صورة الزيادة لا اعتبار لها اذ ربما تهلك بحملة والحلال القليل يتمتع به اكثر من الحرام الكثير ولقد جرب ذلك فوجد كذلك -

المطلب الرابع

في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان وذلك بواحد من ستة امور - الاول ان لا يعاين صاحبه بما لا يعاين به في العادة - فاما اصل المغالبة فما ذون فيه فان المبيع للريح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الريح المعتاد إما المشدة رغبته او لشدة حاجة في الحال فينبغي ان لا يأخذ فذلك من الاحسان وان جاز ذلك شرعا اذ ليس فيه ظلم مهما لم يكن فيه تلبيس

وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ، ما رددت ربها قط ولا طلب مني حيوان فأحرث بيعه ولا بعث بنسيئة - الثاني في احتمال المشتري لا عيب ان اشترى من ضعيف او فقير فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا - وان اشترى من الغنى التاجر فالغبن ليس بمحمود بل هو تضييع لال من غير اجر وحمد - وقيل في وصف عمر بن الخطاب كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يغبن - الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمساحة وحط البعض وحرمة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه - الرابع في توفية الدين ولا يكلفه ان يمشی اليه يتقاضاه ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللاطف لان لصاحب الحق مقالا - ومن يصلح بينها ينبغي ان يكون ميله الى من عايه الدين لانه المحتاج وكذا يميل في المبايعه الى جانب المشتري لأنه محتاج الى السلعة والبائع راغب عنها - اللهم الا ان يتجاوز من عايه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه - الخامس ان يقبل من يستقيه ولا يضر اخاه - وفي الحديث من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة او كما قال - السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقهاء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطيأ بهم ان لم يظهر لهم ميسرة فهذه طريق تجارات السلف وقد اندرست والقائم بها محي لهذه السنة والتجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه -

المطلب الخامس

في شفقة التاجر على دينه

وذلك بمراعاة سبعة امور - الاول حسن الية بان ينويها الاستغفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس واستعانة بكسبه على دينه وفيما ما بكفاية عياله ليكون من جملة المجاهدين - ولينو النصيح للسلمين واتباع طريق العدل والاحسان ولينو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السوق - الثاني ان يقصد القيام في صنفته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فانهما لماراة الدنيا ونظام المعاش الا مالا

ما الحاجة فيه كصناعة النقش والصياغة وتشبيد البنيان بلخص وغير ذلك مما تنزخرف
 به الدنيا - واما اجتناب صنعة الملاهي فذلك من باب دفع الظلم - ومنها خياطة
 القباء من الابريسم للرجال وصياغة مراكب الذهب وخواتيم الذهب
 للرجال وكل ذلك من المعاصي والابرة عليها حرام - وقد مر بيع الطعام
 والاكفان وحكم الجزارة ويكره الدباغة والكناسة لمخامرة النجاسة وكره
 ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرتها لتضمنها الكذب والمبالغة غالبا
 واجرتها بقدر عملها لا بقدر قيمة الثوب وهو العادة - ويكره بيع الحيوان لأنه
 يكره قضاء الله وهو الموت - والصيارفة ايضا لا يسلمون من الحيلة والالم يكن
 الربح - قد كان غالب اعمال السلف عشرة صنائع الخرز والتجارة والحمل
 والخياطة والقصارة وعمل الحفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد
 البر والبحر والوراقة واربعة من الصنائع وسومون عند الناس بضعف الرأي
 الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون وذلك لكثرة مخاضهم مع النساء
 والصبيان والمخالطة بسبب السراية وكل قرين بالمقارن يقتدى - وعن مجاهد ان
 مريم طلبت عيسى عليه السلام فمرت بحاكة فارشدها الى غير الطريق فقالت اللهم
 انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في عين الناس فاستجيب دعاؤها
 وكره السلف اجرة العبادات كفصل الاموات وتعليم القرآن وصلاة التراويح
 والاذان فان ذلك استبدال بالدنيا عن الآخرة - الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن
 سوق الآخرة وهي المساجد - الرابع ان يلزم ذكر الله تعالى في السوق وذكر
 الله بين الغافلين - وفي الحديث من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده
 لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
 كل شيء قدير - كتب له الف حسنة ومحى عنه الف سيئة وبني له
 قصر في الجنة - الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة بان
 يكون اول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكر وهان -
 وكان عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها

فان بها باض الشيطان وفرخ - ويقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق - وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او لعمره او لغزو - وبالجملة لا يحرص على السوق فيراقب وقت كفايته - فاذا حصلت ينصرف ويستغل بتجارة الآخرة - السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتى قلبه فما وجد فيه حزا فاجتنبه وأمر الفتوى على التيسر للعامة لا على الشدة - السابع ان يراعى ويراقب جميع مجارى معامليه فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة ويحاسب على كل احد محاسبة على عدد من عامله -

الاصل الرابع

في الحلال والحرام وميه مطالب ثمانية

المطلب الاول

في فضيلة الحلال وذلك في الآيات كثر وكذلك مذمة الحرام وكذا الحلال في الاخبار والآثار - واما اصناف الحلال والحرام ففي كتب الفقه على التفصيل ولنبين ههنا على سبيل الاجمال فاعلم ان الحرمة في المال إما في عبئه او في كسبه - القسم الاول ان الاعيان المأكولة اما معادن او نبات او حيوان والحرمة فيها إما لاجل ازالة العقل او ازالة الصحة او الاستقذار - القسم الثاني ستة اقسام الاول ما لا يؤخذ من مالك كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستسقاء وذلك حلال الا ان يسبقها يرد قبله - الثاني المأخوذ قهرا ولا عصمة له كالمال الكفار وذلك ايضا حلال بشرط ذكر في الفقه - الثالث ما يؤخذ قهرا لكن بالاستحقاق وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق واسباب ذلك في كتب الفقه - الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا تضمنت شرائطه المذكورة في مواضعها - الخامس ما يؤخذ بالرضا بلا عوض كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرائطه - السادس ما يؤخذ بغير اختيار كالارث وذلك حلال اذا كان المال مكتسبا وجهة الحلال واخرجت منه سائر الحقوق المذكورة في علم الفرائض وان

وان لم تعلم فاسأل اهله -

المطلب الثاني

في درجات الحلال والحرام

اعلم الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخم من بعض والحلال كله طيب لكن بعضه اطيب من بعض ومثال ذلك في المحسوسات ان الحرارة والبرودة نوعان ومع ذلك لهما درجات اربع عمد الاطباء فلذلك لهما درجات اربع - الاولى ورع العدول وهو الذي يحب الفسق بتركه ويدخل في العصيان والتعرض للعار وهو الورع مما يحرمه فتاوى الفقهاء - الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان رخص المفتي بذلك بناء على الظاهر - الثالثة ورع المتقين وهو ما لحرمة فيه بحسب الفتوى ولاشبهة في حله لكن بخاف منه اذاؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به محافة ما به بأس - الرابع ورع الصديقين وهو ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي ما به بأس ولكمه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره المبلغ وتأكيد -

المطلب الثالث

في مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كما ارعى رعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه - فهذا الحديث مدار امر الشرع وقطب احكام الدين وفيه نص في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها هو القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس فلا بد من كشف الغطاء عنها فنقول الحلال المطابق وهو الذي لا يتطرق اليه اسباب التحريم او الكراهية كما ان المطر قبل ان ينزل على ملك احد ويقابله الحرام المحض وهو اما حرام لعينه بصفة مجربة كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي

عنه كالحصل بالنظم والربا ونظائر هذه ان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكن احتمال غيره ولكن لم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه مثل صيد البر والبحر حلال فيحتمل ان تفلت الطيية من صياد والسمك قد تزلق من خريطة صياد فالورع في امثاله وسواس - اللهم الا ان يدل عليه دليل كالجرح في الظن والحلقة في اذن السمكة وبالجملة ما لم يترجح احد طرفي الشك لا يعتبر به اصلا ولا يعد ذلك شبهة وانما الشبهة احتمال حرمة يستند الى دليل ويعارض اصل الحل - ومثارات الشبهة خمسة -

المثارة الاولى الشك في السبب المحلل والمحرم فذلك اقسام اربعة الاولى ان يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها فهذا حرام لأن الاصل التحريم، الثاني ان يحرم الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا طار طائر فقال ان كان هذا غربا فأمراته طالق وقال آخر ان لم يكن غربا فأمراته طالق والتبس امر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما الا ان الورع اجتنابها - الثالث ان يكون الاصل التحريم وطراً عليه سبب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فان استند الظن الى سبب معتبر شرعا فالمختار الحل اذ الاصل عدم طريان غيره فطريانه مشكوك فيه ولا يرفع اليقين بالشك ولكن اجتنابه من الورع كمن رمى الى صيد فجرحه ثم غاب فوجده ميتا وائس عليه اثر جراحة اخرى التحق بالقسم الاول اذ حصل غلبة الظن بانه مات من جرحه واما احتمال موته من غير جراحته شك فيه لا يعتبر اذ ذاك جار في كل مجروح لاحتمال انه مات بغلبة مرض وان وجد جراحة اخرى فقد تعارض السبب فتعارض الظن والاحتمال فيحرم - الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا كما اذا غلب على ظنه نجاسة احد الاثنين بعلامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه والذي هو المختار ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الاصل -

المثار الثاني الشبهة بشك منشأه الاختلاط بين الحلال والحرام ويشتهب للامر فلا يتميز ففيه اقسام ثلاثة - الاول ان نسبتهم (١) المعين بعدد محصور لمن تزوج احد الاختين ولم تعلم بعينها يجب اجتنابها بالاجماع اذا لم يحال للاجتهاد - واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد وتقابل فيه جهة التحليل والتحريم فيجتنب - وان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فوجوب الاجتناب اولى - الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما اذا اختلطت رضيعة او عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهم الا اذا علمها بعينها الا ان علة الحل ليست كثرة الحلال اذ يلزم منه جواز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال بل العلة الغلبة والحاجة جميعا مثلاً من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج وما في الدين حرج واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضاً في بلد اذا وقع بين جماعة محصورين فاجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار - واعلم ان تمييز المحصور من غير المحصور مشكل وبالتقريب كل عدد لوا اجتماع على صعيد واحد اعسر على الماظر عدد هم بمجرد النظر كالألف والالفين فهو غير محصور وما كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بانظن - وربما يفق المفقى لكن ان وقع عند الشك فليكن ان تستفتى قلبك فان جال (٢) في صدرك شيء فهو الاثم يبيك وبين الله فان الاثم حراز القلوب ولا ينجيك في الآخرة فتوى المفتى فانه يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصت استفتت قلبك وان أتوك وأفتوك وأفتوك - وكذا الحال في الاوساط المتشابهة التي تقع في الاقسام الاربعة في المثار الاول - الثالث ان يختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور كحكم الاوال في زماننا هذا وقد يظن ان هذا مثل اختلاط المحصور بالمحضور

(١) كذا (٢) كذا ولفظ الحديث الذي روى في هذا المعنى - حاك -

في الحرمة لكنه ليس كذلك بل هو - إذا غير حرام كما يتناول شيئاً بعينه احتمال انه حرام وانه حلال فتركه ورع وأخذه حلال الا ان يقترب بتلك العين علامة الحرمة فحينئذ يحرم - وبدل على ما ذكرنا ان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم وقع الغلول واختلط بالاول والوال وكذا اختلط اثمان الخمر في ايدي اهل الذمة بل الربا ايضاً وكذا في زمن الصحابة والتابعين - وقد نهب يزيد المدينة شرفها الله ثلاثة ايام ولم يتمتع احد من الصحابة عن الشراء في السوق الا القليل بعد من اهل الورع - ومن زعم انه تفتن من الشرع ما لم يتفطنه السلف الصالحون فهو وسوس مخمل العقل وايضاً لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات ونحرب العالم اذ الفسق غالب على الناس ويتساهلون في شروط الشرع - فان قلت ما ذكرته فيما اذا كان الحرام قليلاً وقد صار الحرام في زماننا اكثر قلت ليس هو اكثر بل هو كثير - وقولك الحرام اكثر ما الكثرة الظلمة او كثرة المعاملات الفاسدة او كثرة الايدي - الاول باطل اذ الظلمة وهم الجندية وذو الغلبة والشوكة اذا اضيفوا الى جملة العالم لم يبلغوا عشر عشرهم - وكذا الثاني اذا اكثر المسلمين يتعالمون بشروط الشرع واهل الرياضة (١) بينهم قليل فضلاً عن كونهم كثيراً او اقل - واما الثالث لأن الاول انما يحصل من المعادن والنبات والحيوان ولم يبق درهم واحد ولا دينار خرجت من معدن او دار ضرب الاتا وله يد الظلمة وكذا الحال في الحيوان لم يبق الا الصيد والحشيش والخطب في الموات والجواب عنه ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المحاط بالحلال فالتحق بما عددها من قبل وهو تعارض الاصل والغالب - فالحكم فيه ان الغالب الذي لا يستند الى علاقة تلتقي بعين ما فيه النظر مطرح - فلا يقال اصول الحرام اكثر بل اصول الحلال لم تزل اكثر في كل عصر وزمان وذلك طاهر لمن تدبر باذعان وامعان وانما الكلام فيما اذا قدر غلبة الحرام واختلط غير محصور ولم يكن في العين المتأولة علامة خاصة والذي نراه ان تركه ورع وأخذه ليس بحرام لأن الاصل الحل ولا يرفع ذلك الابلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرهابل نقول لو طبق

الحرام الدنيا على الفرض والتقدير والعياذ بالله من ذلك لكننا نقول يعنى عما سلف ويستأنف بتمهيد الشروط بل نقول ما جاوز حده انعكس على ضده فمها حرم الكل حل الكل وذلك لأن الاحتمالات خمسة لأن الناس اما ان يدعوا الأكل حتى يموتوا او يقتصروا على سد الرق او يتناولون كيف شاؤوا سرقة او غصبا من غير تمييز بين مال ومال وجهة جهة او يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة او يقتصروا على قدر الحاجة مع شروط الشرع اما الاول فلا يخفى بطلانه - واما الثانى فباطل ايضا لانهم اذا اقتصروا على سدا زمرى وزجوا اوقاتهم على الضعف فشافهم الموت وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا وفي خرابها خراب الدين لانها منزرعة الآخرة بل اكثر احكام الفقه لحفظ مصالح الدنيا ليم بها مصالح الدين واما الثالث - فهو دافع لسد الشرع بين المفسدين فتمتد الايدى بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه فيؤدى الى بطلان سياسة الشرع فلا يبنى الا الاحتمال - الرابع بان يبقى لكل ذى يد على ما فى يده فيصير الاحتمال - الخامس هو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدى لا ثقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة -

المثار الثالث للشبهة، ان يتصل بالسبب المحلل معصية وهذا انواع اربعة

النوع الاول المعصية فى القرائن كالبيع وقت النداء يوم الجمعة وكالذبح بالسكين المغصوب وهذا مكروه وليس بحرام والورع اجتنابه وهذه الكراهة لها ثلاث درجات - الاولى منها ما يقرب من الحرام والورع عنه مهم كالصيد بكلب مغصوب - والثانية الاحتطاب بالقدوم المغصوب وهذه دون الاولى فى الكراهة وهى ايضا من الورع - والثالثة البيع وقت النداء وهذه دون الثانية فانه ضعيف التعلق بمقصود البيع ولا بأس بالحذر منه ولكن لو أدى ما هو دون هذا من عدم صحة نكاح الظلمة لتعلق الحقوق الواجبة عليه لأدى الى التخرج عن نكاح بناتهم وانه الوسواس والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم -

النوع الثانى المعصية فى الواحق ولها درجات اعلاها بيع العنب من الخمار وبيع

الغلام ممن يعرف بالفجور بالعلمان والقياس ان العقد صحيح والمأخوذ حلال وليس بحرام وان رجل عاص الا ان مأخوذ مكرهه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم - ويلبها في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن نهارا لان الاحتمال قد تعارض والكراهية فيه اخف والورع فيه فوق الاول - ويلبها في الرتبة ما هو مبالغه ويكاد يلحق بالوسواس كمن لا يجوز معاودة الفلاحين بالآلات الحث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبعون الطعام من الظلمة وهذا ورع الوسوسة -

النوع الثالث المعصية في المقدمات ولها ايضا ثلاث درجات العليا ما بقى اثره في المتناول كالأكل من شاة رعت من مرعى حرام وهذا الورع وان لم يكن واجبا الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عما يساق في نهر الظلمة لأن النهر وصل إليه وقد عصى الله بحفره - وامتناع آخر عن كرم سقى بنهر مذكور وهو ابغى في الورع منه واعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال اوصل اليه بيد سجان وقوله انه جاء في على يد طالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر - والادنى منها وهى قرية من الوسواس ان يمتنع من حلال وصل اليه على يد رجل زنى او قذف وليس هذا كما لو وصل على يدى من أكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الحرام ، وازنا والقذف لا يزيدان في القوة ولوا امتنع الشرب من كوز لأن صانعه قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان وسواسا - واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى العلماء من الفقهاء لأن فتواهم تختص بالدرجة الاولى التى يمكنها تكليف العامة - ولوا جتمعوا عليها لم يخرب العالم دون ما عده من ورع المتقين والصالحين الذين لا يفقههم الا قلوبهم لكن يخرج عن هذا قلب الموسوس لأنهم قوم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم كما شدد على اصحاب موسى عليه السلام -

النوع الرابع المعصية في العوض ولها درجات - العليا ان يشتري شيئا في الذمة ويقضى ثمنه من غصب او مال حرام فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب

قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع ولا هو من الورع الكامل وإنما الإثم بقضاء الثمن من الحرام لكن لا ينقلب الطعام حراما فان أبرأه البائع مع العلم بان الثمن حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الحرام فان أبرأه على طن ان الثمن حلال فلا يحصل له البراءة من الثمن لأنه أبرأه بشرط الاستيفاء ولا يصالح الحرام للايفاء وان لم يسلم اليه بطبيعة قلب ولكن اخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده اذ لئالك حق الحبس حتى يقبض الثمن وانما يبطل حق حبسه بالابراء والاستيفاء ولم يجر شيء منها ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل اما اذا اوفى الثمن الحرام او لا ثم قبض فان كان عالما بحرمة ومع هذا قبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بشئ ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن - فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا قبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكل المرهون الى ان يبرئه او يوفى بحلال او يرضى هو بالحرام ويرى فيصح ابرأؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه - وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل تشتد الكراهة كما سبق واقرى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه اليه فرضاه لا يخرج عنه كونه مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة لا تخرم به وانما تزول به درجة التقوى والورع - والدرجة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتيمأ لمعصية كما لو سلم عن الثمن عبدا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في المبيع ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهة التي في الغصب - والدرجة السفلى وهى درجة الوسواس كما اذا حاف على ان لا يلبس من غزل امته فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا الاكراهة فيه والورع عنه

وسوسة - واعلم ان الدرجات المذكورة لا تنحصر في عدد ولكن المقصود من التعديد التفهيم - واعلم ان الانسان لا ينبغي ان يشتغل بدقائق الورع بالبحضة عالم متقى فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه -

المثار الرابع الاختلاف في الادلة

وهذا كالاختلاف في السبب لان السبب سبب للحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة وهي ثلاثة اقسام -

الاول، ان يتعارض ادلة الشرع كالعمومين من القرآن او السنة او قياسين او قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع في مثله الى الترجيح فان ظهر الترجيح في جانب الحرمة وجب الأخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه - ثم ان المقلد ينبغي له ان يبحث عن افضل المذاهب بين علماء بلده فيتبعه وليس له ان يتبع او سعهما - نعم ان امامه افتاه بشيء وله مخالف فعليه ان يترك الخلاف الى مذهب اجمعوا عليه وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب - وهذا على ثلاث مراتب - اولها ما يقوى فيه الدليل المخالف ويدق ترجيح المذهب الآخر عليه - فالمستحب التورع عنه وان اتي المقتى انه حلال لان الترجيح فيه غامض - وثانيها تراجم درجة الوسواس كالتورع عن اكل جنين ذكي امه وفي الصحاح ما يدل على حله - وثالثها ان لا يشتهر في المسألة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيتورع عنه لاختلاف الناس في الخبر الواحد فهذا ورع لم ينقل عن الصحابة الا اذا تطرق شبهة في حق الراوى خاصة - ومن هذا القبيل خلاف النظام في اصل الاجماع بانهم غير معصومين فاذا لاطرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف - والاصل ان تستفتي قلبك وتدع ما يريك الى ما لا يريك وتترك حزااة القلوب وحكاكة الصدور وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والدواعي ولكن تحفظ قلبك عن دواعي الوسواس حتى تلتحكم بالالحق ولا ينطوى على حزااة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزااة في

في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب -

القسم الثاني، ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة مثلاً يخبر عدل بان هذا المتاع حلال وعدل آخر بأنه حرام فان ظهر ترجيح حكم به فالورع الاجتناب وان لم يظهر وجب التوقف -

القسم الثالث، تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام كن اوصى ماله للفقراء فالفاضل في الفقه داخل بلاشبهة والمتعلم منذ يوم او شهر غير داخل بلاشبهة وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب - وهذه انغمض مشارات الشبهة فان فيها صوى يتحير فيها المفتي تحيرا لازما لاحيلة له فيه اذ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة لا يظهر له ميل الى احدهما - وكذلك الصدقات فان المحتاج ما ليس له شيء والغني من له مال كثير واما من له دار واثاث وثياب وكتاب فان قدر الحاجة منه والزائد عليه لا يمكن تحديدهما وانما يدرك بالتقريب وينظر في مقدار سعة الدار وابنيها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد اوفى طرفه ووقوع الاكتفاء بدار دونها - وكذا الاثاث اما من صفر او من خزف وكذا في عددها وقيمتها وكذلك ما يحتاج اليه كل يوم او سنة - وشيء من هذه الامور لاحد له فان توقف المفتي فيها فلاوجه الا التوقف وان اتقى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اعم مواضع الورع - الوجه في مثل هذا ما قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريك الى ما لا يريك فهذه مشاركات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر اغلظ مثل أن يأخذ طعما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من بخار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبه به فقد يؤدي ترادف المشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه وليس في قوة الامر حصرها فالتضح من هذا الشرح أخذه وما التيسر فليجتنب فان الآثم حراز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي - اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم ان في الاستفتاء لا يعول على كل قلب

اذرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء
وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذى يمتحن
به خفايا الامور، وما اعز هذا القلب فى القلوب فمن لم يثق بقلبه فليتمس النور
من قلبه بهذه الصفة وليعرض عليه واقته -

المطلب الرابع

فى البحث والسؤال والهجوم والالهال ومظاهرها

واعلم ان لواجه للتفتيش عن كل ما اهدى اليك او وهب اوبيع منك و ليس لك
ايضا ان تترك البحث فتأخذ كل ما تجده بل للتفتيش احوال فانه واجب مرة
وحرام اخرى، ومندوب اليه مرة مكروه اخرى فتثار الشبهة فيها فى امرين إما فى
المال او فى صاحبه -

النوع الاول احوال المالك وهى ثلاث - الحالة الاولى ان يكون مجهول الحال
بان لا يكون فى زى الظلمة ولا فى زى العلماء والصلحاء فان كنت غريباً تريد أن
تشتري خبزاً ولا تدري صاحبه فلا يلزمك السؤال بل يده واسلامه كافيتان فى
الهجوم على اخذه وقولك الفساد غالب فى الناس وسوسة وسوء ظن بالمسلم ويدل
عليه ان الصحابة كانوا ينزلون القرى ولا يتركون القرى ويدخلون البلاد
ولا يتحرزون من العباد وكان الحرام موجوداً فى زمانهم ايضاً فليس له السؤال من
اين اكتسبه ومن اين حصل له بل ان حصل له فيه ريبة فليتلطف فى الترك وان
كان له بدنه من أكله فليأكل بغير سؤال ايذاء وهتك سر وايحاش وهو حرام
بلاشك وليس الآثم فى ايذاء مسلم بأق من الآثم فى أكل شبهة ولا يجوز أن يسأل
من حيث لا يدري لأن فى ذلك اساءة ظن وهتك سر وفيه تجسس وفيه تشبيه
بالغيبية وان لم يكن صريحاً وكل ذلك منهى عنه فى آية واحدة قال الله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب
بعضكم بعضاً) فكم من زاهد جاهل تجسس الجاهل عنده ذلك طلباً للشهرة بأكل
الحلال ولو كان باعته الدين لكان خوفه من ايذاء مسلم أشد من خوفه على ان
يدخل

يدخل بطنه ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري فطريق الورع في امثاله الترك دون التجسس وان لم يكن بد فالورع الأكل واحسان الظن -

الحالة الثانية، ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورث ريبة اما في خلقته بان يكون على خلقه الاتراك والبواى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب واما في زيه بان يكون لباسه على زى اهل الفساد من الظلمة والاجناد واما من فعله وقوله بان يشاهد منه الاقدام على أخذ الحرام ، والحكم فيه جواز الاقدام نظرا الى ضعف الأدلة وقوة اليد والاسلام ورجحان الترك لان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه فاورث ريبة - واما الورع هو الثانى ، وهو الذى يختار ويفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ثم ان بين هذه الدلالات تفاوتان فان طول الشارب وهيئة الاجناد وكذا القول والفعل المتعلقان بظلم المال وكذا الأمر بالغضب والظلم او العقد بالربا اقوى في الدلالة ممن شتم غيره في غضبه واتبع نظره امرأة اذكم من انسان يتحرج في طلب المالى ولا يكسب الا بالحلل ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فلا يمكن ان يضبط هذه الدلالات بمجد فالمرجع هو الاستفتاء بالقلب ثم ان ما ذكر في مجهول المال - واما ان رأيت من عرفته بالورع في العبادات يصير في حكم المال كالمجهول لتعارض الأدلة في حق المال اذ لا يلزم من الورع في العبادات الورع في المال فالمرجع هو حكم القلب وايضا ان هذه الدلالة انما تعتبر اذا دلت على حرمة اكثر ماله وان دلت على حرمة اقله لا يجب السؤال بل يكون السؤال من الورع الحالة الثالثة، ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب الظن في الحل والحرمة مثل ان يعرف ديانته وعدالته في الظاهر واحتمل عنده ان يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام ههنا بعدد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد من الورع وان لم يكن حراما -

النوع الثانى، احوال المال بان يختلط الحرام بالحلل كما اذا اشترى اهل السوق

احتمالا من طعام غصب فلا يجب السؤال عما يشتريه في تلك السوق وانما التفتيش هو الورع الا ان يظهر اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال والدليل على عدم وجوب السؤال اذا لم يكن الحرام اغلب عدم امتناع الصحابة عن الشراء من الاسواق مع ان فيها دراهم الربا وغلول القيمة وغيرهما وانما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا في بعض الاحوال وفي محل الريبة في الشخص المعين -

المطلب الخامس

في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وعليه في ذلك وظيفتان

الوظيفة الاولى في كيفية تمييز الحرام وانحراجه - فالمال الحرام ان كان معلوم العين فلا مرسل فان كان مختاطا فما ان يكون من ذوات الامثال كالنقود والادهان او من اعيان متميزة كالعبيد والثياب فان كان الاول او كان شائعا في المال كله كن خلط دهننا مغسوبا بدهن نفسه فان كان معلوم القدر كالنصف فعليه تمييز ذلك القدر وان اشكل فله طريقان احدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن فيجوز الأخذ بغالب الظن اجتهدا ولكن الورع الأخذ باليقين - طريق الأخذ بالورع ان لا يستبقى الا القدر الذي يتيقن انه حلال وطريق الأخذ بالجواز مثلا يتيقن ان النصف حلال والثالث حرام ويشك في السدس فيخرج الثلث ويحكم في السدس بغالب الظن والورع انحراجه ايضا وان شك فيه جازا لا مساك والورع الانحراج ايضا وهذا الورع اكد - فان قلت الذي يخرج لا يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي قلت انه غير مضر ونفرض في درهم اشتبه بدرهم آخر ايهما رد الى المالك ورضي به فقد برئ اما الرد ود وان كان عين درهمه فذاك وان كان غيره فقد حصل لكل منهما درهم في يد صاحبه فالا احتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاوضة اذ المغصوب منه وان فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه لكن ما أخذه يقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا قد سلم درهم

نفسه فقد فات له ايضادهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالثالب (١) فيقع بدلا عنه في علم الله تعالى ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله سبحانه - هذا في ذوات الامثال فانها تصح عوضا بلا عقد - واما اذا اشتبه داربدار أو عبد بعبد فلا سبيل الا المصالحة والتراضي فان ابى ان يأخذ الا عين حقه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيمة يبيع القاضى جميع الدور ويوزع الثمن بقدر النسبة وان كانت متفاوتة أخذ من طالب الدفع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضى فلذى يريد التلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك نفسه -

الوظيفة الثانية في الصرف وله احوال ثلاثة اما ان يكون له مالك معين ولا يدري انه مات عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الثغينة فانها بعد تفرق الغزاة لا يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينار واحد على ائلاف من المسلمين فحكم هذه المال ان يتصدق به وان كان من مال الفىء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين يصرفها الى المساجد والقناطر والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال ذلك فان وجد قاضيا عدلا ينلم اليه المال وهو يصرفه الى ما ذكره ولا يحكم علما متدينا من اهل البلد فان التحكيم اولى من الانفراد وان عجز عن ذلك يتولاه بنفسه اذ المقصود الصرف - فان اخطرت بالبال ان التصدق بالحرام غير جائز ولا اقل من عدم ثوابه قلت ثبت ذلك بالخبر والاثار والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بأنها حرام او قال اطعموها فتصدق بالثمن -

واما الاثر فان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بما لكها لينقده الثمن فطليه كثيرا فلم يجد فنتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضى والا فالأجرى - وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش قال يتصدق به - واما القياس فهو ان هذا المال مرددين ان يضيع وبين ان يعرف الى خير اذ يقع اليأس عن

ماله ولا يخفى ان صرفه الى خير ينتفع به ماله في الآخرة خير له من ان ينتفع به في الدنيا فضلا عن ان لا ينتفع اصلا في الدنيا ولا في الآخرة مع ان فيه انتفاع فقير وسد حاجته وحصول الاجر لئلا يترك اختياره لا يتكر اذ قد ورد في الخبر الصحيح ان للزراع والغاس اجرا في كل ما يصيبه الغاس والطيور من ثماره وما يقال لا يتصدق الا الطيب (١) فذلك اذا طلبنا الاجر لا نفلسنا ونحن نطلب الخلاص عن المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع والتصدق - وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا نرضاه لا نفلسنا فهو كذلك لكنه حرام علينا وحلال للفقير فرضينا له الحلال - واعلم ان المال اذا كان مختلطا من الحرام والحلال يخص الحلال بنفسه اذ لا يعذر نفسه في الحرام ويعطى الحرام العيال لأنهم ربما يعذرون بعدم العلم ثم انه يخص بالحلال قوته ولباسه واما اذا اريد تخصيص واحد منها فيخصص الحلال بالقوت اذ ينبت لحمه ودمه منه واللباس انما هو ساتر من الحر والبرد فلاهتمام بالاول اولى - وقال الحارث المحاسبى يقدم اللباس لبقائه مدة بخلاف الطعام الا أن المختار تقدم القوت ولهذا تقياً الصديق رضى الله عنه لبنا شربه مع الجول بحاله لئلا ينبت منه لحم - فان قيل بعد ما صرف الكل الى اغراضه لا يبقى الفرق بين نفسه وغيره - قلنا عرف ذلك الثفاوت مما روى ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حججا ما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع من كسب الحجام فروجع مرات فنع فقيل له ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو ودابته ثم اذا تصدق على الفقراء الحرام يوسعه حالهم واذا انفق على نفسه فلينفق ما قدر (١) وان انفق على عياله فليقتصد - واما الضيف فان كان فقيرا يوسعه عليه منه وان كان غنيا فلا يطعمه منه الا في برية او قدم ليلا لم يجد شيئا وان كان الضيف الفقير تقياً ورعا فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع ولا يقول انه لا يدري فلا يضيره لان الحرام يؤثر في قساوة القلب - وان كان الحرام في وائديه فليمتنع من أكل طعامهما وان مضطرا اذ لا طاعة لمخاوق في معصية الخالق وان كان شبهة فلا امتناع للورع

فليتألف في الامتناع لأن رضاها أيضا ورع بل واجب - فان لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بان يصغر اللقمة ويطلب المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور - والاخ والاخت قريب منها لأن حقها أيضا مؤكد وكذا اذا أبسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبله بين يديها ولينزعه في غيبتها ولا يصل فيه الا عند حضورها فلا يصل فيه الا صلاة المضطر -

المطلب السادس

في ادارات السلاطين فالنظر فيها في امرين

النظر الاول في جهات الدخل وهي قسبان احدها مال القىء والجزية ومال المصلحة وهذا من الكفار - وثانيهما من المسلمين وهو المواريث التي لا وارث لها والاموال ضائعة - واما الصدقات فلا تؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام مصارف ما ذكر ثمانية - الاول الجزية واربعة انحاسها للمصالح وخمسها للجهات معينة وذلك حلال ان اجتمع شرائطها المذكورة في الفقه - الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في حال المال بانه حرام او حلال كله او بعضه فقد مر حاله - الثالث الاوقاف والنظر فيها ككثرا ئط المواريث مع شرائط الوقف خاصة - الرابع ما احياء السلاطين ولا يعتبر له فيه شرط اذ له التصرف العام في الاراضى فيعتبر فيه مامر من احوال الاعواض - الخامس ما اشتراه السلطان من الذمة من ارض او ثياب ونحو ذلك هو حلال لو كان ثمنه حلالا والاعخراج - السادس ما عينه للعمال بان يجمعوا من اموال القسمة والمصادرات وهو الحرام السحت - السابع ما يكتب على بيع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كله حرام والافختلط إما غالب او مساو او قليل - الثامن ما يكتب على الجزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل حلال فهو سحت محض وان لم يعلم تفقيه خلاف ، منهم من قال الحرام فيه غالب فلا يجوز ، ومنهم من قال كل ما لا أتقن بحرمة فلي ان آخذه والمختار

ان الغالب ان كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع
توقفنا كما سبق - واحتج المجوزون بأخذ بعض من الصحابة من مروان ويزيد
ومن عبد الملك ، وبعض من التابعين كالشعبي و ابراهيم والحسن وابن أبي ليلى واخذ
الشافعي من الرشيد الف دينار دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة
وكان الحسن والحسين يقبلان جوائز معاوية - واما امتناع آخرين فيدل على
الورع دون الحرمة واجيب بأن الآخذين اكثر من الممتنعين فان وجه الرد بالورع
فكذا الأخذ يوجه بأحد أمور ثلاثة اذ الاحتمالات اربعة - الاول ان لا يأخذ من
مالهم شيئا وهو اشد الورع - الثاني ان يأخذ مما يعلم انه من جهة حلال وعلى
هذا يحمل ما نقل عن الصحابة والتابعين - الثالث ان يأخذ ليتصدق به على الفقراء
او يفرقه على المستحقين فانه مال لا يتعين مالكة والسلطان لا يصرفه في محله فالأخذ
منه وتفريقه في محله اولى من تركه في يده وعلى هذا يحمل اخذ كثير من السلف -
الرابع ان يأخذ من سلطان اكثر ماله حلال ويستنفق وهكذا كان الخلفاء في زمان
الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ولهذا قال على
رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يأخذه من الحلال اكثر - واما مال
السلطين في زماننا هذا اما حرام كلها او اكثرها اذ الظلم تداخل جميع اموالهم
او اكثرهم وايضا كان السلطين في العصر الاول يتقلدون المنة بأخذ الصحابة
والتابعين اموالهم وهم يأخذون من غير اذلال وسؤال ولاهم يسكتون عن الحق
لأجل عظائمهم - وفي زماننا هذا انعكس الامر كله فيؤدى القبول الى المعصية -
انظر الثاني في قدر المأخوذ وصفة الأخذ - واعلم ان تصرف السلطان في اموال
المصالح كاربعة انحاس النعم والمواريث صحيحة فله ان يعطى ما شاء لمن شاء واما
مصارفها فالفني ليس منهم اذ لم يكن فيه مصلحة للناس بل المصروف من فيه مصلحة
عامة او محتاج الى الكسب فكل من يتولى امرا يقوم يتعدى مصلحته الى المسلمين
فلوا اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ومنهم
العلماء النافعون كالفقهاء والمحدثين والمفسرين والقراء بل المعلمون والمؤدبون
وكذا

وكذا طلبة هذه العلوم وكذا زواري (١) العلماء المذكورين فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب - وايضا الدين والملك توأمان فيدخل فيهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم - ومنهم عمال بيت المال والاجناد الحارسون للملكة ويدخل فيهم الحساب والكتساب والوكلاء لاعمال المال الحرام بل عمال بيت المال على حسب الشرع - ويدخل فيهم الاطباء ايضا لان لهم مدخلا في صحة الجسد الذي لا يتم امر الدين الا به لكن من يعالج المسلمين بغير اجرة وهؤلاء المصارف يجوز أن يعطوا مع الغنى وكذا للسلطان ان يخصص واحدا بقدر ما شاء لكن ينبغي ان يراعى فيه المصلحة اذ مهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث الناس وتحريضهم على الاشتغال والتشبه به هذا في السلطان العامل على وجه الحق واما الظلمة ففيهم أمران احدهما انه بظلمه إما معزول او واجب العزل فكيف يجوز أن يؤخذ من يده - ثانيها أنه يمنع بعض المستحقين فلا يجوز الأخذ للبواقي اصلا وان جاز فبقدر حصتهم - والجواب عنه اما عن الاول فلأن السلطان مهما عسر استبداد له وكان في خلعه فتنة نائرة لاتطاق وجب تركه والطاعة - وايضا اناراعى الصفات والشروط في السلاطين تشوقا الى منرايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف نفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لاتسع الا لشوكة او من بايعه صاحب الشوكة وهو الخليفة فن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاة في اقطار الارض ولاية نافذوا الاحكام - واما عن الثاني ففيه اربع مراتب فعلا بعضهم وقال المسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق اوحبة فليترك الكل، وقال قوم له ان يأخذ قوت يومه اذ الضرورة تندفع بهذا، وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فلا يتركه، وقال قوم يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن اشتراك هذا المال بين المسلمين ليس بطريق التعيين والا لزم الارث فيمن مات قبل القبض وانما يتعين بالقبض فلا يسقط الباقي بظلم السلطان للبعض منهم -

المطلب السابع

في حكم مخالطة السلاطين وذلك لا يخلو عن احوال ثلاثة

الحالة الاولى ان تدخل عليهم فهي مذمومة شرعا وفيه تشديدات وتغليظات
تواردت بها الاخبار والآثار ثم ان في الدخول ما يكره وما يباح بسبب
امور ثلاثة إما بفعله وإما بسكوته وإما بقوله - اما الاول فلأن الاكثرين دارهم
مغصوبة فيحرم الدخول فيها بغير اذن المالك وإن لم تكن داره حراما فلا يعصى
بالدخول والسلام ولكن ان سجد اوركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان
مكرما للظالم فيكون عاصيا والتواضع لغنى غير ظالم معصية وفي الخبر نقص ثلثا
دينه فكيف بالظالم - واما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف
اولا امام عادل اولعالم او لمن يستحق ذلك بأمر ديني - قبل أبو عبيدة بن الجراح
يد عمر رضى الله عنه فلم ينكر عليه - فان ترك جميع ذلك واقتصر بالسلام فلا يخلو
من الجلوس ع-لى بساطهم واذا كانت اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس
على بساطهم -

واما الثانى وهو السكوت فانه سبرى في مجلسهم من الفرش الحرام والاواني
الحرام والملبوسات المحرمة عليهم وعلى غلمانهم بل يسمع منهم الفحش والكذب
وامثالها فالسكوت على جميع ذلك حرام فان ترخص بانه يخاف فهلا عمل بالعزيمة
في عدم الدخول اللهم الا اذا أكره على الدخول ايضا -

واما الثالث وهو القول فهو أن يدعو له ويثنى عليه او يصدقه فيما يقول من باطل
بتصريح او بتحريك رأس او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والاشتياق
والحرص ع-لى طول عمره وبقائه وكل ذلك حرام وقعت فيه الاخبار والآثار
فلا يجوز الدخول عليهم الا لعذر من احدهما الا كراه وعلم انه لو امتنع او ذى
او نزاع العوام أنفسهم عن طاعة الامراء لاقتدائهم بامتناعه - وثانيهما ان يدخل
لدفع ظلم عن نفسه او عن غيره بشرط ان لا يكذب ولا يثنى ولا يدع النصيحة
بتوقع قبولها -

الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائراً فيجب السلام واما القيام فان كان بجمع كثير يقوم لرعاية حشمة الولاية بين الرعايا فان ذلك مهم وان كان في خلوة فيجوز القيام مكافأة لما وقع من الاكرام ولكن الاولى ان لا يقوم ليظهر به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين والاعراض عن اعراض الله عنه ثم يخوف فيما يرتكبه من المعاصي ويرشده الى طريق المصلحة والارشاد الى ما هو غافل عنه بما يغنيه عن الظلم -

الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذلا سلامة الانيه ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم فاذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال أبو حاتم (١) الا صم انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم ولا بد أن تكون الجناية على الله فوق الحماية على نفسك فيجب ان لا تحب وما يقال المحبة غير اختيارى فليس كذلك لأن المحبة فرع معرفة الكمال فمن احب الله تعالى احب ما احبه وكره ما ابغضه ، وان احتججت بدخول السلف عليهم فنقول لك ادخل كما دخلوا لكنه قريب من المحال في حقنا اين نحن من احوالهم لأنهم كانوا يعاتبونهم ويعظونهم ولا يخافون في الحق لومة لائم ونحن نتقرب الى قلوبهم فند لهم على الرخص فيما يوافق اغراضهم وان لاف ذلك غرور (١) يغتر بها الحماة احدهما ان يظهر أن قصدى اصلاحهم باو عظ وانما الباعث لهم الشهرة وربما تلبس انفسهم بذلك عليهم وليمتحن بانه لو تولاه غيره لفرح به ويشكره على كفايته هذا المهم -

وثانيهما ان يزعم انه يقصد الشفاعة لمسلم لدفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم -

المطلب الثامن

اذا بعث اليك السلطان ما لا تفرقه على الفقراء - فان كان له مالك معين فلا يحل أخذه والا فيجوز أن تتولى بها لكن اشترط بعضهم الامان عن ثلاث غوائل

الاولى ان يظن السلطان حل ماله بأخذك الثانية ان يقتدى بك غيرك ويستدل بذلك على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول كما يستدلون بأخذ الشافعى على جواز الاخذ ويفعلون عن تفرقة واخذة على هذه النية - الثالثة ان يتحرك قلبك الى نفسه لتخصيصه اياك واثيره لك وهذا هو السهم القاتل فانك ان احببته تحرص عليه وتداهن فيه ومما ينبغي ان يعلم انه يجب الاحتراز عن معاملتهم لأن اكثر ما لهم حرام وكذا عن معاملة قضاتهم وعملهم وخدمتهم اذا اكثر اموالهم الغصب فمن اين يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف شبهة الحرام باختلاط الحلال بهم - وايضا الاسواق التي بنى السلاطين بالمال الحرام تحرم سكنها وان لم يحرم كسبه فان وجدوا سوقا آخر فلا يشتري منهم فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم ، ومنهم من بالغ وجعل كسبهم حراما وليس كذلك واما القناطر من ما لهم فلا يجوز العبور عليها الا للحاجة والورع الاحتراز ما امكن ، واما المساجد فان كان بناؤها وآلاتها مقصوبة او من مال لا يعرف مال لكة فلا يجوز الصلاة فيها ولا الجمعة وان امكن اقتداء الامام من خارج فليفعل فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد والا فلا يترك الجمعة والجماعة ولينظر الى احتمال ان يكون من مال بانيه او ان لا يكون له مالك معين وكذا السقاية من مال حرام والورع الاحتراز عنها الا اذا خاف فوت الصلاة فيتوضأ واما الرباطات والمدارس فان كانت في الارض المنصوبة لا يرخص للدخول فيها وان التيس فقد اوصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه لكن لا يفسق مرتكبه وهذه الابنية ان صدرت عن خدم السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح مع غلبة الحرام على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر والكلام في هذا يطول والله اعلم -

الاصل الخامس

في آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وفيه مطالب

المطلب الاول

في فضيلة الاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الاخوة والالفة - اعلم ان حسن الخلق يوجب التوافق والتحاب ويثمرهما ومجودية الثمر توجب مجودية الثمرة كما ان سوء الخلق يثمر التباغض والتدابر اما فضيلة حسن الخلق فقوله تعالى (انك لعل خلق عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى وحسن الخلق - وقال ائقل ما يوضع في الميزان خاق حسن - وقال بعثت لأتكم مكارم الاخلاق ، ثم ان الاخوة في الدنيا والاخوة في الآخرة واعلم ان الصحبة اما اتفاق كالصحبة بسبب الجوار او الاجتماع في المكتب والمدرسة او السوق او باب السلطان او الاسفار واما اختياري وهي فرع المحبة وهي اربعة اقسام -

القسم الاول - حبك الانسان لداته وذلك بأن تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذى وكل لذى محبوب فاللذة تتبع الاستحسان ويتبع هو المناسبة والموافقة من الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون صورته الظاهرة او الباطنة اعنى كمال العقل المثمر غزارة العلم وحسن الخلق المثمر حسن الافعال وقد تكون الالفة بمناسبة باطنية توجب الالفة فان شبه الشيء بمنجذب اليه وتلك المناسبة لها اسباب دقيقة ليست في قوة البشر الاطلاع عليها واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم، الارواح جمود مجنونة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف، وكان مالك بن دينار يقول، كل انسان يأنس بشكله كما ان كل طير مع جنسه، فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فلما طارا فاذا هما اعرجان فقال من هاهنا اتفاقا فقد طهر منه ان الحب قد يكون لالفتح صوري ويدخل فيه الحب للجمال بدون ملاحظة الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان فرض عدم الشهوة كما يستلذ الماء والخضرة والازهار فهو محمود في نفسه وان اتصل به غرض مذموم من الشهوة الحرام صار مذموما وان اتصل به غرض مباح لا يذم ولا يحمى وفي هذا القسم لا يدخل حب الله لانه طبعى وحب الله ليس كذلك

القسم الثاني - لينال من ذاته غير ذاته فيكون المحبوب الغير وهو وسيلة اليه والطريق الى المحبوب محبوب ومنه محبة الذهب والفضة - ثم القصد بالوسيلة اما الى المال والجاه كحب الملوك والسلاطين او العلم كحب التلميذ الاستاذ وليس في شيء منها محبة الله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى الا انه قد يكون مذهباً وما اذا قصد التوصل الى قهر الاقران بالمال وحياسة اموال اليتامى بالجاه وظلم الرعايا بالعلم بولاية القضاء او غيره وقد يكون مباحاً اذا توسل الى مباح اذا الوسيلة يكتسب الحكم والصفة من المتوسل اليه -

القسم الثالث - ان يحبه لالذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعاً الى حظوظه في الآخرة كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العلم (١) ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جهة المحبين في الله تعالى وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم بل الذي يتصدق بأمواله تقرباً الى الله تعالى بل من احب من يواسيه في المطعم والملبس ليتفرغ للعلم والعمل بل من احب امرأته الصالحة ليتحصن بها من وسواس الشيطان ويصون بها دينه ويولد له ولد صالح يدعوه لاكل هذه المفاصد دينية فهو محب لله تعالى -

القسم الرابع - ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علماً او عملاً ليتوصل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واعظمها وهذا القسم ايضا ممكن ومن آثار هذا الحب ان يتعدى من المحبوب الى من يتعلقه ويناسبه ولو من بعد من محبوب محبوبه ومن يثنى عليه حتى منزله ومحلته وجيرانه حتى قبل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه - ويشهده التجربة في احوال العشاق وبدل عليه اشعار الشعراء - فكذلك حب الله تعالى اذا غلب واستولى يتعدى الى كل موجود سواء لأنه اثر من آثار قدرته كمن احب خط حبيبه وصنعتة وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح عينها (٢) واكرمها وقال انه قريب

(١) كذا ولعله - العمل - ح (٢) كذا -

العهد بر به - ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال او المال لما تصور حب الموتي من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين وكل ذلك حب الله لأنهم خواص عباده - واذا عرفت درجات الحب فقد اتضح عندك درجات البغض بالمقاييس لأن من احب لسبب فبالضرورة يبغض لخصمه فكل عاص لله يبغضه كما يحب المطيع وهذا ان متلازمان وكل من احب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند ظهور افعال المحبين والمبغضين ولكن يشكل حال من اختلط فيه الطاعة والمعصية اذ يازم فيه الجمع بين الحب والبغض وهما متضادان الا ان الامر ظاهر عند الله تعالى - واما انت فتبغض من جهة عصيانه وتحب من جهة طاعته وذلك ممكن كما اذا كان لك ولد ذكي خدوم لكنه فاسق فانك تحبه من الجهة الاولى وتبغضه من الجهة الثانية وكذلك الحال في المسلم العاصي فلا تبالغ في اهانتك كاهانتك الكافر ولا تبالغ في اكرامه كاكرامك المسلم المطيع ثم ينبغي ان يكون ميلك الى طرف الاهانة عند غلبة المعصية والى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الطاعة - وهكذا حال من يطلب رضا الله ويتجنب سخطه - ثم طريق اظهار البغض اما القول او الفعل اما القول فترك مكالمته ومحادثته مرة او الاستخفاف والتغليظ اخرى - واما الفعل فبعدم اعانتة او بالسعى في اساءته اخرى وهذه مراتب بعضها اشد من بعض ويترشح بحسب درجات الفسق والمعصية - اما درجات المعصية فاما ان يصدر بطريق الهفوة فالاولى فيه الانعاض والستر او بطريق الاصرار على الصغيرة او الكبيرة فان كانت متعدية الى الغير فلا يسامح فيه بل ينكر بقدر ما يرتدع عنه وبقدر ما امكن لك وان لم تكن متعدية الى الغير بل متعدية اليك فقط فطريقه العفو والصفح وان عظمت جريمته كما قطع أبو بكر نفقته على مسطح حين تكلم في الافك ثم أمره الله تعالى باعادة النفقة اليه وهو قوله تعالى (ولا تأكلوا اموال الفضل منكم والسعة) الآية واية جريمة اعظم من ان يتمرض لحرم رسول الله

صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل عائشة رضى الله عنها - واما ان كانت معصية لنفسه فان كانت بينك وبينه مودة فله حكم مخصوص سنذكره والاملا بد من اظهار اثر البغض بالقول او الفعل وما يندرج تحتها من الانواع بحسب مرتبة انزجاره - واول الدرجات قطع الرفق والنصرة عنه واقواها افساد اغراضه عليه وهذا لا بد منه فيما يفسد عليه طريق المعصية لاني كل أمر - هذا مذ هب البعض واختار بعضهم في المعصية الغير المتعدية المظر بعين الرحمة لأنهم مقهورون لما قدر لهم والقدر لا ينفع منه الحذر ولكن قد يلتبس المداينة ومراعاة القلوب بالرحمة ومحك ذلك ان ينظر عليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول كيف لا يفعله وقد كتب عليه وان كان يغتاط عند الجنائية على حقه ويترحم عند الجنائية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان - فان قلت هل يجب الاعراض وقطع النفقة والاعانة عن العاصي بحيث يأثم من يتركه؟ قلت لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكلف والايجاب لان الصحابة كانوا منقسمين في حق اهل المعاصي فمنهم من يغلظ القول ومنهم من يكتفي بالاعراض ومنهم من ينظر بعين الرحمة فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرائق السالكين -

المطلب الثاني

في اقسام المعاصي واحكام كل منها

القسم الاول - الفساد في الاعتقاد وهو نوعان الاول الكفر والكافر الحربي يجازى بالقتل والاسترقاق وهذا اقصى الاهانة - والذمي هو الذي ماله وعرضه معصوم لكن يعرض عنه ويحقر بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام وبقول في جواب سلامه وعليك والاولى الكف عن معاملته ومخاطبته ومؤاكلته واما الانبساط معه والاسترسال اليه فمكروه كراهة شديدة تكاد تنتهي ما يقوى منها الى حد التحريم - والثاني المبتدع وهو إما ان يدعو الى بدعته فان كانت بنيته بحيث يكفر بها فأمره اشد من الذمي والافأمره اخف من الذمي عند الله (١) كذا عند الناس لأن شره يخاف ان يتعدى الى المسلم بخلاف شر الكافر واما

واما المبتدع الذى يدعو الى بدعته ويزعم ان ما يدعو اليه حق فشره متعد
 فالاستجاب فى اظهار بغضه والانتقاط عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببذعته وتنفير
 الناس عنه اشد - واما رد سلامه فان كان عند الناس فلا يجوز تنفير الناس عنه
 وتقبيحا لبذعته فى اعينهم وان كان فى الخلوة فان ظن ان ترك الجواب يردعه عن
 بدعته فالترك اولى والا فلا بأس بجوابه - واما المبتدع العامى الذى لا يقدر على
 الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامرهم اهون فالولى ان يتلطف به فى النصيح فان
 قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصيح وكان فى الاعراض عنه تقبيح
 لبذعته فى عينه تأكد الاستجاب فى الاعراض -

القسم الثانى - العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده وهذا على اقسام احدها وهو اشد
 ما يتضرر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فالاعراض
 عنهم وترك مخاطبتهم والانتقباض عن معاملتهم اشد ثم ان فساد هؤلاء اما فى
 الدماء او فى الاموال او فى الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستجاب فى
 اهانتهم والاعراض عنهم يتأكد بحسب شدة الفساد وغلظته - القسم الثانى
 الماخور الذى يهين اسباب الفساد ويسهل طريقه على الفساق فهذا لا يؤذى الخلق
 فى دنياهم لكن ينقص بفعله من دينهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه
 فان المعصية بين العبد والرب الى العفو والمغفرة اقرب ولكنه من حيث تعديه
 الى غيره شديد يقتضى الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا
 ظن فيه اوفى غيره نوعا من الزجر -

القسم الثالث - الفاسق فى نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور ينحصر
 فالامر فيه اخف ولكنه فى وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه
 ولو بالضرب والاستخفاف فان النهى عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم انه
 مصر عليه فان علم النصيح يمنعه من العود وجب النصيح وان لم يتحقق ولكنه
 كان يرجوه فالافضل النصيح والزجر لطفًا وتغليظًا ان كان هو الانفع - وان علم
 اصراره وان النصيح لا ينفعه فسير العلماء فيه مختلفة فبعضهم يقول ينبى

الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخاطته وبعضهم يقول الرفق والنظر بعين الرحمة اولى كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من لعن من شرب خمرًا وقال لا تكن عونًا للشيطان على اخيك - او كما قال والحق ان ذلك يختلف باختلاف نيات الرجال والتفاوت في الاحوال والمقتى فيه القلب والبال اذ لكل من الطرفين خطرا اذ العنف قد يكون عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح ، والرفق قد يكون عن مداهنة واستمالة قلب -

المطلب الثالث

في الصفات المشروطة فيمن تصاحبه

اذ ليس كل انسان يصلح للصحبة فالصحبة اما للدنيا كالاتفاع بالمال والجاه والاستئناس بالمشاهدة والمجاورة ولا يتعلق بذلك غرضنا - واما الدين وذلك لاغراض منها استفادة العلم والعمل ومنها استفادة الجاه تحصنا به عن اذى من يشوش القلب ويصدّه عن العبادة - ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب الاقوات - ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاهوال - ومنها التبرك بمجرد الدعاء - ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة - قال بعض السلف، استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة - وايضا ينبغي فيمن تريد صحبته خمس خصال العقل وحسن الخلق وترك الفسق والابتداع والحرص على الدنيا - اما العقل فهو رأس المال اذ الاحق يضررك وهو يريد نفعا واعانتك من حيث لا يدري - واما حسن الخلق اذ رب عاقل يغلبه هواه او غضبه او شهوته ويخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه - واما الفاسق المصروع الفسق لا يخاف الله ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصدقاته بل يتغير بتغير الاغراض - وقال الله تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وهو مستحق للاقطعية فكيف الصحبة - وقد جمع شرائط الصحبة حلقة العطاردي لابنه لما حضرته الوفاة فقال، يا بني ان عنضت لك الى صحبة للرجال

الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته صانك وان صحبته زانك وان تعدت بك مؤنة
مانك اصحب من اذا مددت يدك مدها واذا رأى منك حسنة عدها واذا رأى
منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك
وان تنازعتا فى شىء آثرك - كأنه جمع فى هذا جميع حقوق الصحبة الا ان مثل
هذا الرجل عزيز او مفقود ولذلك قيل اوصاه بذلك لأنه اراد أن لا يصحب ابنه
احدا - قال بعض الادباء ، لا تصحب من الناس الا من يكتم سرّك ويستر عيبك
ويكون معك فى النوائب ويؤثرك فى الرغائب وينشر حسناتك ويطوى سيئاتك
فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك - واما الحرّيص على الدنيا فصحبته سم قاتل
لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء والطبع يسرق من الطبع من حيث
لا يدري صاحبه -

المطلب الرابع

فى حقوق الصحبة وهى ثمانية

الاول فى المال اذ الاخوة اتحاد معنوى يقتضى الاشتراك فى المال وإلجاء والمساهمة
فى السراء والضراء - وقال الله تعالى (وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)
اى كانوا خلطاء فى المال - ومراتبها ثلاث اولها ادناها ان تنزله منزلة خادمك
فتقوم بحاجته من فضلة مالك - ثانيها ان تنزله منزلة نفسك وتشاركه فى مالك
وثالثها وهى العليا ان تؤثره على نفسك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات
المتحابين ومن تمام هذه الرتبة ايثار بالنفس ايضا - روى انه سعى بجماعة من
الصوفية الى بعض الملوك فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن النورى (١) فبادر
هو الى السيف ليكون هو اول مقتول فقبل له فى ذلك فقال احببت ان أؤثر
اخواني بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم فى حكاية طويلة -

الثانى فى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على
الحاجات الخاصة ولها ايضا درجات - ادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة
لكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنّة - وكان فى السلف

(١) كذا ولعله - ابو الحسن النورى - ح -

من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرون من ابيهم في حياته - وكان الواحد يتردد الى باب دار اخيه ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرف اخوه - وبالجمله ينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم وتتقلد منة بسبب قبوله فضلا عن ان ترى لنفسك حقا عليه ولا ينبغي ان يقتصر على قضاء الحاجة بل يجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايتار والتقديم على الاقارب والولد -

الثالث وهو السكوت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه - ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم ولا يماريه ولا يناقشه ويسكت عن اسراره فلا يبيها الى غيره ولو اخص اصداقائه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ويسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وعن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك ولا يخفى ثناء احد عنه فان ذلك سرور للبايع والقاتل واخفاؤه عنه من الحسد - وايضا لا يفتح بسؤال غرضه ومورده ومصدره اذ ربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه - وبالجمله يسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا في الامر بالمعروف او النهي عن المنكر ولم يجد رخصة في السكوت فان ذلك احسان اليه وان كرهه - اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى اعله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجر عنه امران احدهما ان تطالع نفسك فان وجدت فيه امرا مذموما انت عاجز عن تركه فقس على نفسك حاله - وثانيهما انك ان طلبت احدا لا عيب فيه لم تجد من تصاحبه فاي الرجال المهذب وانما الكريم من غلبت فيه المحاسن المساوى فالكريم يلاحظ محاسنه والليث مساويه ولا يوجد احد ليس له مساو او محاسن وانما الاعتبار للنظر فالحب يعنى حسنه عن عيوب المحبوب والمبغض عينه تبرز كل عيب -

الرابع - على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى ايضا

النطق بالمحباب اذ الاخوان انما يرا د ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذا هم فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقدده في احواله التى يجب ان يتفقد فيها كاسئوال عن عارض ان عرض له واطهار لشغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التى يكرهها ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وينبغى ان يظهر السرور بلسانه . مشاركة له في السرور فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء ، وفي الحديث اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امره بالاخبار ليزداد حبا - ومن ذلك ان تدعوه بأحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره ومن ذلك ان يثنى عليه وعلى اولاده وفعله حتى عقله وخلقه وهمته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط وأكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اطهار الفرح به ومن ذلك ان يشكره على صنيعه في حقه بل على نيته وان لم تتم واعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض لحق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيك المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عنه . وغر للصديق ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة ملك معيان احدهما ان تقدر أن الذى قيل فيه لوقيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذى تحب ان يقوله فيك فينبغى ان تقابل المتعرض لعرضه به - وثانيهما ان تقدر أنه حاضر او وراء جدار يسمع قولك ويظن انك ماتعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصره له بمسمع منه ومرأى ينبغى ان تكون في غيبته كذلك ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والا خلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والخلوة والجماعة والاختلاف والتفاوت في شىء من ذلك مما ذم في المودة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المسلمين ، ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المؤاخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا جرم اجره جزيل لانه لا يتوفيق - ومن ذلك التعليم والنصيحة اذ الحاجة الى العلم فوق الحاجة الى المال فاذا وجب مواساته وجب مواساة العلم بالطريق الاولى

وان لم يعمل بعد تحصيل العلم يعلمه فعليك نصحه لكن في الخاوة لما ذكرناه ولا تنظن ان في ذكر العيوب ايجاش القلب فلا يكون من حقوق الاخوة لأن الايجاش في عيب يعلمه صاحبه وان لم يعلم فهو عين الشفقة واما ما يعلمه ولا يقدر على دفعه فلا يكشف سره فيه ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد فيه من النصح بالتعريض تارة وبالتصریح اخرى الى حد لا يؤدي الى ايجاش وان علمت ان النصح غير مؤثر وانه مجبور عليه فالسكوت عنه اولی - واما ما يتعلق بتقصيره في حثك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه فالتعريض ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطیمة فالعتاب في السر خير من القطیمة والتعريض به خير من التصریح والكنایة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل -

الحامس - العفو عن الزلات والهفوات والهفوة اما في دينه او في حثك اما الاول فعليك التلطف في نصحه بما تقيم اوده وتجمع شمله وتعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف فيه الصحابة والتابعون فذهب ابو ذر الى الا نقطاع ورأى ذلك من البغض في الله ، واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه وقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى - وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وكم من اخ زل ولم يتغير عليه اخوه حتى صار بارعا على هدايته واهله لو ترك لكان باقيا على ذنبه - وايضا هذا وقت حاجته وعقد الاخوة مرصدة لوقت الحاجة وای حاجة اشد من فقر الدين بهذه طريقة قوم وهي الطف واقفه من طريق ابی ذر وطريقته احسن واسلم والاكثر على خلاف ابی ذر حتى قال الشاءس -

واعفر عوداء الكريم اذ خارہ واعرض عن شتم اللئيم تکرما

وقال

ولست بمستبق اخا لا تلہ على شتم ای الرجال المہذب

السادس - الدعاء للاخ في حياته ومماته فندعوه كما تدعو لنفسك فإنه دعاء لك على التحقيق ، وفي الخبر اذا دعا الرجل لاخته في ظهر الغيب قال له الملك ولك مثل ذلك ، وفي الحديث دعوة الاخ لاخته في الغيب لا ترد ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في القبر مثل الغريق يعلق بكل شيء . ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب -

السابع - الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب امر اخروي فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي - ومن ثمرات المودة ان لا تكون مع حسد في دين ودنيا فكيف يحسده وكل ما لاخته فاليه ترجع فائدته ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخته وان ارتفع شأنه وعظم جاهه والا رتفاع على الاخوان مما يتجدد من الاحوال تؤم -

قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يالفهم بالمنزل الخشن
ومن آثار الاخلاص وتام الوفاء ان يشتد جزعه من المفارقة نفور الطبع مع من اسبابها وان لا يسمع بلاعات الناس على صديقه سيما من يظهر اولاً انه صديقه وينقل عنه ما يوغر الصدر فذلك من دقائق الجهل في التعريف ، ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه -

الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف بان لا يكلف على اخته ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفقه عن تحمله شيئاً من اعبائه ولا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقك بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركاً بدعائه واستئناساً بلفظه واستعانة به على دية وتقرابه الى الله بالقيام بحقوقه وبحمل مؤنه وتام التخفيف على بساط التكليف ان لا يستحي منه فيما لا يستحي عن نفسه ولا يعترض في نوافل العبادات ويشاور في كل ما يقصده ويقبل اشارته ولا يخفي عنه شيئاً من اسرارهِ ويرى نفسه دون اخته ويحسني

الظن به ويسىء بنفسه فاذا رآه خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منه
وتنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتخدمهم بجميع جوارحك ، اما البصر فتنظر
اليهم نظر المودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعاى عن عيوبهم ولا تصرف
بصرك عنهم فى وقت اقبالهم اليك وكلامهم معك ، واما السمع فان تسمع
كلامهم متلذذا بساؤه ومصداقه ومظهره فلا تستبشّر فيه ولا تقطع حديثهم عليهم
بمرادة ومنازعة ومداخلة واعراض فان راهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس
سمعك عن سماع ما يكرهونه - واما اللسان أن لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم
الا بما يفهمون وقدمى باقى حقوقه - واما اليد ان فان لا تقبضها عن معاونتهم فى كل
ما يتعاطى باليد - واما الرجلان فان تمشى وراءهم مشى الاتباع لا مشى
المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدرونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه
ويقوم لهم اذا اقباوا ولا يقعد الا بعودهم ويقعد حيث يقعد متواضعا وبهما تم
الاخاء خفت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والا عتذار والثناء فانها من حقوق
الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط
التكلف بالكلية فلا يسلك فيه الا مسلك نفسه وبهما صفت القلوب استغنى عن
تكلف اظهارها فيها -

المطلب الخامس

فى جمل من آداب المجالسة مع اصناف الخلق 'ملتقطة من كلام بعض الحكماء -
ان اردت حسن المعيشة فالق صد يقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة له
ولا هيبة منهم وتوقر فى غير كبر وتواضع فى غير مذلة وكن من جميع امورك فى
اوسطها (كلا طرفى قصد الامور ذميم) ولا تنظر فى عطفك ولا تكثر الالتفات
ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث
بلحيتك وخاتمك وتحليل أسنانك وادخال اصبعك فى اهلك وكثرة بصاقتك وتنخيمك
وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمتطى والتثاؤب فى وجوه الناس وف
الصاوات وغيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مترتبا وأصغ الى الكلام
الحسن

الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفراط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك من الحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك وجاريتك وشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تفرط الزينة كالمرأة ولا تنبذل كالعبيد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلج في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم ولدك وأهلك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوا قليلا هنت اليهم وان كان كثيرا لا تبلغ قط رضاهم واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل املك ولا عبدك فيسقط وقارك - واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث ركبتيك واذا هدا غضبك فتكلم - وان قربك سلطان فكُن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكله بما يشتهي ولا يحملك لطفه بك الى ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه فان سقطة من هذا دأبة لا ينعس وزلة (١) لا تقال واترك الغيبة والكذب واحفظ السر وأقل الحوائج وهذب الالفاظ، والاعراب في الخطاب احسن وذاكر باخلاق الماوك وأقل المداعبة وأكثر الحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الأكل عنده - وعلى الملك ان يتحمل كل شيء الا انشاء السر والقدح لللك والتعرض للحرم - واياك وصديق الغافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فابدأ بالتسليم ولا تتخط لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث تكون اقرب الى التواضع اولى - والادب ان تحيي بالسلام من قربت منه عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان وقع فغض البصر وانصر المظلوم وأغث الملهوف واعى الضعيف وارشد الضال ورد السلام واعط السائل وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك واكن عن يسارك او تحت قدمك اليسرى ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى ادراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء العاظمهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم -

(١) كذا ولعله فان سقطة من هذا دأبة لا تنعس وزلته - ح -

واياك ان تمازح لببا اوغير لبب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بجلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقت المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة وبورث الزلة وبه تظلم السرائر وتتوت الخواطر وتبين العيوب ويقال لا يكثر المزاح الا من سخط او بطر - ومن بلى في مجلس مزاح فليقل قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانه لك اللهم وبمحدثك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب - قال النبي صلى الله عليه وسلم من قاله قبل ان يقوم من مجلسه غفر له ما كان في مجلسه ذلك -

المطلب السادس

في حق المسلم والرحم والجوار والمالك

واخص المخالطة القرابة وذو الرحم المحرم أكد ومنهم حق الوالدين أكد وحق الصعبة لها درجات الصعبة في الدرس والمكتب أكد ثم محبة السفر والصدقة اذا قويت صارت اخوة فاذا زادت صارت محبة فاذا زادت صارت خلة والمحبة مايمكن من حبة القلب والخلة مايتخلل القلب - حقوق المسلم ان تسلم عليه اذا لقيتة وتحيب اذا دعاك وتشمتة اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليه وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، ورد في جميع ذلك اخبار وآثار ولا تؤذى احدا بفعل وقول وتواضع لكل مسلم ولا تتكبر عليهم ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض ولا تزيد في المعجر على ثلاثة ايام ويحسن على كل من قدر على الاحسان عليه ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل ولا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف ويخالف الجميع بخلاف حسن ويعاملهم بحسن طريقه فانه اذا اراد لقاء الجاهل بالعلم والعامي بالفقه والغني باليسار آذى وتأذى ويوقر المشايخ ويرحم الصبيان ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن وفي الخبر ماوقر شاب شيخا الا قبض الله له في سنه من يوقره

وفى هذا اشارة الى دوام الحياة فليتنبه له فلا يوفى لتوقير الشيوخ الامن قضى له بطول العمر ويكون مع كافة الخلق مستبشر اطلق الوجه رفيقا ولا يعد مسلما بوعده الا وبنى به وأن ينصف الناس من نفسه ولا يأتى اليهم الا ما يحب ان يؤتى اليه وان يزيد توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيزل الناس منازلهم وان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا وان يستر عورات المسلمين كلهم حتى الحدود كما قال صلى الله عليه وسلم لما عثر لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك وقال ابو بكر الصديق لو رأيت احدا على حد من حدود الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون ممي غبرى وينبنى ان يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكروه وكان هو السبب فيه كان شريكا وان يشفع لكل من له حاجته من المسلمين عند من له منزلة عنده فيسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه وان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصالحه عند السلام وان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وما له عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره وان يشمت العاطس ثلاثا واذا زاد فهو زكام يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشتمه يرحمكم الله ويرد العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وايضا اذا بلى بذى شر ينبنى ان يحامله ويتقيه وان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام ويفعل النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال معروف الكرخي من قال كل يوم ثلاث مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم افرج عن امة محمد كتبه الله من الابدال وينبنى ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وآدابه خفة الجلسة وقلة السؤال واطهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وأدبه عند الاستئذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقل يا غلام لكن يمدح ويسبح وفى الحديث تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو قال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيزك بالله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا فانك ستعطى احداهن - ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد - وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسال امرأته شيئا من صداها فيشترى به عسلا فيشر به بماء السماء فيجمع له الهنيء المرىء والشفاء المبارك وآداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر، والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدعاء على خالق الدواء ، قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حي لا يموت سبحانه رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتنى لتقبض روحي فى مرضى هذا فاجعل روحي فى ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى - ومن الآداب ان يشيع جنازتهم وان يزور قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب وادب المعزى خفض الجناح وظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم - وادب تشييع الجنازة دوام الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتذكر فى الموت والاستعداد له وان يمشى امام الجنازة بقربها والاسراع بها وجملة الكلام ان لا تستصغر احدا منهم حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك وان كان فاسقا فلعله يتحتم بالصالح ويتحتم انت بمثل حاله ولا تنظر اليهم بعين التعظيم فى دنياهم فان الدنيا صغيرة الى الله واذا عظمت يستحق الموت ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير ولا تنطمع فيما فى ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تنطمع ان يكون لك

لك في الغيب والسركما في العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تتكبر عليهم لا ستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على فعلك ، واذا قضى احد حاجتك فهو اخ مستفاد فان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا - ثم انك لا تقدر مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه محال القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولا تعظ الا رسالا من غير تنصيص على احد واذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا رأيت شرا اوبلغك منهم غيبة او اصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشتغل بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر ولا تقل لهم لم لا تعرفون قدرى وموضعى واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موعضا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض للقلوب وكن سميعا لحقهم اصم من باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم ان صحبك لا يقيلون العثرة ولا يغفرون الزلة ولا يسترون العورة ويحاسبون على النقيير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون ولا يعفون يعيرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تجربه في حق الخبرة بأن تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره وتسافر معه او يعاينك في الديار والدرهم او تقع في شدة فتمحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذة اباك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك -

المطلب السابع

حقوق الجوار

اعلم ان للجوار حقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام ، وفي الحديث الجار المسلم

ذوالرحم له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم والجوار المسلم له حقان الجوار والاسلام والجوار الكافر له حق واحد للجوار وليس حق الجوار كفى الأذى فقط بل احتمال الأذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف يقال ان الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ، وحمله حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يظلم معه الكلام ويكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض ويعزىه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنيه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء من ميزابه ولا فى مطرح التراب فى فائه ولا يضيق طريقه الى داره ولا يتبعه بالمظر فيما يحمله الى داره ويستمر ما ينكشف له من عوراته ويعينه اذا انابته نائبة ولا يغفل عن تعهد داره عند غيبته ولا يتسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمة ولا يديم النظر الى خادمه ويتلطف لولده فى كلامه ويرشده الى ما جهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى ذكرناها للمسلمين عامة ، قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار إن استدان بك اعنته وإن استقرضك اقرضته وإن افتقر جدت عليه وإن مرض عديته وإن مات اتبعت جنازته وإن اصابه خير هنأته وإن اصابه مصيبة عزيت به ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشترت فأكهة فاهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذ به بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله - هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم -

المطلب العاشر (١)

حقوق الاقارب

قال صلى الله عليه وسلم يقول الله انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى

(١) كذا وكان قبل هذا - المطلب السابع وسيأتى عقبه المطلب الحادى عشر -

فمن

فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته - وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع له في رزقه فليتيق وليصل رحمه - روى ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا - انما قال ذلك لان التجاور ربما يورث القطيعة -

حقوق الوالدين والولد ، اعلم ان أكد الحقوق القرابة و أكدها قرابة الولاد ، قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ، وقال بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحيم لا تسقط ، وطاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض وليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنها والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام كالنفل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم أخذ بيده وقال ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة - وقيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك تسعاً ثم هو عدوك او صديقك - قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعبت على احدكم دابته وساء سوء خلق زوجته لواحد من اهل بيته فليؤذن في اذنه -

المطلب الحادى عشر

حقوق الملك

وهو ا ما ملك النكاح وقد مروا ما ملك اليمين وهو آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله فيما ملكتم ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم

مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتهم فامسكوا وما كرهتم فبدلوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلوى فانه اطيب لنفسه ، رواه معاذ - وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليمسكه فليأكله معه وان لم يفعل فليتناوله - رواه أبوهريرة - بخملة حق المملوك ان يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والا زدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفواته او جنايته في معاصيه وجناته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته عليه -

الاصل السادس

في آداب العزلة

المطلب الاول

في فضلها وكراحتها

واختار الاول سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي - واختار الثاني سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة كثيرة -

المطلب الثاني

في فوائد العزلة وهي ستة

الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاستكشاف باسرار الله تعالى في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات (والارض فان ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المحالطة فالعزلة وسيلة اليه ولذلك

ولذلك تبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره في جبل حراء وانزل اليه حتى قوى فيه نور النبوة فكان الخلق بحيث لا يجيبونه عن الله تعالى فكان يبده مع الخلق وبقبله مقبلا على الله تعالى ولن يتسع للجمع بين المخالطة ظاهرها والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن تنتهى درجة بعض الاولياء اليه - وقد نقل عن الجنيده قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم - وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وهذا غير منكر اذا لانسان ربما يلقى همه في امر من امور دنياه ويخالط ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم وامر الآخرة اعظم عند العقلاء من ذلك - واذا عرفت ذلك فمن تيسر بدوام الذكر الانس بالله اوبدوام الفكر تحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل فان المطلب الاعلى ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله وأصل ذلك الخلوة والعزلة -

الثانية - التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهى اربعة احدها الغيبة وهى التى يتفكه بها الانسان ويتنقلون فهى طعمتهم ولذتهم فاما وافقتهم اثمت اوسكت فكنت شريكاهم والمستمع احد المتغائبين او انكرتهم فابغضوك واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما انتهوا الى الاستخفاف والاشتم - وثانيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أصل من اصول الدين فان سكت عصيت الله تعالى وان أنكرت تعرضت لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصى هى اكثر مما نهى عنه ابتداء - وثالثها - الرثاء فهو الداء العضال الذى يعسر التحفظ على الاوتاد والابدال وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه توافقه صرت بغیضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت شرار الناس وأقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمباينة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الاصل او في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال بقولك

كيف انت وكيف اولادك وانت فارغ القلب من همومهم وذلك تفارق محض -
ورابعها مسارقة الطبع لما يشاهد من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه
له العقلاء فضلا عن الغافلين - ومن جالس فاسقا مدة يرى في نفسه انه لا يستقل
الفساد مثل استيقاله قبل ذلك اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع
ويسقط استعظامه فاذا طال صحبته اوشك ان يتخلل القوة الرادعة ويدعن الطبع
ليل اليه اودونه ومن طال مشاهدته للكبائر استحققر الصغائر من نفسه ثم وثم
بالغ ما بلغ -

الثالثة الخلاص عن الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها
والتعرض لأخطارها وقلما تخافوا البلاد عنها -

الرابعة الخلاص من شر الناس من الغيبة وسوء الظن بك والهمة عليك
والاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وربما يسيؤون الظن بسبب
توهمهم قال المتنبي -

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم

الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم

اما انقطاع طمعهم عنك ففيه كل الجدوى لأن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال
المرء بصلاح نفسه اولى ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص
استوحشوا - واما انقطاع طمعك عنهم فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها
تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى
به ومهما اعتزل لم يشاهد ولم يشته ولم يطعم ومن شاهد زينة الحياة الدنيا فاما ان
يقوى دينه ويقينه فيصبر والصبر امر من الصبر والصبرا ويحتال في طلبها فيهلك في
الدنيا بالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات وفي الآخرة بايثاره متاع الدنيا على
ذكر الله تعالى -

السادسة - الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمأة ومقاساة اخلاقهم فان رؤية الثقل

هى العمى الاصغر - وايضا فى رؤية الثقيل خوف ارتكاب غيبته واستنكار ما هو صنع الله تعالى وفى العزلة امان من جميع هذه الآفات -

المطلب الثالث

آداب العزلة وهى سبعة

الاولى التعليم والتعلم وهما اعظم العبادات ولا يتصور الا بالمحالطة والعزلة قبل تعلم المفروض من العلم عصيان فمن يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل غاية الخسران ولذلك قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل الا ان المراد ينبغي ان لا تكون اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع والتقدم على الاقران والتقرب عند السلطان وتولى الاعمال واجتلاب الاموال لان هذه الامور هلاك الدين وايضا ان يتعلم علما هو سبب لاثارة الخوف من الله لا ما يتوصل به الى الخيام الاقران والمنافسة والمباهاة كطلب الكلام الجدى والفقه الخلافى والمواظع المزخرفة اذ العزلة خير من تعلم هذه فان صودف طالب لله ومتقرب الى الله فالاعتزال عنه وكتمان العلم عنه اكبر الكبائر الا ان مثل ذلك فى بلد كبير فى زماننا هذا واحد او اثنين - ولقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان الالهانية اعداء السرا اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك ومن اتاك منهم كان عليك رقبيا واذا نرج كان عليك خطيبا اهل نفاق وغيمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم عليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويعرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك فتعادي عدوهم وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيفا وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا - وهذا كلام حق وصدق رحم الله من قاله فانك ترى المدرسين فى رقى دائم وتحت حق لارم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدى تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما

لا يختلف اليه مالم يتكفل له على مساعدة اغراضه الفاسدة الذميمة - ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك ويبدل دينه وعرضه في ابواب الظلمة لأجل اغراضهم الذميمة ومع ذلك نسبه الى الحق وقلة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل وساقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاسود والآساد ومع هذا كله تمنيه نفسه بالاباطيل وتدليه بحبل الغرور ويقول انما افعله مریدا وجه الله واذا عاشر رسول الله وناشر دين الله ويصير المسكين ضحكة الشيطان ويؤول سعيه وجده الى الخسران وكيف لا وليس فساد الزمان الا بكثرة هؤلاء الفقهاء اولى الضلال والخذلان -

الثانية - النفع ولا تنفع لأن كلا منهما بالمخالطة فالحاجة الى الكسب في جهاد المخالطة وما كان معه ما يقنع به فالعزلة افضل واولى الا ان يريد التكسب ليمتدق فهو افضل من العزلة لاجل النوافل لالأجل التحقق في معرفة الله تعالى ومعرفة علوم الشرع ولا من العزلة للاقبال بكنه الهمة على الله والتجربته للذكر واما النفع فاما بما له او يبدنه فيقوم بحاجات المسلمين حسبته الله على حدود الشرع فهو افضل من العزلة بنوافل الصلوات والاعمال البدنية - واما الاعمال القلبية من المعارف فلا معادل لها اصلا وقطعا -

الثالثة التأديب والتأديب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل اذى الناس وهو افضل من العزلة لمن لم تهذب بعد اخلاقه تخدام المتصوفة في الزمان الاول اذهب اليوم توسلوا بالخدمة الى انتفاع المال والتكبر بالاستتباع واما التأديب فهو حال شيخ المتصوفة معهم فلا بدله من المخالطة وحاله معهم حال المعلم مع المتعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات ما يتطرق الى نشر العلم كالرثاء الا انه اقل فيهم من غيرهم ولذلك قل امله -

الرابعة - الاستئناس والايئناس وذلك قد يكون حراما كجلال الغيبة واللهو وقد يكون مباحا في الدين كالانسان بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى ويستحب اذا كان الغرض ترويح القلب فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في

الوحدة وحشة وفي المجالسة ترويح القلب فهي اولى اذا كان في بعض اوقات النهار وربما يكون افضل في حق البعض دون البعض فليستفقد فيه احوال القلب وتأمل احوال الجليس ثم اجلس معه -

الحامسة - في نيل الثواب وانالته اما النيل فيحضور الجناز وعيادة المرضى وحضور العيدين والجمعة والجماعات وهؤلاء سيما حضور الجمعة والجماعات واجب وليس في العزلة ما يعادله ، اللهم الا نادرا واما الانالة فهو فتح باب للتعزية والتهنئة والعيادة وكذا الزيارة ان كان عالما - فهي هذه الصور ينبغي ان يوزن ثواب هذه بأفاتها ويرجع ما ترجح -

السادسة - التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه من الوحدة وقد يكون الكبر ايضا سببا في اختيار العزلة وما نعه عن المحالطة ان لا يوقر في المحافل ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله واتقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خوفا من ان تظهر مقابحه فيتخذ من البيت سترا عليها وعلامة ذلك ان يحب ان يزار دون ان يزور ويفرح بتقرب العوام والسلطان واجتماعهم على بابهم وتقبيلهم يده على سبيل التبرك فلا تكون عزلته للاشتغال بنفسه وفي ذلك جهل من وجهين ، احدهما ان التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه اودينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتواضعون غاية التواضع - وثانيهما ان الخلق لا يغنون من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله وان من طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك - السابعة - التجارب اذ العقل النري كافي (١) بها في مصالح الدين والدنيا فينبغي ان يتعلم اولا ويحصل ما يكفيه من التجارب ثم يعتزل ومن جملة ذلك الاخلاق الذميمة في النفس من الحقد والحسد والغضب ونحو ذلك فانها دفينة في النفس بما يسلم المعتزل عنها ويظن نفسه خالية عنها وعند المخالطة تتحرك ويظهر خبثها فلها في اظهار الخبايا فائدة جلية ، اذا عرفت فوائد العزلة وآفاتها فينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله ويقاس الفائد بالخاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل

وما وقع في مدح العزلة او مدح المخاطبة من كلام الصوفية والحكماء فليس ذلك على اطلاقه بل ذلك حكاية غالب احواله فلا تغتر بذلك اذ لكل شخص حال ولكل حال حكم - واما آداب العزلة فهي ان ينوى بعزلته كف شره عن الناس اولاً ثم طلب السلامة من الاشرار ثانياً ثم الخلاص من آفات الاختلاط ثالثاً ثم التجرد بكنهه الهمة لعبادة الله رابعاً ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش عليه وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم والا صغاه الى اراجيف البلد فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة والفكر من حيث لا يحتسب وبالجملة يقطع الوسوس الصارفة عن ذكر الله وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس وليكن له اهل صالحة او جليس صالح تستريح نفسه اليه عن كد المواظبة في اليوم ساعة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما في ايدي اهلها وطريق ذلك ان لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل بصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم واحد والا فلا يسهل عليه الصبر عشرين سنة او قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للوت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ومن أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وانسه فرحاً بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) فرحين بما آتاهم الله من فضله (وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت اذ الجهاد الاكبر جهاد النفس -

الاصل السابع

في آداب السفر

اعلم ان السفر إما ظاهر بالبدن او باطن بالقلب عن اسفل العالمين الى ملكوت

السموات وهذا اشرف من الاول لكن لما كان فيه خطب خطير ونموض السبيل لم يستغن فيه عن مرشد ودليل ويتوقف ايضا على القناعة بالعيش القليل عن الحظ الجليل اندرست مسالكه وانقطعت فيه اثر فاق وخالت عن الطائفين متمزهات الانفس والآفاق فتحن نذ كر شروطه وآدابه في مطالب -

المطلب الاول

في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع

واعلم ان للسفر فوائد واقسام القسم الاول طلب العلم وهو إما واجب او فضل بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك إما بأمر دينية وفي الخبر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وإما علم باخلاقه في نفسه وذلك ايضا مهم في سلوك طريق الآخرة ولا يمكن الاطلاع على اسرار باطنه وخبائث صفاته مثل ما يطالع عليه بالسفر حتى انه يسمى بالمفربانه يسفر عن الاخلاق وذلك لأن النفس فيما بين ما لو فاتها لا تظهر خبايئها اخلاقها فاذا فارقها انكشفت - وإما علم بآيات الله في ارضه اذ في مشاهدتها فوائد للاستبصار وذلك لأنه مامن شيء الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الامن التي السمع وهو شهيد اما الجاحدون المغترون بظاهري زهرة الدنيا فهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون طاهرا من الحياة وهم عن الآخرة غافلون - وما اريد بالسمع السمع الظاهري بل السمع الذي يسمع كلام الجدار من الوتد اذ قال الجدار لم تشقني ؟ قال الوتد سل من يدقني فان الحجر الذي ورأى لم يتركني ورأى ، وما من ذرة في الارض والسموات الا ولو حدايتها شاهدها ولكن لا يفقهون تسبيحهم ، ومثل هذا السمع واستقراء الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الكائنات لا يحتاج الى السفر بل يمكن وهو في بيته قعيد لمن اتقى السمع وهو به شهيد ، فاعبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك قال المتنبي -

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب - قال الشاعر
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام
وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر - قال الشاعر -

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
القسم الثاني السفر لأجل العبادة اما لجهاذا وحج وقد ذكرنا آدابه وقد يدخل فيه زيارة قبور الانبياء والصحابة والتابعين والعلماء والاولياء اذ كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارة قبره بعد وفاته ولزيارة الاحياء فوائد بركة الدعاء والنظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقيهم وآدابهم مع ما يستفاد منهم من انقاسهم وافعالهم ، واما البقاع فالمساجد الثلاثة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وايضا الثغور للرباط بها لا غير -

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين اذ الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ، وما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب اذ الدين لا يتم الا بقلب فارغ من غير الله ولا يتصور الفراغ من المهمات والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وقد نجا المحفون وهلك المثقلون وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى لعباده وله الحمد حيث لم يجعل النجاة في الفراغ المطلق من جميع الاوزار والاعباء بل قبل التخفف بفضله ورحمته والتخفف الذي ليست الدنيا اكبر همته وكان لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علاقته فلا بد له من العزلة والنجول وقطع العلائق التي له عنها بد حتى يروض نفسه مدة الى ان يمن الله تعالى عليه حتى يستوى عنده الحضر والسفر والعلائق وعذبها لكن ذلك مما يميز وجوده جدا ، ومنهم من هرب حذرا من الشهوة (١) اذا اقام في بلد ومن

المتوكلين من يختار السفر لأنه يرى في الإقامة اعتمادا على الاسباب ويراه قادرا
في التوكل -

القسم الرابع، الهرب مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر وما يجري
مجراه ولا حرج في ذلك اذا لفرار قد يجب وقد يستحب بحسب ما يترتب عليه من
القوائد ولكن يستثنى عنه الطاعون اورود النهى في الهرب عنه وستعرف حاله
مفصلا في قسم التوكل واذا عرفت اقسام الاسفار فقد ظهر لك منه ان السفر إما
مذموم وهو قد يكون حراما كالاباق وسفر العاق وقد يكون مكروها كالخروج
من بار الطاعون وإما محمود وهو قد يكون واجبا كالخج وطلب العلم وقد يكون
مندوبا كزيارة العلماء والمشاهد المتبركة وإماما باح كطلب المال للتعفف عن السؤال
واقامة المروءة في العيال ، فاعلم فضيلة السفر وفضيلة الإقامة مثل حال العزاة
والخلطة فتعرف احوالها من حالها والافضل منهما ما هو الا عون في الدين، والسفر
لأجل التعلم محمود والإقامة لأجل العمل محمود واما السياحة على الارض فمن
المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء اذ الشغل بالخط والترحال مشوش الاحوال -
وايضا يشغل قلبه بالخوف على النفس والمال اللهم الا ان يطلب العلم او شيئا
يقتدى في سيرته وان امكن هذا بدون السفر فالسكون اولى خصوصا طلب شئ
التصوف فانه في زماننا هذا يزوجوده على بسطة الارض اذا اكثرهم تلبسوا
بالمزقات واتخذوا من الخناقات منزهات ولبسوا على الناس بما تلقفوا الفاظا
من خرفة من الطامات فيظنون بانفسهم خيرا ويتوهمون ان المشاركة في الطواهر
توجب المساهمة في الحقائق فهيهات ما اغترد حماقة من لا يميز بين الشحم والورم
واما السائحون من غيرهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهاثم
الترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم اذ لا بأس باتعاب
حيوان خميس (١) لحظ خميس يليق به ويعود اليه فالفتوى تقتضي تسييب العوام
في المباحات -

المطلب الثاني

فى آداب السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع وهى احد عشر ادبا -
الاول ان يبدأ برد المظالم والودائع وقضاء الديون واعداد النفقة له ولعيله من
الحلال واياخذ قدرا يوسع به لرفقائه -

الثانى ان يختار رفيقا لما قيل الرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين
فيذكره اذا نسي ويعينه اذا ذكر والمسافرة وحده منهى عنه ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الثلاثة نفر وقال خير الاصحاب اربعة - وقال اذا كنتم ثلاثة
فأمروا احداكم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم للاصحاب واسرهم الى الايثار
وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الأمر لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق
ومصالح السفر ومهما كان المدبر واحدا انتظم الامور وانما انتظم امر العالم لأن
مدبر الكل واحد (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وخير الرفقاء الاربعة لأن
الرجل يحفظه آخر ويحتاج الى آخر عند التردد فى الحاجة ولا بد للتردد ايضا من
رفيق وما نوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة فلا ينعقد بينهم التوافق فى الرفاقة
الخاصة ، واما الرفاقة العامة فتحتاج الى الجماعة الكثيرة للأمن من المخاوف -
الثالث ان يودع رفقاء الحضر والأهل والاصدقاء وليدع لهم - وليقل انى
استودع الله دينك وامانتك وخواتم عملك ، واهله يقولون له زدك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت -

الرابع ، ان يصلى قبل السفر صلاة الاستخارة وقد عرفتها ثم يصلى فى بيته اربع
ركعات اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم
يقول اللهم انى اقتربت اليك فاخلفنى بهن فى اهلى ومالى فهى خليفة فى اهله وماله
وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله -

الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة
الا بالله اعوذ بك من ان اضل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على - فاذا مشى
قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت
ثقتى

ثقتي وانت رجائي فاكفى ما اهمنى وما لا اهتم به وما انت اعلم به منى عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى الى
الخير اينما توجهت - وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فاذا ركب فليقل
بسم الله وبالله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى اعظم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذى سحر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون -
فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا
نا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان فى الامور -

السادس ان يرحل من المنزل بكرة ويستحب ان يبتدىء بالخروج يوم الخميس -
روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر
وقال اللهم بارك لأمى فى بكورها - وروى (ابن) كعب بن مالك عن أبيه قال
قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس - روى انس
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمى فى بكورها يوم السبت - قال عبدالله
ابن العباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارة ولا تطلبها ليلا واطلبها
بكرة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بارك لأمى فى بكورها (١) -
ولا ينبغي ان يسافر فى بكرة يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم المنسوب
اليها فكان اوله من اسباب وجوبها - والتشجيع للوداع مستحب وهو سنة -

السابع ان لا ينزل حتى يحى النهار وهو السنة ويكون اكثر سيره بالليل - قال
صلى الله عليه وسلم عليكم بالدجلة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار - وهما
اشرف على المنزل (فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
السبع وما اقلن ورب الشياطين وما اضلن ورب الرياح وما ذرين ورب
البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل
وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم - فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم
ليقل اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق - فاذا
جن عليه الليل فيقول يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك

وشر ما دبك عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن
البلد ووالد وما ولد، له ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم - ومهما
علا شرفا من الارض في وقت السير يقول اللهم ان لك الشرف على كل شرف
ولك الحمد على كل حال - ومهما هبط سبج ومهما خاف الوحشة في سفره قال
سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جلالت السموات بالعزة والجبروت -
الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا عن القافلة لأنه ربما يفتال وينقطع عن
القافلة وان يتحفظ بالليل عند النوم بأن يتناول الرقعة في الحراسة وهو السنة
فاذا نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفه لئلا يشتغل بالنوم فيفوته
الصلاة - واذا قصده عدو او سيع فليقرأ آية الكرسي وشهد الله الآية والاخلاص
والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء
الله لا يأتى بالخير الا بالله ماشاء الله لا يصرف السوء الا بالله حسبي الله وكفى، سمع الله
لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان
الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا
بعينك التى لا تنام واكفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانك
وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك
انت ارحم الراحمين -

التاسع ان يرفق بالدابة راكبا ولا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فانه منهى
عنه ولا ينام عليها فانه تتأذى به الدابة اذ يثقل بالنوم - ويستحب ان ينزل عن
الدابة غدوة وعشية وفيه فوائد ترويح الدابة وادخال السرور على قلب المكارى
ورياضة البدن والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب وينبغى ان يعرض كل
ما يحمله على المكارى لئلا يثور بينهما نزاع فليتحرز عن اللجاج وكثرة الكلام
مع المكارى -

العاشر يستصحب ستة اشياء بذلك وردت السنة المرءاة والسواك والمكحلة
والشط والقارورة والمقراض وزاد الصوفية الركوة لحمل الماء الطاهر والحبل

لنزع الماء وتجفيف الثوب المغسول وزاد بعضهم الابرة بنحوظها - وبعضهم استغنوا عن الركوة بالتميم وبالطهارة من الغدران ما لم يتيقنوا بنجاستها وعن الحبل بالجبال والارض فيفرشون الثياب المغسولة عليها -

الحادى عشر - فى آداب الرجوع من السفر ، كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزى واوحى او غير ه يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آئبون ثابتون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده - واذا اشرف على مدينته يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا - ثم يرسل الى اهله من يخبرهم بقدمه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ايلا فقد ورد النهى عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد وصلى ركعتين ثم دخل البيت وقال توبا توبا لربنا أوبا لا يبادر علينا حوبا - والسنة ان يحمل لاهل بيته ولأقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه لان الأعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به وبذلك يتأكد فرحهم -

المطلب الثالث

فى الآداب الباطنة

وقد ذكر نبذ منها وبجمله ذلك ان لا يسافر الا لزيادة امر دينى وينوى فى دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويحتجدهم ان يستفيد منهم ادبا او كلمة ينتفع بها لايحكي ذلك عنهم ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس فى مدة الاقامة الا الفقراء والصادقين وان زار اخاه فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقتها واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وان كان الشيخ فى بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بأدب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان

سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن اولاً - واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان واسخياهم ولا اصدقاه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليسكت عند (١) الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم يرجع الى مكان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس فاذا تيسرت خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبر ما بالخدمة فذلك كفر ان نعمة وان لم يحصل له في السفر زيادة في الدين فليرجع اذا و كان بحق لظهر اثره -

المطلب الرابع

في رخص المسافرين وادلة القبلة والاقوات

والرخص ست رخصتين في الطهارة المسح على الخف ثلاثة ايام ولياليها والتيمم ورخصتين في النفل اداؤه على الراحة واداءه ماشيا ورخصة في الصلاة وهو القصر ورخصة في الصوم وهو الفطر بنية القضاء في القرض وتفصيل ذلك في علم الفقه - واما ادة القبلة فثلاثة ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار او هوائية كالاستدلال بالرياح وما يختلفان فيصعب الاستدلال بهما واما السواية فالشمس في النهار فلا بد أن يراعى قبل السفر أن الشمس عند الزوال اين تقع منه اذا توجه الى القبلة أهى على العين اليمنى او اليسرى او على الجبين وكذا بموقع الغروب وبالمشرق ويعرف اختلاف هذه صيفا وشتاء فاذا بعدت البلاد تتفاوت هذه الامور فينبغي ان يسأل من اهلها او يجرب ذلك من مساجدها فان بان انه اخطأ فان وافق الجهة فيها ولا يعيد الصلاة واما مقابلة الجهة فبان تقع الكعبة بين الخططين الخارجين من جهة المصلى على هيئة ساق المثلث الى الافق فان كانت الكعبة ههنا تصح الصلاة والا فلا - واما أمر الاوقات ففي كتب الفقه مفصلا فارجع اليها لعلك ترشد بها -

الاصل الثامن

في آداب السماع والوجد وفيه مطالب

المطلب الاول

في حله وحرمة

تقد تقل عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وجماعة من العلماء وإما الآثار فمختلفة في الحرمة والاباحة ومهما تعارضت يبقى التقليد الى أحد الجانبين قصورا فينبغي ان يبحث عن مدارك الحظر والاباحة - اعلم ان أمر الحرمة لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع اما بالنص وهو ما اظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اوفعله او بالقياس فان لم يوجد فيه نص فلم (١) يوجد فيه قياس بطل القول بتحريمه وبقي كسائر المباحات - ثم نقول وقد دل النص والقياس جميعا على اباحته - اما القياس فهو أن السماع سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك القلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم هو إما موزون او غيره ثم الموزون إما مفهوم او غيره فهذه درجات -

الدرجة الاولى - الصوت الطيب من حيث هو طيب فلا يحرم بل حلال بالنص والقياس - اما القياس فهو أنه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادر اك ما هو مخصوص به وهي إما مستلذة كصوت البلابل او مستكرهة كنهيق الحمار فكما لحرمة في مستلذات سائر الحواس فكذا فيه كالالوان الخضري البصر والاطعمة الحلوة في الذائقة وإما النص فقولته تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) قيل هو حسن الصوت وقد امتن بذلك - وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت -

الدرجة الثانية - النظر في الصوت الطيب الموزون والوزن وراء الحسن فهي إما ان تخرج من جماد كصوت القصب والاوز او من حيوان كصوت العنادل والقاري او من انسان كصوت النغفات من حنجرة الانسان فسماع هذه يستحيل ان تحرم لكونها طيبة او موزونة والاحرم صوت العنادل ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس عليه اصوات الخلق من

الإنسان واصوات القصب والدف الملهي والاوتار ولا شك ان حرمها ليس لذتها والاحرم كل ما يستلذه الإنسان بل لما حرمتم الخمر اقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في القظام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب من الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كتحرير الخلوة لكونها مقدمة لزنا وكترهيم النظر الى الفخذ لئلا يتساهل في ذلك ويؤدي الى التساهل في السواآت - وحرم قليل الخمر وان لم يسكر لانه يدعو الى الكثير وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمي للحرام او وقاية حظارا بما حوله فظهر أن الاوتار والمزامير حرمت لأجل تحريم الخمر لثلاث علل احداها انه يدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر وبمثل هذه العلة حرم قليل الخمر - وثانيتهما انها في قريب العهد بشرب الخمر تذكر بمجالس الانس بالشرب فهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وهو اذا قوى سبب الاقدام فمن تذكر بها شرب الخمر فهو في حقه حرام وفي حق غيره مكروه - وثالثتها الاجتماع لما ان صارت عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم - ولهذا حرمت الكوبة وهي طبل مستطيل رقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو - ولهذا حرم المزامير العراقية والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عداها فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباين وكالطبل والقصب وكل آلة يستخرج منه صوت طيب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب - بهذانين انه ليس العلة في تحريمه مجرد الاصوات الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد -

الدرجة الثالثة - الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك خارج من حنجرة الانسان فيقطع بابا حته وزاد الا (١) لكونه موزونا والكلام المفهوم غير حرام وكذا الصوت الطيب الموزون فاذا لم يحرم الآحاد فلم يحرم المجموع الا ان يفهم منه

مر محظور وذلك حرم نظمه ونثره وحرم التصويت به سواء كان بالحن أو لا
والحق فيه قول الشافعي الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما كان انشاد
لشعر بغير صوت حسن حسنا فعلى الحان لا يحرم اذا المباح لم يحرم فكيف
بتكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد هو
ايضا وكذا نقل عن الصحابة سيما على بن أبي طالب وعن التابعين والمجتهدين
سيما الامام الشافعي -

الدرجة الرابعة - النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهييج لما هو الغالب عليه
فاقول لله تعالى سرفى مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها تتأثر فيها
تأثير الفرح والحزن والضحك والطرب حتى النوم حتى قيل من لم يحركه
الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج لا يقبل العلاج وكيف
لا والصبي في مهده يسكته الصوت الطيب والجل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء
حتى تستخف معه الاحمال الثقيلة وتبدأ عناقتها الى جانب الصوت ويترك الماء
والعلف بين يديه مع شدة جوعه وعطشه وربما تلف نفسها في شدة السير -
وقد نقل ان الطيور كانت تقف على رأس داود لاستماع صوته - ومهما كان
النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجوز أن يحكم مطلقا بباحته وحرمة بل
يختلف ذلك باختلاف احوال القلب - قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب
ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه -

واذا عرفت هذا فاعلم ان مواضع الغناء لا تخلو عن سبعة -

الاول - غناء الحبيب بالطبل والشاهين في وصف الكعبة والمقام والحطيم
وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وهو يهيج الشوق الى حج البيت
الحرام واشتغاله ان كان ثمة شوق حاصل والحج محمود والشوق وما يبعثه
من الطريق المباح محمود لاحالة - ومن هذا القبيل الاشعار التي يشدها الواعظ
للتغيب والترهيب -

الثاني - ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح لكن يخالف

ألحان الحاج لان ذلك للترغيب والتشويق وهذا للتشجيع واستحقار النفس والمال - والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي -

فان لامت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسى الذل غير مكرم
وقوله

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللثيم
وامثال ذلك فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت استحيابه -

الثالث - الرجزيات في اللقاء بالعدو والغرض منه تشجيع النفس والانصار وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك اما مباح او مندوب اليه بحسب ااحة القتال او نديه ومحظور اذا كان في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لأن الداعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجيمان الصحابة كعلي وخالدرضى الله عنهما وغيرهما ولذلك يمنع من الضرب بالشاهين في معترك الغزاة لانه يحلل عقدة الشجاعة ليكون صوته مرصقا محزنا فمن فعله ليفتر القوى عن القتال المندوب فهو عاص وعن القتال الحرام فهو مطيع -

الرابع - اصوات النياحة ونغاتها المهيجة للحزن والبكاء فذلك مذموم ان كان على الاموات للنهي على التأسف على ما فات واما الحزن على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والتبكي والتحا زن عليه كما فعله داود عليه السلام فمحمود حتى كانت الجنائز تحمل من مجلس نياحته عليه السلام - ولهذا لم يحرم البكاء والتبكي على الذنوب من الوعاظ وارباب التذكير -

الخامس - الساعات السرور تأكيد له وتهييج له وهو مباح ان كان السرور مباحا كالغناء في ايام العيد والعرس وقدم الغائب وولادة الولد والوليمة والعقيقة وعند الختان وحفظ القرآن اذ كان ما جاز السرور به جاز اثاره السرور فيه ويدل على جوازه انشادهم بالدف والالحان عند قديم رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم -

طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا، ما دعا الله داعي وقوله صلى الله عليه وسلم عند منع أي بكر جاريتين تدفقان وتضربان عند النبي صلى الله عليه وسلم دعهما ابا بكر فانها ايام عيد - وكذا نظر عائشة الى الحبشة يلعبون في المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يستترها بردائه وغير ذلك - فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب في اوقات السرور وكلها قياسا على يوم العيد مما يجوز الفرح به شرعا - ومنه الفرح بزيارة الاخوان ولقايتهم واجتماعهم على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع -

السادس - سماع العشاق تحريكا للشوق وتهيجا للعشق وتسليه للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهيج الشوق والشوق وان كان لما فيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصول وهذا حلال ان كان من يباح له الوصول كن يعشق زوجته او سريته فيصنعى الى غنائها لتضاعف لذته في لقائهما وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهذا منه - واما من يتمثل في نفسه بصورة صبي امرء او امرأة لا يحل له النظر اليها فهذا حرام لأنه محر ك للفكر في الاعمال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يحل الوصول اليه وهذا حال الفساق والسفهاء وكثير من الشبان فالسماع ممنوع في حقهم لما فيه من تحريك الداء الدفين لا الأمر يرجع الى نفس السماع -

السابع - سماع من احب الله سبحانه وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارعا لا يسمعه منه اوفيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه ومور زناد قلبه ومستخرج منه كين حبه ويحصل منه احوال من المكاشفات والملاطقات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاتها وينكرها من كل حسه عن ذواتها وتسمى تلك الاحوال عندهم وجدا اخذا من الوجود لانه صادف من نفسه او رآه لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الامور والاحوال سببا

رؤاىف و ءوابف ءءرق القلب بنيرانها و ءنقىه من الكء و راء ءما ينقى الابرز من الحبث فىحصل للقلب الصفاء و النقاء ثم ىبع الصفاء مكشافاء و مشاهءاء هى غاية المحبىن لله تعالى و نهاىة ءمرة القرباء ءلها فالمنى اىها من جملة القرباء لامن جملة المعاصى و المباحاء و حصول هذه الاحوال بسبب السماع ىسرا لله تعالى فى مناسبة النفااء الموزونة للارواح و ىثمر لها شوقا و فرحا و انبساطا و انقباضا و معرفة السبب فى ذلك من ءقائق علوم المكشافاء و اما البلىء الجامء الطبع القاسى القلب المحروم عن لذة السماع ربما ىنكر ذلك و ىتعجب من الاءاذا و الوجد و اضطراب الحال و الشوق و تعجب العنىن من لذة المباشرة و تعجب الصبى من لذة الجاه و الرىاسة و تعجب الجاهل من معرفة الله و جلاله و عظماء و عجائب صنعاء و سبب ذلك ان اللذة نوع اءراك فمن لم ىكل قوة اءراكه فى حق الملاءذ به لا ىءرك اللذة ثم اعلم ان بعضا من الجاهل بل بعضا ممن ءظنه عالما و هو عالم فى بعض الامور و جاهل فى باب معرفة الله و لم ىءر الله حق قءره ربما ىنكر محبة الله تعالى و اناء ءقلءه فى ذلك فوجب علنا كشف اللثام عن وجه المحبة و العشق و الشوق الى الله عز و جل و اعلم ان المحبة مبل ىنشأ من اعءقااء جمال المحبوب فاذا قوئاء المحبة ىسمى عشقا ثم ان الجمال اما صورى و هو ءناسب الخلقة و صفاء اللون المءرك بحاسة البصر و اما معنوى و هو ءمال العظمة و علو الرتبة و حسن الصفاء و ارادة الحىراء لكافة الخلق المءرك بحاسة القلب و قءىحب الانسان لهاءه الصفاء الباطنة و ان لم ىر صاءها ءما ىحب الانسان ابا حنىفة و الشافعى لاءعءقااء ءمال فى العلم و الءىن و الاخلاق فىها و مع ذلك لم ىءرك بمجالها الصورى اصلا فظهر أنه ىمكن معرفة الجمال المعنوى بءون رؤىة الجمال الصورى ثم ان الجمال الحقىقى فهو الله و لا جمال و لا محبوب فى العالم الا و هو حسنة من حسنااء و آءار من آءار ءرمه و عرفة من بحر جوءه بل ءل حسن و جمال فى العالم من مباء العالم الى منقرضه و من ذروة العلى الى منهى اءرى فهو ذرة من خراءن قءرءه و لمعة من انوار حضراءه فلىء شعرى كىف لا ىعقل

حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين با وصفه حبه حتى يجاوز حدا لا يمكن اطلاق اسم العشق ايضا لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور للابصار لشدة ظهوره واستتر عن العيون بأشراق نوره ولو لا احتجابه سبعين حجبا من نوره لأحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين للجمال حضرة ولو لا أن ظهوره سبب خفائه لهتت العقول وذهبت القلوب وتجاذبت (١) القوى وتنازت الاعضاء واوركت القلوب من البخارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ انوار تجليته دكا فأنى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش بل محبة غير الله جهل وقصور نظنه ان فيهم شيئا من الجمال بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وفعاله فكانت محبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى سواه وكان اسم العشق على حب غيره مجازا محض لا حقيقة له نعم ان الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك لفظ العشق الا طالب الوصال الذى هو عبارة عن تماس طواهر الاجسام وقضاء شهوة الواقع فقل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والوصال والانس اذ الافهام الفاسدة السقيمة لا تدرك من الالفاظ الا ما يلائم طباعها فاستعمل معه ما يوافق طبعه من لفظ الكمال والتلذذ بمعرفته وامثال ذلك -

المطلب الثانى

في مواضع حرمة السماع وانها خمس عوارض

الاولى - السماع من المرأة المحرمة النظر اليها والامرء فيحرم السماع لانفسه بل لمجاورها - الثانية في الآلة بان تكون من شعائر الشرب او المخشئين كالزماير والاورتار وطليل الكوبة ، وما عدا ذلك يبقى على الاباحة كالدف وان كان معه الجلال وكالطليل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات - الثالثة في نظم الصوت وهو الشعر فان كان من الخنا والفحش والكذب والهجو فسماع ذلك حرام بالخان وغير الخان والمستمع شريك القاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة عينها واما

هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز وقد فعله حسان في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - واما التشبيب وهو النشيد بوصف الحدود والقود والاصداغ وسائر اوصاف النساء ففيه نظر والصحيح جوازه ان لم ينزله على معينة ونزله على من تحمل له من زوجته وجاريته ومن نزله على اجنبية فهو عاص بهذا التنزيل ومن هذا حاله ينبغي ان لا يحضر مجلس السماع - واما الذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر سواد الصدغ مثلاً ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة الردودين وبذكر الرقيب المشوش قروح (١) الوصال عوائق الدنيا وآفات المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ حتى ان ما فهمه ربما لا يوافق مراد الشاعر - الرابعة المستمع بان يكون شاباً تكون الشهوة غالبة عليه فالسماع حرام عليه وان لم يكن فيه حب شخص معين - الخامسة ان يكون المستمع من العوام ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون محظوراً ولكنه ايجب كسائر اللذات المباحة الا انه بالمداومة يصير لهواً ترد شهادته وبالا صرا يصير كبيرة ونظير ذلك للالعاب بالشطرنج عند الشافعية لان مداومته مكرهه كراهة شديدة وان كان اصاه مباحاً اذ كم من مباح يصير اكثاره حراماً كالخبز المباح اكثاره حرام بان يجاوز حد الشبع - فاما ماورد من الاخبار والآثار الدالة على حرمة الغناء فاما لعوارض محرمة كما ذكرناه او يحتمل على الهرب عن تمتع الدنيا او يحتمل على حرمة الاوتار او على سماعه عند اشتغاله بما هو اولى منه من ذكر الله تعالى وذكر صفاته وافعاله وامثال ذلك واكثر استعمال السناف الغناء في اصوات القيان من الجوارى الحسنان ولذلك قال الجنيد الغناء رقية الزناء ومن اتقن ما ذكرناه من القواعد سهل عليه تأويل امثال ذلك -

المطلب الثالث

في آداب السماع وثمراته وفيها مقامات ثلاثة

المقام الاول في الفهم وهو مختلف باختلاف احوال المستمع وهي اربعة احدها ان يكون سماعه لمجرد الطبع لا حظ له الا استلذاذه الأ لحن والغمات هذا مباح لكنه اخس مراتب السماع اذ تشا ركه فيه الابل - ثانياها تنزيله على صورة مخلوق اما معين او غير معين وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الابيان خسيتهما والنهي عنها - وثالثها ان ينزل على معاملته مع الله وهذه سماع المرید وربما يمكن حمل كلام واحد على معنيين متخالفين بحسب اختلاف حال المستمع - الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات وكان كالدهوش الغائص في عين الشهود كاللاني قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام ويعبرون عنه بالفناء عن نفسه - ومها فني عن نفسه فهو عن غيره افتى فكأنه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود ولا خبر له عن فناءه ايضا مثلاً قد يعلم الشيء وقد يعلم العلم به فني الثاني يكون معرضاً عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وقد تطرأ في حق الخالق الا انه يكون كالبرق الخاطف اذ لو دام لم تطفئه القوة البشرية وربما تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات الا ان فيه نوع قصور وانما الكمال ان يفني بالكلية عن نفسه وعن احواله فيسمع بالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلاً بل نحدث بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية رأساً ولست اعني بفناءه فناء جسده بل فناء قلبه لالحم الصنوبري بل سر لطيف له الى القلب الطاهر نسبة خفية وراءها الروح الذي هو من امر الله سبحانه عرفها من عرفها وجهلها من جهلها - ولذلك السر وجود، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرأة الجليلة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل

صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان - وهذا من مقامات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحولها يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت وتدرعها بها واحولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو خطأ محض يضاهى غلط من يحكم على المرأة بصورة الحجرة اذا ظهر فيها لون الحجرة من مقابلتها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة رجعا الى الغرض -

المقام الثانى - الوجد وهو عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد عتيبه يجده المستمع من نفسه وتلك حالة لا تخلو من قسمين - فانها اما ان ترجع الى مشاهدات ومكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات واحوال أو تغييرات ليست من العلوم بل كالخوف والشوق والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض فان ضعف ولم يظهر في الظاهر لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا إما قويا او ضعيفا وقد لا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشونا قبله فان الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورد، ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة والرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة - وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وربما يشاهد بالبصيرة صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصورة مختلفة وتمثل ايضا الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة - وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الانق - وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ويسمى

ويسمى التنفّس - وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله - اعلم ان في نفس الانسان مناسبة للعالم الاعلى والذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى الاله لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء - فالسماع يحرك منه الشوق والاشتغال بالدنيا قد اساء نفسه ومستقره الذى اليه حنينه فيتقاضاه قلبه امر ايس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويصير كالحنق الذى لا يعرف طريق الخلاص - ثم ان الوجد قد يكون بلا كلفة ويسمى الهاجم وقد يكون بالكلفة ويسمى تواجدا فمنه المذموم وهو الذى يقصد به الرثاء ومنه محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالجملة - فان للكسب مدخلا في اجتلاب الاحوال وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة ولقد شوهد في العادات من تكلف حب شخص وعشقه بدوام النظر اليه واكثر ذكره حتى خرج آخر عن حد اختياره ثم طلب الخلاص ولم يكن له ذلك - فان قلت اذا كان الوجد امرا محمودا فما بالهم يتواجدون بالا شعار مع ان القرآن احق بذلك قلت الوجد بالقرآن كان غالبا في النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله شيبني سورة هود لان الشيب من الخوف والحزن وهو وجد - ومنها ان ابن مسعود لما قرأ عليه وانتهى الى قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك وعيناه تذر فان بالدمع، والبكاء وجد وانه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز الرجل وهو من الوجد وأمثال ذلك كثيرة - ولذلك وقع الوجد بالقرآن من الصحابة والتابعين يعرف ذلك من تتبع الاخبار وكذا السلف كثير اتواجدوا بالقرآن حتى ان منهم من خرم غشيا عليه ومات - واما اهل زماننا هذا انما اختاروا الغناء والاشعار لاحدا امور سبعة الاول ان جميع آيات القرآن لاتصلح لحال المستمع فلا يمكن قراءة البعض وترك الباقي ويمكن ذلك في الشعر واما الكاملون فمأخذون الوجد من كل آية بقوة الفهم الا ان اهل زماننا قاصرون في العلم والحال فناسب الاشعار حالهم - الثاني ان القرآن مكرر على القلوب والاسماع فيضعف اثره ولما رأى الصديق اعرابا

يسمعون القرآن ويبيكون قال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا - ولاتظن ان قلبه كان اقسى من قلوب اجلاف الاعراب ولكن التكرار على قلبه اورث قلة التأثر به ولذلك هم عمر أن يمنع الناس من كثرة الطواف - الثالث ان لوزن الكلام تأثيرا في القلب وذلك في الشعر - الرابع ان الشعر الموزون يؤثر في النفس بالالخان وذلك بمد المقصور تارة وقصر الممدود اخرى والقطع في اثناء الكلمات ومثل هذا التصرف لا يحل في القرآن وانما المأمور فيه الترتيل - الخامس ان الالخان الموزونة تؤكد باصوات اخر كالدف والقضيب والقرآن يسان عن هذا الشأن - السادس ان الكلام اذا لم يوافق حال المستمع يطلب تبديله الى كلام يوافق حاله ليحصل له الوجد ولا يمكن ذلك في القرآن - السابع ان القرآن كلام الله ولا تطيقه القلوب لو سمعت حق السماع فضلا عن ان يحصل به الوجد للسامع - والاشعار توافق حال البشر وشأنه الاذنى لمشكلة المخلوق المخلوق واما القرآن فهو خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهولذلك معجز لا يدخل في قوة البشرية لعدم مشاكته لطبعه والله اعلم -

المقام الثالث

في آداب السماع ظاهرا وباطنا وهو خمسة

الاول مراعاة احد امور ثلاثة الزمان ومعناه خلو الوقت عما يشتغل به القلب من الصلاة والطعام ونحوهما - والمكان بان لا يكون كره الصورة يشوش القلب - والاخوان بان لا يحضر مزهد منكرا لحوال القلوب او متواجد مرء يمزق الثوب باختياره لان مثل هذا مشوش للقلب فترك السماع عند فقد شروطه اولى -

الثاني وهو نظر للحاضرين ان يحضر مرئ يضره السماع وذلك احد ثلاثة اقلهم درجة في الضرر من رتبته الاعمال الظاهرة ولم يحصل له ذوق السماع فليس هو من اهل اللهو فيلهو ومن اهل الذوق فيتنعم فهو تضييع لزمانه واوسطهم ضررا مر له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ البشرية فربما يهيج السماع

منه داعية الله والشهوة فيصير ضرره اكثر من نفعه واعلاهم درجة في حق الضرر من انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته لكنه لم يحكم ظاهر العلم فربما سمع لفظا ونزل المسموع على ما لا يجوز في حقه تعالى فيكون ضرره ضرر الكفر نعوذ بالله من ذلك ولذلك قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل -

الثالث - ان يكون مصغيا الى القوال حاضر القلب قليل الالتفات الى ما يظهر عليهم من احوال الوجد مشغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم ويحترز عن التنحج والتثاؤب ويجلس مطرقا مكانه مفكر مستغرق القلب متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات الى ان غلبه الوجد ويحركه بلا اختيار ومهما رجع الى الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه واعلم ان الوجد تارة يؤثر في الظاهر وتارة لا يؤثر وعدم التأثير اما للضعف الوارد من السماع فهو نقصان وتارة لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون حال الوجد مصاحبا له في غالب الاحوال فلا تغيره طوارق الاحوال ولعل مراد الصديق بقوله قست قلوبنا ان يكون معناه قويت واشتدت فصارت تطبيق ملازمة الوجد في كل الاحوال - فرب ساكن اتم وجدا من المضطرب -

الرابع - ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ، ولكن ان رقص وتباكى لاستجلاب الحزن لا لرائه فهو مباح - واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه عند الاختيار وقد يكون بالارادة لكن يكون كالمكره كاضطراب المريض الى الانين باختياره اذ لو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه كالتنفس والزعة وتمزيق الثوب اذا كان على هذه الطريقة لا يوصف بالتحريم ، واما تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد الفراغ من السماع وسكون الوجد فانهم يقطعونها قطعاً صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقه فذلك مباح اذا قطع خرقا مربعا لترقيع

الثياب والسجادات اذلا حرمة في قطع الكرباس الجديد اذا كانت فيه مصلحة فان الكرباس يقطع ثم يخاط منه القميص وانما الذى يكره التزيق المفسد للثوب - الخامس - موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق او قام اختيارا بلا اظهار وجد فذلك من ادب الصحبة وبالجملة يوافق اصحابه في كل بدعة لا تراحم سنة مأمورة او لم ينقل النهى عنه ، مثلا القيام للداخل بدعة لم يفعله الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم لكن لا بأس في بلاد حرت العادة فيها باكرام الداخل وكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلاح علمها جماعة - فان قلت فبال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه لهو باطل فلا يراه وجد في الدين الا وينكره قلت ان الجدل لا يزيد على جذر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر رقص الحبشة لكونه في وقت لائق به وهو العيد - ومن شخص لا يبعد منهم اللهو وهم الحبشة فالمنكر اما منكر الاصرار وهو كذلك او ينكر من صدوره عن شخص لا يليق به اللهو وهذا ايضا حق - اما انكاره عن العوام احيانا فذلك تقشف اذ جوزه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات فما باله ينكره مطلقا - واما انكاره صدوره عن شخص ذى علم ودين واهل شعبة ووقار لكن وقع منه بدون الاختيار فذلك من الجهل - اذ سقوط الاختيار لا يدخل تحت الاحكام التكليفية يدل على جوازه من العلماء ايضا في بعض الاحوال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت منى وانا منك فحجل على رضى الله عنه - وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل جعفر - وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل زيد - والحجل ففتح المهملة ثم الحيم بمعنى الرقص وقيل ان يشب على احدى رجليه وهو ايضا نوع من الرقص - فقد خرج من هذا التفصيل ان السماع قد يكون حراما محضاً وقد يكون مباحا وقد يكون مكرها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ممن غلبت عليهم شهوة النساء والغلمان والمكره هو الذى يجعله دينا ويتخذة عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو من التلذذ له (١) الا بالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله

(١) كذا ولعله - من لا تلذذ له - ح - (٣١) ولا يترك

ولا يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة -

الاصل التاسع

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الاول

في فضائله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه الآيات والახبا والآثار
اما الآيات فمنها قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر) وقوله تعالى (كنتم خیرامة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله
عليه لاله الامرا بمعروف ونهيا عن منكر او ذكر الله - وفي الاخبار كثرة الا ان
العبرة بقوة الدليل لا بكثرتها ولهذا آثرنا الاختصار - ومن الآثار ما قال أبو الدرداء
رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن عليكم سلطانا ظالما
لا يحل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم ويتصرون (١)
فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم - وعن حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس
زمان لأن تكون فيهم جيفة جمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم -

المطلب الثاني

في اركانها وشرايطه والاركان اربعة ولكل منها شروط
الركن الاول المحتسب وله شروط اولها ان يكون مكلفا اذ غير المكلف لا يلزمه
امر، هذا شرط الوجوب والا فالصبي ان اراق الخمر وكسر الملاهي فلا يمنع عنه
وله ثواب - ثانيها وهو الايمان وذلك لانه نوع نصره للدين ولا يكون من عدو
له، ثالثها العدالة وقد اعتبرها قوم للنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله والحق ان
للفاسق ان يحتسب اذ لا عصمة لجميع الأمرين بالمعروف في السلف ولم يخصوا منهم
احدا دون احد وتحقيق ذلك ان الحسبة اما وعظية ويشترط فيها العدالة وإما
قهرية ولا يشترط فيها ذلك الا الذمى اذ ليس للكافرين على المؤمنين سبيل -

ورابعها الاذن من جهة الامام والوالى وقد شرطه قوم ولم يجوز الحسبة لآحاد الرعية الا انه شرط فاسد اذ الآيات والاخبار تدل على وجوب ذلك على الكل فالتخصيص تحكم لا اصل له ومنع الكافرين على التسلط على المسلم ليس لاجل ذلته حتى يلزم منع الرعايا عنه ايضا بل ذلك لكفره، وتفصيل ذلك ان الحسبة لها خمس مراتب - الاولى التعريف - والثانية الوعظ بالكلام اللطيف وهما لا يحتاجان الى اذن الامام - والثالثة السب والتعنيف لا السب بالفحش بل بقوله يا جاهل يا احمق الاتخاف من الله وهذه وامثال ذلك الكلام صدق قد يحتسب عند الامام فكيف يتوقف على اذنه - الرابعة المنع بالقهر بالمباشرة ككسر الملاهى وارقة الخمر ولا حاجة فيها الى الاذن اذ المسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضها - الخامسة التهديد والتخويف بالضرب أو مباشرته وهو الذى يحتاج فيها الى اذن الامام والاينجر الى القتال من الجانبين ثم ان فى تفاصيل هذه الحسبة كلاما مثالا للولد الحسبة لوالده بالمرتبتين الاوليين فقط وليس الحسبة بالآخرين - وفى الثالثة ينظر الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه قريبا كارقة خمر من لا يشتد غضبه فالامر طاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا ككسر آنية بلور عليها صورة حيوان وفى كسرها عظيم خسران فيكتفى فيه بالمرتبتين الاوليين واما الرعية مع السلطان فيتعين فيه المرتبتان الاوليان واما الرتبة الثالثة فالى اجتهاد المحتسب اذ قد ورد النهى عنه وورد النهى عن التعرض للسلطان فيمنظر فيه الى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمة الامام بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه - واما الاستاذ فامرء اظهر لانه اذا لم يعمل بعلمه لا يجب على التلميذ احترامه - وخامسها كونه قادرا اذ العاجز حسبته بقلبه والعجز انما بحسب لحوق المكروه لا العجز الحسى وها هنا اربع احوال ، احداها ان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا يجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر حتى لا يشاهده - ثانيها ان ينتفى عدم النفع والضرب معا فيجب عليه الانكار - وثالثها ان يعلم انه لا يفيد ولا

ولا يخاف مكرها فلا يجب بل يستحب اظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين - ورابعها عكس هذا فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب وانما الحرام تعريض النفس للهلاك من غير اثر وانما يستحب اذا علم ان له اثرا لكن ان علم انه يضرب معه اصحابه واقاربه ورفقاؤه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم لأنه دفع منكر يفضى الى منكر آخر اقوى منه وليس ذلك قدرة في الحقيقة ولما كان كون بعض المنكر اقوى من آخر امرا لا يهتدى له العوام اشترط بعضهم اذن الوالى لينصب من هو اهل للحسبة - ثم الظن كاف في اصابة المكروه ثم التحويل في هذا الظن على اعتدال الطبع لأن ذلك الظن يقوى بالجن ويضعف بالتمور ثم المكروه المتوقع لا بد له من حدود تحقيقه ان المطالب منحصرة في اربعة في النفس بالعلم وفي البدن بالصحة وفي المال بالثروة وفي القلوب بالجاه فقوت كل من هذه مكروه فالقوت اما متوقع او بالفعل وترك المتوقع في هذه الاربعة لا يمنع الحسبة وانما الضرب الحقيقي المانع مع الحسبة فوات الحاصل مثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه بالحسبة ولم يجد المعلما واحدا ويقدر المحتسب عليه منع المعلم عن تعليمه او بقوت ازالة المرض (١) الحاصل عنه او بقطع رزقه ولا توكل له ويحتاج الى حرام او موات جوعا او يزول جاهه ويبتدى اهل الشر بأذاه فهذه امور مستثناة عن الحسبة اذا طهرت وقويت لكن لا بد أن يزن ظن زواله بميزان الدين لا بموجب الطبع والهوى فان سكت بموجب الدين تسمى مداراة وهي جائزة وان سكت بموجب الهوى تسمى مدهانة فعليك بالنقد في سبب السكوت فان الناقد بصير وستجد كل نفس ماعملت من خير محضر عند الله - ولو في فلة خاطر ولفتة ناظر وما ربك بظالم للعبيد -

الركى الثانى - ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر بلا تجسس معلوم كونه منكرا بلا اجتهدا فله شروط اربعة الاول كونه منكرا محظورا الوقوع في الشرع سواء كان معصية او لا كرامة خمر يشربها الصبيان - الثانى ان يكون موجودا في الحال والاكن يعزم على الشرب في ليلته فعليه الوعظ ان علم النفع والافلا وعظ ايضا - الثالث ان يظهر بغير تجسس لأنه منهى عنه ولا يجب

عليه الاطلاع على ما في البيوت الا اذا ظهر بان سمع اصوات الملائكة من خارج
فحينئذ يدخل ويغير - وقد أمرنا بان نستتر ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا
صفحته والابداء باحدى طرق الحواس اذ المقصود العلم ولا يجب عليه استعلام
بما تحت الذيل لانه تجسس الا اذا كانت نجراراً تحت فائحة او عوداً تحت شئ
دقيق وعرف شكله ونحو ذلك - الرابع ان يعلم كونه منكراً بلا اجتهد فليس
على الحنفى ان ينكر على الشافى أكل متروك التسمية والضبط والضيع وبالعكس
في شرب النبيذ الغير المسكر وتوريث ذوى الارحام الى غير ذلك واما انكار
المذاهب المبتدعة كقول المعتزلى ان الخير من الله دون الشر وقوله كلام الله
مخلوق فواجب وذلك مهم بالنسبة الى انكار الاجتهادات الا ان يكون
في الاعراض تحريك فتنة بالمقاتلة فاذن الحسبة في امثال هذا الى السلطان اذ هو
قادراً على دفع الفتنة في امثاله -

الركن الثالث - المحتسب عليه وشرطه ان يكون الفعل في حقه منكراً بجهة كونه
انساناً ولا يشترط كونه مكلفاً لما عرفت ان الصبي يمنع عن الشرب والمجنون عن
الزنا ولا يجب رد الحيوان عن افساد الزرع بحسب الحسبة اذا الحسبة للانسان
لا للحيوان نعم يجب عليه منع الحيوان ايضاً مهما قدر عليه من غير تعب في بدنه
او خسران في ماله او نقصان في جاهه الا انه ليس بطريق الحسبة بل لكونه من حقوق
المسلمين وهي كثيرة وهذه ادناها -

الركن الرابع - نفس الاحتساب وله درجات وآداب -

الدرجة الاولى - التعرف وهو منهى عنه لأنه تجسس وقد ذكرناه مثل ان
يسترق السمع لصوت الملائكة او يستنشق رائحة الخمر او يمس ما في ثوبه ليعرف
شكل المزمار اللهم الا ان يخبر عدلان ابتداء من غير استخبار فحينئذ له ان يدخل
داره -

الدرجة الثانية - التعرف مثل ان يرى ان (١) يصلى بلا تعديل لجهله فعليه التعرف
باللطف والا فربما يترك اصل الصلاة اذ الجهل اقبح من كل عيب لكونه عيب

النفس فلا يرضى الانسان بظهور جهله فيتلطف ويقول ان الانسان لم يولد عالماً ولقد كنا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قرينك كانت خالية من اهل العلم او عالماً (١) مقصر في شرح الصلاة وايضاها انما شرط الصلاة هكذا ويعلم له ما اراد -

الدرجة الثالثة - النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله كمن هو عالم بكونه منكراً واصر على ذلك بعد ان عرف كونه منكراً فبوعظ له ويخوف باخبار الوعيد ويحكي له سيرة السلف كل ذلك بلطف وشفقة من غير غضب ويرحم عليه ويرى ذلك مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة لكن يتحرز عند التعريف عن نفسه بالعلم وذل غير بالجهل فان هذه مصيبة في الوعظ والتذكير وهذه غائلة هائلة وغرور الشيطان يتدلى بجبله كل انسان الامن عصمه الله وعرف عيوب نفسه وفتح بصيره بنور هدايته واما غير هؤلاء فيقاتلهم لذتان دالة العلم ودالة الاحكام والسلطنة وهي الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفى وله محك وعيار وهو ان كفى غيره مؤنة الوعظ والنصح كان احب عنده اذ حصل الغرض ولم يتحمل نقل الوعظ على الغير والافلية عظ نفسه او لا يعظ الناس -

الدرجة الرابعة - السب والتعنيف بالقول وذلك عند المعجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الاصرار بالاستهزاء بالوعظ ولا يطابق لسانه بالفحش بل يقول يا فاسق يا احمق اما تخاف الله - فان عـ لم انه لا يردعه السب والتعنيف فليكتف باظهار الغضب والاستحقار -

الدرجة الخامسة - التغيير باليد ككسر الملاهي واراقة الخمر وان يحجر برجله من الدار المغصوبة وينبئ ان لا يباشر باليد اذا امكن بدونه ولا يحجر بلحيته اذا امكن جرحه برجله وان لا يمزق ثوبه الحرير (٢) اذا امكن حل ازاره ونحو ذلك -

الدرجة السادسة - التهديد والتخويف كقوله دع هذا والا لاضر بن رقبك او لا كسر ن رأسك وما اشبه ذلك وينبئ ان لا يقدم التهديد على تحقيقه ان امكن

وان يهدد بما يقدر على تحقيقه فلا يقول لأنهن دارك ولا سين زوجتك لأنه ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله على غير عزم فهو كذب - اللهم الا اذا عرف انه يردعه بالمبالغة فانه حينئذ ليس من الكذب المحذور وهذا بمنزلة اصلاح ذات البين وهو غير قبيح - ومن هذا قال بعضهم، يجوز من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل - وهذا القول غير مرضى في حق الله عز وجل فان الكلام لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما ذكره يتصور في حق العباد اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام - الدرجة السابعة، مباشرة الضرب باليد والرجل بدون شهر سلاح وان احتاج الى شهر سلاح فيجوز ذلك على المحتسب كتخليص امرأة من فاسق اذا كان بينهما نهر حائل فان لم يحل فله الرمي لكن يقصد الساق والفخذ دون المقتل وبالجملة يرى التدرج في الكل واما العامي فليس عليه شهر السلاح بحال اصلا -

الدرجة الثامنة، الا يقدر بنفسه ويحتاج الى الاعوان وربما يكون للفاسق ايضا اعوان فيؤدى الى ان يتقاتل إلفان ومثل هذا لا يجوز الا باذن السلطان اذ ربما يؤدى الى هيجان الفساد وخراب البلاد والا ان القياس جوازه للكل -

المطلب الثالث

آداب المحتسب وهي ثلاثة

احدها ان يعلم موانع الحسبة ومواقعها، وثانيها الورع اذ ليس كل من علم عمل بعلمه، وثالثها حسن الخلق اذ العلم والورع لا يكفي في اللطف والرفق ما لم يكن لصاحبه حسن الخلق ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداينة ولذا كرهننا شيئا من الآداب المخصوصة منها منكرات المساجد يمنع من قصر في امر الصلاة على مذهبه ينبه على لحن قراءته سيما الفاتحة وان كان قادرا فليتعلم والافقدار ما قدره، ومنها تراسل المؤذنين وتغييرهم كلمات الاذان لرعاية الالخان وكذا عدم رعايتهم الاوقات ومنها لبس الخطيب ثوبا اسود فيه ابريسم او ممسكا لسيف مذهب والحرير حرام واحب الثياب البيض والاسود

والاسود ليس بحرام- منها الواغظ المبتدع او الذى الرجاء يكثر اذ الخلق احوج الى الخوف منهم الى الرجاء وكذا حضور النساء مجلسه وهو شاب متزين كثير الاشعار والاشارات والحركات ويمنع النساء من حضور المساجد للصلاة ولجلالس الذكر اذا خيف الفتنة ، ومنها دخول المجانين والسكران الا ان يعلم سكوتها وسكوتها ولائس بدخول الصبي اذا لم يلعب ، ومنها منكرات الاسواق كالكذب واخفاء العيب وبيع الملاهي والاوانى المحرمة ، ومنها منكرات الشوارع نحو تضيق الطريق بالابنية ووضع الاحمال وتنجيس الطريق وترك مياه المطر والاو حال والتلوج ، ومنها منكرات الحمامات من صور الحيوانات وكشف العورات والانبطاح لتغميز الانفاذ وتنجيس الاوانى والمياه وترك الاحجار المزلقة او جعلها مزلفة بغسل الثياب بالصابون ونحوه ، ومنها منكرات الضيافة كالفرش المحرمة والمبخره المحرمة والاشربة المحرمة وستور علمها صور وسماع الاوتار والقينات ونظر النساء على الرجال الشبان وحرمة الاطعمة والاجتماع مع من يلبس الحرام ومع اهل البدع وان كان فيه مضحك بالفحش والكذب يجب منعه وان لم يقدر فلا يحضر واما المزح بلا فحش ولا كذب فهو مباح الا ان يتخذ صنعة وذلك مكروه والكذب الذى لا يقصد به التليس ليس من المنكرات كقولك كلمتك اليوم مائة مرة او اتيتك الف مرة اذ ليس يقصد به التحقيق بل المبالغة وذلك لا يقدر فى العدالة ولا ترد به الشهادة وكالسرف فى الطعام والبناء ، ومنها صرف المال الى القينات والمغنيات واسراف جمع (١) حرام بحيث يبقى عياله بلا شئ سيما فى المحرمات الا اذا انفق فى وجوه البر وله قدم صدق فى التوكل ، ومنها منكرات العامة مثل ان يقعد فى بيته ولا يصرف ما فضل عن فرض العين الى فروض الكفاية كان يخرج الى القرى المجاورة لبلده ويعلم اهلها اركان الصلاة وشرائط الطهارة وسائر انراض الا ان يفعله البعض وانما يجب التبليغ على اهل العلم وان علم مسألة واحدة فهو من اعلم العلم بها يجب تبليغها والاثم فى ذلك على الفقهاء اشد لأن قدرتهم فيه اظهر لأن العلم يجب العلم به اولا لنفسه ثم لأهل بيته ثم لا قار به وجيرانه ثم وثم حتى ينتهى

الى ان يخرج الى السوق ويغير منكراتهم وان قدر على تغيير البعض فلا يكون عدم تغيير الباقي عذرا في عدم الخروج ويتعدى منهم الى اهل القرى ثم اهل البادية وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابد والايام كل عالم على وجه الارض -

المطلب الرابع

في امر الامراء والسلطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

والجائز معهم الرتبان الاوليان من درجات الحسبة وهما التعريف والوعظ واما تخشين القول والمنع بالقهر فيهييج الفتنة في حقهم فلا يجوز الا اذا اختص الضرر بنفسه فقط فعند ذلك يندب قال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وقال خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامرء ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك ولذلك كانت الصحابة والتابعون اجترأوا على الملوك والسلطين ولم يبالوا ببليّة وعذاب واخلصوا النية فلهذا اثر كلامهم في الظلمة ولين قلوبهم القاسية كما هو مسطور في كتب التواريخ والاخبار واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولا صدقوا الله تصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفسادهم بفساد العلماء وفسادهم باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل والصعاليك فكيف على الاكابر والملوك اللهم اعصمنا من العلم بلاعمل والميل الى الدنيا ولا تخطأ اعمالنا بالسمعة والرياء انك انت المستعان يا كريم يا من وتفضل علينا بالاحسان والانعام يا ذا الجلال والاکرام -

الاصل العاشر

في اخلاق النبوة

ليكون انموذجا لمن طلب تزكية الاخلاق ونتيجة لما ذكر في هذه الاوراق وكان صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهاال دائم السؤال من الله عز وجل ان يزيته

بمكارم الاخلاق والآداب وكان دائماً يقول اللهم حسن خلقى وخلقى حتى استجاب الله دعوته وانزل عليه القرآن وعمل بما فيه حتى كان خلقه القرآن كما هو المأثور عن عائشة رضى الله عنها - ثم رغب الناس فى حسن الخلق قال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وبين للناس ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفاسفها - كان صلى الله عليه وسلم حسن العشرة وكريم الصنعة لين الجانب وكان يحب بذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشجيع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره مسلماً كان أو كافراً وتوقير ذى الشبهة المسلم واجابة الدعوة للطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس ، والجود والكرم والسباحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس وازهد بدين الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعاذف كلها وكل ذى وتر وكل دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبنى والعدوان والظلم - وكانت وصيته تقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ونهى ان تسب حكماً او تصدق كاذباً او تكذب صادقاً او تطيع آثماً او تعصى اماماً عادلاً او تفسد ارضاً ، واوصيك با لقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية - ومن اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان احلم واشجع واعدل واعف ولم تمس يده يدا امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات رحم محرم وكان استغنى لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه لم يألى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من ليسر ما يجد من التمر والشعير وينفق غيره فى سبيل الله لا يسأل شيئاً الا اعطاه وربما يؤثر من قوته وكان يخصف النعل ويرقع

على الطعام وكان يجلس عند الأكل كما يجلس المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم وكان لا يأكل الحار ويأكل مما يليه باصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابعة وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ويأكل القثاء بالرطب ويحب البطيخ والعنب ويأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعاً، وكان يحفظ نوى الرطب في يساره فعرض النوى بالشاة (١) فجعلت تأكل في يده اليسرى وهو صلى الله عليه وسلم يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة، وربما أكل العنب نرطايرى رؤاه على لحيته كحذر اللؤلؤ وهو الماء الذى يقطر منه، وكان أكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع التمر باللبن ويسميها الا طيين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وكان يأكل الثريد باللحم والقرع ويأكل الخبز والسمن ويحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة وقال العجوة من الجنة وشفاء من السم والسحر، كان يحب من البقول الهندباء والباذر وج والبقلة الحقاء ولا يأكله الثوم والبصل والكرات وكان يكره أكل الكليتين لمكانها من البول وكان يعاف القلب والطحال وإن عاف طعاماً تركه ولم ييغضه إلى غيره وكان يلحق الصفحة ويقول أنجر الطعام أكثر بركة وكان يلحق اصابعه حتى تحمر ثم يمسح بالمنديل ويغسل يديه من الخبز واللحم خاصة ثم يمسح بالماء على وجهه، وكان يمسح الماء مصاً ولا يعب عباً ويشرب في ثلاث دفعات فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات وربما يشرب بنفس واحد وإذا تنفس ينحرف عن الاناء ويدفع فضل سؤره إلى من على يمينه، فإن كان من عن يساره أجل رتبة قال للذى عن يمينه السنة إن أعطى فإني أحببت أثرهم، وأتى بأناء فيه غسل ولبن وقال شربتان في شربة وإذا ما في اناء واحد ثم قال لأجرته ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه، وكان

(١) وأصله حديث في الأحياء فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت - الخ -

فى بيته اشد حياء من العاتق لايأسأ لهم طعاما ولايتشهاه عليهم نوان اطعموه أكل
وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وربما قام فأخذه بنفسه واما لباسه مما وجده
من ازار اورداء اوقيص اوجبة ويمجبه الخضر ويكثر لباس البياض وكان
يلبس القباء المحشوللحرب وكانت ثيابه فوق الكعبين وازار فوق ذلك الى
نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها
وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس
الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انا عبد ألبس كما
يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه
غيره وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشئ وكان
يختم به على الكتب ، وكان يلبس القلانس تحت العائم وبغير عمامة وربما نزع
قلنسوة من رأسه فجعلها سترة فى صلاته وربما لم تكن العمامة فيشد العصاة على
رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب وهبها من على رضى الله عنه
وكان اذا لبس جديدا اعطى خاق ثيابه مسكينا - وكان له فراش من آدم
حشوه ليف طوله ذراعان اونحوه وعرضه ذراع وشبرا ونحوه ، وكانت له
عباءة تفرش له حيث ينتقل ثنتى طاقتين تحته ، وكان ينام على حصير ليس تحته
شئ غيره ، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه فكان اسم رايته
العقاب واسم سيفه ذوالقفار وآخر الخدم وآخر الرسوب وآخر القضيب
وكانت قبعة سيفه من الفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من
فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور واسم فرسه المرتجز وناقته
القصوى ويقال لها العضباء وبغلته الدلدل وحماره يعفور وشاته التى يشرب لبنها
عنبه وكان له مطهرة من فخر يتوضأ ويشرب منها ويرسل الناس اولادهم
الصغار الذين قد ميزوا بفيد خلون ويشربون منه ومسحوا على وجوههم
بواجسادهم يبتغون بذلك البركة ، وكان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم
فى العفو مع القدرة ، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى

وجبه غضبه ورضاه وإذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته وكان أجود الناس
واسخاهم سياً في رمضان وما سئل شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه وكان أنجد
الناس واشجعهم وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب ، وكان أشد الناس
تواضعاً في علو منصبه ، قال ابن عمر رأيت صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة على
ناقته صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وكان يركب الحمار موكفاً عليه
قطيفة ومع ذلك كان يستردف ، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته
لذلك وكان يسلم على الصبيان وكان لا يأكل على خوان ولا على سكرجة حتى
لحق بالله عز وجل ، وكانت لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال لبيك
وأتى برجل فارعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة
من قريش كانت تأكل القديد ، وربما تكلم مع الناس في امر الآخرة وكانوا
يتناشدون الشعر بين يديه ويذكرون من امر الجاهلية فيضحكون وهو يتبسم
رفقاً بهم وتواضعاً ولا يزرعهم إلا عن حرام وكان صلى الله عليه وسلم ليس
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة وربما اكتنفه
الرجلان الطويلان فيطولها فإذا فارقه نسبا إلى الطول ونسب هو إلى الربعة وكان
ازهر اللون لم يكن بالآدم ولا الشديد البياض وكان رجل الشعر حسنه ليس
بالسبط ولا بالحمد القطط وكان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه إلى شحمة
أذنيه وربما جعله غداً أربعاً يخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره
على أذنه فتبد وسوالقه تتلألاً ، وكان شبيه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة
فقط ، وكان واسع الجبهة أزج الحاجبين وأبلج ما بينهما وعيناه نجلا وإن ادبحهما
مع مزج حمرة فيها ، وكان أهدب الأشفار تلتبس من كثرتها وأفنى العرينين
مفلج الاسنان إذا ضحك أقرعن سنا البرق إذا تلألاً وكان من أحسن عباد الله شفتين
والطفهم ختم قم ، وكان سهل الخدين صلبها لا بالطويل الوجه ولا المكتم كث اللحية
وكان يعنى لحيته ويأخذ من شاربته وكان من أحسن الناس عنقا لا ينسب إلى
الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب

ذهبا يتلأأ في بياض الفضة وجمرة الذهب ، وكان عرض الصدر موصول
 ما بين لبتيه وسرته منقادا (١) ، كالقضيبي لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره ، كانت
 له عكن ثلاث يغطي الازار واحدة منها وتظهر اثنتان - وكان عظيم المنكين
 اشعرهما خضم الكراديس اى رؤس العظام من المرفقين والوركين وكان واسع
 الظهرين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى
 الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها عرف فرس وكان عبل العضدين
 والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف وكانت اصابعه
 قضبان الفضة وكفه الين من الحرير وكان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب
 اولم يمسه يصاح المصاح فيظل يومه يجدر يحها ويضع يده على رأس الصبي
 فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ
 والساق وكان معتدل الخلق في سمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد
 يكون على الخلق الاول لم يضره السن وكان يمشى كأنما يقلع من صفرو ويتحدر
 من صلب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير تبختر ، والهوينا تقارب الخطى ، واما
 معجزاته وآياته فخارجة عن حد العد والاحصاء سيما المعجزة الكبرى الباقية
 الى آخر الدهر تحدى بها بلغاء عدنان وفصحاء قحطان وجزيرة العرب مملوءة
 بالآلاف منها ، ونادى بين اظهرهم بان يأثوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة
 من مثله ان شكوا فعجزوا عن ذلك عن آخرهم حتى عرضوا انفسهم للقتل
 ونساءهم وذرائعهم للسبي فما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في حسنه
 وجزالته ثم انتشر ذلك بعده صلى الله عليه وسلم في اقطار العالم شرقا وغربا
 قرنا بعد قرن وعصر ا بعد عصر فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بحق من رأى
 معجزاته واخلاقه وآدابه ثم في استمرار شرعه الى قريب من خمسين وتسعمائة
 ثم في انتشاره في اقطار العالم واذعان ملوك الارض في عصره وبعد عصره والمدة
 ما ذكر ثم يمارى بعد ذلك في صدقه وخلود شرعه الى انقراض الدنيا فنسأل الله
 ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والاقوال والافعال والاحوال انه الكريم

(١) عبارة الاحياء - ... وسرته شعر منقاد -

ذوالجلال وهو العليم بكل الحال بمنه وجوده -

الشعبة الثالثة

في ربيع المهلكات وفيه عشرة اصول اثنان منها مقدمة للبواق

الاصل الاول

شرح عجائب القلب ولنذكر اولا عدة الفاظ نافعة في الباب ، احدها القلب وله معنيان احدهما اللحم الصنوبري المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه دم اسود وهو منبع الروح الحيواني وهو من عالم الملك والشهادة ، وثانيها لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسائي تعلق وهي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف المخاطب والمعاتب والمعاقب والمطالب وهذا من عالم الغيب وقد نهينا عن شرح حالها ، الثاني لفظ الروح وله ايضا معنيان احدهما جسم لطيف منبعه تجويف الجسم الصنوبري وتنتشربو اسطة العروق الضواري الى البدن ويفيض بسببه قوة الحياة والحس والبصر والسمع والشم ، وثانيها ثاني معنى القلب - الثالث لفظ النفس وله ايضا معنيان احدهما الامر الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان وعلى اكثر اصطلاح المتصوفة ، وثانيها ثاني معنى القلب والروح - الرابع العقل وله ايضا معنيان احدهما العلم بحقائق الامور ، وثانيها المدرك لحقائق الامور اعني اللطيفة المذكورة -

بيان جنود القلب وهي ثلاثة اصناف باعث اما الى جلب الموائق النافع كالشهوة او الى دفع المضار النافع كالغضب ويسمى هذا الباعث ارادة ، ومحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد مسمى بالقدرة وهي امور ماثورة في سائر الاعضاء سيما العضلات منها والاوتار ومدرك متعرف للاشياء كالجواسيس وهي ماثورة في مواضع معينة كالجواسيس الظاهرة المستخدمة للاعضاء الظاهرة المركبة من اللحم والشحم والدم والعظم ، وهذه من عالم الملك والشهادة ولها حواس باطنة من الحس المشترك والتخيل والتفكر والتذكر والحفظ والذي يبحث عنه هي الحواس الباطنة ويمثل القلب مع جنوده الباطنة كالمملك والوالي

اغنى الروح مع مملكته ومدنيته اغنى البدن وقوته العقلية وزيره العاقل وشهوته كعبده السوء الجالب للميرة فمضى انقاد للوزير خالص من مضرة العبد المكار والاهلك وكذا الغضب صاحب شر طته فاذا تبع رأى الوزير يأمن ضرره وإلا فأتى قانون العدل فى المملكة ثم ان الانسان (١) فى تركيبه اربع قوى وهى السبعية والبهيمية والشيطنية والربانية فهو من حيث ساط عليها احدى هذه الصفات تتولد اخلاق رديئة اما الاول فكالعداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم - واما الثانى فكالشره والحرص والشبق - واما الرابع فكحب الاستيلاء والاستعلاء والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربة العبودية والتواضع وادعاء الاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية ومن حيث يختص عن البهايم بالتميز مع مشاركتها فى الغضب والشهوة حصات فيه شيطانية - وبالجملة اذا أتبع قوة العلم على الشهوة والغضب صار شيطاناً فى صورة انسان والحكيم الذى هو مثال العقل مأموراً بأن يدفع كيد الشيطان ببصيرته ويكسر شره - هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه وهو الخنزير ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته فيحصل صفة العدل - والا فيكون دائماً فى عبادة كلب وخنزير ومع ذلك ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ونفسه يعبد الكلب والخنزير كما يراه المكشفون تارة فى النوم وتارة فى اليقظة على عكوفه فى عبادة هذين - فحصل له من طاعة خنزير الشهوة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرثاء والهلك والجبانة والغنى والحرص والجشع والملق والحسد والشائنة ونحوها - ومن طاعة كلب الغضب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشطاء والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق واردة الشر وشهوة الظلم ونحوها - ومن طاعة شيطان الشهوة والغضب المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبس والتضريب والغش والخبث وامثالها - ونوع عكس

الامر وقهر الجميع تحت رياسة الصفة الربانية استقر في القلب صفات ربانية من العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء كما هي والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ويحصل له من رد خزير الشهوة الى الاعتدال صفات شريفة من العفة والتقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ومن كسر قوة الغضب وقهرها وردّها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبيل والشهامة والوقار وغيرها -

المطلب الثاني

واعلم ان كل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق مسائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وتلك الخاصية قد عبر الله عز وجل عنها بالامانة التي حملها الانسان وابى عن حملها السموات والارض والجبال لكن هناك اسباب مانعة من معرفة حقائق العلوم وهي خمسة احدها نقصان في ذاته كقلب الصبي ومثال ذلك في الحس الحديد قبل ان يدور ويتشكل ويصقل وثانيها كدورة المعاصي وخبث الشهوات مثاله صدأ الحديد وكدورته بعد تمام شكله - وثالثها كونه معد ولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان القلب وان كان صافيا الا ان هم الطاعات البدنية او تهئية اسباب المعيشة ربما يصرف فكره عن التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وحقائق عيوب النفس او مصالح المعيشة مثاله كونه المرآة المصقولة معد ولا بها عن جانب الصورة - ورابعها ان يكون المطيع القاهر لشهواته المتجرد للتفكر في حقيقة من الحقائق لا ينكشف له ذلك لكونه مجبوبا عنه باعتقاد يسبق اليه من الصبا على سبيل التقليد والقبول لحسن الظن وذلك يحول بينه وبين الحق مثاله الحجاب المرسل بين الصورة وبين المرآة الصقيلة المحاذية نحوها - وخامسها الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب اذ لا بد لكل علم من علمين سابقين يألفان فيحصل من ازد واجها علم ثالث ومثاله الجهل بالجهة التي

التي فيها الصورة فلا يحاذي المرأة بها مثلاً ان اراد أن يبصر قفاه في المرأة فلا بد
اولاً ان يعرف طريقه والا لا يحصل من جده طائل فانه ان رفع المرأة حذاء
وجهه لا يبصر قفاه وان رفعها وراء القفا لا يرى المرأة اصلاً فينبغي ان يرفع امرأة
وراء القفا واخرى حذاء وجهه مقابلة للمرأة الاخرى فينتقش صورة القفا في امرأة
يقابلها ثم ينتقش منها الى المرأة المحاذية للمرأة الاولى ولو وجه الرائي فيرسم صورة
القفا في المرأة الثانية فيرى قفاه فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرنا في المرأة ويعز على بسطة الارض من يهتدي الى
كيفية الحيلة في تلك الازورارات -

المطلب الثالث

العلوم اما عقلية وهي التي تقضى بها غريزة العقل بلاخذ من تقليد وسماع وهي
الاضروية لا يدرى من اين حصل وكيف حصل - واما مكتسبة وهي الاستفادة
بالتعلم والاستدلال وكلاهما قد تسمى عقلاً والقلب جار مجرى العين وغريزة
العقل جارية مجرى قوة الابصار (١) يتوقف على النور كذلك قلب الصبي الى التمييز
والبوغ وفقد قوة العقل عمى - قال تعالى (فانها لا تسمى الابصار ولكن نعى
القلوب التي في الصدور) ثم العلوم اما دينية ما خوذة بطريق التقليد من الانبياء
اما بتعلم كتاب الله عز وجل او بتعلم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالعلوم العقلية
وان كانت غير كافية في سلامة القلب لكنها محتاج اليها في فهم العلوم الدينية
فلاغنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل والداعى الى محض السمع مع عزل
العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك
ان تكون من الفريقين وكن جامعاً بينهما فالعلوم العقلية كالغذية والشرعية كاللدواء من
خلن ان علوم (٢) العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن فهو ظن عن
عمى عين بصيرته نعوذ بالله من الجهل - وهذا القائل كيف يفعل فيما يناقض عنده
بعض العلوم الشرعية لبعض - فاما ان يعترف بنفع العلوم العقلية او يعتقد نقصا
في الدين وينسل من الدين انسلال الشجرة من العجين - ثم العلوم العقلية

(١) كذا ولعله سقط - وكما ان الابصار (٢) كذا - والظاهر - ان العلوم -

اما دنيوية كالأطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات
واما الخروية كعلم احوال القلوب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته واقواله وهما
ككفتي الميزان وربما يقال كالشرق والمغرب وربما يقال كالضرتين ان رضى
احدهما اسخطت (١) الاخرى ولذلك ترى علماء الدين جهالا في علوم الدنيا وبالعكس
والجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا لا يتيسر الا للؤيدين بروح
القدس وهم الانبياء بخلاف سائر الخلق فانها اذا شغلت باحدهما انصرفت عن
الآخر -

المطلب الرابع

واعلم ان للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم
الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك
وطريق اكتسابه من الباب الثاني معلوم لكل احد واما طريق اكتسابه من
الملكوت فهو ان القلب مستعد لان يتجلى فيه جليلة الحق في الاشياء كلها - واما
حيل بينه وبينها بالحجب الخمسة التي ذكرناها المسدلة بين القلب وبين اللوح
المحفوظ انذى يسطر فيه حقائق الاشياء وجميع ما نضى الله سبحانه الى يوم القيامة
كما يسطر المهندس صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك
النسخة ثم ان الحجاب بينها تارة يزول باليد واخرى بهبوب رياح الا لطاف
ويكون ذلك تارة في المنام فيظهر له ما سيكون في المستقبل وتارة في اليقظة فيلمح
غرائب العلوم وتارة كالبرق الخاطف واخرى كالتوالي (٢) الى حدام ودوامه في غاية
الندور فالحجاب اذا انكشف باختيار العبد فهو الاكتساب والا فالحام ونفث
في الروح وان شاهد معه الملك فهو الوحي - وهذا الانكشاف وان لم يكن
بالاختيار الا ان اسبابه البعيدة داخلية تحته لأن ذلك بالزهد في الدنيا والتبرئ من
غلائقها وتفرغ القلب من شوائغها حتى يستوى عنده وجود كل شيء وعدمه
والاقبال بكنه الهممة فمن كان لله كان الله له - وينبغي ان لا يفرق فكره في مطالعة

(١) كذا - ولعله - سخطت - ح (٢) في الاحياء - على التوالي -

تفسير وحديث بل يداوم ان يقول بلسانه الله الله الى ان ينتهى الى درجة تكون لكلمة جارية على اللسان بلا قصد منه ثم ينتهى الى ان يحصى (١) اثره عن اللسان يصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظبه الى ان يحصى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه ثم يسلب عنه الاختيار في استجلاب رحمة الله - فيبقى منتظرا لما يفتحه الله عليه من نفحاته فتلعب لوامع الحق في قلبه كالبرق الخاطف ثم يعود يدوم زمانا -

المطلب الخامس

اعلم ان اهل النظر لم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وانضاءه الى المقصود لكن استوعروه واستبطؤوا اثره واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى هذا الحد كالمعذور وان حصل فثباته ابعد منه اذا دنا وسواس وخاطر يشوش القلب - وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن فلا اشتغال بطريق التعلم او ثقی واقرب الى الغرض الا ان المفهوم من الآيات والاحاديث كون علم التصفية افضل من العلم المكتسب - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح - وقال صلى الله عليه وسلم ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم سوى البين والمرسلين لرجح - وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم - والمحدث هو الملهم والملهم هو (٢) انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة - والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعليم - وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم اليه الا ان يؤتى الله سبحانه عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم - ثم ان الصواب لمن يريد طريق الآخرة ان يقدم تعلم العلوم الدينية ثم يبتدئ طريق التصفية اذ ربما تشبث

(١) كذا - والظاهر ينمحي - ح (٢) كذا والظاهر - من - ح -

بالقلب خيالات فاسدة وربما يبقى الصوفي في خيال واحد عشرين سنة وينتضى عمره دون النجاح فيه فلو كان قد اتقن العلم من قبل لانتفتح له وجه الصواب من ذلك الخيال في الحال - ومن زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم الفقه وصار فقيها بالوحى والالهام فربما ينتهى بالرياضة اليه فقد ظلم نفسه وضيع عمره فان ذلك وان امكن لغير النبي بعيد جدا فلا يغتر به -

المطلب السادس

اعلم ان القلب يرد عليه الصورتان من الحواس الظاهرة وتارة من الحواس الباطنة لانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب ثم ينتقل بسبب الآثار الواردة عليه من حال الى حال دائما اعنى الافكار والاذكار وهذه تسمى الخواطر لخطورها عند غفلة القلب عنها والخواطر محركة للرغبة وهى تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء فالخواطر مبدأ للافعال وتنقسم الى ما يدعو الى الشراى يضرب فى العاقبة والى ما يدعو الى الخير اى ينفع فى الدار الآخرة فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذوم يسمى وسوسة - ومن سنة الله تعالى ترتيب المسببات على اسبابها فسبب الخاطر المحمود يسمى ملكا وسبب الخاطر المذوم يسمى شيطانا - واللطف الذى به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والقلب متجاذب بين الملك والشيطان وانما يترجح احدهما بالجهادة او باتباع الهوى والشهوات التى هى سلاح الشيطان فلا بد من معرفة سلاحه وكيفية دفعه - واما معرفة صفته وذاته وحقيقته وكذا صفة الملك وحقيقته فذلك من علوم المكاشفة، وما ينبغي ان يعلم ان بعض الامور مكاييد الشيطان وبعضها الهام الملك وبعضها متردد بينهما اذ الشيطان يعرض الشرفى معرض الخير والتميز بينهما غامض وبه يهلك اكثر العباد اذ لا يقدر على دعائهم الى صريح البشر فيصوره بصورة الخير فحق على العبد ان يعنى فيه النظر بعين البصيرة لاجهوى من الطبع ولا يطلع عليه الابنور التقوى وغزارة العلم والا يتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر ولا ينجى من ذلك

ذلك الاسد ابواب الخواطر والعزلة وقطع العلائق ودوام الذكر ولا تنقطع هذه المجاهدة الى الموت فانه مادام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لانغلاق باب الملك باب واحد ومع ذلك قد التبس هذا الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة مثلالعالم الواعظ - الناس موتى من الجهل هلكى من الغفلة أمالك رحمة على عباد الله وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذاق ولهجة مقبولة فكيف تفكر بنعمة الله وتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم الى ان يستجره بلطائف الخيل الى وعظ الناس ثم يدعوه الى ان يترين لهم فى اللفظ واظهار الخير حتى يحصل له لذة الجاه وقبول الخلق والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيهلك المسكين وهو انه عند الله بمكان - وامثال هذا التلبس انتشر الآن فى البلاد والعباد حتى لم يبق من الخيرات الارسمها - ومن ابوابه العظيمة الحسد والحرص اذ القلب اعماه حرصه وصممه اذ يحسن له الشيطان كلما يوصله الى شهوته وان كان منكرا فاحشا - ومنها الغضب والشهوة اذ الانسان اذا غضب لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة - ومنها حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذ ارأى ذلك غالب على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال يصرفه من عمارة الباطن الى عمارة الظاهر ثم ان بعض ذلك يجره الى بعض حتى يموت وهو فى تصرف الشيطان فيخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله منه - ومنها الشبع بالطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات وهى اسلحة الشيطان ومنها الطمع فى الناس فاذا غلب هو على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرثاء والتلبس حتى يصبر المطموع فيه كأنه معبود ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها العجلة وترك التثبت فى الامور اذ الواقع بعد التأمل يصير على وجه الصواب وبالعجلة يمنع الشيطان ذلك ويروج شره من حيث لا يدري ومنها الدنانير والدراهم وسائر الاموال وذلك لان من معه قوته فقط فهو فارغ القلب فاذا وجد مائة دينار

على الطريق انبعث من قلبه عشر تحتاج كل واحدة الى مائة دينار مثلا يشترى بها دارا يعمرها وجارية واثاثا وثيابا فأنجرة وكل ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها الموت وكان عندما حصل قوته فارغ القلب ثم اذا وجد ديناراً يظن انه صار غنيا بعد ما كان فقيرا وليس كذلك بل هو على عكس ذلك، ومنها البخل وخوف الفقر لأنها يمنعان من الصدق، ومنها التعصب للذهاب والاهواء وهو به فرح مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان حتى ان منهم من يطعن في مذهب الشافعي ومنهم من يطعن في مذهب ابي حنيفة وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان اهلك الله به كثيرا من العلماء ومنها تحريض العوام على التفكير في ذات الله وصفاته حتى يشككهم به في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالات فاسدة يتعالى الله عز وجل منه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح ومسرور ومبتهج بما وقع في قلبه ويظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة واكتشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وانما حق العوام ان يشتغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم الى العلماء، ومنها سوء الظن بالمسلمين اذ عند ذلك بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر عن القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات فهذا بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاء جميعه لم نقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره ثم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وذلك يطول ذكره وسنذكره ان شاء الله تعالى ثم ان القلب اذا غلب عليه الشهوات يستقر الشيطان فيه ولا يتمكن الذكر من سويده بل يرجع الى حواشيه واما اذا صفا وخلا عن الشهوات ربما يطرقها الشيطان لالشهوات بل خلوها عن الذكر فاذا ذكر خنس الشيطان -

المطلب السابع

في احوال الشيطان

صح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار أن الشياطين جنود مجنونة ولكل من

لمعاصي

(٣٤)

العاصي شيطان يخصه ويدعوا اليه ولا يمكن تفصيل ذلك والدليل الاجمالى ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب واما الملائكة فكذا ويختص كل واحد منهم بعمل وسيجيء ذلك ثم ان الملك والشيطان لهما صورتان حقيقتان لا يدرك ذلك الا بتور النبوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل عليه السلام فى صورته الحقيقية مرتين وكان يراه فى صورة دحية الكلبي غالبا وكان رجلا حسن الوجه واما الاولياء فانما يكاشف لهم فى اليقظة مثل ما يراه النائم فى نومه وهم الذين انتهوا الى رتبة لا يمنعهم اشتغال الحواس بالدنيا عن مشاهدة قلبه (١) عالم الملكوت وهذا مثاله لاحقيقته وتحقيقه ان عالم الشهادة كلها خيال الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيعجز عن الصورة دون المعنى ولهذا قد تخالف الصورة المعنى كما اذا رأيت شخصا جميل الصورة قبيح الباطن ويحصل تارة من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القاب فلا تكون الاحكامية للصفة وموافقة لها لأن الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم يرى المعنى القبيح فى صورة قبيحة كروية الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكاة لها بالصدق وبهذا الطريق يمكن تعبير الرؤيا -

المطلب الثامن

فى القدر المعفو عنه من الوسوسة

واعلم ان لها مراتب اربع قبل العمل بالحوارج اولها الخاطر وهو حديث النفس وثانيها الميل وحركة الشهوة التى فى الطبع وثالثها الاعتقاد والحكم بأن هذا ينبغي ان يفعل ورابعها الهم وهو العزم وجزم النية فاما ان يتدم فيتوك او يغفل لعارض فلا يعمل او يعوقه عنه عائق والاولان (١) من هذه الاربعة لا يؤخذ بهما العبد لعدم دخولهما تحت الاختيار ويسميان حديث النفس كما قال صلى الله عليه وسلم عفى عن امتي ما حدثت به نفوسها واما الثالث فهو (١) الاعتقاد ان كان اختياريا يؤخذ به والافلا واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤخذ به لانه ان لم يفعل خوفا من الله تعالى

وندمنا على همه كتبته له حسنة لأن ترك السيئة حسنة لأن المهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله بخذه في الامتناع عنه يدل على طاعته لله تعالى فكتبته له حسنة واما ان عاق عنه عائق او تركه عذرا لا خوفا من الله عز وجل كتبته عليه سيئة فان همه فعل اختياري الا ان يكفره بحسنة -

المطلب التاسع

في بيان أن الوسواس هل ينقطع عند الذكر بالكلية ام لا منهم من قال بانقطاعه ومنهم من قال لا ينقطع ولكن لا يؤثر ومنهم من قال لا ينقطع ويؤثر لكن على ضعف ومنهم من قال ينقطع بلحظة والذكر والوسوسة يتعاقبان ومنهم من قال لا يقطعان في لحظة اصلا بل القلب يكون مجرى لهما في كل حال - والمذهب الصحيح ان كل واحد من هذه الاقوال بالنظر الى صنف من اصناف الوسوسة وهي ثلاثة الصنف الاول تلبس الحق مثلا يقول لا ترك اللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات ألمه عظيم فعند ذلك اذا قال العبد الصبر عن الشهوات شديد والصبر على النار اشد منه خنس الشيطان اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد منه فان ذلك أمر وجداني ولا ان يقول المعصية لا تنفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه ومثلا يقول للعجب اى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فاذا تذكر العبد أن معرفته وقدرته وقلبه كلها من خلق الله فمن اين يعجب به خنس الشيطان اذ لا يستطيع انكاره - والصنف الثاني ان يوسوس بتحريك الشهوة وتهيجها فان علم العبد ان ذلك معصية يجب تركها خنس عن تهيج يؤثر في التحريك دون اصل التهيج وان ظن انه معصية ربما يبقى مؤثرا ويحتاج في دفعه الى مجاهدة - الصنف الثالث ان يوسوس بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا ذكر الله تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقبان وبعيد ان يندفع هذا الصنف بالكلية وليس محالا في القلب الذي استولى عليه حب الله عز وجل ولا يخطر بباله غير حديث محبوبه -

المطلب العاشر

بيان سرعة تقلب القلب

اعلم ان القلب تكتنفه الصفات المهلكة وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي ذكرناها فاذا اثر فيه احدها اصابه من جانب آخر ما يضاعه فيغير وصفه واليه الاشارة بقوله تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم) ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك - قيل وتخاف يا رسول الله قال ما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وكان يحلف ويقول لاومقلب القلوب ، والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة احوال احدها قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياسة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقذ فيه خواطر الخير من خزائن النيب ومداخل الملكوت وتمده بمنود لا ترى ويهدي به الى خيرات اخر حتى ينتجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه - وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء - وثانيها قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوثة بالاخلاق الذميمة ويكون عقله قد الف خدمة الهوى واستمر على استنباط الحيل له فيشرح بالهوى ويوحى القلب زحفا من القول غرورا فلا ينكشف بعقله ايضا وجهه الصواب فيبقى في ظلمات بعضها فوق بعض واليه يشير قوله تعالى (افرأيت من اتخذ الهه هواه) الى قوله تعالى (سبيلا) وربما يكون قلبه الى بعض الامور على التقوى والى بعضها على الهوى كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجهها حسنا لم يملك عينه وقلبه واذهب عقله ولبه وانفتح له ابواب الجاه والرياسة والكبر او كالذى لا يملك نفسه عند الغضب - وثالثها قلب يبتدى فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير واذا نصحه العقل يردده الشيطان فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزين الى ان يغلب

احدهما إما حاكم العقل ان غلب على القلب جند الصفات الملا ئكة (١) او حاكم الشهوة ان غلب جند الصفات الشيطانية وكل ذلك تابع لسابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعات واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية . ومع ذلك يقول له الشيطان ان الله غفور رحيم فلا تبال وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب عدا (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غورا) فكل ذلك بقضاء الله وقدره (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) فتعالى الله الملك الحق ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون -

الاصل الثانى

رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة ولا روية فان صدر عنها الافعال المحموده عقلا وشرعا يسمى خلقا حسنا وان صدر عنها الافعال الذميمة عقلا وشرعا كذلك يسمى خلقا سيئا - وامهات الاخلاق السيئة اربع اختلال قوة العلم وقوة الضعف وقوة الشهوة وقوة العدل واعتدال هذه القوى هى الاخلاق الحسنة ، اما اختلال قوة العلم إما بافراطها واستعمالها فى الاغراض الفاسدة ويسمى خبا وبخرزة او بتفريطها ويسمى بلها واعتدالها هو الوسط الذى يسمى حكمة وذلك بأن تصير النفس بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال وهى المراد بقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) واختلال القوة الغضبية اما الى طرف الزيادة ويسمى تهورا او الى طرف الضعف ويسمى جبنا وخورا واعتدالها بان يقتصر انقباضها وانبساطها

(١) كذا - ولعله - الملكية -

على حد ما يقتضيه الحكمة والعقل ويسمى شجاعة ، واختلال القوة الشهوية اما الى طرف الزيادة ويسمى شرها او الى طرف النقصان ويسمى نحوذا واعتدالها ان تكون تحت اشارة الدين ويسمى عفة واختلال قوة العدل وهو الجور وليس له الاضد واحد واعتدالها ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع والطرفان من كل من القوى المذكورة رذيلتان وخير الامور اوسطها ، ومن اعتدال هذه الامور الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وللناس بعده درجات متفاوتة فمن ازداد اعتدالا يكون ملكا مطاعا بين الناس ومن اتصف باضدادها يكون شيطانا ذا وسواس نعوذ بالله منه -

المطلب الثاني

في قبول الاخلاق التغير بطريق الرياضة

وقد انكر التغير بعض من غلبت الشقوة والبطالة عليه ولم تسمح نفسه بان تجرب ذلك لقصوره ونقصه واستدل عليه بوجهين احدهما ان الخلق الباطن بمنزلة الخلق الظاهر واذا لا يتغير هذا فلا يتغير ذاك وثانيهما ان الغضب مثلا من مقتضى المزاج والطبع وكذا الشهوة فكيف يتبدلان فنقول لو لم تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم معنى ، واذا امكن تغير اخلاق البهائم فالانسان بذلك اولى - وكشف الغطاء فيه ان وقع الغضب والشهوة بالكلية غير ممكن اصلا وانما الذي يمكن لنا بالرياضة تعديلها وصرفها الى ما خلقا لأجله نعم الجبلات مختلفة بالسرعة والبطء في التغير لامرئ احدها قوة الغريزة في اصل الجبلية وامتداد مدة الوجود وثانيهما تأكده بكثرة العمل بمقتضاه ورؤيته مرضيا ، واللاس فيه على اربع مراتب الاول ان يتخلو عن العلم بالقبيح والحسن وبقي على اصل فطرته فهذا سريع القبول للعلاج فان صادف مرشدا يحسن خلقه في اقرب زمان ، الثاني ان يعرف القبيح وزين له سوء عمله ومع ذلك علم تقصيره وهذا اصعب من الاول اذا تضاعفت فيه الوظيفة بقلع

مارسوخ فيه اولاً وبغرس مواد الصلاح ثانياً - الثالث ان يعتقد الاخلاق القبيحة حقاً وجميلاً وتربى على ذلك فهذا اعتقاد تمتنع معالجته ولن يرجح صلاحه الا على الدور وذلك لتضاعف اسباب الضلال ، الرابع ان يكون نشؤه على رأى الفاسد ومع ذلك يرى الفضل فيه ويتباهى به وهذه اصعب المراتب وهو المراد بما قيل من التعذيب وتهذيب الذيب ، فالاول جاهل والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير ، واذا عرفت هذا فاعلم ان ما قيل ان الآدمي ما دام حياً لا تنقطع منه الشهوة والغضب فلا مطمع في استئصالها فغلط طائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمعها بالكلية وائس كذلك بل المقصود تعديلهما وكيف يقمعان ولو انقطع عن الانسان شهوة الطعام لهلك جوعاً وشهوة الوقاع لا تنقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يقدر على دفع المهلكات البدنية والدينية -

المطلب الثالث

ان الاعتدالات المذكورة قد تكون فطرية بان يخلق انسان كامل الفطرة وسلطان الشهوة والغضب فيه يصير منقاداً للعقل والشرع كالانبياء عليهم السلام - وقد تكون بالريضة بأن يؤمر بالبذل لمن في طبعه حب المال وبالتالي واضع لمن فيه الكبر وحب الجاه وغير ذلك وهذه الرياضة الى ان يصير الخلق المحمود عنده سهلاً لا متكلفاً ولما كان بين القلب والجوارح علاقة عجيبة يظهر اثر كل منهما في الآخر بأن يتصور القلب الخلق المحمود ويكلفها للبدن ثم بمواظبة البدن على ذلك الخلق يتأدى اثره الى القلب الى ان يتبلغ عنه حب الدنيا ويترسخ فيه حب الله الذى هو اصل كل سعادة لكن تأثر القلب من الافعال انما يكون اذا داوم البدن عليها ولهذا قيل افضل الاعمال أدومها وان قل ثم ان الشيخ الذى يطب نفوس المريدين لا بد أن يكون مثل طبيب الابدان فانه ان عالج الكل بعلاج واحد أهلكهم فكذلك الشيخ ينبغي ان ينظر في مرض المريد وحاله وسنه ومنزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة فان كان المريد جاهلاً يعلمه اولاً الطهارة والصلاة وظواهر

وظواهر العبادات وان كان له مال حرام يأمره بتركه وان رأى فيه الرعونة وعز النفس يأمره بان يخرج الى السوق للسكدية والسؤال اذلاذل فوقيهما الى غير ذلك - ومن لطائف الرياضة ان الخلق المذموم اذا قوى ينتقل الى خلق آخر مذموم ثم يتركه تدريجا كمن يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم - مثلاً يرغب الصبي او لا بالكرة والصولجان ثم ينتقل من اللعب الى الزينة وفانرا التياب ثم منها الى الرياضة الدنيوية وطلب الجاه ثم منها الى رياضة العلم ثم منها الى رياضة الآخرة وكل هذه الوسائل مذمومة لكن يختار للتدريج وسهولة تحصيل الكمال -

المطلب الرابع

اعلم ان كل عضو (له) فائدة وفائدة القلب الحلم (١) والمعرفة واصل المعارف معرفة الله سبحانه وتعالى لانه موجدها ومخترعها وعلامة المعرفة المحبة وعلامة المحبة ان لا يؤثر الدنيا عليها ولا غيرها من المحبوبات وحب الدنيا رأس كل خطيئة فمن كان في قلبه حبا فليعرف ان قلبه مريض فليشتغل بعلاجه ثم معرفة كل مرض على الخصوص لا يمكن الا بأربع طرق الاول ان يحكم شيخا بصيرا بعيوب النفس مطلقا على خفايا الآفات وهذا قد عز وجوده في هذا الزمان - الثاني ان يطلب صديقا صديقا بصيرا متدينا وينصبه رقيقا على نفسه لينبهه على عيوبه الباطنة - الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساوى والانتفاع بعد ومشاحن ربما يكون اكثر من الانتفاع بصديق مدهن - الرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بينهم ينسبه الى نفسه فان المؤمن مرآة المؤمن فيتركه - قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال اأدبني احد رأيت جهل الجاهل بخابنته - ومجمل القول في باب الرياضة ان يترك الانسان من امور الدنيا ما لا يوجب قدر (٢) الا بقدر الضرورة لئلا تألفها النفس وتمنى العود الى الدنيا ومن يتمنى ذلك لاحظ له في الآخرة - فالقلوب في الآخرة اربعة انواع - الاول رجل استغرق قلبه ذكر الله فهو من الصديقين - والثاني من استغرق حب الدنيا

(١) كذا وفي الاحياء - العلم والحكمة والمعرفة - (٢) كذا -

قلبه فهو من الها لكين - الثالث اشتغل بالدنيا والدين والغالب عليه الدين فلا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله عليه والرابع اشتغل بهما جميعا والغالب عليه الدنيا فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها آخرها فان اخطرت بالبال ان الدنيا مباح فليس فيها مباح (١) قلت الكلام في حبها والفاضل على قدر الحاجة لما لم يكن خاليا عن الحب والا لما اقتناها تمكنت فيه شهوة الحب ايضا فنعوه -

المطلب الخامس

في رياضة الصبيان

واعلم ان نفوسهم ساذجة خالية عن كل نقش وصورة فان عود الخير يصير سعيدا ويثاب والداه وان عود الشر يصير شريرا ويصير الوزر لو اديه - فعلى الاب ان يحفظه من القراء السوء ولا يجيب اليه الزينة والرفاهية فيهلك هلاك الابد. اذا كبر وترضعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال والا انعجت طينته من الخبث واذا بلغ سن التمييز فان رأيت فيه الحياء عن القبايح فذلك دليل قوة عقله وبدل على حسن اخلاقه ويقبح عنده شره الطعام وان لا يأخذ الا يمينه ويسمى الله عند أكله ويأكل مما يليه ولا يبادر على الطعام قبل غيره ولا يحد النظر الى الطعام والى من يأكل ولا يسرع في الاكل، ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يؤا الى بين اللقم ويعود الخبز حتى يصير بحيث لا يرى الا دام حتما ويقبح عنده كثرة الأكل وانه فعل البهائم ويذم عنده الصبي الكثير الأكل ويجب عنده ايثار الطعام غيره وقلة المبالاة به ويجب من الثياب البيض ويذم من لبس الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والخنثين ويحفظه عن الصبيان المترفين ثم يرسل الى المكتب ويعلم القرآن والحديث واخبار الصالحين لينغرس في قلبه حبهم ويمنعه عن اشعار فيها عشق واهله الذين يزعمون ان العشق من الظرف ورقة القلب فان ذلك يغرس في قلوبهم بذر الفساد - ثم اذا ظهر من الصبي خلق حسن ينبغى يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويمدحه بين اظهر

الناس - فاذا غفل عنه في وقت لايهتك ستره بل يتغافل فان عاد يعاتب عليه سرا وينفره عن العودة والايقتضح عند الناس ولايكثر عليه العتاب لئلا يعتاد الملامة ويمنع عن نوم النهار لأنه يؤديه الى الكسل ولا يمنعه ليلا ولا يعود الفرس الوطيئة حتى يتصلب اعضاؤه ويعوده المشى والحركة حتى لا يغلب عليه الكسل وينبغى ان يعود ان لا يفتخر على اقرانه بما له والده او ملابسه اولوحه ودواته ويعوده التواضع والاكرام والتلطف في الكلام ويمنعه عن ان يأخذ شيئا من احد وانه ذل ولؤم وان الكرم والرفعة في العطاء ويقبح له حب الذهب والفضة فان ذلك مهلك ويعلمه ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتشاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعتمد رأسه بساعده فانه علامة الكسل ولا يستدبر غيره ولا يكثر الكلام فانه وقاحة وانه عادة ابناء اللثام ويمنع اليمين ولو صدقا حتى لا يتوذه في الصغر ولا يتكلم الاجوابا او بقدر السؤال ويستمع لمن يتكلم ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ويمنعه من القرناء السوء وينبغى ان لا يكثر الصراخ والاستشفاع اذا ضرب به المعلم بل يصبر عليه وان الصبر من دأب الشجعان والرجال وكثرة الصراخ من دأب الممالك والنسوان ويترك بعد الفراغ من المكتتب يلعب لعبا جميلا ليستريح من تعب المكتتب ولا يدعه يتعب في اللعب ويعلمه طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو اكبر منه سنا وينظر اليهم بعين التعظيم ولا يلعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويأمر بالصوم في بعض الايام في رمضان ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام والكذب والخيانة والفحش - فاذا قارب البلوغ يذكر أن الاطعمة ادوية في ان يتقوى الانسان بها الى عبادة الله تعالى والنعيم كله ينقطع بالموت وان الدنيا دار ممر لا دار مقر وان العاقل من عمل للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعمته - قال سهل التستري كنت اشاهد

قيام خالى مجد بن سوار فى اللبالي وانا ابن ثلاث سنين فقال لى خالى يوما ألا تذكر
الله الذى خلقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقبلبك فى ثيابك من غير أن
تحرك به لسانك ثلاث مرات الله معى ، الله ناظر الى ، الله شاهدى ، فقلت
ذلك ليال فقال قل سبع مرات فقلتها ليال قال قل احدى عشرة مرة فقلتها فوقع
فى قلبى حلاوة الذكر وبعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتكم ودم عليه الى ان
تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنتين فوجدت
حلاوته فى سرى ثم قال لى خالى يوما يسهل من كان الله معه وشاهده وناظرا
اليه أيعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسى حتى شرطت المعلم ان اذهب اليه
ساعة فأعلم ثم ارجع حتى حفظت القرآن وانا ابن ست اوسبع سنين وكنت اصوم
الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة ف وقعت لى مسألة وانا ابن
ثلاث عشرة سنة حتى اتيت البصرة وسألت علماء ها فلم يشق احد عنى شيئا
فخرجت الى ابى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى بعبادان فأجابنى عنها فأقمت
عنده مدة انتفعت بكلامه وادبه ثم رجعت الى تسر فجعلت اشترى فرقا من
الشعير بدرهم واكتفيت به سنة ثم عزمت على ان اطوى ثلاث ليال ثم خمسا
ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ومرت على ذلك عشرون سنة ثم خرجت اسيح
فى الارض سنين ثم رجعت الى تسر فكنت اقوم الليل كله -

المطلب السادس

فى شرائط السلوك

اعلم ان المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع
من الارادة عدم الايمان والمانع من الايمان عدم الهداة المذكرين المنبهين على
حقارة الدنيا وعظم الآخرة والسديين الحق والمريد اربعة - اولها حجاب المال
ويرتفع ذلك بتفريقه الا قدر الضرورة ومن له درهم واحد يلتفت اليه قلبه فهو
محجوب عن الله تعالى - وثانيها حجاب الجاه ورفع بالبعد عن موضع الجاه
وبإثارة الجول واعمال تنفر الخلق - ثالثها حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب
ويدفع

و يدفع كل معبود سوى الله سيما الهوى (١) وبعد رفع هذه الحجب يتحصن بامور
اربعة احدها الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب
شحم الفؤاد وفيه رفته ورقته مفتاح المكاشفة ومتى نقص دم القلب ضاق مسلك
العدو - وثانيها السهر فانه يحل القلب ويصفيه وينوره واذا انضاف اليه صفاء
الجوع يصير القلب كالنوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات والسهر نتيجة الجوع فانه مع الشيع غير ممكن والنوم
يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار
الغيب - وثالثها الصمت ويسهله العزلة ولا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام
يشغل القلب وشر الكلام للقلب عظيم وانه يستروح اليه ويستقل التعبد للذكر
والفكر - ورابعها الخلوة فائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر الا قدر
الضرورة واذا سدا الخواس يتفجر ينابيع الغيب من حياض الملكوت وينصب الى
القلب فلا بد في الجلوس في مكان مظلم والا فليألف رأسه في الجيب فعند ذلك
يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية وبعد التحصن بهذه الامور يشتغل
بعده بسلوك الطريق وذلك بقطع عقبات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا واذا
حصل قلبه مع الله وتجلي له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز أن
يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فعند ذلك اعظم القواطع عليه ان يتكلم به
وعظا ونصحا فليحذر منه فانه من اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق الا ان يكون
محركه على ذلك هو الحق فحينئذ ينبغي ان يعظم فرحه الا انه عزيز الوجود جنبا
غيبني ان يكون المريد على حذر منه - هذا الذي ذكرناه في هذين الاصلين معالجة
كلية الى طريق تهذيب الاخلاق واما تفصيلها فيأتى في الاصول الباقية ان شاء
الله تعالى -

الاصل الثالث

في كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وفيه مطالب

(١) كذا وترك الرابع وهو المعصية - كما في الاحياء - ح -

المطلب الاول

فضيلة الجوع لا تخفى على اولى الابصار وقد كثر ذكرها في الاخبار - قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملاً بطنه وقال لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزروع يموت اذا كثر الماء - وقال ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فثلاث للطعام وثلاث للشراب وثلاث للنفس - ثم ان في الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة بالابخرة المتصاعدة الى الدماغ ويعمي القلب ، الثانية رقة القلب وصفائه الذي به يتهياً لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر ، الثالثة الانكسار والذل وزوال الفرح والبطر والاشرا الذي هو مبتدأ الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذلل كما تذلل بالجوع فان عنده يتمسكن لربه ويخشع له ويقف على بحره وذله لما ضاقت حيلته بلقمة طعام فاتته واطمئت عليه الدنيا بشربة ماء تأخرت عنه ، الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه فيتذكر عذاب الآخرة وبلاءها ، الخامسة وهى اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي فان منشأ المعاصي كلها الشهوات وتدفع به شهوة الكلام وآفاته من الكذب والانغية والفحش والنعمة وشهوة الفرج والجوع يكفى شرها وغير ذلك من الشهوات للاعضاء الخمسة الباقية من الاعضاء السبعة ، السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه ضاع عمره وتبدل طبيعته وقسا قلبه - السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الأكل والمرض يمنع منها - الثامنة صحة البدن فان سبب الامراض كثرة الأكل والمرض ينقص العيش ويمنع من الذكر والفكر - التاسعة خفة المؤنة لأن من تعود الشبع يتقاضاه بطنه فيقول ما ذا تأكل اليوم فتدخل المداخل من الشبهات والحرام او يتعب في الحلال ويمد يد الطمع الى الخلق العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة الى اليتامى والمساكين -

المطلب الثاني

طريق الرياضة في كسر شهوة البطن وللريد فيه اربع وظائف

الوظيفة الاولى ان لا يأكل الاحلالا اذ العبادة مع أكل الحرام كالبناء على امواج البحر - الوظيفة الثانية ان يقلل الطعام على التدريب اذ النقص دفعة ربما يؤدي الى اختلال المزاج مثلا ان كان يأكل رغيفين كل يوم ربع رغيف وهو اما جزء من ثمانية وعشرين جزءا او من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ثم في نقص القوت اربع درجات - الدرجة الاولى ان يرد نفسه الى القدر الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري وقال استعبد الله الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على الاولين أكل وانطمر ان كان صائما ويكلف الطلب ان كان فقيرا وان خاف على القوة فقط فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الأكل - الدرجة الثانية ان يرد الى نصف مد في اليوم والليلة وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لأنها جمع قلة لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضى الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم او تسع لقم - الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار مد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهى الى ثلثيه ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر - وفي بعض الرواية ثلث للذكر بدل النفس ، الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا في حق الاكثرين - وههنا طريق خامس وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويتبعض يده وهو على شهوة صادقة بعد لكنه غلط اذ قد يشبه الشهوة الكاذبة بالصداقة لان التميز بينهما مشكل - وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس اذا ما بل تأكل الخبز وحده بشهوة اى خبز كان ومهما طلب خبزاً بعينه او ادا ما فهو ليس بجوع صادق - وقيل ان يبصق فلا يقع عليه الذباب

اذلا تبقى فيه ذهنية ودسومة الا ان معرفة هذه العلامات مشكلة فالصواب للرديد ان يعمل بما ذكرناه من التقدير -

الوظيفة الثانية - في وقت الأكل ومقدار تأخيريه وفيه ايضا درجات - الاولى ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها ومن المريدن من رد الرياضة الى الطي لالى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وقع ذلك عن كثير من السلف وكان أبوبكر رضى الله عنه يطوى ستة ايام وعبد الله بن الزبير سبعة ايام - قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية - الدرجة الثالثة ان يطوى يومين او ثلاثة وهذا قريب الوصول ويمكن الحصول - الدرجة الرابعة وهى ادبائها ان يقتصر على أكلة واحدة في اليوم والليلة وما جاوز ذلك اسراف مذموم - روى ابو سعيد الخدرى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد - قيل ومن اقتصر على أكلة واحدة في اليوم فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طالع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخالو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازع قبل وقته فان كانت نفسه تنازعه بالطعام فيأكل نصفه بعد المغرب ونصفه بعد التهجد - ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر -

الوظيفة الثالثة - في نوع الطعام وترك الادام - واعلى الطعام مخ البروان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والنخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم - وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام لثلاث تانس انفسهم بالذات ليكرهوا الموت ولقاء الله - وينبى ان يعلم ههنا ان ما ورد من مدح الجوع تارة والامر بالاعتدال اخرى لا يتضادان بل الطبع المعتدل الاليق به الجوع المفرط ليتعود الاعتدال والا فالجوع المفرط في نفسه مذموم وانما يمدح لترضى النفس

النفس بالاعتدال وما وقع في الشرع من الاختلاف فبالنظر الى اختلاف الطبائع - ولهذا يأمر الشيخ المريد بالافراط في الجوع والاحتواء عن اللذائذ وهو الجوع ويتلذذ بالقواكه ، ومما ينبغي ان يحترز عنه ان يشتهي شيئاً ويخفيه عن الناس بل الاحب ان يظهرها اذ الكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتين ولا يرضى منه الاتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين لأن سره لكفره كفراً آخر استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين وان يحترز ان يفرح بترك الشهوة ويشتهر بذلك لأنه قد خالف شهوة الأكل واطاع شهوة هي اشد منها وهي شهوة الجاه وذلك كن هرب عن عقرب الى حية وشهوة الرياء بكثير من شهوة الطعام -

المطلب الثالث

في شهوة الفرج ولها فائدتان

احداها ان يقيس لذتها الآخرة فيرغب فيها واثانيتها بقاء النسل ودوام الوجود وفيها آفات ان لم تعتدل اما افراطها بان يجر الى اقتحام الفواحش او بان يصرف همه المتمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وقد ينتهي بطائفة الى تناول المقويات فيؤدى الى التمتع وبتأفة اخرى الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ويستسخر عقله لخدمة الشهوة وهو مخدوم لها لاخلادم والعشق مرض قلب فارغ لاهمة له واذا عرفت ذلك فينبغي للمريد في ابتداء امره ان لا يشتغل نفسه بالتزويج ايامن الآفات المذكورة ولا يترخص بكثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى وكيف لا وكان قد ينحشى احيانا ان يسرى احتراق قلبه من حب الله تعالى الى قلبه ويقول كلبيني يا عاتشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه كما انه لا يطيق الصبر عن الله اذا جالس الخلق وكان يقول اذا ضاق صدره لذلك ارحنا يا بلال - وهذا الذي ذكرناه اذا لم تغلبه الشهوة وان غلبته فليكسر بها بالجوع الطويل وان كان مع ذلك لا يقدر على حفظ العين وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى وكذا

ان لم يقدر على حفظ النظر عن الصبيان بل ذلك اكثر في الشر من النساء اذ يمكن استباحتهن دونهم والنظر الى الامرد حرام ما لم يحصل الفرق بين نظر الامرد ونظر الخضرة والازهار في اللذة اذ لو مال اليهم اكثر منها صار النظر للشهوة لا للحسن -

الاصل الرابع

في آفات اللسان وفيه مطلب

المطلب الفذ

في آفات الكلام فيما لا يعينك

وهو ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال او مال كما اذا حكيت قوما اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار ومشائخ البلاد واحوالهم فانك في ذلك مضيع او قاتك واوقات المستمعين ومحاسب على عمل لسانك وان مزجت بحكاياتك زيادة او نقصان وتركية نفس فأنت آثم وكذا صاحبك مثلا اذا سألت رجلا انت صائم فان سكت تأذيت وان قال لا كذب وان قال نعم استبدل سرا عمله جهرا فدخل عليه الرياء - ومن آفات فضول الكلام وهو ان يزيد على قدر الحاجة وهو ايضا مذموم وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر - ومن الآفات الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتبعم الاغنياء وتجبر الملوك واحوالهم المذمومة وكل ذلك حرام لا يحل الخوض فيه - واما الكلام فيما لا يعنى او اكثر فيما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه الا انه يكره اذ لا يؤمن عليه الخوض في الباطل مثل حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ومحاربات الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم ومن الآفات المراء والمجادلة وذلك منهي عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تواعده موعدا فتخلفه ونظار ذلك كثيرة في الاخبار - والمراء اعراض على كلام الغير باظهار خلل فيه وتركه الانكار والاعتراض والخلل اما في اللفظ او في المعنى او قصد المتكلم بكل كلام سمعته فان كان حقا فنصده وان

كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه ثم الخلل في اللفظ تارة يكون قصور (١) المعرفة وتارة بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لظهار خله واما في المعنى بان يقول اخطأت فيه واما في قصده بان يقول الكلام حق ولكن قصدك منه ليس بحق وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية خص باسم الجدال وهو ايضا مذموم يجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا المجادلة والعناد والعنف وآية ذلك ان يكون تنبيه للحق من جهة اخرى مكروها عنه فالجواب ان يسكت عن كل ما لا يأتى ثم يتركه والباعث على ذلك اظهار الفضل وهى من دعوى العلو والكبرياء وتنقيص الغير وهو مقتضى طبع السبعية واشد ذلك ما وقع في المذاهب والعقائد اذ يظن عليه ثوابا فيتأكد الطبع بالشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة بل اللائق ان يتلطف في نصحه على خلوة بل ربما تستمر البدعة في قلبه بالجدل اللهم الا ان يعرف ان النصيح لا ينفعه اشتغل بنفسه وتركه - ومن الآفات الخصومة وهى ايضا مذمومة وهو دراء المراء والجدال فالمرء طعن في كلام الغير لظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار منزلة الكياسة - والجدال عبارة عن مراء يتعاقب باظهار المذاهب وتقريرها - والخصومة لحاج في الكلام يستوفى به مالا او حقا مقصودا وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق - اللهم الا ان يخاصم لظهار الحق بالشرع من غير لدد واسراف وزيادة الحاجة على قدر الحاجة ففعله ليس بخرام لكن الاولى تركه ما وجده اليه سبيلا اذ الخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وبقي الحقد بينهما واقل ما فيه تشويش خاطره حتى في صلاته وكذا الحال في المراء والجدال ومن اقتصر على الواجب في خصومته سلم عن الاثم الا انه عسير جدا فلهذا تكون ثلاثة كالاتى (٢) ومن الآفات التعر في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وهو التكلف المحقوت ومنه التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة والاسجاع المتكلفة وانما مقصود الكلام تفهيم الغرض ووراء ذلك تصنع مذموم

الان يقصد الوعظ وتأثير القلوب فيأتى بالالفاظ الرشيقة - ومن الآفات الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهى عنه ومذموم ومصدره الخبث واللؤم (١) مثل الكناية فيما يقبح ذكره كالوقاع واللمس وكذا قضاء الحاجة في الكناية عن التنوط والبول ونحو أن يذكر زوجته بأن يقول قالت أم الأولاد كذا أو قال من بالحجرة أو من وراء الستركذا، وكذا يقول الداء الذى يشكوه فى الجذام والبرص ونحوهما - ومن الآفات اللعن (أما لأنسان) والحيوان أو الجماد وكل ذلك مذموم واللعن طرد وابعاد عن رحمة الله وذلك غير جائز الاعلى من يتصف بصفة تبعد من الله وهو الكفر والظلم بأن يقول ألألعنة الله على الظالمين أو على الكافرين - وأمر اللعنة خطر وله ثلاث مراتب ، الاولى اللعن بالوصف الا عم كاللعن على الكافرين والمبتدعة والفسقة ، والثانية اللعن باوصاف اخص منه كاللعن على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج والرافض والزناة وآكلى الربا والمظلمة ونحو ذلك وكل ذلك جائز الا ان فى المبتدعة نظر لان معرفة البدعة غامضة ، والثالثة اللعن على الشخص وذلك لا يجوز الا من ثبتت لعنته شرعا كفرعون وأى جهل ، وأما اللعن على يهودى معين بأن يقال لعنه الله ان مات على الكفر فجائز ، وأما اللعن مطلقا فذلك مرددين التقييد المذكور وعدمه ففيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فلا يكون ملعونا ولا يقاس هـذا بقولك رحمه الله لمسلم لان معناه ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على الكفر الذى هو سبب اللعنة واذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد القاسق وعمر والمبتدع اولى الا ان يقع اللعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى جهل واضرابه ، وعلى الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر فى السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره ، وأما لعن يزيد فالاسلم عدمه اذ لم يثبت انه قتله او امر به او رضى به او فرح به وان ثبت ذلك

(١) كأن هنا سقطا وحاصل ما فى الاحياء انه ينبغى الكناية عما يستقبح ، وذكر

الامثلة الآتية - ح -

فلم يثبت انه مات بلاثوبة نعم ان قال قاتل حسين رضى الله عنه ان مات بلاثوبة لعنه الله - ومن الآفات الشعر لأنه كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم نعم انشاده ونظمه ليس بحرام ما لم يكن فيه كلام مكروه او كذب واما المبالغة فمن صنعة الشعر وقد انشدين يدي رسول لله صلى الله عليه وسلم مافيه مبالغة ، ومن الآفات المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدر ايسر استثنى منه وهو المداومة لانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يوجب كثرة الضحك المميت للقلب ويورث الضغينة احيانا ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور لا يذم ، وهو الذى يقع عن (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال انى لأمنح ولا اقول الاحقا الا ان غيره ان فتح عليه هذا الباب كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان فيذم - ومن الآفات السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا ومعناها الاستحقار والاستهانة والتثنية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون المحاكاة فى الفعل وفى القول وقد يكون بالاشارة والايماء واذ كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة ، ومنها الضحك على خطئه وعلى كلامه وصنعتة وصورته وخلقته ، اما اذا كان المستهزأ به ممن جعل نفسه مسخرة لا يتأذى به بل يفرح يكون من قبيل المزاح وفى حكمة - ومن الآفات افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم اذا لم يكن فيه اضرار - ومن الآفات الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد والنفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق - ومن الآفات الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب الا فيما لا يمكن التوصل الى امر محمود الا به فان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود امكن التوصل اليه بالصدق والكذب معا فالكذب فيه حرام وان (كان) التوصل اليه بالكذب فقط فالكذب مباح ان كان المقصود مباحا وواجب ان كان واجبا مثلا اذا كان فى

الصدق سفك دم مسلم مظلوم فالكذب واجب وان لم يكن اصلاح ذات البين الا بالكذب فهو مباح الا انه لا يفتح هذا الباب الا بقدر الضرورة ائلا تتعود النفس بذلك ، وايضا فيه غرور كثير اذ قد يكون الباعث حظه وغرضه فليعلم ان المقصود هل هو أهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان لا يجدر رخصة في تركه اصلا ، ومن ذلك القبيل خطأ من ظن جواز وضع الاحاديث في الترغيب والترهيب وهذا خطأ عظيم اذهبا الغرض لا يقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله وسلم لان ذلك من اكبر الكبائر لا يقاومها شيء ثم ان السلف قالوا ان في المعاريض مندوحة عن الكذب روى ذلك عن ابن عباس وغيره وكذا عن عمر رضى الله عنه اذا دعاه حاجة والا فلا يجوز التصريح والتعريض معا ولكن التعريض اهلون كقولك الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فكلما ما عندك للابهام ويتوهمه المستمع حرف النفي وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكره قال للجارية قولى له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هو ههنا كيلا يكون كاذبا ، وكان الشعبي يخط خطا ويقول للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس هو ههنا وهذا كله في موضع الحاجة والا فهو مكروه لانه تفهيم الكذب الا ان الحاجة في المعاريض خفيفة كتطبيب قلب الغير بالزواج كما قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونمملك على ابن البعير وما اشبهه ، واما صريح الكذب مطاوعة فليس بفسق ولكنه يترك كما يلعب الناس الحمقاء بتغريضهم بان امرأة رغبت في تزوجك فان كان فيه ضرر وايداء قلب فهو حرام ، ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق قولهم طلبتك مائة مرة اذ لا يريد تفهيم المرات بل الكثرة فان طلبه كثيرا لم يأثم ومن ذلك القبيل قولهم لا اشتبهه اذا قيل له اكل الطعام وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح ، ومن الآفات الغيبة وقد نص الله تعالى على ذمها وشبه صاحبها باكل لحم الميتة وقد ذمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لمن تذكر اخاك بما يكره لوبلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه

الوفى فغله وقوله اوفى دينه وديناه حتى فى ثوبه وذاره ودابته ثم انها لا تقتصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والرمز والغمز والحركة والكناية وكل ما يفهم المقصود وكل ذلك حرام - ومن ذلك ذكر المصنفين شخصا معينا وتهجين كلامه اللهم الا العذر محوج الى ذلك - ومن ذلك انواعها قول القراء المرائين الحمد لله الذى لم يبلنا بالدخول على السلطان وبالتبذل فى طلب الحطام عند ذكر شخص حاله كذلك - او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء فان فى ذلك ذم الغير مع الرثاء - وكذلك ربما يقول ما احسن فلانا لو لا تقصيره فى العبادات ولكنه ابتلى بما ابتلينا فذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين فى ذم انفسهم فيغتاب ويرأى ويزكى نفسه - وكذلك يقول ذلك المسكين قذابلى بكذا تآب الله عليه وعلينا فيظهر الدعاء ويدعى الاعتماد - واسباب الغيبة احد عشر واحدها تشفى الغيظ بذكر مساويه - وثانيها موافقة الاقران ومساعدتهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة - وثالثها ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم فيبادره ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته - ورابعها ان ينسب الى شىء فيذكر ان الذى فغله فلان وتبرأ منه مع ان التبرأ يحصل بان لا يذكر الغير بشخصه - وخامسها ان ينسب النقص الى غيره ويقصد بذلك اثبات فضل نفسه - وسادسها ان يقدح عند من يجب ذلك الشخص حسدا لا كرامتهم ومحبتهم - وسابعها ان يقصد اللعب والهزل والمطايبة ويضحك الناس عليه - وثامنها السخرية والاستهزاء استحقار له فى الغيبة - وتاسعها ان يتعجب من فغله المنكر وهذا من الدين لكن ادى الى الغيبة بذكر اسمه فصار مفتاها من حيث لا يدري - وعاشرها ان يغم لسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمى امره وما ابتلى به ونعمه ورحمته خير لكن ساقه الى شر وهو الغيبة من حيث لا يدري - والحادى عشر منها الغضب لله على منكر قارفه انسان فيظهر غضبه ويذكر اسمه ، وكان الواجب ان يظهر غضبه على فاعله ولا يظهر على غيره . بل ليستر اسمه - وهذه الاسباب الثلاثة الاخيرة مما يغمض على العلماء فضلا عن

العوام - اذا عرفت اسباب الغيبة فاعلم ان علاجه على الجملة ان يتذكر مضرة الغيبة وانها تحط حسناته وتقل حسنات غيره وتنقل اليه من سيئاته فيدخل النار وهذا بعد المطالبة والسؤال والحساب وعلاجه على التفصيل ان ينظر في اسبابها ويعالجه بلمر من معالجات الاخلاق الذميمة من الغضب والحسد والراء وغير ذلك واعلم ان من انواع الغيبة الغيبة بالقلب وهي سوء الظن اى عقد القلب والحكم بالسوء وذلك حرام واما الخواطر وحديث النفس بل الشك فمغفوع عنه ايضا واما رارة سوء الظن وتميزها عن حديث النفس ان يتغير القلب معه عما كان فيغير عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته واكرامه - ومن ثمرات سوء الظن التجسس فيطلب التحقيق وهو منهي عنه واعلم ان للغيبة اعذارا مरخصة وهي ستة - الاول التظلم او ذلك لا يمكن بدون ذكر مساوى من ظلمه - والثاني الاستغاثة لتغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الحق - الثالث الاستفتاء حيث يقول ظلمنى فلان وما حكمه الا ان الاولى ان يقول ما تقول فيمن ظلم احدا بكذا وكذا - الرابع تحذير المسلمين من شر أحد فلا بد من ذكره باسمه - الخامس ان يكون اسمه يعرب عن ابيه كالا عرج والاعمش فلا اثم على من يقول نعم لو امكنه التعريف بغير ذلك فهو اولى وربما يقولون للاعمى البصير عدولا به عن اسم النقص - السادس ان يكون مجاهرا بالفسق ولا يستنكف عن ذكره ولا يكره ذلك فلا اثم في ذكره بذلك - واما كفارة الغيبة ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبى ان يتحلله وهو حزين متأسف نادى على فعله - واما الذى يستحل بل يندم فهو مرأى وذلك معصية اخرى وما قيل العرض لا عوض له كاملا فلا يجب الاستحلال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف - ثم المراد بتحليل الغيبة العفو عن المظلمة لان ينقلب الحلال حراما كما ظن وقيل ان التحليل غير ممكن - ومن آفات اللسان النيمة وهي ان يتم قول الغير الى القول فيه وقيل كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثابثا وسواء كان الكشف

الكشف بالقول او بالكتابة او بالر من اوبالاياء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الافعال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا في المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النعمة افساء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية فان كان ما ينقصنا وعيبا في المحكى عنه فهو غيبة ونعمة معا - والباعث على النعمة إما ارادة السوء بالمحكى عنه او اظهار الحب للمحكى له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول ونحو ذلك - واما الذي نتم اليه فعله ستة امور - الاول ان لا يصدقه لأنه فاسق وهو مردود الشهادة - الثاني ان ينهاء عن ذلك وينصحه - الثالث ان يبغضه في الله لانه بغيض عند الله فلا يجب من ابغضه الله - الرابع ان لاتظن بأخيك الغائب سوءا - الخامس ان لا يحملك كلامه على التجسس والبحث - السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه النمام فلا تحكى نميمته - ومن آفات الكلام كلام ذي اللسانين الذي يتكلم لكل من المتعادين بكلام يوافقهم وذلك عين النفاق وان نقل كلام واحد الى الآخر فهو نمام وان نقل كلام كل منهما الى الآخر فهو ذو اللسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره او اثني على كل واحد في معاداته وكذلك اذا اثني على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثنى على المحمود ويثنى في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه - ومن الآفات المدح وله ست آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح الاولى قديفرط فينتهي به الى الكذب - الثانية انه قديد خله الرئاء اذ لا يكون قلبه كذلك - الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه - الرابعة انه قد يمدح الظالم والفاسق - الخامسة ان يحدث في الممدوح كبرا وإعجابا وهما مهلكان - السادسة ان اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه فيقل تشمره للعمل لانه يظن انه قد ادرك النهاية - ومن آفات الكلام الغفلة عن دقائق الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته كقولك ما شاء الله

وشئت والصواب ماشاء الله ثم شئت لان الواو يفيد التسوية بين الله تعالى وعبده وكقولك من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصها فقد غوى والصواب ومن يعص الله ورسوله ضمير التثنية تسوية وجمع ونحو ذلك ومن الآفات سؤال العوام عن الله تعالى وصفاته لأنه يؤدي الى الكفر وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادة والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب يستحقون به المقت ويتعرضون لخطر الكفر -

الاصل الخامس

في ذم الغضب والحقد والحسد وفيه مطالب

المطلب الاول

في الغضب وقد ذمه الله تعالى ورسوله والصحابه والتابعون وحقيقته ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا (للفساد - ١) والموتان انعم عليه بما يحمي من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل مسمى - ثم الفساد إما من الداخل وهو أن في داخله حرارة ورطوبة والحرارة تنفي الرطوبة فأمد الله تعالى الرطوبة بالطعنة فتخلق لأجلها شهوة الطعام وإما من خارج كالسيف والسمان وسائر المهلكات فخلق الله لدفعها الغضب من النار وعجنه بطينته وإذا اشتعلت نار الغضب وثار ثورانها يغلي بهاد القلب ويتشرب في العروق ويرفع الى اعلى البدن ثم ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة بصفاتها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم - هذا اذا غضب على من دونه وقد رعب عليه - اما اذا غضب على من فوقه وكان معه يأمن من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى باطن القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون، وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب ويسمى فوت مقتضى هذه القوة الانتقام - ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث لانه اما مفراط وذلك مذموم ويقال فيه انه

لأحمية له وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والرحمة وقال سبحانه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار - وإمام فرط وهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعتها وذلك قد يكون طبيعية وقد تكون مكتسبة بأن يخالط قوما يتبعجون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجوية وإنما الاعتدال وهو أحسن الدرجات أن ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وهو الوسط الذي كلف الله عباده به وهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف فإن عجز فليطلب القرب منه إذ بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض - وأثر هذا الغضب في البصيرة أنه يعمى صاحبه ويصم عن كل وعظة بل زاد (١) بالوعظة ويتصاعد دخان مظلم إلى دماغه بل إلى معادن الحس فتظلم عينه وتسود عليه الدنيا بأسرها وربما تقوى نار الغضب فتتفنى الرطوبة التي بها الحياة فيموت صاحبه غيظاً وإما أثره في الصورة تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمز الأحداق وتنفثج المناخر ولورأى الغضبان قبح صورته لسكن غضبه حياء منه - وإما أثره في اللسان فالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحي (منه) ذوو العقول بل قاله أيضاً عند فتور غضبه - وإما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وإن عجز عن التشفي ربما يمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويعتريه مثل الجنة وربما يضرب الجمادات والحيوانات - وإما أثره في القلب فالهقد والحسد وإضمار سوء والشهادة بالمساء وغير ذلك هذه آثار الغضب - وإما آثار عدم الحمية قلة الانفة من التعرض للحرم واحتمال الذل من الاختباء وصغر النفس ونحو ذلك -

المطلب الثاني

في علاج الغضب

واعلم أن الغضب لأخذ محبوبه أو لقصد مكروه له ومحبوب الإنسان ثلاثة -

الاول ما هو ضرورى للكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن كما قال صلى الله عليه صلى الله عليه وسلم من اصبحت آمنا فى سريره معافى فى بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها والغضب على من يتعرض هذا جائز لانها ضرورته - الثانى ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والعلمان والدواب فان هذه صارت محبوبة بالمعادة او الجهل بمقاصد الامور فالغضب على هذا ليس بضرورى لان حبه ليس بضرورى الا ان الجهال يحبون هذه ويتألمون لقوتها فاذا استكثرهم من الغم والحزن (١) اذ الدنيا معرض الآفات - الثالث ما يكون ضروريا للبعض دون الآخرين كالكتاب للعالم اذ هو مضطر اليه فيحبه ويغضب على من يخرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات فى حق المكتسب فان ما هو وسيلة الى القوت الضرورى فلا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه وانما الكلام فى القسم الثانى اذ يجب اخراج حبه عن قلبه بان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا وينمحي حبه عن قلبه - فان قلت لا يلزم من كون القسم الاول ضروريا جواز الغضب عليه بل يكتفى بالتألم ولا يغضب والتألم غيره (١) كالفصد يتألم به ولا يغضب على القصد وايضا من غلب عليه التوحيد ورأى الاشياء كلها من الله لا يغضب على احد من خلقه مثلا اذا وقع الملك بضرب رقبة احد وهو لا يغضب على القلم الذى وقع الملك به وكذا يندفع بأن الله لا يقدر له الا ما فيه الخير - قلت ما ذكره من الاكتفاء بالتألم حسن جدا لكن الكلام فى ان الغضب هناك معفو عنه وصاحبه معذور - واما غلبة التوحيد فذلك كما برق الخاطف ثم يرجع القلب الى الوسائط وكذا الكلام فى ان الخير ما قدر له -

المطلب الثالث

فى معرفة اسباب الغضب ليعالج بازالتها

واسبابه الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل والتعير والممارسة والمضارة والغدر وشدة الحرص - الى فضول المال والجاه وهى بأجمعها اخلاق رديئة

يجب ازالة كل منها بما ذكرناه في مواضعها - واما معالجة الغضب بعد وقوعه بستة امور - الاول ملاحظة الاخبار الواردة في فضيلة كظم الغيظ - الثانى ان يخوف نفسه بعقاب الله سبحانه ويقول قدرة الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان - الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقاتلته والسعى في هدم اغراضه والساح لمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب وبالجملة يسلط قوة الشهوة على قوة الغضب - الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه ومشابهته للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى بالانبياء والحكماء والعلماء - السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الامور على وفق مراد الله تعالى فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله - ثم معالجة الغضب بطريق العمل ان تقول باسألك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتقول اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبى وارحمنى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن - هكذا علم النبي صلى الله عليه وسلم عائشة عند غضبها - وان لم يزل بذلك فليجلس ان كان قائماً او يضطجع ان كان جالساً ويقرب من الارض التى منها خلق ليعرف بذلك ذل نفسه واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وان لم يزل فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء كذا ورد فى الحديث - ثم الناس فى الغضب اربعة بعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع النمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء النمود وبعضهم بطيء الوقود سريع النمود وهو اجدوهم ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة - وبعضهم سريع الوقود بطيء النمود وهو شرهم -

المطلب الرابع

فى الحقد والغفوالرفق

اعلم ان الغضب اذا بحز صاحبه عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استئقاله والبغضة والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد أن تمنى

زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسرب بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين ومستعرف ذمه - الثاني ان تزيد في اضرار الحسد في الباطن فتشمت بما اصابه من البلاء - الثالث ان تقطعه وتصارمه وان اقبل عليك - الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له - الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سب أو هتك سترو غيره - السادس ان تحاكيه لستهزاء به وسخرية منه - السابع اذاؤ بالضرب وما يؤلم بدنه - الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام - ثم للحقود ثلاثة احوال عند القدرة ، احدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل وهو اختيار الصالحين ، ثانيها ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل واختيار الصد يقين ، وثالثها ان يظلمه بما لا يستحقه وهو اختيار الاراذل ثم ان العفو هو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم ، وكظم الغيظ فضيلته لا تخفى على احد سيما وقد ورد في مدحه الآثار وال اخبار حتى مدحه الشعراء والحكماء بل المتقيدون بحكم الطبيعة وبالجملة لم ينكر فضيلته احد من الطوائف - واما الرفق فهو نتيجة حسن الخلق والسلاسة كما ان ضده هو العنف ، والحدة نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق نتيجة اعتدال قوة الشهوة والغضب ولذلك ورد في الحديث يا عائشة من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ثم ان الرفق هو التوسط بين العنف واللين ثم ان المشكل تمييز موضع العنف من ووضع الرفق واذا لم يقدر احد على التمييز فليكن ميله الى الرفق فان المنجح معه في الاكثر -

المطلب الخامس

في الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم ان الحسد فرع الحقد وهو فرع الغضب وليس الحسد الاعلى نعمة فاما ان زيد زوالها عن المنعم عليه وهو حرام الا نعمة لفاسق او ظالم جعلها آلة للشر لكن لا تريد زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الفساد ، ولا تريد زوالها ولكن

ولكن تشتهى لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وهذه ليست بحرام بل ربما تكون واجبة كما في نعمة العلم او مندوبة كما في نعمة التصديق او مباحة كما في النعم المباحة بمذمة الحسد في الآثار وال اخبار بل في الطباع شهيرة لا تحتاج على تفصيلها واما مراتبه فاربعة - احدها ان يجب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهو غاية الخبث. وانه مذموم محض - وثانيها ان يجب زوال النعمة اليه فرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او ولاية نافذة وهذا ايضا مذموم - وثالثها ان لا يشتهى عينها بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها وهذا ايضا مذموم الا انه اخف من الثاني - رابعها ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين - ثم ان للحسد اسبابا - الاول العداوة والبغضاء وهذه اشد اسبابه - الثاني التعزز وهو ان يشغل عليه ان يرتفع عليه غيره ولا يريد التكبر بل غرضه ان يدفع كبره وهذا اذا نال بعض اقرانه بولاية أو علما او مالا وهو لا يتحمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه - الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخذه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يتحمل تكبره ويرفع عن متابعتة او ربما يتشرف على مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه - الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا (ما انتم الا بشر مثلنا) فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم جزعا عن ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لاعتقاد قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة واسباب اخر - الخامس الخوف من فوات المقاصد وذلك يختص بمتراحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلامذة عنه الاستاذ - السادس حب الرياسة وطلب الحياه نفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كتحاسد العلماء فان واحدا منهم اوسع نظيره (١) في اقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهما ولا خوف من فوات مقصود - السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله

واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكه وخزائنه ويختص مثله باسم الشحيح وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك والاكثر اجتماع الاسباب ولما ينفرد واحد منها ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين الشخصين أكثر بين الامثال والاقربان والاخوة وبنى العم والاقارب دون شخصين في بلدين متباعدتين ثم لما اشترط في الحسد التزام حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الاسكاف ونحو ذلك نعم من احب الصيت ربما يزاوجه من في اقصى العالم في هذا دون الغرض فيحسده واما ابناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد اذ لا من احمه بينهم ولا يقيق فيها وكذا العلم اذ المعلوم الواحد يعرفه الف انسان -

المطلب السادس

دواء الحسد

وهو أن تعرف اولاً انه ضرر عليك في الدين والدنيا ولا ضرره على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيها جميعاً أما ضرره في الدين لانه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه وهذا قذى في عين الايمان وانضم اليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة ابليس وهذه خبائث في القلب تأكل الحسنات وتمحوها - واما في الدنيا فهو أنه لا لم الحاضر والعذاب الدائم وانت تريد الا لم لعدوك فتجزت في الحال - واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول بحسدك واما منفعتك في الدنيا فهو أن اهم مقاصد ابناء الدنيا ايصال الهم الى اعدائهم وهو حاصل بالحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فانت عدو لنفسك وصديق لعدوك ومع هذا كله قد أدخلت السرور في ابليس وهو اعدى عدوك واذا عرفت فعليك ان تكلف نفسك تقيض الحسد اذ كل مرض يعالج بضده مثلاً يكلف لسانه بمدحه وثناؤه يتكلف التواضع له والاعتذار اليه ويلزم نفسه الانعام عليه ان قدر وهذه الافعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد ومهما ظهر حبه

احبه الحاسد ويتولد منه الموافقة ويصير ما يتكلفه او لا طبعاً آخر ولا يصدك عن ذلك قول الشيطان ان هذا بحز ونفاق وخوف لأن ذلك من خدع الشيطان ومكايده وهنا دواء الحسد الا انه مرّ فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء ثم ان لك في اعدائك ثلاثة احوال - احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كان لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه - الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور - الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد وهذا محل الخلاف - والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله المستعان -

الاصل السادس

في ذم الدنيا وفيه مطلبان

المطلب الاول

على ان مذمة الدنيا لا تخفى على اولى الالباب واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرّف النفس عنها وكذا ما في الاحاديث والآثار كثير لا يخفى على اولى الالباب وحقيقة الدنيا وقسمتها الى المذمة وغير المذمة - واعلم ان لقلبك حالتين فالقريب الداني منها وهي ما قبل الموت وتسمى دنيا والمتأخر المتراني وهو ما بعد الموت ويسمى آخرة - ثم ان الدنيا ثلاثة اقسام - الاول يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت كالعلم الذي هولذة دنيوية عاجلة وكذا العبادة لمن يلتذّبها وهما مع ذلك ليسا من الدنيا اذ ينفعان في الآخرة - الثاني كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة كالتلذذ بالمعاصي والمباحات - الثالث وهو متوسط بينهما كل حظ عاجل معين على اعمال الآخرة كالقوت من الطعام وما يستر العورة ويقي من الحر والبرد من اللباس ونحوهما وهذا متردد بين القسمين لأنه ان جعله وسيلة الى الثاني صار من

اعمال الدنيا ولا يبقى مع العبد بعد الموت الاصفاء القلب وطهارته وذلك بالكف
عن الشهوات والانس بالله وذلك لكثرة ذكر الله والمحبة لله وذلك لا يحصل
الا بالمعرفة وهي تتولد من الفكر - واعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة
للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور - اما الاعيان فهي الارض
وما عليها من المعادن والنبات والحيوان - اما المعادن فلآلات والاولى كالتحاس
والرصاص والنفد كالذهب والفضة وغير ذلك - واما النبات فللباس والتداوى
والغذاء واما الحيوان فلأكل والركوب والزينة واما الانسان فللخدمة كالعلماء
والاستمتاع كالجواري والنسوان وايضا لطلب قلوب الآدميين للعز والجاه
ومجموع هذه هي الدنيا ثم ان للعبد معها علاقات علاقته بالقلب وهو حبه
لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد ويتفرع عن هذه العلاقة
الاخلاق الذميمة كالكبر والحسد والرياء والسمة وحب الثناء والتكاثر والتفاحي
وعلاقته بالبدن وهو اشتغال باصلاح هذه الاعيان وهي جملة الصناعات والحرف
التي الخلق مشغولون بها وتفصيله ان الانسان مضطر الى ثلاث، القوت والسكن
والملبس فالقوت للغذاء ولبقاء النوع ، والملبس لستر العورة ولدفع الحر والبرد
والمسكن لدفع الحر والبرد ودفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال فحدثت الحاجة
الى خمس صناعات هي الاصول الفلاحية لتحصيل النبات، والرعاية لحفظ الحيوانات
واستنتاجها ، والاقتناص لتحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش
أو حطب، والحياكة وما يحصلها من الغزل، والخياطة للملبس ثم هذه الصناعات
تفتقر الى ادوات وآلات وهي إما ان تؤخذ من النبات وهي الاخشاب او من
المعادن كالرصاص والحديد او من جلود الحيوانات فاحتيج الى ثلاثة انواع من
الصناعات، النجارة وهي العمل في الخشب، والحدادة وهي العمل في المعدن، والحزن
وهي العمل في جلود الحيوانات فهذه هي امهات الصناعات - ثم لما كان الانسان
مدنيا بالطبع احتاج الى معايشة الزوجية لبقاء النسل والى المعاونة في الصناعات
اذ لا يتولاها واحد من الناس والالبطلت المصالح اذ الطعام يحتاج الى حراث وطحان،

وخباز واللباس الى حراثة القطن والغزل والنسيج وهكذا وحدثت من هذا الاجتماع صناعات اخر منها صناعة الحسك وفصل الخصومة بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة حدود الله تعالى - ثم ان اهل الحرب لو اشتغلوا بطلب القوت فاتهم حراسة الملك فمست الحاجة الى امدادهم بالاموال كمال الجزية والخراج فاحتيج الى من يدبر تلك الاموال الى الجباة والخزان والكتاب والعمال والحساب ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة فاحتيج الى صرفهم من مال الخراج شيئا يكفيهم فصاروا فرعا لاهل الحرب فانحصر الناس في صنائعهم في ثلاث، الاولى الفلاحون والرعاة والمتحرفون، والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف، والثالثة المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والسكن والملبس والى ما اذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح بسببه ابواب الى ما لا يتناهى كانهما وية لا قعر لها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى هذه هي الاصول ولا يتم كل منها الا بفروع لا تحصى كثرة كالبرق آلة للحراث والفرس آلة الحرب الى غير ذلك من الآلات ولما كان بين الناس مظالم يحكم انفس الامارة احتاجوا الى حاكم عدل يصلح بينهما لئلا يختل النظام بسبب المنازعات الواقعة بينهم -

المطلب الثاني

في الحرف الجارية بين الناس باحتياهم

منها اللصوص والطارار واللال وانواع ذلك كثيرة - ومنها المكسدى وهم لحبهم البطالة يتكفون العمى والعرج ونحوهما ويتكفون الناس - منها ارباب السخرية والمحاكاة واصحاب الشعوذة والافعال المضحكة وصاحب الاشعار واصحاب القرعة والقال ونحو ذلك وكلهم استنبطوا الحيل بدقيق الفكر لاجل معاشهم ولكن ضيعوا انفسهم - ثم ان فهم الناس في تصور الكمال على طبقات

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فيأكلون ليكسبون ويكسبون ليأكلون (١) كما هو حال
 الفلاحين والمتحرفين وليس لهم التمتع لافي الدنيا ولا في الآخرة بل يتعبون نهارا
 ليأكلوا ليلا ويأكل ليلا ليتعب (١) نهارا ومثاله سير السواني فهو سفر لا ينقطع
 الا بالموت وطائفة اخرى زعموا ان الكمال قضاء الوطر من الشهوات كشهوة
 البطن والفرج فيصرفون همهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون
 كما يأكل الانعام وبذلك شغلوا عن الله واليوم الآخر - وطائفة ظنوا ان الكمال في
 جمع المال فأسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في جمعه ويتعبون في الاسفار ويترددون
 في الاخطار طول الليل والنهار ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها
 ان تنقص الى ان يدركه الموت وهو كذلك وكنوزه تحت الارض او في
 يدمن يصرفه ويسرفه في الشهوات وعليه تعبها وبألمها وللآكل لذتها - وطائفة
 ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وكثرة الثناء عليه والمدح بالتجمل والمروءة
 فهؤلاء يتعبون في الكسب ويضيقون على انفسهم في المطعم والملبس ويصرفون
 ما لهم الى اثياب الفاخرة والدواب النفيسة ويزحفون ابواب دورهم وما يقع
 عليه ابصار الناس حتى يقال انه غنى وذو ثروة فهمتهم في تعهد موقع نظر الناس ،
 وطائفة ظنوا ان السعادة في الجاه واقبياد الخلق بانواضع والتوقيع لهم فيطلبون
 الولايات وتقلد الاعمال السلطانية ويرون انهم بذلك سعدوا وسعادة
 عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذه الطوائف ووراءها طوائف لا يمكن
 حصرها تريد على نيف وسبعين طائفة كلهم ضلوا وأضلوا لكثرة الاشغال وتداعي
 البعض الى البعض فيهلك في اودية الدنيا ولو اكتفى بالقدر الضروري اندفعت
 اشغاله وفرغ قلبه وغلب عليه ذكر الآخرة - ثم ان طائفة تنهت لهذه الآفات فظن
 بعضهم ان الدنيا دار البلاء وان الآخرة دار السعادة سواء تعبد فيها اولافراوا
 ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طائفة من
 اهل الهند حتى انهم يتجهمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويطنون ان
 ذلك خلاص لهم من محن الدنيا - وبعضهم ظن ان القتل لا يخلص بل لابد اولاً

من امانة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية فاقبلوا على المجاهدة وشدوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وانه محال نظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوق في الالحاد - وبعضهم ظن ان هذا التعب كله لله وانه مستغن عن عبادتنا لا ينقصه العصيان ولايزيده العبادة فسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع - وبعضهم ظن ان المقصود معرفة الله والعبادة وسيلة اليها وبعد الوصول يستغنى عنه فتركوا السعى والعبادة وانما التكليف على العوام ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة والناجي منها ما عليه الصحابة وهم اهل السنة والجماعة وهم على المنهج القصد والصراط المستقيم -

الفصل السابع

في ذم المال وكرهية حبه وذم البخل وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الله تعالى ذم المال في مواضع كثيرة ومدحه في بعض المواضع وسماه خيرا وقال (ان ترك خيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح فلا بد من التوفيق بينها ولا يمكن ذلك الا ببيان آفات المال وفوائده ، اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق فمن عرف فوائدها وغوا ثلها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرا - أما الفوائد فاما دنيوية يعرفها كل احد ولهذا يتها لكون عليها واما الدينية فثلاثة انواع - الاول ما يتفقه على نفسه امانى العبادة كاللحج والجهاد وهما من امهات القربات اوفى الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والسكن والمنكح وضرورات المعيشة وما لا يتوصل الى العبادة الابه فهو عبادة - واما حظوظ الدنيا ما يزيد عليها من التمتع والتلذذ - الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة ، احدها الصدقة وقد عرفت ثوابها ، وثانيها المروءة كالضيافة والهدية والاعانة وهذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب الاخوان والاصدقاء

وصفة السخاء والجود والمروءة والفتوة ففيها ثمرات ايضا - وثالثها وقاية العرض كدفع هجو الشاعرة وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم وفائدتها دينية وأخروية لأن وقاية العرض صدقة لأن فيها منع المغتاب ودفع آفة الانتقام بينهما - ورابعها الاستخدام إذا الإنسان إذا تولى جميع مصالحه لضاعت أوقاته كشراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه فلا بد له من مال يدفع أمثال هذه الحوائج - النوع الثالث الخير للامة كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وأمثال ذلك وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجابة بركة ادعية الصالحين ونأهيك به خيرا وهذه هي القوائد الدينية مع مافي المال من الحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العزوا لمحمد بن الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والكرامة والوقار ونحو ذلك - وأما الآفات فاما دينية وهي ثلاثة - الاول ان الإنسان إذا استشعر من نفسه القدرة على المعصية انبعث داعية المعاصي فان اقتحم ذلك هلك وان صبر وقع في شدة - الثاني ان يجر الى التمتع في المباحات ثم يألفه ثم يجر البعض الى البعض حتى لا يفقه المال الحلال فيقتحم الشبهات ويتبعه ان يصانع الناس بالرثاء والمداهنة والكذب والنفاق لان حاجة الناس تؤدي الى هذه الاخلاق - اثنالث وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو أنه يلهمه عن ذكر الله تعالى وانه خسران عظيم وهو الداء العضال ، وأما آفاته الدنيوية فالخوف والحزن والهم والنعم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترواق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي في الخيرات وما عداه سموم وآفات -

المطلب الثاني

في الحرص والطمع ومدح القناعة

واعلم ان الانسان اذا تشوف الى ما فوق القوت فانه عز القناعة وتدنس بذل الحرص وجره ذلك الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للآراء فلا بد من علاج الحرص والطمع وملكة القناعة وذلك مركب من خمسة امور

الاول

الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق ويرد نفسه الى ما لا بدله منه ويطلب الاقتصاد فى نفسه وفى عياله - الثانى ان لا يضطرب للاستقبال ويثق ، وعد الله سبحانه ويعرف ان شدة الحرص ليست سبب الرزق ولا يبالى بما يعده الشيطان من الفقر بانك ربما تمرض وتعجز وتحتاج الى ذل السؤال وتقاسى ذل التعب فى الحال لتوهم الذل فى الاستقبال مع الغفلة عن الله تعالى ، الثالث ان يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء وما فى الطمع والحرص من الدل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الفضول والشهوات وهذا الالم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الآخرة ، واما الطمع فالم لا نهاية له مع الوبال والمأثم وربما تلزمه المداينة ويهلك دينه ، الرابع ان يتأمل فى عيش اعداء الله من اليهود والنصارى وارذال الناس والى احوال الانبياء والاولياء وعامة الخلفاء الراشدين اوسائر الصحابة والتابعين - الخامس ان يفهم مافى جمع المال من الآفات مع ما يفوته من المدافعة عن باب اللجنة خمسمائة عام -

المطلب الثالث

فى السخاء

اعلم ان المال إن كان مفقودا فينبغى ان يقنع ولا يحرص وان كان موجودا فينبغى ان يختار الا يثار والسخاء والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء سيما الا يثار فانه ارفع درجات السخاء وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه كما ان اعلى البخل ان يبخل على نفسه مع احتياجه اليه وليس بعد الا يثار درجة فى السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة قال (ويؤثرون عـلى انفسهم ولو كان بهم خصاصة) واما البخل فقليل هو منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من رد الخبز الى الخبز لنقصان حبة او نصفها فانه يعد بخيلا بالاتفاق - وقيل هو الذى يستصعب العطية - وهذا ايضا قاصر إذ كم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها وإن اراد بعض بالمعطية فما من جواد الا ويستصعب بعضها - واما الجود فثقل عطاء بلا من

واسعاف بلا رؤية - وقيل على رؤية ان المال لله والعبد لله فيعطى عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر - وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه الاقل فهو صاحب جود - ومن قاسى الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل فاعلم ان هذه التفسير لا تنفى بالمقصود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود فامساكه في محل البذل بخل وبذله في محل الامساك تبذير والوسط المحمود فالسخاء والجود عبادة عنه ولكن يشترط ان يكون ذلك بطيب القلب - ثم تميز قدر الواجب عسير جدا وجملة الكلام فيه انه قسآن واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة فمن منع واجبا منها فهو بخيل ومانع واجب الشرع البخل كمانع اداء الزكاة او نفقة العيال او يؤذيها بمشقة وكلفة - وواجب المروءة كتنقية نفقة اولاده واهله وله مراتب اذ لا يقبض من الفقير ما يقبض من الغنى ويستقبض مع الاقارب مالا يستقبض مع الاجانب ويستقبض مع الجار مالا يستقبض مع الاباعد ونحو ذلك فمن ادى واجب الشرع والمروءة فقد تبرأ من البخل ولكن لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا عن مطمع ورجاء مكافأة او شكراً وثناء أو خوف من الهجاء او ملامة الخلق لأن من اعطى لما ذكر من الاحوال معتاض لاجواد وانما الجود البذل من غير عوض ولهذا لا يوجد الجود الا في حق الله تعالى وفي الآدمي مجاز نعم من فعله لغرض الثواب وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا في بنى آدم -

المطلب الرابع

في علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال وحب المال له سببان ، احدهما حب الشهوات التي لا يتوصل اليها الا بالمال مع طول الامل وان كان قصير الامل قام الاولاد مقام طول الامل فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بحجىء الرزق قوى البخل لاحالة ، وثانيهما ان يحب عين المال حتى لا يخرج زكاته ولا يدوى نفسه

عند المرض بل يحب المال ويلتذ بوجوده وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه سيما في كبر السن - وإذا عرفت هذا فاعلم ان علاجه بمضادة سببه فيعالج حب الشهوات بالقناعة والصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران ويعالج الالتفات الى الولد بان الذى خلقه خلق رزقه وكم من ولد حسن حاله ولم يرث شيئا وكم من ولد ورث مالا عظيما وهو في شدة - ويعلم انه يترك ولده بخير وهو ينقلب الى ربه بشرا وأن ولده إن كان تقيا فيكفيه الله وإن كان فاسقا يعين بماله على فسقه ويرجع مظلمته اليه - ويعالج ايضا بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل وفي قبائح البخلاء - ومن علاجه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والشهرة بالسخاء فيبذل رثاء حتى يكون البذل طبعاً وبعد ذلك يبدله الى الاخلاص والاعتدال، والصفات الذميمة قد تسيطر بعضها على بعض ويكسر سورة بعض ببعض -

المطلب الخامس

في وظائف العبد في ماله

وهي خمس - الاول ان يعرف مقصود المال حتى لا يحفظ الا قدر الحاجة ، الثاني ان يراعى جهة الدخل فيجتنب الحرام وما يقدح في المروءة ، الثالث ان لا يستكثر على القدر الواجب وقد عرفته ويراعى القصد في الواجب ايضا ، الرابع ان يراعى جهة الخرج ويقتصد في الانفاق ويضعه في محله - الخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا اخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد - قال بعضهم ان ابعد الحر كات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة فاذا كان قصده التهيؤ للعبادة صار ذلك عبادة -

المطلب السادس

مدح الفقر وذم الغنى

اختلفوا في ذلك ، قال بعضهم الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر وعكس البعض

الا ان المختار عند المحققين الفقير الصابر افضل سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم بخمسةائة عام واعلم ان الكلام في هذا المقام طويل لا يمكن حصره في هذا النذر الحقيق فليطلب في مواضع اخر وانما جعل غرضنا في هذا الكتاب التجا في عن دار الغرور وذلك في جانب الفقر اولى قال الشاعر -

لست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وايضاً من راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وماورد من آثارهم واخبارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وإن صرف الى الخيرات، والله المستعان وعليه التكلان -

الاصل الثامن

في ذم الجاه والراء وفيه مطالب

المطلب الاول

في ان حب الجاه اشد من حب المال

وذلك لأن كلامنها للتوصل الى المطالب الا ان المال لما ان لم يأمن عن الآفات من السرقة والغصب وطمع الظلمة وكان الجاه الذي هو تسخير القلوب وتعظيمها له وطاعتها له مأمونا عن الآفات المذكورة صار الجاه احب عند الناس وايضاً لما كان التوصل بالمال اصعب من التوصل بالجاه الى المال صار الجاه احب عنده وايضاً ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة بخلاف المال فان قلت النفوس مجبولة على حب الجاه اذ لا يتوصل الى المحبوب الا به كاتساع الجاه وانتشار الصيت قلت هذا الحب له سببان احدهما وهو الجلي ان الانسان وان كان مكفياً في الحال فانه طويل الامل والمال في معرض الآفات وفي الجاه امن عن هذا الخوف ، وثانيهما وهو الخفي الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى وقال (قل! الروح من امر ربي) ولذلك كان محبا بطبعه التفرد بالكمال ولما فيه من الامر الرباني صار طبعه على حب صفات الربوبية من الكبر والعز

والتجبر والاستعلاء الا انه لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهى محبة ومشتهية له ثم ان الكمال الحقيقى للوجود ان يكون وجود غيره منه وان لم يكن كذلك فلا اقل من ان يكون مستوليا عليه لانه نوع كمال ولما كان الوجود منقسما الى ما لا يدخل تحت اختيار الانسان كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والحيوانات والنبات والحيوان وما تحتها الى ما يدخل تحتها كالارض وما عليها من المعادن والنبات والحيوان وقلوب نوع الانسان وكان طبع الانسان الاستيلاء على الكل احب ان يستولى على القسم الاول بالعلم والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم محاط والعالم محيط به فكذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها -

واما القسم الثانى - فاحب ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان اجساد كالدراهم والدنانير وما فى حكمهما فيحب ان يتصرف فيها كيف يشاء لان محبوب النفس صفات الربوبية وما ذكر من التصرف منها فكذلك احب الدراهم والدنانير ولذلك ايضا احب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار ، والقسم الآخر ارواح كنفوس الآدميين وقلوبهم وهى انفس ماعلى الارض فيحب الاستيلاء عليها تحقيقا لما فى طبعه من محبة صفات الربوبية لما فيه من الامر الربانى - ثم اعلم ان الكمال الحقيقى لله تعالى وما عدا هذا الكمال وهى لا حقيقة له وذلك من وجوه ثلاثة ، احدها من حيث كثرة المعلومات اذ لا نهاية لها ، وثانيها من حيث كون معلوماته مكشوفة له تعالى باتم انواع الكشف على ما هى عليه ، ثالثها من حيث بقاء العلم ابد الآباد مصونا عن التغير والعبد متى كان علمه بمعلومات كثيرة او منكشفة او باقية كان اقرب الى الله تعالى ثم المعلومات إما متغيرات وهى التى يمكن انقلابها ، وإما ازلية وهى جوارح الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ابدية ازلية ثابتة - ومن هذا القبيل معرفة الله وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى أفعاله وحكمته فى ملكوت

السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وهذا القسم هو الكمال الحقيقى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون نور ايسى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا - وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات لانها من افعاله تعالى وهذه الكالات وان كانت كالات فى رتبة الانسانية ليست كالات حقيقية بالنسبة الى علمه تعالى لما عرفت وكذا القدرة فليس فيم الكمال حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب قدرته وازادته وحركته فهى حادثة باحداث الله تعالى - وكال العلم يبقى للعبد بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا - نعم له كمال من جهة قدرته على اسباب العلم كسلامة اطرافه وحواسه لكن فى الحال وبلاضافة الى الجهال وانما الكمال الحقيقى للعبد القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو إما بالعلم وقد ذكرناه او بالحرية وهى الخلاص عن اسر الشهوات وغوم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة فاذا الكالات ثلاثة العلم والقدرة والحرية وان كمال القدرة بالمال والجاه ظنى لا اصل له الا قدر ما يصل الى الكمال -

المطلب الثانى

ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه

اعلم انه كما يلزم للانسان من اذى مال يتوسل به الى الآخرة كذلك لابد له من اذى جاه يتوصل به اليها تكسadem يعينه واستاذ يرشده ويعلمه وسلطان يدفع عنه الشروحه قدرا من الجاه الذى يتوسل به الى هذه الامور الثلاثة ضرورى لا يذم عليه واما الذى يذم ان يجعل القصد الاصلى هذا الجاه ويجعل ما يتوسل بالجاه اليه وسيلة اليه كحب نفس المال وجعل العلم والدين وسيلة اليه وهو حرام واليه يؤول حرمة الرثاء - ثم الجاه فى الامور المذكورة اما باعتقادهم صفة هى موجودة فيه كقول يوسف عليه السلام (اجعلى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) او باخفاء عيب من عيوبه او معصية من معاصيه وذلك جائز لانه ليس

ليس بتبليس بل سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كمن يخفى انه يشرب الخمر ولكن لا يظهر أنه ورع لان الاخفاء جائز واما اظهار الورع رثاء - اوبان يدعى صفة ليست هي فيه بان يظهر انه عالم او ورع او علوى وذلك حرام قطعاً لانه رثاء محض -

المطلب الثالث

في اسباب حب المدح والثناء وبغض الذم والنفرة منه وهي اربعة الاول وهو الاقوى شعور النفس بكمالها فان كان ذلك الكمال جلياً طاهراً كانت اللذة اضعف كطول القامة وبياض اللون وان كان خفياً مشكوكاً فيه كانت اللذة اعظم كالعلم والورع سيما اذا صدر الثناء بهذا الكمال ممن هو خير بذلك لا يجازف في القول كثناء الاستاذ على تلميذه ويعرف من لذة المدح بغض الذم عند الانسان -

الثاني ان المدح يدل على ان قاب المادح مملوك للمدوح ومسخر تحت مشيئته ولهذا يعظم في قلبه مدح الملوك والاكابر ويصغر عنده مدح الاداني ولهذا يتألم القلب من ذم الاكابر -

الثالث ان المدح سبب لاصطياد القلوب سيما اذا كان ممن يعتد بشأنه ولهذا يعظم اللذة في المدح الاكابر في الجمع الكثير ويعظم التألم من الذم في الملاء - الرابع ان المدح يدل على حشمة المدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع او عن قهر وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن يتلذذ به القلب لما فيه من الاستيلاء والقهر -

ثم ان هذه الاسباب كلا او بعضها ربما تجتمع في مدح مادح واحد فلا لذة فوقه واما علاج هذه الاسباب اما الاول فبان يعلم انه غير صادق في مدحه فتزول لذته وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه ثم ان علم ان المادح لا يعتقد ما يقواه بطلت اللذة الثانية وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على الاضطرار فان اعتقد أن ذلك عن خوفه وانه يلعب به بطلت اللذات كلها -

المطلب الرابع

في علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على طبعه حب الجاه وكان مقصور الهم على مراعاة الخلق والمراعاة لأجلهم ولا يزال ملتفتا الى ما يعظم جاهه عنده ويحرج ذلك الى التساهل في العبادات ومراعاة القلوب وعلاج الجاه من حيث العلم ان الجاه وان صفا وسلم لك لكن آخره الموت بل لو سجد لك كل من على بساط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة او ستين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له فلا ينبغي ان يترك له الدين الذي هو الحياة الابدية ، واما من حيث العمل فبمباشرة فعل يسقط جاهه به عند الناس حتى ان بعضا من الملامية اقتحموا صور القواحش كذلك لكنه لا يجوز لمن يقتدى به والا سلم ان يسقط في صورة المباح كالاكل الكثير إن عرف بقلة الاكل كاللدوران في الاسواق ان عرف بالغرلة الى غير ذلك وهذا واثم له وان كان ممنوعا في الفقه لكن ارباب القلوب يعالجون قلوبهم تارة بالمكروهات وتارة بالمحرمات ليسلموا مما هو اشد منه لأن بعض الشر أهون من بعض ثم يتداركون ذلك بعلاج آخر ثم ان ههنا موضع غرور وهو أن الانسان ربما يعتزل ويزعم انه يترك الجاه ولكن غرضه تحصيل الجاه بذلك وهو لا يعرفه فعليه ان يمتحن نفسه بذلك اولافان جزع فليتدارك ذلك بالعلاج ولا يمكن ان لا يطلب المنزلة عند الناس ما طمع في الناس فعليه ان يدفع الطمع اولافا بيناه في موضعه -

المطلب الخامس

في وجه العلاج في حب المدح وبغض الذم

اعلم ان اكثر الخلق هلكوا رجاؤهم من الناس المدح وتوقيهم عن ذمهم - فلا بد من معالجة ذلك المرض - ولنقدم اولاسبابه ثم لنبين علاجه - السبب الاول يستشعار الكمال بسبب قول المادح وعلاجه ان صفة المدح ان لم تكن في المدوح فالفرح

فالفرح بها من غاية الجهل وان كانت فيه فاما ان يكون من قبيل الجاه والاعراض
فالديوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض - قال القائل -

اشد الغم عندى فى سرور ، تيقن عنه صاحبه انتقالا -

هو ان جاز الفرح بها ، لا ينبغي الفرح بالمدح بهابل بوجودها والمدح ليس هو سبب
وجودها وان كانت مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح
بها ايضا لأن الخاتمة غير معلومة - السبب الثانى دلالة المدح على تسخير قلب
المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر وذلك راجع الى حب الجاه وقد عرفت
علاجه - السبب الثالث الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا راجع
الى قدرة عارضة لا ثبات لها سيما وآفة المدح على المدح وعظمة واما علاج
كراهية الذم قد سبق ان العلة فيها ضد العلة فى حب المدح فعلاجه يفهم منه
هو حاصله ان من ذم إما ان يكون صادقا وقصده النصيح فينبغي ان تتقلاذ منه وإما ان
يكون صادقا وقصد الأذى والتعنّت فأنّت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك
ان كنت جاهلا او ذكرك عيبك ان كنت غافلا وقصده التعنّت جناية على دينه
ولا عليك من ذلك - وإما ان يفترى عليك بما انت برىء منه عند الله فعليك ان
تتفكر فى ثلاثة امور - احدها ان خلوت من ذلك فلا تخلو عن امثاله وما يستر الله
من عيوبك اكثر - وثانيها ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك
بذنوب وطهرك عن ذنوب - وثالثها ان المسكين جنى على نفسه ودينه وتعرض
لعقاب الله فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عز وجل فتشمت الشيطان به
وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه
ومن جملة ما يهون عليه المذمة قطع الطمع فان من استغنى عنه لا يعظم عنده
الذم والمدح -

المطلب السادس

فى احوال الناس فى المدح والذم وهى اربع
فالأولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام

وهي غاية درجات المعصية - الثانية إن يتمتع ولكن يسك لسانه وجوارحه عن مكافأته وهذا ناقص في نفسه كامل بالاضافة الى ما قبله - الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه الا ان ههنا موضع غرور وهو أن بعضهم يظنه من نفسه فعليه ان يتحس هل يستثقل جلوس الزام عنده اكثر مما يجده في المادح وهل يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حوائج الزام وهل يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية في قلبه من موت الزام وهل يكون زلة المادح اخف ع-لى قلبه وفي عينه من زلة الزام فمن استويا عنده في هذه الامور فقد نال تلك الرتبة والافقد ابعد عنها غاية البعد - الرابعة وهو الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر والزام مهد اليه عيبه ومرشد الى مهمه ، ثم ان درجات المدح هو أن من الناس من يتمنى المدحة فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائى بالعبادات ولا يبالى بمقارفة المحظورات وهذا من الها لكين ومنهم من يريد ذلك لكن يطلبه بالمباحات وهذا على شفا بحرف هار إذ يوشك ان يقع فيما لا يحل ومنهم من لا يريد المدحة ولا يطلبها اصلا ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه وان جاهد ازالته فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون له واخرى عليه ومنهم من لا يسر به ولا يغم وهذا على خير إن قارنه الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه لكن لا ينتهى به الى الغضب على المادح وينكر عليه لكن بشرط الصدق في غضبه والاصار نفقا وهذه افضل الدرجات -

المطلب السابع

في الرئاء

اعلم ان الرئاء حرام والمرأى عند الله محقوت وقد شهد لذلك الآيات والآثار والاخبار واما حقيقته فهي ان الرئاء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الرئاء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير ويخص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واطهارها وحاصله ارادة العباد بطاعة الله وذلك

خمسة اقسام -

الاول الرثاء في الدين من جهة البدن كاظهار التحول والصفار ليدل بالتحول على قلة الأكل وبالصفار ع-لى السهر ودوام الحزن وكشعث الرأس ليدل على استغراق الهم بالدين وتخفيض الصوت وغؤور العينين وذبول الشفتين ليدل على الصوم -

الثاني الرثاء بالزى والهيئة كشعث الرأس وحلق الشارب وغلاظ الثياب وقصر الاكمام ليظهر من نفسه اتباع السنة واقْتداء بعباد الله الصالحين ثم منهم من يرى لبس الخشن والمرقات ليظهر الزهد عند الصلحاء ومنهم من يريد الجمع بين قبول الصلحاء وقبول الملوك ولا يلبسون الثياب الفاخرة لئلا يراهم الصلحاء ولا المخرقة لئلا يراهم الملوك بل يلبسون الاكسية الرقيقة من الاصواف والمرقات المصبوغة وقيمة ثوبهم ثوب الاغنياء -

الثالث الرثاء بالقول كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاظهار غزارة العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واطهار الغضب للنفكرات وترقيق الصوت بقراءة القرآن واطهار الحزن والخوف واطهار انه محدث حتى يتكر على من يبدل لفظا بمرادفه وهذا باب لا تنحصر جزئياته -

الرابع - الرثاء بالعمل كطول وتطويل الركوع والسجود واطراق الرأس وكذلك سائر العبادات حتى انه يرائى في شبيهه ايضا من اطراق الرأس والخشوع في حركته -

والخامس - المراية بالاصحاب والزائرين والمخالطين كاستزادة العلماء والزهاد والملوك وعمال السلاطين ليقال انهم يعظمونه ويتبركون به لعظم رتبته في الدين ثم ان من ارباب الرثاء من لا يطلب من الناس المال بل يقنع منهم بحسن الاعتقاد كالرهبان الساكنين في الجبال فان الجاه امر لذيذ في نفسه كما عرفت ومنهم من يريد مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد الصمت في العالم ليكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته ليقوم له به جاه عند

العامة ومنهم من يتوسل به الى جمع حطام الدنيا ولومن الاوقاف وهؤلاء اشرف طبقات المراتين ثم اعلم ان الرثاء منها (١) ما هو مباح كطلب قليل من الجاه ليسلم به من الآفات بشرط ان لا يرتكب المحظور في تحصيله واما الجاه الكثير الواسع من غير حرص مذل على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه اذ لا اوسع من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومنها ما هو مكروه كطلب الجاه بالمباحات اذا احتمل ان يباشره مباشرة مالا يجوز ومنها ما هو حرام كطلب الجاه بالعبادات وجعلها وسائل الى الدنيا وسيجيء تفصيله آنفا ثم ان الرثاء بالعبادات اما بأن يقصد الرثاء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لأن الاعمال بالنيات بل يعصى بذلك ويأثم بل هذا من كبائر المهلكات وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر ووجه ذلك ان الغرض من الركوع والسجود تعظيم الله تعالى حتى لو فعلهما لغيره تعالى صار مشركا شركا جليا واذا فعلهما لله صورة وأراد بهما تعظيم الخلق لقصد التقرّب اليهم كان معظما لغير الله تعالى صورة فيصير شركا خفيا اى شركا لم يطع عليه احد ولم تجز عليه احكام الكفر وكيف والغرض من العبادة طاعة القلب والبدن وسيلة اليه وكون عبادة البدن لغير الله تعالى كفرا انما هو لكونه عنوانا ودليلا على حال القلب لأن حاله بانفراده معتبر في نفسه فهذا حال الرثاء وهو اصعب المعاصي ولا يخلو قلب عنها الا الافلين من عباد الله المخلصين ومع كثرته فعلاجه اصعب من علاج سائر المعاصي-

ربنا لا نكلنا الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك انك انت التواب الرحيم والآيات والاخبار في شأن الرثاء اشهر من ان تذكر-

المطلب الثامن

في درجات الرثاء وهى اربع

الاولى وهى اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا فهو المحقوت عند الله عز وجل-
الثانية ان يقصد الثواب قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخاوة لا يفعله فهذا قريب

عما قبله وشائبة قصد الثواب لا ينفي عنه الاثم والمقته -

الثالثة ان يكون قصد الثواب والثناء متساويين بحيث لو خلا كل منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل ولما اجتمعا انبعثت الرغبة فيرجى ان يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم -

الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لم يترك العبادة ولو كان قصد الثناء وحده لما اقدم على العمل فالذى يظن والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص منه او يعاقب على مقدار قصدا لثناء ويثاب على مقدار قصد الثواب -

المطلب التاسع

في الثناء باصول العبادات وادوارها وفيه درجات

الاولى وهو اغلظ الثناء بأصل الايمان نعوذ بالله من ذلك وصاحبه مخلد في المار والمراد بالمناقين المذكورين في القرآن هو هذا -

الثانية باصول العبادات بعد الايمان وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول كن يترك العبادة كسلا وينشط عند اطلاع الخلق وما اجد رصاحبه بالمقته وان كان غير منسل عن اصل الايمان -

الثالثة ان يرائى بالنوافل والسنن بأن يكسل عنها في الخلوة ويبعثه الثناء على فعلها خوفا من المذمة او طلبا للحمدة وهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله وهذا هو الثناء باصول العبادات - واما الثناء باوصافها فعلى ثلاث درجات ايضا - الاولى ان يرائى بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والمسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن هذا فهذا ايضا محذور لأن فيه ايضا تقديم الخلق على الخالق -

الثانية ان يراعى بما لا نقصان ان تركه بل فعله للتكلمة والتمتة كد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبير الاولى - الثالثة ان يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول

وتوجهه الى يمين الامام ونحو ذلك وهذا دون ما قبله الا انه مذكوم ايضا -

المطلب العاشر

في المرايا لاجله وله ايضا درجات ثلاث

الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده بالتقوى والورع والامتناع عن الشهوات التمكن من المعصية كالقضاء وتولية الاوقاف ومنهم من يظهر زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة وقصده التحجب الى امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله عز وجل اذ جعلوا طاعة ربهم سلبا الى فسقهم وشهواتهم -

الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال مباح او نكاح امرأة جميلة او شريفة او بنت عالم او عابد فهذا محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه -

الثالثة ان يظهر عبادته خيفة ان لا يعد من الخاصة والزهاد كن يظهر الصوم واذا غلب عليه العطش يقول انطرت تطيبيا لقلب فلان او يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة على تظن اني لوصمت يوما مرضت فلاتدعني ان اصوم واما المخلص فلا يبالى كيف نظر الخلق اليه -

المطلب الحادى عشر

في بيان الرثاء الذى هو اخفى من ديبب النمل

واعلم ان الرثاء اما جلى كما عرفت واما خفى وهو لا يؤثر في العمل ولا في التسهيل والتخفيف ولكنه يسر باطلاع الناس عليه ويرتاح له ويروح عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رثاء خفى في القلب مستكن استكنان النار في الحجر فان لم يقابل ذلك السرور بكمالية يصير ذلك قوة وغذاء للعرق الخفى من الرثاء حتى يتحرك حركة خفية حتى يتكلف ان يطلع عليه الناس بالتمريض دون التصريح وقد يخفى فلا يدعوا الى التعريض بل الى الاظهار بالشائيل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال

على

على طول التهجد - واخفى من ذلك ان لا يريد اطلاع احد عليه ولا يسر بذلك لكن يجب ان يبدأ بالسلام والبشاشة والتوقير وأن يشنوا عليه وينشطوا لقضاء حوائجه وأن يوسعوا له في المكان كأنه نفسه يتقاضى منه الاحترام على الطاعة التي اخفاها حتى لو لم تسبق منه طاعة لما استبعد نفسه بتقصير الناس في حقه فلم يزل المخلصون على خطر عظيم من الرثاء الخفي حتى كان بعضهم يحرص على اخفاء اعماله الصالحة اخفاء الناس فواحشهم خوفا من الرثاء الخفي اذ لا يجازي الله تعالى بالاعمال الا اذا خلص له تعالى - واعلم ان السرور الحاصل من ظهور العبادات وبما يكون محمودا وهو أربعة -

الاول ان يعرف ان الله تعالى اظهر طاعاته واخفى معاصيه وهذا لطف عظيم من الله عز وجل على عباده فيكون فرحه بحميد نظر الله له لاجد الناس -
الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وبستره القبيح عليه في الدنيا انه يفعل كذلك في الآخرة -

الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره اجر العلانية بما ظهر آخرا واجر السرى بما قصده اولا -

الرابع ان يحمد المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم ومحبتهم فليطع وبميل قلوبهم الى الطاعة فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة اخلاصه في هذا النوع ان يكون فرحه بمدحهم غيره مثل فرحه بمدحهم اياه -

المطلب الثاني عشر

بيان ما يحبط العمل من الرثاء الخفي او الجلي وما لا يحبط

واعلم ان العمل اما ان ينعد على الاخلاص ثم ورد واراد الرثاء او ينعد على الرثاء ، والاول اما ان يرد الرثاء بعد الفراغ اوقبله والاول سرور مجرد بالظهور دون الاظهار فهذا لا يحبط الاعمال اذا العمل قد تم على نعمت الاخلاص فايطرأ بعده نرجوان لا ينعطف عليه اثره لاسيما اذا لم يتكف اظهاره ولم يتمن ذلك - نعم لو ظهرت له رغبة في الاظهار بعد تمام العمل على الاخلاص فهذا خوف ، وفي

الاخبار والآثار مايدل على انه محبط لكن القياس ان يثاب على عمله ويعاقب على
مراياته بعد ذلك واما اذا ورد الرثاء قبل الفراغ فاما ان يكون مسرورا لا يؤثر
في العمل او يكون باعثا على العمل والاول لا يفسد العمل اذا لم ينعدم اصل نيته
والثاني يحبط عمله ان ختم العبادة به ، والقسم الثاني وهو ما ينعقد العمل على الرثاء
فان تم عليه فلا خلاف انه يعصى وان ندم عليه في اثناء صلاته واستغفر ورجع
قبل التمام فقيما يلزمه ثلاثة اوجه احدها ان صلاته لم تنعقد فليستأنف وثانيها ان
التحرية عقد والرثاء خاطر في القلب لا يفسد العقد فليستأنف الركوع والسجود
وسائر الافعال ، وثالثها لا يلزمه الاعادة اصلا بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على
الاخلاص والختم على الاخلاص كالابتداء عليه ، واء- لم انت مذهب الفريقين
الاخيرين خارج عن قياس الفقه وانما القياس ان يقال ان كان الباعث في ابتداء
العقد مجرد الرثاء لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده اذ النية اجابة باعث الدين وههنا
لا باعث ولا اجابة ، واما اذا كان باعث الدين ثم تجدد له الرغبة لأجل الناس
فههنا باعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قرأة وما ليس فيه تحريم وتحليل
يثاب بباعث الدين ويعاقب بقصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر ، وان كان في
صلاة اوحج يقبل الفساد بطرق وخلل الى النية فان كان نفلا فحكمه حكم الصدقة
واما ان كان فرضا وانبعث بمجموع الباعثين فهذا لا يسقط عنه الواجب لأن
الاجاب لم ينتهض بمجرد باعثا ويحتمل انه صلى لوجه الله تعالى وقد اقترن غيره به
فلما وجد الاول سقط عنه الفرض واقترن غيره به لا يمنعه كالصلاة في الارض
المغصوبة ، واما ان كان الرثاء في المبادرة دون اصل الفرض بانه ان خلا كان
يصلى ولكن في آخر الوقت او وسطه فهذا مما يقطع بصحة صلاته لان اصل الصلاة
لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت هذا كله في رثاء يكون باعثا على
العمل ، فاما مجرد السرور بظهور العمل فبعيد بان يفسد الصلاة والمسألة غامضة
اذ الفقهاء لم يتعرضوا لها اصلا والذين تعرضوا لها حكموا ببطلان الصلاة بادنى خاطر
ولعل المقصد ما ذكر-

المطلب الثالث عشر

في بيان دواء الرئاء لأنه من كبائر المهلكات وانه قد انغرس في قلبه وهو في الصبا لأنه يرى في الناس التصنع فيغلب عليه حب ذلك وفي علاجه طريقان -

الاول قلع عروقه واستئصال اصوله واصاله حب المنزلة والجاه واصله ثلاثة حب لذة المحمدة والفرار من ألم المذمة والطمع فيما في ايدي الناس واصلاح كل هذه قد مروا لكننا نذكر الآن ما يخص الرئاء وهو أن رغبة العاقل في شيء لظنه انه خير له ونافع ولذيذ حالا وما لا فان علم انه لذيد حائلا وضار ما لا سهل عليه قطع الرغبة عنه كما اذا علم ان في العسل سماً ولا يخفى ان في الرئاء آفة عظيمة ما لا لأنه يحرم في الدنيا من التوفيق وفي الاخرى من المنزلة عند الله بل يستحق البغض والمقت عند الله ولو لم يكن فيه الا احباط طاعة واحدة كان كافيا في معرفة ضرره عند العاقل مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب رضا الناس مع انه غاية لا تدرك اذ كل ما يرضى به فريق يسخط به فريق مع ان الله تعالى مسخر لقلوبهم بالمنع والاعطاء اذ لا رازق الا الله على ان في الطمع ذللا لا يتناهى لا يفي حاصله بذله على انه اى خير لك في مدحهم وانت عند الله مذموم و اى شر لك في ذمهم وانت عند الله محمود هذه هي الادوية العلمية واما الادوية العملية فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طامع غير الله به - ثم ان الرئاء اذا عرض في اثناء العبادة فطريق دفعه مجموع ثلاثة امور - المعرفة والكراهة والاباء مثلاً يجب ان تعرف ان الله تعالى اذا كان عالماً بالمالك فأي فائدة في علم غيره فتثمر هذه المعرفة اذا رسخت في قلبه كراهة الرئاء بسبب تفكره في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم فتنازع هذه الكراهة الشهوة الكامنة في القلب من حب المدح وبغض الذم ثم تثمر هذه الكراهة اذا رسخت في القلب الاباء عن الرئاء - وأصل ذلك كله حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة ومنع كل ذنب - فان نازع طبعه بمد تحقيق الكراهة والاباء في قلبه الى حب الرئاء ومال طبعه اليه

فذلك لا يكون من المرائين لان الطبع لا يدخل تحت الاختيار ولم يكلف الله عبدا الا ما في وسعه وهذا كله حال المتوسطين - واما المخلصون عن الرئاء فلم ي دفع خواطر الرئاء اربعة طرق - احدها ان يطيل الجدال مع الشيطان وذلك في الحقيقة نقصان لانه اشتغال عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذي هو فيه وانصراف الى قتال قطاع الطريق وهذا نقصان في السلوك - وثانيها ان يقتصر على تكذيبه ودفعه وهذا وقفة في الطريق - ثالثها ان يقرر في قلبه كراهة الرئاء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه - ورابعها ان يعزم انه مهازم الشيطان الى اسباب الرئاء زاد فيها هو فيه من الا خلاص والاشتغال بالله تعالى واخفائه الصدقة والعبادة وذلك هو الذي يغيظ الشيطان - ثم اعلم ان ارباب القلوب اختلفوا في طريق دفع مكاييد الشيطان فلا حاجة بهم الى الحذر ومنهم من قال وهم اهل المشام ان التصرف بالنفع والضرايم هو لله تعالى لاشريك له في تدبيره وان الشيطان ليس اليه امر فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر - ومنهم من قال من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وقد امرنا الله تعالى به ولا يسلم احد من الشيطان وما ذكره البصريون من استغنائهم عن الحذر فهو غرور اذ الانبياء لم تسلم من نزعات الشيطان فكيف غيرهم - قال تعالى (ما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته) ثم المشتغلون بالحذر فرقتان فرقة يقولون لا اهم علينا منه فلا نشغل الابيه وفرقة يقولون اشتغال اهم كله بالحذر منه هو مراد الشيطان ليصدنا بذلك عن ذكر الله بل لا بد من الجمع بين الامرين وقال المحققون كلا الفريقين غلط - اما الاولى فلانه نسي ذكر الله تعالى وانما امرنا بالحذر لئلا يصدنا عن ذكر الله ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن النور ومن خلأ عن النور لا يمكنه الحذر عن الشيطان اصلا ، واما الفرقة الثانية فقد جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس او غيره والتحقيق ان يقرر الانسان اولا عداوة الشيطان ووجوب الحذر منه ثم يشتغل بذكر الله عنه وجل

عز وجل ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان بعد ذلك لأن هذا يستكن في قلبه فيتنبه في اثناء الذكر فيشغل به عن ذكر الله لأن الانسان اذا استكن في قلبه ان يتيقظ في وقت الصبح لاجل مهم له ربما يتنبه اثناء نومه مرات وهو غافل عنه بالنوم ولا يخفى ان ذكر الله يحى قلبه بنور العلم والعقل ويميت الهوى والشهوات فكفاه ذلك امر الحذر من الشيطان -

المطلب الرابع عشر

في الرخصة في اظهار الطاعات

كما ان في الاسرار فائدة الاخلاص كذلك في الاظهار فائدة الاقتداء به وآفة الرثاء والاظهار قسبان احدهما اظهار نفس العمل كالتصدق في الملاء ترغيب الناس في الصدقة وكذا سائر الاعمال كالصلاة والحج لكن بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرثاء وبشرط ان لا يؤذى اظهاره الخلق كما هو الاكثر في التصديق - ثم الناس اختلفوا بعد اتفاهم على جواز الاظهار للقدوة وعدم جواز الاظهار بدون قدوة ان السر افضل ام الاظهار للقدوة والحق ان الاظهار يقتدى به افضل مالم يشبه الرثاء واذا خاف من شوب الرثاء فالاسرار افضل - ثم من يظهر العمل له وظيفتان احدهما ان الاظهار بنية انما يصح فيمن يقتدى به الناس كالعلماء دون غيرهم - ثانيها ان يراقب قلبه حتى لا تظهر بنية ان يقتدى به انما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذه حال كل من تظهر اعماله الا الاقوياء المحاصيين وقليل ما هم والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان تعرض (على) نفسك ان تخفى العمل حتى يقتدى الناس بعباد آخر من اقرا نك ويكون لك في ذلك مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون المظهر نفسه فباعته الرثاء -

وثانيها الاخبار عن العمل والخطر فيه اشد لأن النطق يخف على اللسان وربما يزيد اظهاره للدعوى لأن لذة النفس فيه عظيمة - واما من جهة ان الرثاء الثاني لا يفسد العمل السابق فهو اهن الا ان من قوى قلبه واستوى عنده مدح الناس وقدحهم وصفت النية وسلمت من جميع الآفات يجوز حكاية اعماله لأنه ترغيب

في الخير والترغيب في الخير خير - قال بعض العارفين ينبغي ان لا يسد باب اظهار الاعمال لأن ذلك سبب لاتباع الناس واقتدائهم بمن يظهرها اذا لم يعرفوا رثاءه ففي ذلك خير كثير للناس وان كان شرا للرائي وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر -

المطلب الخامس عشر

في الرخصة في كتمان الذنوب

اعلم ان كتم الذنوب ليس برثاء بل اظهار الورع والتقوى حتى يجوز الاغتمام باطلاع الناس عليه من ثمانية وجوه - الاول ان يفرح بستر الله عليه واذا افترض اغتم وخاف ان يهتك ستره في القيامة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان - الثاني انه قد علم ان الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله وهذا ايضا من قوة الايمان - الثالث ان يكره ذم الناس له لانه يشغل القلب عن الطاعة كما ان الحمد يكره ايضا لأنه يشغله عن الله وهذا ايضا من حب الطاعة لله تعالى - الرابع ان يكره ذم الناس لتألم قلبه وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص واما يعصى اذا جرعت نفسه ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم نعم كمال الصدق في ان يستوى ذامه وادحه لعلمه ان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا الا ان بعضا من الذم يجب التألم به كما اذا صدر من اهل البصيرة فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله فكيف لانغم به وانما المذموم الغم بالذم بفوات الورع كأنه يحب ان يحمى بالورع فيرجع الى الرثاء واما كراهة الذم بالعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك - الخامس ان يكره الذم من حيث ان الدام قد عصى الله به وهذا من الايمان - السادس ان يستر ذلك كي لا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم - السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم وهو خلق كريم يحدث في اول الصبا بهما اشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح وهو وصف محمود - وفي الحديث الحياء خير كله - وفيه الحياء شعبة من الايمان

ثم ان الحياء قد يعقبه الرئاء كن لا يريد اقراض اخيه ولكن يستحي من رده
 فينشد ان اعطاه ليتشر اسمه بالسيء او لا ينسبوه الى البخل فقد اعقب الحياء
 الرئاء وان اعطاه للثواب في الاقراض اولادخال السرور على قلب اخيه فقد
 اعقبه الاخلاص وان اعطاه لأجل المحمدة ولا خوف المذمة ولا رجاء للثواب
 فقد اعطاه لمجرد الحياء ويعلم بانّه او طلبه بالمراسلة لمنعه - الثامن ان يخاف من
 ظهور ذنبه ان يستجرى عليه غيره ويقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفى العاصي
 معصيته عن اهله وولده لئلا يتعلمونه (١) منه واعلم ان حبك محبة الناس لك قد يحمده
 اذا اردت جههم على حبك وغزوك وصلاتك فانه طلب عوض على طاعة الله عاجلا
 وقد يباح اذا اردت ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات -

المطلب السادس عشر

ترك الطاعات خوفا من الآفات وهذه اقسام

الاول الطاعات اللازمة للبدن الذي لا يتعلق (١) بالغير ولالذة في عينها كالصلاة
 والحج والنزوف وخطرات الرئاء فيها ثلاث - احدها الرئاء الباعث على العمل
 فينبغي ان يترك العمل عند ذلك او يدفع الرئاء، وثانيها ان يعقد العبادة على الاخلاص
 ثم يعرض الرئاء فينبغي ان يدوم على العمل ويجاهد في دفع الرئاء ولا يترك العمل،
 ثالثها ان يعقد على الاخلاص في اولها ويعرض الرئاء في اثنائها فيدوم على العمل
 ايضا ولكن يجاهد في ان يرجع الى الاخلاص وربما قال الشيطان لافائدة لك في
 هذا العمل واتركه وهذا غير منه لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله - وترك
 العمل لأجل ذلك يجر الى البطالة وما نقل عن السلف من ترك العمل للرئاء
 فذلك محمول على النوافل او العلاج لا أنفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف -

القسم الثاني - ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاطار واعظمها الخلافة ثم القضاء
 ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال، اما الخلافة والامارة فهي من افضل
 العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص مع ما فيها من عظيم الخطر اذ يغلب فيه
 على النفس حب الجاه ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا ولهذا ورد في الاخبار

والآثار الترغيب فيها والتنفير عنها فيجب ان لا يمنع منها الخواص والاقوياء وهم الذين لا تميلهم الدنيا ولا يستفزهم الطمع ولا يأخذهم في الله لومة لائم وسقط الخلق من اعينهم ولكن لا يدور حولها الضعفاء فيهلكون لأنهم وان صبروا عن (١) الحق كافة انفسهم عن الشهوات في غير الولاية لكن لا امن لهم من ان يتغير اذا ذاقوا لذة الولاية وان يستحلوا لذة الولاية ونفذ الامر وأن يكرهوا العزل فيداهنوا خيفة من العزل ، ولهذا تمنع الضعفاء من تقلد الولاية عند الاكثرين ، قال بعضهم يجوز التقليد اذا امن في الحال عن اتباع الهوى ولا يمنعه عنه الخوف عن امر في المستقبل ، والصحيح القول الاول وهو عدم التقليد لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلا يعتمد عليها ثم ان الامتناع عن قبول الولاية اهون عند النفس من العزل لأنه كما قيل طلاق الرجل والنفس لا تسمح به فيميل الى المداينة واهمال الحق فهوى به في قعر جهنم الا ان يعزل قهرا ففيه عذاب عاجل واما القضاء ففيه ثواب عظيم مع اتباع الحق وعقاب اليم مع العدول عنه فهو كالامارة والولاية وفي معناها وان كان في الحكم دونها فينبغي ان يتركه من يخاف عن العزل ولا يفرح بدونه اذ يلتزم خوفا من العزل اتباع الهوى فهوى مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والقتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلوم تعطلت العلوم واندرست وعم الجاهل كافة الخلق قلت اما النهي فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ما في عدم السلطنة والامارة من القن والفساد ما لا يخفى ومع ذلك النهي لم تعطل تلك الولايات لكون النفوس مجبولة على حب الرياسة وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس فعلى هذا تعدد الواعظ في البلد فليس في النهي الامتناع البعض اذ ترك الكل لذة الرياسة في حد الامتناع ولو انحصر في واحد وكان وعظه نافعا للناس فلا تمنعه وان قال لا املك نفسي لأنه لو ترك اهلك الناس بل يقال له اشتغل وجاهد ايضا لو كان غرضه الجاه وفي الاشتغال يهلك هو وحده

وفى الترك يهلك الناس كلهم فنجعله فداء للقوم فيدخل فيمن قاله الربى صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ثم ان الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته واما ماحدثه الواعظ من الكلمات المزخرفة والمسجعة المقرونة بالاشعار فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان يجب اخلاء البلاد منهم وبالجملة فضل العلم عظيم الا ان خطره كثير وذلك ليس لنفس العلم بل لاظهاره والتوسل به الى الرئاء فالأحب ان لاترك لآفته بل يحصله ويدفع الآفات بالمجاهدة ، ثم فى الواعظ علامات يعرف بها صدقه واخلاصه ، احدها انه لو طهر عالم هو اغترر منه علما والناس اشد له قبولا فيرح به ولم يحسده وان فعل فالعبطة ، وثانيها ان لايتغير كلامه اذا حضر واجلسه وثالثها ان لايجب اتباع الناس له فى الطريق ومما ينبغى ان يعلم ان العبد ربما يقع بين اظهر قوم يقومون للتهجد فيوافقهم فقيه امران احدهما انه موافقته لهم ان كان بسبب رفع الثقلة بمشاهدة عبادتهم ودفع الاسغال الواقعة فى بيته او لمفارقته اليوم لاستنكاره الموضوع اولسبب آخر فيغتنم زوال اليوم فهذا وامثاله من الاسباب ليس من الرئاء بل هو تجدد النشاط واما اذا فعل ذلك لأجل رؤيتهم وخوفا من مذمتهم لاسيما اذا اعتقد أنهم يظنونهم يقوم بالليل فليتركه فانه من الرئاء وربما يكون فعله لباعث الدين مقرونا بحب الحمد فلا يترك ايضا ويمتنع نفسه بانه لو لم يروه هل يترك العمل او يستثقله ام لا فان كان الاول فهو من الرئاء والافلا واصل العلاج فى هذا الباب القناعة بعلم الله تعالى فى جميع طاعاته واذا خطر جانب العباد يتذكر عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب الله ومقته الا انه لاينبغى ان يئأس بان يقول لا ينجو من الرئاء الا الاقوياء فيترك المجاهدة فى الاخلاص اذا لئأس عن صفاء الماء بعد كدره من الجهل بحقيقة الماء وخلو جوهره عن المكدرات وصفائها عن الملوثات ومثال النفس مثال الماء واعلم ان الله تعالى كريم رحيم لوشاء لأعنى عباده عن التعب والنصب ولكن اراد أن يبلوهم ايهم احسن عملا ثم انه لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب امل المحب

وقد قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشى اتيته هرولة وقال لقد طال شوق الابرار الى لقاءى ولنا الى لقاءهم اشد شوقا فليظهر العبد جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه ما هو الا نقي بجوده وكرمه ورأته ورحمته -

الاصل التاسع

في ذم الكبر والعجب وفيه مطالب

المطلب الاول

في ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع

واعلم ان الله تعالى ذم الكبر والاختيال ومدح التواضع في مواضع كثيرة من كتابه بحيث لا يخفى على احد ذلك وكذلك وقع في الاحاديث ما يوافق القرآن اخبار كثيرة لا يمكن حصرها مع شيوعها عند الناس واعلم ان الكبر صفة في النفس ومافي الظاهر من اماراتها وهو أن يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فيحصل في قلبه اعزاز (١) وهزة وفرح وركون الى رؤية نفسه - ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر - واما العجب فلا يشترط فيه رؤية الغير بل لو خلق وحده يحصل العجب - واما الكبر فيشترط فيه ذلك واما الآثار الظاهرة منه ويسمى تكبرا ان يحقر (٢) من دونه وازدراؤه واقصاءه عن نفسه وابعدته وترفع عن مجالسته ومؤاكلته وربما يشتد الكبر فيستنكف عن خدمته ايضا بل عن خدمة عتبه واذنى مراتبه ان يأنف عن مساواته فيأنف ان يرد عليه ان ناظره ثم انه ربما ينظر الى العامة كأنهم الحмир ويستحقهم الى غير ذلك من الاحوال القبيحة قلما ان ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن العوام -

المطلب الثاني

في اقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه وهي ثلاثة

الاول التكبر على الله كما فعله نمرود وفرعون وهو من افشى انواع الكبر واقبحها

والعياذ بالله - الثاني التكبر على الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من حيث ترفعه عن الانقياد لبشر وذلك تارة مع الجهل بحقيقته حيث يصرف الكبر عن الفكر فيه وتارة يعرف حقيقته ولكن لا تطاوعه نفسه بالانقياد - الثالث التكبر على العباد بان يرفع عليهم ويستصغرهم ويزدريهم وهذا وان كان دون الاول لكنه عظيم ايضا من وجهين احدهما ان العز والكبر لا يليق الا بالملك القادر والعبد بمعزل عن ذلك ثانيهما انه يدعو الى مخالفة الله عز وجل لأنه ربما يسمع الحق من عبد فيأنف عن قبوله ويتشمر لجدده كما تشاهده في المناظرين في مسائل الدين كما فعله ابليس حيث جره كبره الى مخالفة امر الله تعالى -

المطلب الثالث

في اقسام ما به الكبر وهي سبعة

الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء لأنهم يرون انفسهم كمال العلم وجماله فيستعظمون انفسهم ويستحقرون من عداهم ويتوقعون منهم الخدمة ويستسخرونهم في حوائجهم بمنزلة عبيدهم هذا امر الدنيا ، واما في الآخرة فيرون انفسهم عند الله خيرا منهم فيرجون لا انفسهم اكثر مما يرجون لهم ويخافون عليهم اكثر مما يخافون على انفسهم مع ان العلم الحقيقي ان يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وان حجة الله على العلماء اعظم من حجته على الجاهل وذلك يقتضي ان يرى كل احد خيرا منه والكبر في العالم اما باستغاله بما ليس هو يعلم كالطب والحساب واللغة والشعر والنحو وطريق فصل الخصومات والمجادلات وهذه صناعات وانما العلم الحقيقي مايورث الخشية والتواضع ، واما بان يشتغل بالعلم لكن هو خبيث الدخلة ردى النفس سبي الاخلاق لأنه لم يشتغل اولا بهذيب نفسه فاذا خاض في العلم اى علم كان صادف من قلبه منزلا خبيثا فلم تطب ثمرته ولم يظهر في الخير اثره وانما العلم كالغيث تشوبه الاشجار فيزيد المرمرارة والحلوحلاوة وكذا العلم يزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا - وما اعز على بساط الارض عالم لم يحركه عز العلم بولوعه فذا ذلك باقضى الصين لسعيها اليه رجاء ان تشملنا بركتته وتسرى اليها سيرته

وسجيته ولكنه هيهات أنى يسمح آخر الزمان بمثلهم - الثانى العمل والعبادة بان يروا غيرهم بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بحوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم فى المحافل وذكرهم بالورع والتقوى وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وكذا فى الدين يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا الا انه هو الهالك تحقيقا - وان منهم من يظن انه اكرم على الله من الانبياء حيث انتقم له من اعدائه اذا اصابهم مكروه ويزعم ان ذلك من كراماته وكثير من اعداء الانبياء امهالهم الله فى الدنيا وربما اسلم فسلم فى الآخرة ايضا ثم الكبر فى العلماء اما ان يستكن فى قلبه ويتواضع ظاهرا ويظهر على افعاله ايضا واشد منها من يظهر فى اقواله بان يدعى بالمفاخرة والمباهاة وتركية النفس وحكايات الاعمال والمقامات والتبشر بغلبة فى العلم والعمل - الثالث التكبر بالحسب والنسب وذلك عرق دفين فى النفس قلما ينفك عنه نسيب وان كان عاقلا وصالحا الا انه يطفىء ذلك بنور بصيرته - الرابع التفاخر بالجمال واكثر ما يجرى ذلك بين النساء ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب الناس - الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى الخزان والتجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى اراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضل الفقر - السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف - السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ومن ذلك المكاثرة بالمستفيدين بين العلماء والجنود بين الملوك -

المطلب الرابع

فى اسباب الكبر وهى اربعة

احدها العجب وانه يورث الكبر الباطن وهو يثمر التكبر - ثانيها الحقد لانه اذا رسخ فى القلب تأف النفس ان تطاوع ذلك وان تتواضع له فك من رذل لا تطاوع نفسه ان يتواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه - وثالثها الحسد وهو ايضا يبعثه على ان يعامله باخلاق الكبر وان لم يرف نفسه فوقه فى باطنه - ورابعها الرئاء فان كثيرا

من الناس يتكبر على آخر ولا يستفيد منه العلم لئلا يقول الناس انه افضل منه - واما آثار المتكبر في الشائل صفرا الوجه والنظر شذرا واطراق الرأس والجلوس متربعا ومتكثرا وفي اقواله تغير في صوته ونغمته وصيغته في الايراد - وربما يظهر في مشيه وتبخره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكاته الى غير ذلك وربما يجتمع الكل في شخص وربما يتكبر شخص في بعضها ويتواضع في غير ذلك -

المطلب الخامس

في طريق معالجة الكبر

وهي اما باستئصاله او دفع العارض منه - اما الاول فاما علمي وهوان يعرف نفسه وربه اذ عند ذلك يعرف ان له الذل ولربه الكبرياء ويعرف ان بدنه من اى شيء خلق والى اى شيء سيؤول في القبر وعند الحشر واهواله ثم هو اما الى الجنة واما الى النار - واما عملي وهو التواضع لله ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين ويتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد - واما الثانى فبدفع الاسباب السبعة المذكورة - اما الكبر بالنسب فبدفعه بانه الاعزاز بكمال غيره وان المسب الحقيقي نطفة قدرة وجده البعيد تراب ذليل فمن اين جاءت الرفعة لو لده واصله توطأ بالاقدام وفضله يغسل عنه الابدان فاما الكبر بالجمال فبان ينظر الى ما في باطنه من الاقدار والنجاسات وجرانه اولاهن الذكر ثم قراره في الرحم ثم خروجه من مجرى القدر - واما علاج الكبر بالقوة فبان ينظر الى ماسلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق من بدنه لصار عجز من كل عاجز وان دخلت بقعة في الله او نملة في اذنه قتلتته وان شوكة لو دخلت في رجله لأعرجته وان الحمار والثور والجمال يفوقك في هذا فأى فضل لك فيها - واما علاج الكبر بالغنى والمال والاتباع والانصار فعلاجه ان هذه الامور في معرض الآفات ولوزالت عنك لبقيت وحدك فأى فخر لك في ذلك واما علاج الكبر بالعلم فمن اصعب الامور وأشدّها لأن قدره عظيم عند الله وعند الناس ففيه طريقان احدهما ان يعرف ان حجة الله تعالى على العالم اوكد لأن

هصيانته الخش من عصيان الجاهل و ثانيها ان يعلم ان الكبر لا يليق الابالله عزوجل .
وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغضه - قال تعالى للعالم ان لك عندنا قدرا
ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدرك عندنا - وايضا ان
العالم اذا تكبر فهو جاهل فكيف يتكبر بالعلم وهو جاهل فلا بد أن يصغر نفسه
حتى يعظم عند الله فاذا انه اذا نظر الى جاهل يقول انه قد عصى الله بجهل
وقد عصيته بعلم فهو خير مني وان نظرا الى عالم يقول انه يعلم ما لا اعلم وان نظر
الى كبير يقول هو اكبر مني سنا واطاع الله قبلي وان نظرا الى صغير يقول انه
عصى الله بعدى وان نظرا الى مبتدع او كافر يقول ما يدريني لعل الله يتختم له
بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن - ولكن ينبغي ان لا يؤدي هذا التواضع
الى مداهنة الفساق واطفاء نور الغضب لله اذ عليك عند غضبك لله ملاحظة
ما سبق من ذنوبك وتميزك عنه بالعلم والعمل انما هو نعمة من الله تعالى وملاحظة
ابهام عاقبتك فبملاحظة هذه الامور لا يؤدي الغضب لله الى الكبر فيجتمع عند
ذلك مع التواضع فيكون باعث الغضب رضا مولاك لا نفسك بان ترى
نفسك ناجيا وذلك هالكا - واما علاج التكبر بالورع والعبادة فطريقه
طريق معالجة الكبر بالعلم ولا ينافي ذلك فضل العابد على الفاسق عند الله
لأنه وان كان كذلك عند الله لكن لا شعوره بالختم على العبادة والورع
فلا يتكبر على الفاسق فضلا عن المستور - ثم ان معرفة الكبر من النفس قد يصعب
اذا قد يستكن في القلب فلا يشعر به صاحبه فله امتحانات - اولها ان يدعن للحق ان ظهر
في واحد من اقاربه ويشكره على تنبيهه للحق والافقيه الكبر وعلاجه ان يذكر
خسة نفسه وان الكبر لا يليق الابالله عزوجل وأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من
الاعتراف بالحق ويشكره على الاستعاذة منه ويقول جزاك الله خيرا قد كنت
غافلا عنه وان لم يثقل ذلك في الخلو بل في الملاءفة رثاء فليعالجه وان ثقل
فيهما معا فقيه الكبر والرثاء جميعا - وثانيها ان يقدم الاقران على نفسه في المحافل
فليواظب عليه ان ثقل ذلك عليه حتى يسقط ثقله ويذهب كبره الا ان هاهنا مكيدة

الشيطان وهو أن يقدم أقرانه ويجلس هو في صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الارذال وليس هذا تواضع بل تواضع هو عين الكبر إذ يؤهم بذلك أنه ترك مكانه تفضلاً فيكون تكبراً في صورة التواضع بل التواضع حقيقة أن يجلس تحت أقرانه ولا ينحط عنهم إلى صف النعال أيضاً - وثالثها أن يجيب دعوة الفقير ويمر في حاجات الرفقاء والأقارب إلى السوق فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر - وعلاجه مأمور من المواظبة على دفعه مع المعارف التي تزيد داء الكبر - ورابعها أن يحمل حاجة نفسه وأهله وأقاربه ورفقائه من السوق إلى البيت فإن ابت نفسه فهو كبر. إن خلا الطريق ورتاء عند مشاهدة الناس يجب علاج كل منها بما مر - وقداهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد تقضى البتة والقلوب لا تدرك السعادة الا بالسلامة عن الآفات - وخامسها أن يلبس ثياباً بذلة فإن نفر عنها في الملأ فرتاء وفي الخلاء فكبر وقد يجتمعان فأعرف الامراض اولا حتى تمكن مداواتها ثم اعلم التواضع واسطة بين الكبر والمذلة وهما مذمومان وخير الامور واساطها فمن يتقدم على أقرانه فهو متكبر ومن يتأخر عن اسكاف مثلاً واجلسه مجلسه ثم سوى نعله وعدا إلى باب الدار خلفه فهو تذلل وتخسيس بل يكفيه البشرى في الكلام والتعظيم بالقيام والرفق في السؤال واجابة دعوته وغير ذلك وليحذر عن الطرفين ويطلب الوسط مهما أمكن -

المطلب السادس

في العجب وذمه مثل ذم الكبر وقد كثر ذمه في الآيات والاحاديث وقد ذكرنا حقيقة والفرق بينه وبين الكبر ولندكر آفاته وهي كثيرة لأنه يدعو إلى الكبر وآفاته قد مرّت - ومن آفاتها (١) انه ينسى ذنوبه ويظن انه يستغنى عن تفقده ويستصغرها ولا يتداركها وربما يظن انها تغفر له وايضا يستعظم عباداته ويمن بها على الله تعالى وينسى نعمة الله تعالى بالتوفيق والتمكين منها ويعمى عن آفاتها ويفتر بنفسه وربه وياً من مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان ويخرجه العجب إلى ان يثنى على نفسه ويحمدها ويذكرها فيستبد برأيه وان كان خطأ ويستكف

عن سؤال من هو اعلم منه ولا يستمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر غيره بعين الاستجهال - وان كان خطاه في اصول العقائد يهلك ابدا - واعلم ان الانسان ان كان خائفا على زوال نعمه من علم ووال فهذا ليس بمعجب - وان كان خائفا من زواله لكن يكون فرحابه من حيث انه نعمة من الله سبحانه عليه لا من حيث اضافته لنفسه وهذا ايضا ليس بمعجب - وان كان غير خائف عليه بل يكون فرحابه مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة وبالحيلة يكون فرحه من حيث نسبته الى نفسه لا الى الله تعالى فهو يحب لاحالة وان انضاف الى ذلك انه مستحق لهذه الكرامة في الدنيا لان له على الله تعالى حقا حتى استبعد أن يجرى عليه مكروه وسمى هذا مدالا لا بالعمل فكأنه يرى نفسه على الله دالة - وايضا ان اعطى غيره شيئا فاستعظمه ومن عليه يكون معجبا - وان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه فالادلال وراء العجب فلا يدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل فان توقع اجابة الله دعوته واستكر ردها بباطنه وتمعجب منه كان مدلا بعمله وهو من مقدمات الكبر -

المطلب السابع

في علاج العجب والمعجب جهل وعلاجه المعرفة مثلا الورع انما يعجب به من حيث انه محله ومجراه او من حيث انه منه ولقدرته وقوته - والعجب بالاول جهل محض اذ لا فخر بما ليس امره اليه وبالثاني ايضا كذلك فيتأمل في قدرته وارادته وسائر الاسباب التي بها يتم علمه انه من اين كان له ذلك فان كان جميع ذلك من نعمة من الله من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغي ان يكون اعجابه بجوده الله وكرمه وفضله فكل كمال وعلم وجمال من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان ادعيت ان كل ذلك اعمالى حتى ارجوها ثوابا فاعلم انك وقدرتك وارادتك وحركتك كل ذلك من خلق الله واختراعه فاعملت اذ عملت كما قال تعالى (وهو ادرميت اذ رميت ولكن الله رمى)

رمى) هذا هو الحق الصريح الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين - واما كيفية الثواب فيسجىء في كتاب الشكر و ايضا مفاتيح الاعمال القدرة والارادة والعلم وهذه بيد الله تعالى لاحالة فتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب ليس شىء اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الأمر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في اثاره اياك على الفساق من عباده وسيأتى ما يستبين به انه لا فاعل الا هو ولا خالق سواه ومن غفل عن ذلك ربما يقول يارب لم افقرتني وانا العاقل لكنه كلام جاهل غافل بالذو جمع بينهما لقال الفقير الجاهل يارب لم جمعتهم (١) بينهما وحرمتني عنهما فاذا اقتضت الحكمة ان العلم متى ازداد نقص من المال اللهم الانادرا لیسال عما يفعل وهم يسألون - ثم ان اقسام العجب اقسام الكبر بعينها وعلاجها فاعتبر كل ذلك هاهنا والأمر ظاهر ان له بصيرة تامة والله اعلم بالصواب -

الاصل العاشر

في ذم الغرور وفيه مطالب

المطلب الاول

حمد ذم الله تعالى ورسوله الغرور بحيث لا حاجة الى ذكرها واما حقيقته فهو من انواع الجهل وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل الى الطبع من شبهة وخدعة من الشيطان ومن اعتقد أنه على خير عاجلا و آجلا من شبهة او خيلة فاسدة فهو مغرور فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصنافهم ودرجاتهم مثل ان يقال الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة وان يقال لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك - وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس في قوله انا خير منه ولا يخفى فساد هذه الاقيسة اذ النقد خير من نسيئة هي مثله واليقين خير من شك هو مثله لا مطلقا - وايضا الآخرة ليست شكابل هي يقين عند المؤمنين هذا غرور الكفار - واما غرور

العصاة من المؤمنين فقولهم ان الله كريم نرجو غفوه ويسمون تمنيهما هذا رجاء
وانه محمود في الدين وان رحمة الله واسعة للمؤمنين وانا مؤمنون موحدون الا انه
قياس بموه اذ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وما ذكره هو التمنى غير الشيطان اسمه الى الرجاء
وخدع به الجهال - وايضا ربما يتمنون بصلاح الآباء كاعتقاد العلوية الا ان
آباء هم مع غاية الورع والتقوى خائفين فبا لهم يامنون مع بخورهم وفسقهم
فكأنهم اكرم على الله من آباؤهم فيغفرهم الشيطان ويقولون من احب انسانا احب
اولاده مع ان نبينا صلى الله عليه وسلم اذن له في زيارة قبر امه ولم يؤذن له في
الاستغفار بفلس يبيى على قبر امه لرقته لها - والتقوى فرض عين على كل احد
فلا يجوز والد فيه عن ولده شيئا وكل ذلك غرور باطل وانما موضع الرجاء من
تاب من المعاصي ورجا قبول التوبة ويتذكر أن الله كريم يقبل التوبة عن عباده
ومن اقتصر بالفرائض من الاعمال ورجا نعيم الآخرة وما وعد الله به الصالحين
فالواجب ملاحظة ان الله غافر الذنب شديد العقاب وانه الغفور المنتقم - وايضا
هو المبتلى بعباده في الدنيا بانواع المحن والآلام مع انه قادر على ازالتها - فاذا كانت
سنة الله تعالى على هذا المنوال فكيف يغتر به عباده فالرجاء والخوف قائدان يثبتان
على العمل وما لا يبعث على العمل فهو غرور وتمن باطل -

المطلب الثاني

في اصناف المغترين

منهم العلماء وهم ستة اصناف الاول من احكم العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا
فيها واهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي والزامها بالاعمال الصالحة وظنوا انهم
بعلمهم عند الله بمكان وهم مغرورون لان العلم اما علم مكاشفة ويسمونه علم المعرفة
وعلم التصفية وهم بمعزل عنها واما علم المعاملة الذي سموه علم الشرائع فذلك لأجل
العمل فالعلم يعمل به لم يكن له قيمة لا عند الله ولا عند الخواص اذ العلم بالدواء
لا يزيل المرض ما لم يستعمله - الثاني الذين احكوا العلم والعمل وتركوا المعاصي الا
انهم

انهم لم يفتقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة من الكبر والحسد والرائاء وطلب الجاه ونحوها وهؤلاء ايضا مغرورون اذ لا ينجون في الآخرة الا من اتى الله بقلب سليم ، الثالث الذين علموا مذمومية هذه الاخلاق الا انهم لعجبهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام وربما يعتذر من كبره ويقول ان هذا طلب عز الدين واطهار شرف العلم وهؤلاء ايضا مغرورون اذ العجب من اشد الصفات المهلكات وايضا يدخل السلاطين ويقول غرضي نفع المسلمين واذا اخذ من اموالهم يقول مال لا مالك له وانا امام المسلمين وعالمهم ويحل لي الاخذ بقدر الحاجة وفي ذلك غرور ان احدهما انه لا مالك له وكيف لا انهم يأخذون اموال المسلمين وهم ائورثتهم احياء وغلطها بالحلل لا يجعله حلالا وثانيها قوله انا امام وكيف لا ومن انهى جرأته في اخذ الحرام الى هذه الرتبة فهو دجال الدين وقوام مذهب الشياطين، الرابع الذين اظهروا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجاهدوا انفسهم في التبرى من ذمائم الاخلاق الا انهم مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب خفايا من مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره في التصانيف حرصا على اطهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الخفى طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الاكثاف وهذا المسكين لو تغيرت عليه القلوب ففساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه - الخامس الذين اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وخصصوا علم الفقه بها وضيعوا الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يمنعوا انفسهم عن الغيبة وبطونهم عن الحرام ورجلهم عن المشى الى السلاطين ولم يذكروا قلوبهم عن الكبر والرائاء والحسد واماثل ذلك فهؤلاء مغرورون اما من حيث العمل فانه اشتغل بفرض الكفاية ان حجت نيته قبل الفراغ من فرض العين لانه اشتغل بالفتاوى وهى فرض كفاية وترك فرض العين وهو اصلاح نفسه واما من حيث العلم فانه ظن علم الفتاوى علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين

فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فيزيد كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لاسيما اذا ترين بالثياب والخيول ، وصنف منهم حفظوا كلام الزهاد في ذم الدنيا ويؤدونها في المساجد والمنابر ويظنون انهم قد افلحوا بهذا وصاروا آمنين من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ، وصنف منهم استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث وطلب الاسانيد الغريبة العالية ولهم غرور من وجوه احدها انهم حملة الاسفار يظنون ان ذلك يكفيهم ، وثانيها اذا لم يفهموها لم يعملوا بها ، وثالثها انهم يتركون ما هو فرض عين وهو معالجة القلب ، ورابعها انهم لا يراعون شروط السماع ايضا وهى السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر والبيان وهم يقتصرون على السماع ويقصرون في السماع ايضا اذ ربما يحضر الصمى والشيخ والصمى يلعب والشيخ ينام والبالغ الحاضر ربما يغفل ولا يصنى ثم يكتب الشيخ اسم الكل في الاجازة ويتصدى كل منهم لرواية كل ما قاله الشيخ ولم يسمع بعضه الا ان للحدثين في ذلك جاهها فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك ان يقل جمعهم -

ومنهم المشتغلون باللغة وغريبها والشعر والنحو واغتروا به وزعموا انهم علماء الامة اذ قوام الكتاب والسنة بما ذكر فافنى (هؤلاء) اعماهم في دقائق النحو وغرائب اللغة وفي حكمهم من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه لأنهم اتخذوا القشر مقصودا فاغتروا به -

ومنهم المغرورون بوضع الحيل في الاحكام الشرعية في دفع الحقوق وتأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وخطأوا فيها وهذا غرور لا يجدى في الآخرة يوم الفصل والقضاء -

ومنهم من اهلوا القرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى غلبت عليهم الوسوسة في الطهارة وفي نية الصلاة ويظنون انهم ع-لى خير عند ربهم وربما يغلب عليه الوسوسة في انحراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها كالفرق بين الضاد والظاء والاحتياط في التشديدات حتى لا يفكر في الصلاة

الافيا ذكر ، وربما يوسوس احدثهم في ختم القرآن في اليوم والليلة مرة فآلسنتهم تجرى وقلوبهم في اودية الاماني وهو مغرور به اذ يظن ان المقصود من التلاوة المهمة بالقرآن مع الغفلة عن الانزجار بزواجره والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك وربما يكون له صوت طيب ويلتذبه وهو يظن بغروره انه يلتذ بمناجاة الله تعالى وسماع كلامه -

ومنهم المغترون بصوم الدهر او صوم الايام الشريفة وربما يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة او الف ركعة ويفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ومحو ذلك مع ان آلسنتهم في الغيبة وخواطرها في الرثاء وافتارهم من الحرام وذلك غاية الغرور ومكيدة الشيطان -

ومنهم المغترون بالحج مع مال حرام ومع الرفث والخصام وترك الصلاة والصيام ومع عدم دفع المظالم واسترضاء الوالدين وامثال ذلك ، وربما يغترون بمجاورة مكة مع تلوث ظاهريهم وباطنيهم بالقبايح وقلبه معلق ببلادته ولكنه يختاره ليقال انه قد جاور بمكة سنين كثيرة -

ومنهم المغترون بالحسبة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يا امر الناس بالبر وينسى نفسه ويطلب الرياسة ويغلظ في القول وينكر من خالفه للرياسة والعز - وربما يغتر بعضهم بأن يقال له مؤذن المسجد الفلاني او امام الجامع الفلاني - ومنهم من زهد في المال ويسكن في المساجد ليظن انه ادرك رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد وترك المال وهو اهوون واخذ اطم الامرين اعني الجاه حتى انه ربما يتناول على الاغنياء وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله وربما لا يقبل المال خوفا من ان يقال بطل زهده وكل ذلك غرور وخدعة من الشيطان -

ومنهم متصوفة اهل الزمان اغتروا بالزى والهيئة والمنطق من الالفاظ والاصطلاحات وفي احوالهم من الطهارة والصلاة والرقص والسماع وادخال الرأس في الجيب وخفض الصوت وتنفس الصعداء الى غير ذلك ولم يتعبوا انفسهم

في المجاهدة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليّة بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات ويتحاسدون على النقيض والقطمير وغرور هؤلاء اظهر من ان يخفى - وبعض منهم من يغير الزى لا الى الحسن ولا الى الخز والابريسم بل الى المرقعات النفيسة والسجادات المصبوغة ولباس هوار فقيمة من الخز والابريسم هؤلاء اشد شرا من الاولين اذ يظهرون ان التصوف يجتمع مع شهوات النفس وربما يقتدى بهم العوام فيتعدى شرهم اليهم - ومنهم من يدعى علم المعرفة ومشاهدة الحق والوصول الى القرب والملازمة في عين الشهود ولا يدري هذه الامور الا بالاسامى وهو ينظر الى العباد بعين الازراء ويقول للعباد انهم اجراء متعوبون وللعلماء انهم بالعلم لمحتجوبون حتى ان منهم من وقع في الاباحة وطوى بساط الشرع ويقولون اعمال الجوارح وسيلة الى محبة الله تعالى ونحن والهون في حبه عاكفون في حضرة الربوبية فلا حاجة بنا اليها هؤلاء مغرورون حرموا الاعتناء بخدمة شيخ صالح عالم فوقوا في حزب الشيطان وامثال هؤلاء كثيرة - ثم ان بعضا من هؤلاء تجاوزوا واحداهم واحسنوا الاعمال وطلبوا الحلال واشتغلوا بتفقد القلب وصارت تدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشر وطها وعلاماتها وآفاتها - وان منهم من يخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعى حب الله قبلي معرفته -

ومنهم من يخوض في البرارى من غير زاد لتصحيح التوكل وذلك بدعة اذ السلف كانوا يأخذون الزاد ويتوكلون - وبعض هؤلاء ضيقوا على انفسهم في امر القوت واهملوا تفقد القلب والجوارح - وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسباحة فتصدوا لخدمة الصوفية بجمعوا قوما وتكفلوا بخدمة متهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال حتى من السلاطين - واخرى منهم اشتغلوا بهذيب الاخلاق والفحص عن عيوب النفس وآفاتهم ويقولون هذه عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويستغلون بكلمات

سلسلة تضعيع الاوقات في تلفيقها - ومثاله من فاته الحج لاشتغاله بعوائقه وآفاته وفرقة تجاوزوا عن حد هؤلاء انفتح لهم باب المعرفة فمعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر في كيفية انفتاح بابها عليهم فيحرم بذلك عن المقصد - وفرقة اخرى تجاوزوا حد هؤلاء حتى قاربوا او وصلوا الى حد القربة فظنوا انهم وصلوا الى الله عز وجل فوقفوا وغلطوا - فان لله سبعين حجبا من نور لا يصل السالك الى واحد منها الا ويظن انه وصل الى المقصد وهذا غرور دظيم -

ومنهم المغترون من ارباب الاموال كأن بعضا منهم يبنون المساجد والرباطات ليتخذ ذكركم الا انهم غرورين احدهما بناؤهم من المال الحرام او الشبهات وثانيها انهم يظنون الاخلاص وليس كذلك اذ لا يرضى بانفاق دينار اذا لم يذكر اسمه وربما ينفق الحلال لكن يطلب الثناء والرثاء ولذلك يصرف الى المساجد لأن بانها مذكور عند الناس - وايضا يزخر بها ويزينها بالنقوش الشاغلة لقلوب المصلين وهو مع ذلك يغتربه ويرى انه من الخيرات ويرى المنكر معروفا - وان بعضا منهم ينفقون الاموال على الفقير لكن في المحافل ليذكر ويشكر به الناس (١) وبعض من الاغنياء يمسكون الاموال عن مصارفها ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن ولو قلعوا صفة البخل عنهم وهم اليه احوج لكان خيرا لهم - ومن قبائحهم الحيل في الزكاة والتوسل بها الى الاعراض الفاسدة -

ومنهم غرورا العوام من الاغنياء والفقراء بحضورهم مجالس الذكر وانه يغنيهم ويكفيهم من غير عمل وانعاط، مريض يحضر مجالس الاطباء ولا يتداوى وهذا ايضا من الغرور -

المطلب الثالث

اعلم ان مداخل الغرور اذا عرقتها فلعلك تستحيل الخلاص عنها وتحكم باستحالتها لكن لا يخفى عليك ان الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر اليأس منه واستعظم

الامر واستوعر الطريق واما اذا صح منه الجد وقوى العزم اهتدى بالحيل الى مطلوبه حتى انه يقتنص الوحوش المنطلقة في البرارى ويستخرج الحيتان من البحار والذهب والفضة من تحت الجبال ويستسخر القيلة ويعبث بالافاعي ويستخرج منها الترياق ويعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها وهو على الارض الى غير ذلك فلا يصعب عليه اصلاح قلبه ان كان همه هذا المهم فقط - واذا عرفت هذا فاعلم ان اسباب الخلاص من الغرور ثلاثة - احدها العقل وهو الفطرة الغريزية وصفائه وهذا نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فانت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها والعقل اصل كل خير ولا يرجى بدونه الخير اصلا شهدت بذلك الاخبار والآثار، الثاني المعرفة اعني معرفة اربعة امور يعرف نفسه بالعبودية والذل واجنبيا عن هذه الشهوات وانما يوافق طبعه معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم ويعرف ربه ولا يمكن ذلك الا بمعرفة نفسه ولقد اسلفنا ما يبعثك الى هذه ويعرف الدنيا والآخرة بما مر في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ثم ان العبد بعد ما وقع (١) عن نفسه شوائب الغرور بان يهذب اخلاقه وراقب القلب حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وضوت الدنيا في عينه ولم يبق الا هم واحد وهو الله تعالى ربما يخاف عليه ان يأتية الشيطان من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة الى خلق الله فيراهم في دينهم سكارى وفي امورهم حيارى صامعا قداستولى عليهم المرض وهم لا يشعرون فقدوا مع ذلك الطبيب واشرفوا على العطب انبعث من ذاته الاشتغال بنصحهم ثم يدعوه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من ديب النمل لا يشعر به المرء فلم يزل ذلك دأبه حتى دعاه الى التصنع والتزين بتحسين الالفاظ والنغات والتصنع في الزى والهيئة حتى اقبل الناس يعظمونه ويعجلونه ويقرونه مثل الملوك بل ازيد اذا رأوا شافيا لدأهم من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم وها دوا (١) له خولا كالخدم والعبيد وحكوه على السلاطين فعند ذلك ارتاحت نفسه وذاقت لذة يالها من لذة حتى يغضب على من يرد عليه خطاه ثم يخيل اليه الشيطان ان ذلك غضب الله تعالى

وربما يقع في الوقعة فيمن رد عليه. وهكذا يسوقه الشيطان ويوقعه فيما هرب عنه قليلا قليلا وهو لا يشعر، واما علامة صدقه في النصح للناس ان يود أن يوجد احد يهتدون به ولا يطمع في ثنائهم واموالهم واستوى عنده مدحهم وذمهم اذ لا ينفعه مدحهم اذ لم يحمد الله ولا يضره ذمهم اذا اقترن به حمد الله وينظر الى الناس كما ينظر الى السادات من حيث يرى كلهم خيرا من نفسه وكما ينظر الى البهائم من حيث قطع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فان قلت من بلغ هذه الرتبة في الخلق اعز من الكبريت الاحمر فاذا منع الناس عن الوعظ لانسد باب النصح قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذم باب الدنيا ولم يمتنع الناس عنها لشدة الدنيا في قلوبهم محبة وميلا وكذا رياسة الوعظ ليست امرا يتركها الناس بهذا القدر من التقيج فان الله عز وجل يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم، فان قلت اذا فعل ما ذكرت من الامور وترك النصح او فعله وراعى طريق الصدق والاخلاص يبقى بين يديه اخطار الاغترار؟ قلت نعم قول الشيطان قد اعجزتني وافلت مني بكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهرى فعند ذلك يعجب بنفسه من فراره من الغرور كله والعجب اعظم من كل ذنب، فان قلت فاذا خلص من العجب المذكور فأي شئ يخاف عليه؟ قلت يخاف عليه من الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ويا من مكر الله والامن من مكره تعالى خسران عظيم بل الملائق ان يرى الكل من فضل الله ولا يأمن من مكر الله ولا يففل عن خطر الخاتمة وهذا خطر (لا) محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط فנסأل الله حسن الخاتمة فان الامور بنحواتها والسلام -

الشعبة الرابعة

في ربيع المنجيات وفيها عشرة اصول ايضا

الاصل

الاصل الاول

في التوبة وفيه مطالب

المطلب الاول

في التوبة وجوبها

تعلم ان التوبة مجموع امور ثلاثة احدها معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب ، وثانيها الحال وذلك معرفة فوات المحبوب ثورث القلب والالام على الماضي يسمى ندما ثم ينبعث منه حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا ، وثالثها الفعل وذلك لأن الندم المثمر للارادة على الفعل اما في الحال فترك الذنب او بالاستقبال فبالعزم على الترك او بالماضي فبتلافي مافات ، ثم هذه الامور الثلاثة اعنى المعرفة والندم والعزم تسمى توبة ثم ما ذكر في حد التوبة اكثرها قاصر عن الاشارة الى هذه الامور فالحال الجامع ما يجمع هذه الامور ثم فضيلة التوبة لا تخفى على احد وما ذكر في فضلها من الاخبار والآثار فاكثر من ان يحصى واشهر من ان يخفى - واما كيفية وجوبها فهي انه لا مبعد عن الله الاتباع الشهوات ولا مقرب اليه تعالى الا انقطاع عن الذنوب ولا يمكن الا انقطاع عنه (١) الا بالمعرفة والندم والعزم المعبر عن مجموعها بالتوبة فان قلت مرجع التوبة الى الالم وهو لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب قلت سبب الالم الحاصل من الندم وهو المعرفة التي لها اسباب اختيارية فان قلت أليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلت نعم للعبد اختيار مع ان الكل مخلوق له تعالى وذلك لان الله تعالى لا يخلق حركة اليد بكتابة ما لم يخلق فيها صفة القدرة والحياة والارادة والارادة المجزومة متفرعة على الداعية وهي على العلم وله ايضا اسباب اخر مترتبة وكل هذا من اختراع الله تعالى ولكن بعض هذه الشرط (١) للبعض والعبد يجري تحت هذه الحوادث المترتبة في قضاء الله الذي

هو واحد كل مع البصر ترتيبا كلياً لا يتغير انما ظهورها على التفصيل مقدرة بقدر فاذا ظهرت من باطن الملكوت الامور المذكورة على جسم عبد مسخر تحت قهر التدبير سبق اهل عالم الملك والشهادة الى ان العبد قد تحرك فحينئذ ينادى من وراء سرادات الملكوت ايها العبد (ما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وعند هذا تحير عقولهم فمن واحد قال بالجبر ومن آخر قال بالاختراع ومن متوسط بينهما ماثل الى الكسب الا انهم لو نظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد من الطرائق المذكورة صادق في مذهبه الا انه لم يحط عليه بجوانبه الا ان القاصرين يفهمون من هذا الكلام صدق الاقوال المتضادة ويقولون انه باطل جزما الا ان تحقيق هذا المقام يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها ولسنا نتكلم فيها ههنا -

المطلب الثاني

في وجوب التوبة على الفور

واعلم ان الايمان اما بعلوم المكاشفة كعرفة الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله او بعلوم المعاملة كعرفة الطاعات والمعاصي فمن فقد هذا الايمان ربما ينفي عنه اسم الايمان كقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اي ينفي عنه الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى والا لما فعله العاقل لان الايمان بعلوم المكاشفة ينفي عنه فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان بمعنى عدم التصديق بعلوم المعاملة والا لما فعل ذلك الفعل ومع ذلك فهو قريب من ان تنقلع شجرة الايمانه عند مقدمة قدوم ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة - واذا كانت المعاصي بمنزلة السموم المهلكة وكان العاقل يتجنبها في الحال كذلك يجب على العاقل ان يتجنب عن المعاصي على الفور بل ذلك اولى لانها هلاك الابد - ولا يخفى ان وجود الاصل وان لم يتوقف على وجود الفرع لكن ربما يتوقف بقاؤه عليه فلا ينبغي للاهمال في شان الاعمال ايضا - ثم ان عموم الناس محتاجون الى التوبة اذ الشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة وبينهما قتال دائما

الا ان قوة جنود العقل بعد الأربعين والى زمان فوئه تقوى جنود الشياطين
واذا قوى جنود العقل يكون اول عملهم قمع الجنود الشيطانية وليس ذلك الا
بالتوبة الواجبة لكل آدمى نبيا كان او غيبيا بل هو حكم ازال مكتوب على جنس
الانسن لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التى لا مطمع فى تبديلها ولما
لم يخل كل انسان عن الخطأ والنسيان فى كل وقت وان وجبت عليه المواظبة
على التوبة فى كل زمان اذلا يتم حاله بعدم الذنب فى الاستقبال بل عليه ان يزيل
آثار المعاصى فى الزمان الماضى فليس ذلك الا بالمواظبة على التوبة ، واما وجوبها
فليس بمعنى الوجوب الشرعى اى الواجب فى تقوى الشرع بل الوصول الى المقام
المحمود فى جوار رب العالمين واجب لكل عاقل بحكم التقوى والتوبة فما لا يتم
ذلك الابه فيكون واجبا نظير ذلك وجوب الطهارة لمن يريد صلاة التطوع فانه
لا يوصل اليها الا بها ، واما من رضى بالنقصان والحرمان فلا يجب عليه لاجلها فمن
يريد التوبة فعليه بأمرين احدهما ان يعجل حتى لانصير المعاصى دينا وطعنا لا يقبل
المحو والثانى يعاجله قبل مبادرة الموت او المرض -

المطلب الثالث

فى ان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لاحالة

لا يشك فيه ارباب البصائر لانهم علموا بنور البصيرة ان كل قلب خلق سليما ثم
اغبر بالذنوب وعلموا ايضا ان ماء الدموع وخرقة الندم يزيل وسخ القلب وان
كل قلب طاهر زكى مقبول لاحالة ، فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل كن
توهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول - وهذا كلام مقبول عند ذوى البصائر
مع ما يعضده من الآيات والاخبار والآثار ما بلغت كلها حد الشهرة ولكن ليس
هكذا الوجوب ما يقوله المعتزلة من الوجوب على الله بل ما ذكرناه وجوب
بموجب ارادته ومقتضى تقديره واما الشك فى قبول التوبة فلا ينافى وجوب
القبول لان ذلك شك فى استجماعه الشرائط -

المطلب الرابع

في اقسام الذنوب

وتنحصر اصولها في اربع صفات ربوية وشيطانية وبهيمية وسبعية وقدمر تفصيلها وايضا الذنوب اما بين العبد وبين الله او بين العباد - والاول اما شرك او غيره والشرك لا يغفر وكذا ما بين العباد وما غيره فيرجى ان يغفر - وايضا الذنوب اما كباثر او صغائر واختلف في حدودهما وعدد الكبائر اختلافا شديدا والحق ان ذلك مما لا يعلم الا من جهة الشرع ولم يرد فيه حد الكبيرة وعدد ها فلا مطمع في معرفتها وربما قصد الشرع ايها مه لتكون العباد منه على وجل كما اهتم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها سيما اذا لم يتعلق به حكم الدنيا بل يعلم حكمها في الاخرى فيجوز أن يتطرق اليه الاهام الاحدودا عينها بأساميها من الزنا والسرقه وشرب الخمر ونحو ذلك من الحدود -

المطلب الخامس

في كيفية توزيع الدرجات والدرجات في الآخرة الى السيئات والحسنات في الدنيا واعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الملكوت والغيب وعالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا بضرب الامثال اذ النائم لا ينكشف له امر الابطال ومن ابتكلم بطريق المثل اصابع الرحمن وصورته وامثال ذلك فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا لعباده وتيسيرا لادراكه واذا عرفت هذا فاعلم ان تعريف توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب مثال وذلك ان الملك اذا استولى على اقليم يقتل من يمحذ في اصل ملكه ويخلى من لا يحجده ولا يخدم ويخلع من ينصره ويخدمه - وانعم ايضا متفاته بتفاوت درجات خدمتهم فكذلك الناس في الآخرة اما هالكون او معذبون اما سنة او الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار اونا جونا منها اوفأزونا اما الى جنات

عدن اوجنات الماوى اوجنات الفردوس وهذه اربع رتب - اولها الها لكون
 لهم الآسئون من رحمة الله كالحاحدين والمكذبين بالله ورسوله وكتبه والمتجردين
 للدنيا واعظم العذاب عند اهل البصائر نار الحجاب من الله تعالى وهى احر من
 نار الجحيم ولا بعد فى ذلك اذ الصبى ربما يعد البعد عن السلطان اهون من البعد عن
 الكرة والصوب لجان - وثانيتهما رتبة المعذنين وهم الموحدون بالقاصرون فلهم
 نار ان نار الفراق عن الكمال الذى قصر واعنه ونار جهنم ويتفاوت لهم العذاب
 شدة وخفة وطولا وقصرا بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة اتباع الهوى
 وقتله - واضعف درجات العذاب المناقشة فى الحساب وفوقه الورد على النار
 كبرى خاطف ثم اللحظة الى ان يبلغ سبعة آلاف سنة وههنا درجات لا تنتهى
 ولا يخرج من النار الا موحدا وهو من لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان
 لا يغضب على احد من الخلق اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب -
 وهذا التوحيد له مراتب امثال الجبال والمثقال والخر دلة والذرة - وثالثتها رتبة
 المتناجين من العذاب فقط كالصبيان والمجانين والبله ومن ليس لهم معرفة ولا جحود
 ولا طاعة ولا معصية فهم ينزلون فى منزلة بين المنزلتين وهى الاعراف الا ان
 كون الصبيان من اهلها شك ولا يعلم يقينا الا من مشكاة النبوة وال اخبار فيهم
 متعارضة - ورابعها القارئون وهم المقربون السابقون ولا يمكن التعبير عن حالهم
 ومقامهم قال تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة عين) وقوله اعددت
 لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - وهم
 لا يقنعون بالحور والقصور واللبن والعسل ونحو ذلك ولا يطلبون الا لذة النظر
 الى وجهه الكريم فهى غاية السعادة ونهاية اللذات -

المطلب السادس

فما تعظم من الصغائر، منها الاصرار والمواظبة كالقطرة تؤثر فى الحجر ان دام
 ولا يؤثر السيل كما ان خير الاعمال ادومها وان قل - وايضا الكبرياء قلما تقع من
 غير سوابق ومقدمات من الصغائر مثلا الزانى يقدم على الزنا المرادة والقبلة

والمس ونحوها ولو وقعت الكبيرة بغتة لربما يرجى عفوهُ اذ هو حينئذ باطلاً
 اشبه - ومنها ان يستصغر الذنب اذ الذنب كلها استعظم اصغر عند الله - وكلما
 استصغر عظم عند الله لان استعظامه لنفور القلب واستصغاره لالف القلب به -
 ومنها السرور بالصغيرة وذلك كثير كقول بعضهم اما رأيتني كيف منرت
 عرضه وكيف فضحته ونحو ذلك - ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه
 واما له ولا يدرى انه يهمل مقتلاً ليزداد اثماً فياً من مكر الله ويجهل مكان
 الغرور بالله - ومنها ان يظهره بان يذكره بعد اتيانها او يأتيه بمشهد غيره فان
 ذلك جنابة على ستر الله الذي اسباه عليه وتحريك للشرفيمن اسمعه او اشهده سيما
 اذا رغب الغير فيه - ومنها ان يكون المذنب عالماً يقتدى به كليس العالم الابريس
 ودخوله على السلاطين واشتغاله بعلوم يقصد بها الجاه كالجلد والمناظرة فاذا
 ذنب العالم ضعف كما ان عبادتهم ضعف بسبب اقتداء الغير بهم -

المطلب السابع

في تمام التوبة وشروطها وآدابها

اما العلم فمن اسباب التوبة وستعرفه واما الندم فعلا مته طول الحسرة والحزن
 والدفع الدائم وان تتمكن مرادة الذنب من قلبه بدلا عن حلاوتها (١) كن علم ان
 عسلا فيه سم كيف يكرهه بعد أن كان مشتته عنده بل يكره كل غسل بعد ذلك
 فكذا التائب يدوم ندمه على كل ذنب - واما القصد الذي ينبعث منه فيوجب
 ترك كل محظوره وملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال ويتدارك
 ما فرط بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت - وشرط
 صحته في الماضي ان يتأمل في كل طاعة تركها او قصر فيها فيقضيها في الحال وان
 شك في قدره فيأخذ بغالب ظنه وكذا يتأمل في كل معصية فعلها في ساعات عمره
 فيتوب عنها بالندم والاحتسار عليها ويحسب عددها ويعمل مكان كل سيئة حسنة
 لتمحوها لكن حسنة من جنسها وتضادها - وكذا في مظلالم العباد يفعل في مكان
 ظلم منها حسنة لصاحبها كالا عتاق مكان القتل والغيبة بالثناء له ونحو ذلك - واما

التقصا وحذ القذف فيعمل فيهما بحكومة عدل وان كان مظلمة ما لم يردده على صاحبه وان لم يمكن وجد انه يستكثر من الحسنات حتى يقتصر منه او يتصدق بمقدار ذلك المال ويستحل من مظالم العرض صاحبه وان لم يجد فيكثر من الحسنات لتكون عوضا ومن وجده فليذكر خصوص جنايته ولا يبهن لان الابهام لا يكفي وان لم يقدر على بيان كثرناه بجاريته او اهله فليستحله مبهما ثم يجبر بالحسنات - واما العزم بان لا يعود اصلا الى الذنوب ولا الى امثالها ولا يتم ذلك الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال - واما الندم والتوبة على بعض الذنوب وان افاد قلة الذنوب لكن لا يبلغه رتبة التائبين ما لم يتب عن جميع الذنوب - اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن ذلك اذ الصغائر اقرب الى العفو وكذا يمكن التوبة عن بعض الكبائر لغلظتها بالنسبة الى آخر وقد يندم على صغيرة او صغائر دون الكبائر لغلبة شهوته هناك على خوف من الله تعالى - فان قلت نسيان التائب ذنبه افضل ام المجاهدة فيه اوسكون نفسه عن الزروع اليه افضل ام المجاهدة فيه ؟ قلت اختلف فيه فمنهم من رجح الاولين ومنهم من رجح الآخرين الا ان الحق ان السكون والنسيان ان كانا من التأدب بادب الشرع فهما افضل وان كانا من الطبع فالمجاهدة افضل -

المطلب الثامن

في طبقات التائبين وهي اربع

الاولى الذين يستقيمون على التوبة الى آخر العمر ولا تحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك عنها البشر عادة سوى الانبياء ومن يقرب من رتبتهن وهذه هي التوبة النصوح وهذه النفس هي النفس المطمئنة وهؤلاء ايضا رتب من حيث الزروع الى الشهوات كثرة وقلة وطول زمان وقصره - الثانية الذين سلكوا طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه لا ينفك عن ذنوب تعثره لاعتداده وصدوت تجد يد قصد بل كلما اقدم عليها لام نفسه وجدد عنزه على اسباب الاحراز وهذه النفس اللوامة وهذه ايضا رتبة عالية وان

كانت دون الاولى وهى اغلب احوال التائبين - الثالثة ان يستمر على الاستقامة مدة ثم تختطفه الشهوة المعينة لعجزه عن قهرها الا انه مواظب على الطاعات ومجتنب عن الشهوات الباقية وهو مع ذلك يندم على فعلها ويجاهد في قهر نفسها لكنه تسوف نفسه توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم وهذه تسمى النفس المسولة وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكرهته لما يتماطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته بمخطرة لاحتمال ان يخطف بالتسويق قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضلته وجبره يكسره التحق بالسابقين وان غلبت شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل على ان كل نفس فهو خاتمة اذ يمكن اتصال الموت فليراقب ذلك وليدركه بالتوبة والادامت الحسرات - الرابعة ان يستقيم مدة ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله وهذه هى النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير - ويخاف عليها سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء يشقى شقاء الابد وان ختم له بالحسنى وهو التوحيد يرجى له الخلاص ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشملهم عموم الغفوب بسبب خفى لا تطلع عليه الا ان المعجب كل المعجب من يقول الله كريم ويتقاعد عن كسب فضائل الاعمال - ثم اذا قيل الله كريم فاقعد عن كسب المال يحقق من يقوله ويقول سنة الله تعالى ان يرزق بالكسب ولا يدري هذا الاحق الغافل ان رب الدنيا والآخرة واحد وسنته فيها واحدة فما به يغتر بكرمه في الآخرة دون الدنيا فما هذا الانتكاس على ام الراس وفي ظلمات الجهل انقباس بغيرهذ بالله من دواعي الجهل والارتياب الى سوء المنقلب وعسر المآب -

المطلب التاسع

في تدارك التائب اذا جرى عليه ذنب اما عن قصد او باتفاق

يوا علم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها فان لم تقاعه نفسه الى العزم على الترك فقد فاتته احد الواجبين فلا ينبغي ان يفوته الواجب

الواجب الآخر وهو محوها بالحسنة ليكون من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وتلك الحسنات اما بالقلب فالضرع الى الله تعالى وطلب العفو والمغفرة ويتذلل تذلل العبد الآبق بحيث تظهر ذلته لسائر العباد - واما باللسان وهو الاعتراف بالظلم والاستغفار لكن لا باللسان فقط فانه توبة الكذابين بل بالقلب ، وقدم في كتاب الدعوات كيفية الاستغفار ، واما بالجوارح فبالطاعات والمصدقات وانواع العبادات وذكر في الآثار ثمانية اعمال يرجى بها العفو اربعة للقلب وهي التوبة والعزم - على الترك وحب الافلاع عنه - وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ، واربعة من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقب الذنب ركعتين يستغفر الله بعده سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء - ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الملاخبار اربع ركعات -

المطلب العاشر

في طريق حل الاصرار على الذنوب من القلب وله علاجان احدهما العلم بان الذنوب مضر (١) يجب تركها وذلك اربعة انواع الاول ان يذكرناذارات القرآن والاخبار والعصاة ، الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم ، الثالث خوف تعجيل العقوبة في الدنيا ونفوس العوام اكثر انزجارا بعقوبة الدنيا حتى ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكذلك الفقر والمرض ، الرابع ان ينهى كل صنف من الذنوب بنوع من العقوبة من العلماء اطباء الارواح فليعلم ان يخوفوا كل ذنب بنوع عقوبة ويوصيهم بنوع وصية تكون سببا لزوالها ، ثانيها الصبر وذلك لان الذنب اما بسبب الغفلة وطريق علاجه العلم وقد ذكرناه - او بسبب غلبة الشهوة وطريق علاجه الصبر وقد ذكرناه في رياضة النفس فترك الذنب بالصبر وهو معرفة الخوف والجوف لا يحصل الا بالعلم بضرر الذنب فاصل الكل العلم ، واعلم ان سبب وقوع الذنب ثمور احدها ان العقاب الموعود غيب وليس بحاضر والنفس تأثرها بالحاضر قوى

وإذا لم يعود ضعيف ، الثاني أن الشهوات لذاتها ناجزة والثرع عن لذة العاجل
 لخوف الآجل شديد على النفس ، الثالث أنه مامن مسلم مذنّب الا وهو عازم على
 التوبة غالبا الا ان النفس تسوف بما يغلب على طبعه من طول الامل - الرابع انه
 مامن مؤمن الا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو
 يذنب وينتظر العفو انكالا على فضل الله تعالى - وهناك قسم خامس ولكنه كفر
 وهو الشك في صدق الرسل ، اذا عرفت هذه الاسباب فاعلم ان علاج السبب
 الاول بأن يلاحظ ان كل ماسهوات آت وان الموت اقرب من شرك نعله
 وعلاج التسويف التذكر بان اكثر صياح اهل النار من التسويف ولعله لا يبقى
 الى الغد وان بقي لعله لا يقدر ان يحجزه في الحال لغلبة الشهوة والشهوة لا تفارقه
 غدا بل تتأكد بالاعتیاد وان الايام متشابهة في مشقة ترك الشهوات ، واما علاج
 الانتظار الى رحمة الله تعالى ان كان بعد العمل فحسن وان كان بلا عمل فحتم وهو
 كمن لا يلقى البذر وينتظر الزرع وهذا وان كان ممكنا لكنه لكونه نحرقا للعادة
 يعد حقا ونحرقا اذا اعتمد على امر ممكن خارق للعادة في مثل هذا الامر الخطير
 العظيم الذي لا يمكن تداركه ثانيا لما لا يقبله العقل ، واما علاج الخامس وهو
 الكفر فما عرفت من اسباب صدق الرسل ولكن هذا امر الزامى يكفى في دفعه
 وهو أن رجلا قد جربت كذبه مرارا اذا اخبرك بان هذا الطعام قد واغ فيه الحية
 والتي فيه سمها ، فلعلمك تقول هذا الرجل وان كان كاذبا اكثر يا لكن الكذب
 قد يصدق ، وعلى الجملة فالشك حاصل في خبره هذا وانى ان تركت هذا الطعام
 ليس لي الا الصبر عن شهوة الطعام وان اكلت ذلك فالحلاك محتمل فالقرار عن
 الشهوة الحقيرة لاجل الهلاك الموهوم احسن ثم انك كيف لاتذهب هذا التعميل
 في اخبار الأنبياء لم تجرب كذبهم بل جربت صدقهم مرارا لكن لاتدعك عصبيتك
 الى الازعان بالحق والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء انه هو القادر على كل شيء
 قال على بن أبى طالب في بعض من كان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا - جميعا
 والافقد تخلصنا وهاكت -

وقال ابو العلا المعري

قال المنجم والطيب كلاهما لا تحشر الموتى فقلت اليكما

ان صـح قولكما فلست بخاسر او صـح قولي فالحسار عليكما

ثم اعلم ان ما ذكر من الامور وان كانت جاية لكن النفس لا تتفكر فيها لامرين احدهما ان فكرها يؤلم القلب وفكر الدنيا لها فتهيل اليه - وثانيهما ان هذا الفكر يمنعه عن لذائد الدنيا اذ الانسان لا يخلو عن شهوات الدنيا ساعة اصلا - فعلاج الامر الاول فانت تتألم من ملاحظته فكيف الالم اذا وقع وانت عاجز عن تداركه - والامر الثاني ان يتذكر عظم ثواب الآخرة وحقارة لذات الدنيا وسرعة زوالها وترك العظيم والباقي لاجل الحقير والزائل لا يصدر عن عاقل -

الاصل الثاني

في الصبر والشكر وفيه مطلب

المطلب الاول

في فضيلة الصبر وحقيقته

اما فضيلته فقد وردت في الآيات والاخبار والآثار بحيث لا يحتاج الى ذكرها واما حقيقته ومعناه فهو مقام من مقامات الدين وميزل من منازل السالكين وذلك معرفة تتبعها حالة ثم تثمر كلاهما المسمى بالصبر عملا وتفصيل ذلك ان للبها ثم شهوة بلا عقل ولللا ثمة عقل بلا شهوة وللانسان كلاهما معا والصبر مقاومة العقل الشهوة فهو مخصوص بالانسان دون البها ثم لقصا نه ودون الملائكة لكما لهم فالصبر ثبات القوة المضادة للشهوة في مقاومتها ثم ان الصبر نصف الايمان لأن التصديق بالمعارف والاعمال هو الايمان وحاصل التصديق بالمعارف اليقين وحاصل التصديق بالاعمال الصبر اذ لا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر فهو نصف الايمان بهذا الاعتبار ، ايضا ربما يطلق الايمان على الاحوال المثمرة للاعمال بالمعارف والاعمال اما ضار في الدنيا والآخرة او نافع فيهما وله الصبر في الاول والشكر في الثاني ، ولهذا قال ابن مسعود الايمان نصفان

نصف صبر ونصف شكر ، وقد يرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايضا لما كان الصبر مقامة بواعث الهوى وكان الهوى قسمين الشهوة والغضب وصار الصوم دافعا للشهوة دون الغضب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر فيكون الصوم ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والحدود ليس تلك التقديرات بما يرمى به جزافا كما توهمه الجملة ارباب الضلال ثم ان الصبر يسمى باسم ، مختلفة فيظن الجهال اشياء متغايرة مثلا الصبر عن شهوة الفرج يسمى عفة وعن مصيبة يخص باسم الصبر ويضاده الجزع والهلع وعن الغنى يسمى ضبط النفس ويضاده البطر وعن القتال والحرب يسمى شجاعة ويضاده الجبن وعن الغضب حلما ويضاده التكبر وعن انشاء الكلام يسمى كتمان السرو عن فضول العيش يسمى زهدا ويضاده الحرص وعن العيش اليسير يسمى قناعة ويضاده الشره فكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الايمان هو انصبر وذلك لانه اكثر اعماله واعزها ، وقد جمع الله تعالى هذه الاقسام وسماها صبرا فقال (والصابرين في الباس) اى المصيبة والضراء اى الفقر (وحين الباس) اى المحاربة (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) -

المطلب الثانى

في اقسام الصبر بحسب القوة والضعف وهى ثلاثة

احدها ان يقهر داعى الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين فتسلم نفسه الى جند الشيطان وهؤلاء هم الغافلون وهم الذين غلبت عليهم شقوتهم واسترقتهم شهواتهم ، وهذه الحالة علائقها اليأس والقنوط والنزور بسا لاما فى وهو غاية الحق ، وثالثها (١) ان يكون الحرب سبحانه بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين لا من الفارين وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - واقسامه باعتبار عدد ما يصبر عنه ثلاثة ايضا لانه اما ان يغلب جميع الشهوات او بعضها دون بعض او لا يغلب شيئا منها وهذا كالانعام بل هم اضل - واقسامه

باعتبار اليسر والعسر الى ما يتفق على النفس ولا يمكن الدوام عليه الا بمجهود جهيد وتعبد شديد ويسمى تصبرا والى خلاف ما ذكر يسمى صبرا ، قال بعض العارفين اهل الصبر ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاة وهذه درجة الصديقين ، وايضا الصبر اما فرض كالصبر عن المحرم ، ونقل كالصبر عن المكروه ومكروه وهو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع ومحرم كالصبر على الاذى المحظور -

المطلب الثالث

في ان العبد لا يستغنى عن الصبر في كل حال

وذلك لأن الصبر اما على ما يوافق الهوى وهو الصحة والمال والجاه واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار ، ما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور اذ لو ارسل نفسه الى الملاذ المباحة اخرجته ذلك الى البطر والطفغان ، واما على ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك اما مختار للعبد كالمعاصي والطاعات او ليس مختارا له كالمصائب والنوائب او لا يكون اوله مختارا ولكن يقدر على ازالته كالتشفى بالانتقام ، والضرب الاول ان كان طاعة يحتاج العبد الى الصبر عليها لأن النفس تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية حتى قيل ما من نفس الا وهى مضمرة ما اظهره فرعون الا انه لا يجد مجالا وقبولا - ثم الصبر على الطاعة اما قبلها وذلك في تصحيح النية وتحصيل الاخلاص وذلك من اشد الصبر ، واما حالة العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور وعن كونها غير الله ، واما بعد الفراغ عن العمل بان يصبر عن افشائه والعجب ، ثم الطاعات اما فرض او نقل ويحتاج الى الصبر عليهما ، والضرب الثاني المعاصي وما احوج العبد الى الصبر عنها سيما التي صارت مألوفة بالعادة - والضرب الثالث ما لا يكون هجوما باختياره ولكن له اختيار دفعه كما لو اذى فصبر عليه وهذا الصبر يكون واجبا تارة وفضيلة اخرى ، والضرب الرابع ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره مثل موت الاعزة

وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض والعمى فالصبر على هذه الامور من اعلى المقامات الا ان الصبر على المصائب بترك الجزع وشق الجيوب وضرب الحدود واظهار الكتابة والمبالغة في الشكوى وهذه داخلة تحت اختياره ولا يخزجه عن حد الصابرين توجع القلب وفيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية فظهر مما ذكر أن الانسان لا يخلو عن الصبر في حال من احواله -

المطلب الرابع

في معالجات مؤدية الى الصبر

ولنورد مثالين ثم قسم بواقعيها عليها مثلاً باعث الجماع يعالج بامور ثلاثة قطع مادتها كالاغذية المبهجة لشهوة الواقع فيتركها سيما اللحم وثانيها قلع اسبابه المبهجة له في الحال كالنظر الى الصور المشتهاة والقرار منها بالكلية وثالثها تسليية النفس بالمباح الذي تشتهي كالنكاح وملك الميّن - وايضا من اشد انواع الشهوات حديث النفس ووسواس الشيطان وانما يشتد ذلك على من تفرغ لقطعه ولا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة ثم لا يمكن له ذلك الا بان يجعل هو مههما واحدا وهو الله ومع ذلك اذا غلب على القلب لا يكفي ما ذكره ملكه الفكر والسير والباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله وان لم يكن له سير في الباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج الى تكلف القلب الحضور واد انتظم كل ذلك لا يسلم له من الاوقات الاربعة -

المطلب الخامس

في الشكر

وفضيلته في الآيات والايخبار والآثار لا تخفى على اولى الابصار واما حقيقتها (١) فتعلم من علم يورث حالاً وحال يورث عملاً - اما العلم في معرفة النعمة والمنعم

والمنعم عليه، هذا في غير الله تعالى وأما في حقه تعالى فلا يتم إلا بان يعرف إن النعم كلها من الله والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة تتبع التوحيد إذا لا موجود إلا منه تعالى فتتحصر النعمة فيه أيضا كما أن التوحيد يتبع التقديس إذا لا مقدس إلا واحد ولا مقدس غيره - وعن هذه الأمور عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة إلا أن المراد تأثير هذه الكلمات بالقلب لا مجرد تحريك اللسان بها ثم إن المعرفة المذكورة تستثمر حالا وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو شكر كما أن المعرفة شكر لكن كونه شكرا مشروط بأن يكون الفرح بالمنعم بالنعمة والاحسان والانعام وبالجملة الفرح بالنعمة من حيث أنها مال ليس من الشكر أصلا والفرح بها من حيث يستدل به على عناية المنعم ونيل المحل والقبول عنده وهذا شكر الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه - وأما الفرح بالنعمة من حيث أن له محلا عند الملك لكن لا يفتن بهذا القدر بل يفرح من حيث يتدرج به إلى القرب منه ولكون (١) محل ينظر المنعم ويتوسل بذلك إلى النظر إلى وجه المنعم والنزول في جواره فهي الرتبة العليا للشكر وأما رتبته أن يفرح من الدنيا لكونها مزرعة للآخرة ويحزن بكل نعمة تليه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سبيله - ثم الفرح المذكور له عمل بموجبه وذلك العمل إما بالقلب وهو قصد الخير وإظهاره لكافة الخلق وإما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وإما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى أن شكر العيين أن يستتر كل عيب يراه لمسلم وشكر الأذنين أن يستتر كل عيب يسمعه والشكر باللسان إظهار الرضا عن الله وهو ما مور به وهكذا في كل عضو فهذه هي حقيقة الشكر وإما الحدود الواقعة فيه فأكثرها قاصر عن أداء مجموعها مثلا قول من قال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى فعل اللسان وبعض أحوال القلب - وقول حمدون المقصود شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا إشارة إلى أن المعرفة

معنى من معانى الشكر فقط - وقول الجنيد أن لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص - والحد الاقرب الى جمع اكثر المعانى قول القائل الشكر الاعتكاف على بساط الشهوة بادامة حفظ الحرمة وانما يشد من ذلك عمل اللسان فقط -

المطلب السادس

في الشكر في حق الله

قال بعضهم الشكر محال في حقه تعالى لوجهين احدهما انه منزّه عن الخطوط والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة وانشاء وتكثير سواد الخدم من الراكعين والساجدين - وثانيهما ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من جوارحنا وقد رتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر اسباب حركاتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة - واذا كان طريق الشكر نعمة اخرى تحتاج الى شكر آخر واذا احتاج الشكر الى شكر في كل مرتبة تؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله من هذين الوجهين وقد خطر هذا خاطر لداود وموسى عليهما السلام فقال كل منهما يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الابنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله عز وجل اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني - وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم منى رضيت منك بذلك شكرا - اذا عرفت ذلك لعلك تفهم استحالة الشكر لله عز وجل وتعجز عن درك كون العلم باستحالة الشكر شكرا فنقول ان من نظر بعين التوحيد المحض يعرف انه الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ونظر من لم يباغ هذه الرتبة وهؤلاء قسبان قسم لم يشبوا الا وعود انفسهم فانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء العميان المنكوسون وهؤلاء جاحدون وقسم ليس بهم عمى ولكن بهم عور يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق ولا يرى باخرها فناء ما سواه وبالْحَقِيقَةُ هذا مشرك اذا ثبت وجود ايمان بل وجود الحق لكن لما الاول (١) بانه رب والآخر بانه عبد دخل بهذا التفاوت في

حد التوحيد لكن لاتخاو عينه عن عمش لكن ان كحل بصره بانوار الحق يظهر له نقصان ماعداه وهكذا تنفاوت الدرجات الى ان يرى ماسواه فانيا ولا يرى في الوجود الا الله تعالى - ثم هذا قد يلوح لبعضهم كالبرق الخاطف ومنهم من يثبت له ذلك ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز -

وكل الى شأ والعلی حرکاته ولكن عزيز في الرجال ثباته

ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له واستجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك حيث لم ير الا الله وافعاله واستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب وقال اعوذ برضاك من سختك حيث ترقى من مشاهدة الافعال الى مشاهدة الصفات ثم اقترب وقال اعوذ بك منك حيث ترقى من مشاهدة الصفات الى الفرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة لكنه رأى نفسه ثم اقترب حتى فنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا أحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك - فقوله لا أحصى ثناء عليك تعبير عن فناء نفسه وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين ومع ذلك كان يرى كل مرتبة بعدا بالقياس الى ما بعده ولذلك قل انه ليغان على قلبه وكان اول امر الله آخر مقامات الموحدين هذا نظر التوحيد - واما نظر غيره ففيه الشاكر والمشكور والشكر ثم ان نعم الله تعالى آلات ان استعملها في الطاعة شكر لموافقته محبة مولاه وان لم يستعملها في الطاعة واستعملها في المعصية كفر للنعمة للتضييع وكل ما في الدنيا خلق آلة للعبد يتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لاتشتملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه - واذا عرفت هذه المقامات فقد ظهر لك توجيه الاشكالين المذكورين وذلك لأن المراد بالشكر ليس الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت في جهة المحبة بفعل العبد لفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله - ومن حيث انه فعله فقد اثنى عليك وثنأؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي

اعطى وهو الذى اثنى وصار أحد فعليه سببا لا انصراف فعله الثانى الى جهة محبة لله فيه الشكر على كل حال - وانت موصوف بانك عالم وعارف ولا بمعنى بانك خائف - لم يوجد بل بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك غوصفك بانك شاكر اثبات شائعة ، فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له - يريد به ان الخلق مجارى قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل لبعض ، وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعال الله عز وجل وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وان عليهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة بالطاعة وانبعاث الداعية ايضا من فعل الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهى ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله كان سببا لبعض افعاله اى الاول شرط للثانى اى انه لا يستعد لقبول العلم الاذوحياة ولا لقبول الارادة الاذوعلم فيكون بعض افعاله سببا لبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجود لغيره بل مهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق يرتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه واعلم ان هذا التمهيد مما لا تجده فى كتب احد فلا تغفل عن تحصيله واذا عانه ثم انك اذا عرفت ذلك لعلك تتبع شيطان الوهم ، ونقول واذا لم يكن اياها شىء بل رجع الكل الى الله فلا نذم اصلا فلا حاجة الى الطاعة فنقول اعلم ان قول الله تعالى اعملوا سبب لحصول اعتقاد فينا بوجوب العمل وذلك سبب لهيجان الخوف وهو سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له فى الازل السعادة يسرت له هذه الاسباب حتى تعود به بسلسلتها الى الجنة ، ويعبر عن مثله بان كل ميسر لما خلق له ومن لم يسبق من الله له الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حرب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين واذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو

مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخدول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والا من والغرور عليه فالمعتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار ، وعنه معاينة هذا يسمع نداء من الملك اليوم لله الواحد القهار وذلك كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لا يسمعون الا ذلك اليوم على الخصوص نعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك والعياذ بالله -

المطلب السابع

واعلم انه لا بد في تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل شيء له وطريقه الآيات والاخبار وذلك ظاهر واما النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدا ولهذا احتيج الى ارسال الرسل مثلا كل شيء في العالم له حكمة اما جليلة كاضياء من الشمس والمطر من الغيم اودقيقة كالحكمة من الكواكب السيارة وغيرها - ثم كل ذرة لا تخلو عن حكم كثيرة من واحد الى عشر بل الى الف فمن استعمل شيئا فيما خلق له من الحكمة صار شكرا والاصار كفرا مثلا اليد خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه وبأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد وكذا لو استنجد باليمين فقد كفر ما خلقت له اليمين من استعمالها في اشرف الامور وكذا البصر مثلا انها خلقت للعينات لينظر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بها ما يضره فيها فمن نظر الى وجه غير المحرم فقد استعملها في غير ما اريدت له فكفر نعمة الابصار وهكذا في سائر الاعضاء - فان قلت اذا كان الشكر واجبا الى فعل الله تعالى فكيف يكون العبد موصوفا بالشكر والكفران فاعلم ان تمام تحقيق هذا المقام لا يعرفه الا من علم منطق الطير ولا يجهله الا من عجز عن الايضاح في السير واجمال هذا هو ان صفات الله تعالى اجل واعلى من ان يلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنهه جلالها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم فاستعاروا من حضيض البشرية امورا لها مناسبة معها تناسب ضعيفا جدا فاستعاروا

اعطى وهو الذى اتنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبة لله فيه الشكر على كل حال - وانت موصوف بانك عالم وعارف ولا بمعنى انك خالق - لم وموجد بل بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات مشيئة ، فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له - يريد به ان الخلق مجارى قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل لبعض ، وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعال الله عز وجل وهو سبب لعلم المخلوق بان العمل نافع وان عليهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة بالطاعة وانبعاث الداعية ايضا من فعل الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهى ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله كان سببا لبعض افعاله اى الاول شرط للثانى اى انه لا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل بمهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق يرتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه واعلم ان هذا التمهيد مما لا تجده فى كتب احد فلا تغفل عن تحصيله واذا عانه ثم انك اذا عرفت ذلك لعلك تتبع شيطان الوهم ، ونقول واذا لم يكن الينا شيء بل رجع الكل الى الله فلا نذم اصلا فلا حاجة الى الطاعة فنقول اعلم ان قول الله تعالى اعملوا سبب لحصول اعتقاد فينا بوجوب العمل وذلك سبب لهيجان الخوف وهو سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له فى الازل السعادة يسرت له هذه الاسباب حتى تعود به بسلسلتها الى الجنة ، ويعبر عن مثله بان كل ميسر لما خلق له ومن لم يسبق من الله له الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين واذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا هو

مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والا من والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار ، وعنه معاينة هذا يسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وذلك كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لا يسمعون الا ذلك اليوم على الخصوص نعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك والعياذ بالله -

المطلب السابع

واعلم انه لا بد في تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل شيء له وطريقه الآيات والاخبار وذلك ظاهر واما النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدا ولهذا احتيج الى ارسال الرسل مثلا كل شيء في العالم له حكمة اما جليلة كاضياء من الشمس والمطر من الغيم اودقيقة كالحكمة من الكواكب السيارة وغيرها - ثم كل ذرة لا تخلو عن حكم كثيرة من واحد الى عشر بل الى الف فمن استعمل شيئا فيما خلق له من الحكمة صار شكرا والاصار كفرًا مثلا اليد خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد وكذا لو استنجد باليمين فقد كفر ما خلقت له اليمين من استعمالها في اشرف الامور وكذا البصر مثلا انها خلقت العينات لينظر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بها ما يضره فيها فمن نظر الى وجه غير المحرم فقد استعملها في غير ما اريدت له فكفر نعمة الابصار وهكذا في سائر الاعضاء - فان قلت اذا كان الكل راجعا الى فعل الله تعالى فكيف يكون العبد موصوفا بالشكر والكفر ان تعلم ان تمام تحقيق هذا المقام لا يعرفه الا من علم منطق الطير ولا يجهله الا من عجز عن الايضاع في السير واجمال هذا هو ان صفات الله تعالى اجل واعلى من ان يلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنهه جلالها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم فاستعاروا من حضيض البشرية امورا لها مناسبة معها تناسب ضعيفا جدا فاستعاروا

لها اسم القدرة مثلا - وكذا المشيئة مع قصور اللفظين عن كنهه جلال ذينك الوصفين ثم الافعال الصادرة عن القدرة اما ان ينساق الى غاية حكمتها او يقف دونها ثم ان هذين من حيث نسبة المشيئة الى الاول يسمى محبوبا والى الثانى مكروها - ثم تعلق صفة المشيئة فى الازل الى بلوغ شخص نهاية حكمته بتسليط دواعيه عليه قهرا يسمى رضى وتعلقها فى الازل الى وقوفه دون نهايتها باستيقاف دواعيه عن ذلك قهرا يسمى غضبا - ثم اذا ظهر هذا التقدير الازلى فى الشخص اما فى الاول فيسمى الشكر ويردنه بالثناء واما فى الثانى فيسمى بالكفران ويتبعه تقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال فحاصله ان اعطى الجمال فأتى عليه واعطى النكال فقبحه كملك اعطى لملوكه الثياب النفيسة وكسى هواياه ثم وصفه الملك بالجمال وكذا فى ضده فهو المثنى والمثنى عليه بكل حال فكأنه اثنى على نفسه من حيث المعنى وليس العبد الاحرف الثناء من حيث الظاهر والصورة هكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب وما لم يكن ذلك عن اتفاق وبحت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استمير له لفظ القضاء فهو كملح البصر ثم استمير لترتيب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فالقضاء اجمال وامر واحد كلى والقدر تفصيل ذلك - واما اذا خطر ببالك ان القسمة لماذا يكون على هذا فتلجم عنه ذلك لسانك بلجام المنع ويقال لكم اسكتوا لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ويقال اذا ذكر القدر فامسكوا وتأدبوا بأدب الله عز وجل فان للحيطان آذاننا وغاية خطاك انك تقول فعلى واضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك ثم جعله على وجه العدل حيث خص الفعلة المحبوبة بالشخص المحبوب والمكروة بالمكروه انما مثلك مثل صبي يرى المشعوذ فيرى حركة الصور فى الليل المظلم من الصور لا من المشعوذ وظهر بما مران شكر العباد احبهم وذلك كالملائكة فى السماء والانبياء فى الارض واعلى الملائكة اسرافيل واعلى الانبياء محمد صلوات الله عليهم اجمعين اذ اعطى له الدين والملك والسلطنة ولم يعط هذه كلها الا له صلى الله عليه وسلم - وايضا اكل

الله الدين به وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم صلحوا
وصلح بهم الناس، ثم يليهم السلاطين بالعدل لان صلاح الدنيا بهم كما ان صلاح
الآخرة بالعلماء، ثم يليهم الذين اصلحوا انفسهم فقط من الصلحاء غير العلماء، ومن
عدهؤلاء الطوائف فهمج رعاع - واعلم ان السلطان لكونه قوام الدين والدنيا
لا ينبغي ان يستحق وان كان ظالما فاسقا - وفي الحديث سيكون عليكم امراء
يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر - فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان
اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر - قال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق
ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل -

المطلب الثامن

في حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل لذة وخير وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر نعمة وسعادة وان كانت
نافعة في الدارين فهي النعمة حقيقة كالعلم وحسن الخلق وان كان ضارا فيهما فهو
البلاء تحقيا كالجهل وسوء الخلق وان (كان) نافعا في الحال ضارا في المال فهو البلاء.
عند ذوى الابصار، والنعمة عند ذوى الجهل كالشهوات وان كانت بالعكس
فبالعكس كخالفه الشهوات ثم ان الامور الدنيوية اما نفعه اكثر من ضرره كقدر
الكفاية من المال او بالعكس كالمال الكثير والجاه الواسع واما ضرره يكافئ نفعه
وهذا يختلف بالاشخاص اذ رب انسان لا يتضرر بالاموال العظيمة وبعض منهم
يتضرر بأقل منها واعلم ان الخيرات اما ان تؤثر لذاتها او لغيرها اولهما معا والاول
النظر الى وجه الله تعالى - والثاني كالدرهم والدنانير فانها وسائل فقط والانهي
والخصى سواء - الثالث كالصحة والسلامة واعلم ايضا ان الخيرات اما نافعة
او جميلة اولذيذة فالذي هو الذي يستحسن في سائر الاحوال، وكذا الشرور اما
ضار او قبيح او مؤلم ثم انه قد يجتمع هذه الاوصاف اما في الخير فكالعلم والحكمة
فانها نافعة ولذيذة وجميلة عند اهلها وكذا ضده وهو الجهل في جميع الاوصاف
الثلاثة للشر فانه ضار ومؤلم وقبيح وقد يجتمع بعض هذه مع بعض كقطع الاصبع

التأكله والسلعة الخارجة من البدن فان هذا نافع مؤلم - وقد يكون شىء نافعاً من وجه وضاراً من وجه آخر كإلقاء المال فى البحر لنجاة صاحبه وايضاً النافع اما ضرورى كالايمان وحسن الخلق او غير ضرورى كالتسكين في تسكين الصفرء اذ ربما يقوم غيره مقامه - ثم ان اللذة اما عقلية كلكلة العلم والحكمة وهى اشرف اللذات عند من يعرفها كما عرفت عند ذكرنا فضيلة العلم والحكمة واطهر شرفها انه الباقي فى ابد الآباد ولا يمتد اليها ايدى الغاصبين ولا ينالها السن السلاطين بالعزل واما بدنية وهى اما مشتركة مع بعض الحيوانات كلكلة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وغيرهما او مع جمعها كلكلة البطن والفرج وهذا اكثرها واخصها ولذلك شارك الكل فيها - ثم شره البطن والفرج مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الصديقون حتى قبل آخر ما يخرج من قلوب الصديقين الرياسة فقمع شهوة الرياسة بالكفاية لا يقع وان وقع ففى بعض الاحوال عند غلبة لذة معرفة الله تعالى - ثم اعلم ان القلوب اربعة - قلب لا يحب الا الله تعالى وهذا فى غاية الندرة - وقلب لا يلدن الا بالرياسة والشهوات ولا يدري غير ها وهذا كثير - وقلب يغلب عليه التلذذ بالصافات البشرية ، وقلب يغلب عليه التلذذ بمعرفة الله تعالى وهذان فى غاية الندور ومع ندرتهما تتفاوت قلة وكثرة لأن ذلك يقل اذا بعدت الاعصار عن عصر النبوة ويزداد قلة الى ان تقرب الساعة ويقضى الله امرا كان مفعولاً وسبب قلة هذا القلب ان عالم الشهادة مرآة لعالم القلب وتابع له كما ان الصورة فى المرآة تابعة للشخص وثانية له فى رتبة الوجود الا انها متقدمة عليه فى المعرفة كذلك عالم الشهادة متقدم على عالم الغيب فى المعرفة وان كانت تابلاً له فى الوجود فلذلك كان اكثر الناس مقصود النظر على ما هو مقدم فى المعرفة وقريب منه اعنى عالم الشهادة وقليل منهم يعبر منه الى عالم الغيب ويستدل بالصورة على الاصل وهذا الذى يسمى عبرة عند العلماء - واعلم ان النعمة تنقسم ايضا الى نعمة هى غاية الغايات وذلك سعادة الآخرة وهى اربعة - بقاء لافناء له ، وسرور بلا غم ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر معه ، وهى

وهي النعمة الحقيقية والى وسائل هي اربعة انواع، احدها الاقرب والاخص كالفضائل النفسانية وهي الايمان وحسن الخلق والاول علوم المكاشفة والثاني علوم المعاملة وهي اما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه الفقه واما مراعاة العدل في الكف عن الشهوات حتى لا يخسر الميزان ولا تنطفي فيه واسمه العفة فهذه اربعة - علم مكاشفة، وعلم، املة، وعفة، وعدالة - وثانيها الفضائل البدنية وهي متممة للنوع الاول وهي ايضا اربعة، الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وثالثها وهي النعم الخارجة عن البدن وهي ايضا اربعة ومتممة للنوع الثاني، المال والاهل والجاه وكرم العشيرة - ورابعها الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة ايضا، هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأنيده - ثم انك قد عرفت فوائد المال والاهل فيما مر وكذا العز والجاه يمكن ان تستعان (١) به النفس الى طريق الآخرة اذ يدفع عن الانسان الظلم والظيم الشاغلين عن المعرفة ولذلك كان علماء الدين يطلبوا الجاه قدر ما يستعان به في امره ومطلبه - واما ذم المال والجاه في الاحاديث والاحبار فلا ينافي ما ذكر اذ الحية فيها ترياق وسم فكذا المال والجاه ولعلك قد نبهت على التمييز بين القدر النافع والقدر الضار فيما سبق وكذا كرم العشيرة ولذلك جعلت الأئمة من قريش لكن المراد عشيرة الانبياء والعلماء والصالحاء لعشيرة الملوك والظلمة وكذلك لا خفاء في الحاجة الى الصحة والقوة وطول العمر - واما الجمال فانه اقرب الى الاجابة وجاهه في الصدور اوسع فصار بمنزلة الجاه والمال وايضا الجمال في الاكثر دال على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى المبدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان وعلى هذا يبتنى علم الفراسة - واما التوفيق فلا يستغنى عنه احد لانه عبارة عن التأليف بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره من حيث وصوله الى السعادة له -

اذا لم يكن عون من الله للفتي فاكثروا يحن عليه اجتهدا

واما الهداية فلا سبيل لأحد الى طلب السعادة الا بها اذ الانسان لا يقدر على تمييز الصلاح من الفساد الا بالهداية وهي ثلاث مراتب الاولى معرفة طريق الخير

والشرف قال تعالى (وهديناه النجدين) وقد انعم الله تعالى بهذه الهداية على كافة عباده بالعقل تارة وبالسمع اخرى - الثانية التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) الثالثة التي وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهدى به الى ما يهتدى اليه بالعقل وهو الهدى المطلق - واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تتعين للانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتقره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة لكن بشرط ان تحرك داعيته اليها ولو اهتدى الى تلك الجهة ولم يتحرك اليها يسمى مهدياً لارشيداً فالرشد اكمل من مجرد الهداية وذلك نعمة عظيمة - واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليتسدد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الرشد ايضا لا يكفي بل لابد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد فالهداية محض التعريف - الرشد هو تنبيه الداعية ليتحرك والتسديد عناية ونصرة تتحرك الاعضاء في صوب السداد - واما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره لتبصرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد قوله عز وجل (اذ يدتك بروح القدس) ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهى يسبح في الباطن يقوى به الانسان على تحرى الخير ويحتجب الشر حتى يصير كما نع من باطنه غير محسوس وهي المراد بالبرهان في قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) فهذه هي مجامع النعم - ولن يتبد بها الا من خوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعى والقلب لبصير المتواضع المراعى والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات لفته، القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفلة السفهاء وظلم أعداءه وتستدعى كل واحدة من هذه الاسباب الى ستة عشر اسباباً وتستدعى تلك الاسباب اسباباً الى ان ينتهى بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك

هو ذلك رب الارباب ومسبب الاسباب ولو أردت ان تستقصى اسباب نعمة واحدة من النعم كنعمة الاكل مثلاً وكسرت (١) عليها المجلدات لبقى ذهنك في حيز الحيرة حسيراً لانها تتوقف على معرفة قوة الشهوة والغضب المتوقفتين على الآلات البدنية لايفي بذكر شمة منها ومقدار ما يمكن ان يحيط العقول بها كثير من المجلدات وكذا كيفية تولد البدن عن المنى في رحم الام واطوار خلقه الجنين هناك لاتفي لذكرها المجلدات وكذا كيفية تكون الاغذية النباتية والحيوانية وترتيبها بالآباء العلوية والامهات السفلية لاتتم في عدة مجلدات - وكذا كيفية طبعها واصلحها واحتياجها الى آلات من الحديد والحطب والنار واحتياج هذه الآلات الى الصناعات المحتاجين الى آلات انحرلاتنهاى لايمكن ذكر شمة منها الا في كثير من المجلدات، وكذا مضغ الاطعمة وكيفية تولد الريق المعين لازلاق اللقمة المتولد من تحت اللسان وكيفية جذب المعدة ذلك ثم طبخها في المعدة ثم في الكبد ثم وصولها الى البدن وانقسام فضلاتها الى طريق آخر لايمكن تفصيلها في مجلدات ولو ارتقيت الى معرفة الحواس المعينة الى معرفة مضار الاطعمة ومنافعها وكيفية تحصيلها ومن جملتها البصر وان جرمها الذي هو مقدار جوزة عشر طبقات مركبة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض تلك الاغشية كالشيمة وبعضها كأنها نسج العنكبوت وبعض تلك الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد - وكذا احوال سائر الحواس بحيث لايمكن للعقل احاطة بجمالها ولا لسان بيان قدر ما احاط منها كما هو حقها ولا للبنان كتابة ما جرى منها على اللسان - وهكذا يتوقف على اسباب واسباب الى حيث يعجز العقل عن ضبط انواع اسباب فعل واحد، عن الأكل فضلاً عن ضبط افرادها واسباب سائر الافعال وعند ذلك تفهم معنى قوله عز وجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الا انك ايها المسكين لاتعرف من النعم الا نفس الأكل وهو اخسها ثم لاتعرف منها انك تجوع فتأكل وتتعبد وتنام ثم تشتهي وتجا مع وتستريح وهذا ايضا حال الحمار وانت في رتبته لاتنقل ايها المسكين عن النظر في ملكوت الله سبحانه وعجايب صنعه وحكمة تصنيفه لأن

العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده الا انك تغفل غفلة البهائم مع انك من زمرة الملائكة لكن اتى الى هذه الرتبة جهلك وحققك وبجزك فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان جل جلاله وعم نواله ، ولترك استقصاء هذا الباب فانه طمع فى غير طمع (١) -

المطلب التاسع

فى السبب الصارف عن الشكر وعلاجه

واعلم ان سببه الجهل والغفلة عن معرفة النعم وان عرفها فيظن ان شكرها ان تقول بلسانك الحمد لله الشكر لله ، وايضا سببه بعد معرفتها غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلهما اسباب احدها عموم النعمة للخلق كافة كأنهم لا يعدونها نعمة ألا تراهم لا يشكرون الهواء مثلا وهو من اعظم النعم ولا يمكن التعيش بدونها واوساعة وهذا جهل عظيم حيث لا يعدون النعمة الدائمة نعمة ويعدون ما ينقطع ساعة ثم يعود نعمة مع ان الدائم احق بالشكر من المنقطع احيانا وطريق معرفة النعمة فرض انقطاعها فحينئذ يظهر لاهل الغفلة حالها روى ان ابن السك قال لبعض الخلفاء وفى يده ماء يشربه وقال عطشى ، ولم تعط هذه الشربة الا بنصف ملكك فهل تبذله قال نعم قال وان لم تخرج من بدنك بعد شربها هل تترك نصفه الآخر قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوى شربة ماء ولا دفعها عن بدنك ، وبهذا تبين ان شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كله على ان كل احد يظن انه يخص من بين الناس بعقل لا يشاركة فيه الناس ويظن انه على خلق كريم لا يشوبه العيب بخلاف سائر الناس وايضا يعتقد فيه علما امتاز به عن الناس ثم ان كان هذا النظم واقعا فى نفسه يازمه الشكر لا محالة وان لم يكن واقعا الا ان الله تعالى ستر قبيحه عن الناس واطهرهم الجحيل من العقل والخلق والعلم فكذلك يلزمه الشكر ، ثم نقول ان كل احد رزقه الله تعالى امورا واعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به من صورته او شخصه او خلقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او سائر محابه فاذا الله عليه نعمة ليست على

احد من عباده سواء فينبغي ان يشكرها وايضا من النعم ما فيه عموم ولكن لو تبدلت باضدادها لم يرض بها مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكر الا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا ، وايضا عدد المغبوطين عنده اقل من غيره بكثير فكيف لا ينظر من هو من دونه حتى لا يزدري نعم الله كما انه ينظر الى من دونه في الدين ويتعذر بكثرة الفساق مع ان دنياه لا تساوى دينه فعليك ان تتأمل كلام افصح من نطق بالاضداد حيث قال صلى الله عليه وسلم - من اصبغ معافى في بدنه آمنا في سر به وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها - سيما زمرة العلماء فان نعمة العلم اعظم النعم حتى ان بعضا منهم لو بدل نصف علمه بل عشر اعشار علمه بملك الارض من الشرق الى الغرب لأنف من ذلك وانكر على قائلها ولا تظن ان المعرض عن الدنيا في المصبر عنها فان ذلك ليس باكثر من المصبر عليها فان آلام الاغنياء اضعاف اضعاف المفقراء ولكن لا يشعرون بسبب خدر حاصل في طبيعتهم فاذا زال ذلك بالموت يشعرون ذلك لكن حين لا ينفعهم العلم - ثم ان علاج القلوب العاقدة للشكر فان كان بصيرا فعلاجه التأمل فيما ذكرناه من اصناف النعم وان كان غير ذلك فبالنظر الى من دونه وكان بعضهم يحضر كل يوم دار المرضى ليعرف نعمة الصحة ويحضر المقابر ليعرف قدر الحياة ويحضر موضع العقوبات ليعرف قدر العصمة من الجنايات ، وما ينبغي ان يعالج به القلوب الغير الشاكرة ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد - قال عز وجل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الاكثر حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال قال الفضيل عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر -

المطلب العاشر

فما يشترك فيه الصبر والشكر

اعلم ان الله تعالى في كل شيء نعمة يحب عليها الشكر وكذا في كل شيء بلاء

اذالبلاء فقد النعمة ثم ان النعمة اما مطلقة وهى فى الآخرة سعادة العبد بالزول
فى جوار الله وفى الدنيا الايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما - واما مقيدة وهى
نعمة من وجه دون وجه كالفقر والخوف والمرض فانها نعمة ديننا وبلاء فى الدنيا
وكذا البلاء اما مطلق كالكفر والمعاصى واما مقيد كالفقر والمرض كما ذكر
فالشكر للنعم واجب - واما الصبر فعلى البلاء المقيد واما البلاء المطلق فلا يجوز
الصبر عليه بل يجب ازالته مهما امكن وانما الصبر على الم ليس للعبد ازالته مثلا
لو تالم بطول العطش حتى عظم الله لا يصبر عليها بل يزيلها ان قدر - ثم ان النعمة
يجوز أن تصير بلاء وبالعكس ولهذا يمكن ان يجتمع الصبر والشكر فى مادة واحدة
مثلا الفقر نعمة فى حق من اذا استغنى وكثر ماله بطر وطفى مع انه بلاء ايضا
فى نفسه فيشكر من حيث كونه نعمة ويصبر من حيث كونه بلاء - ثم ان المعرفة
التي هى نعمة مطلقة يمكن ان تكون بلاء فى حق بعض الناس فتكون النعمة فى
ضدها مثلا معرفة الانسان اجله بلاء ينغص عيشه ويطيل غمه فيكون جهله به نعمة
وكذلك معرفة احوال قلوب الناس بلاء اذ اورفع الستر لطلال امه وحقده
وحسده واشتغاله بالانتقام بسبب اطلاعه على ما يضره الخلق فيكون الجهل بها
نعمة وكذلك جهله بالخصال الحمودة فى غيره نعمة اذ ربما يضطر الى ايدائه
واهانتة وفعل ذلك بعد المعرفة اثم عظيم - ومنها الجهل بالقيامة وليلة القدر وساعة
الجمعة وبعض الكبار لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد - وهذه
وجوه نعم الله فى الجهل فكيف فى العلم - وإن اخطرت ببالك ان جمع الصبر
والشكر جمع بين الضدين اذ الاول يستلزم الفرح والثانى الشكر (١) وهما ضدان
يجوز جمع الفرح والنعمة من وجهين اذ فى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا
امور خمسة يجب الفرح بها عند العاقل عدم كونها زائدا على ماوقع وعدم كونها
فى الدين وتعجيل عقوبتك فى الدنيا فلا تعاقب فى الآخرة ثانيا كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فأصابته شدة او بلاء فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا -

(١) كذا وفى الاحياء - والصبر على البلاء يستدعى الما والشكر يستدعى فرحا -

وايضا

وايضا هذه العقوبة كانت مكتوبة في ام الكتاب فقد وقعت وانقضت وهذه ايضا نعمة وايضا ان ثوابها في الآخرة اكثر من هذه العقوبة في الدنيا ثم انك بعد ما سمعت فضل البلاء فإياك ان تجوز طلب البلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال سلوا الله العافية فما اعطى عبد افضل من العافية الا اليقين وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن - ونظير ذلك في الاحاديث والآثار اكثر من ان يحصى اما ما صدر من اهل المحبة من طلب البلاء فانما نشأ من فرط المحبة لأن من شرب من كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لاحقيقة لها وكلام العشاق يستلذ سماعه ولكن لا يعول عليه ويحكي ان فاختة قالت لزوجها ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب قصر سليمان ظهرا لبطن لفعلته لأجلك فسمعه سليمان وغابته فقال يابني الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال -

المطلب الحادى عشر

قال بعضهم الصبر افضل من الشكر وقال بعضهم بالعكس وقال آخرون هماسيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال واعلم ان المفهوم من الاحاديث والاخبار والآثار فضيلة الصبر على الشكر لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى وفي ذلك مقنع للناس كافة الا ان اهل التحقيق منهم ربما يكشفون حقيقة الحال بتفصيل ذلك وهو أن العلوم الظاهرة تراد للاحوال والاحوال للاعمال واما العلوم الباطنة فانما تراد الاحوال لاجلها والاعمال لأجل الاحوال فافضل الكل معرفة الله تعالى وانما يتوسل اليها باحوال القلب في تصفيته عن المكدرات ثم الاعمال اما ان تجلب ظلمة القلب وهى المعاصى او صفاءها وهى الطاعات ثم ان المعاصى والطاعات متفاوتة ومختلفة بحسب اختلاف الاحوال مثلاً من غلبه الشح فليس له صوم النافلة بل انحراج درهم واحد له افضل من صوم النافلة وكذا من غلبه شهوة البطن فله الصوم دون انحراج المال، واما ما ورد في الشرع من فضل الصدقة

على الاطلاق وفضل الصوم على الاطلاق فذلك لأنه لو قيل الصدقة لمن ابتلى بمرض الشح والصوم لمن ابتلى بمرض الشهوة البطنية او الفرجية لربما قالت النفس ليس في هذا المرض لان شأن النفس انكار امراضها فيترك معالجتها فتهلك ، انظر الى رحمة الشارع على العباد وحذاقها (١) في معالجة امراض قلوبهم ثم ان الصبر والشكر قد يجتمعان في محل واحد كما بيناه فهناك لا يتصور فضيلة احدهما على الآخر واما اذا تظاهر محلها فان كانت النعمة ضرورية كالعينين مثلا فمن فقدها فصبره بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى - والبصير اما ان يستعملها في طاعة الله تعالى فقد شكر وصبر ايضا على الطاعة وكذا ان كفها عن الحرام فقد شكر (وصبر) ايضا عن الحرام ولا يخفى ان الاعمى فيه فضيلة الصبر فقط وفي البصير المتقى عن الحرام او المستعمل في الطاعة فضيلة الصبر والشكر معا فالبصير المذكور افضل من الاعمى المذكور والاعمى المذكور افضل من البصير الغير الغاض بصره عن الحرام ، وان كانت النعمة غير ضرورية ولم تكن فاضلة على الحاجة ففي الصبر عن الزيادة مجاهدة وهذا الصبر اتم واقوى من صبر الغنى على الاقتصار على المباح ويمسك ماله على الفقراء ، واما الغنى الذي يصرف ماله الى الخيرات ولا يستعملها في المعصية ففيه الشكر والصبر ولا يخفى ان مجموع الامرين افضل من احدهما وان كان صبر الفقير افضل من جهة صبر هذا الغنى ايضا وبالجملة الفقير الصابر افضل من الغنى الصابر فقط ومن الغنى الشاكر فقط وان كان الغنى الصابر الشاكر افضل من الفقير الصابر فقط وما قيل الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر فذلك لعدم انفكاك الشكر عن الصبر وما ورد في الاخبار من فضيلة الصبر على الشكر فانما فضيلته على الشكر بحسب متفاهم عرف العامة وهو أن النعمة عندهم المال فقط والمتبادر من الشكر عندهم قولهم الحمد لله الشكر لله الا ان التفصيل الكاشف للشبهة هو ما ذكرناه والله اعلم -

الاصل الثالث

في الرجاء والخوف وفيه مطالب

المطلب الاول

في حقيقة الرجاء

واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه او محبوب اما وجود في الحال او في الماضي او في المستقبل فاذا خطر ببالك الاول سمي ذكرا واذا خطر الثاني يسمى وجدا او ذوقا او ادراكا وانما سمي وجدا لوجودها في نفسه - واذا خطر الثالث وغلب على قلبك يسمى انتظارا او توقعا ثم ان كان المنتظر مكروها حصل منه الم يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل منه شوق يسمى رجاء ان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه وغرورا ان كان مع انحرام اسبابه واضطرابها وان لم يعلم وجود اسبابها (١) وانتفاؤها يسمى تمنيا - فاسم الرجاء والخوف لا يطلق الا على ما يتردد فيه اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها بل ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه - اذا عرفت هذا فاعلم ان انتظار المغفرة انما سمي رجاء اذا تمهدت بجميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد من بث بذر الايمان وسقيه بماء الطاعات وتطهير القلب من شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى الثبات عليه الى الموت وحسن الخاتمة عند الموت ان كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه وان خالف ما ذكر من الشرائط ثم انتظر المغفرة فانتظاره حق وغرور -

المطلب الثاني

في فضيلة الرجاء - قال الله تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل، انا عند ظن عبدي بي فليظن ماشاء، وقال، لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله، وغير ذلك من الآيات والاخبار والآثار - واعلم ان الرجل اما ان يغلب عليه اليأس فترك العبادة او غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر نفسه فها ما ثلثان الى طرفي الافراط والتفريط فيحتا جان الى دواء - واما العاصي المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة فادوية الرجاء في حقه سموم مهلكة بل لا يبرئه من مرضه الا ادوية الخوف - فمن كان

واعظا ينبغى ان يراعى الامراض المذكورة ويدبر علاجها بحسب الامراض والا
يؤدى الى الاهلاك وعليه ان يقتدى كتاب الله وسنة رسوله حيث اشتملا على
الرجاء والخوف جميعا - وبالحكمة الجمع بينهما هو الوسط وهو الجادة فمن مال عنها
يرد الى الجادة لا الى الطرف الآخر - ثم ان طريق العلاج اما استقراء الآيات
والاخبار وذلك معلوم عند المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على
نفسه قبل ان يخلق الخلق، ان رحمى تغلب غضبى - وفى الحديث، لولم تذنبوا لخلق
الله تعالى خلقا يذنبون فيغفر لهم ، وفى الخبر، ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة
ما خطر قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتناول لما رجا ان تصيبه ونحو ذلك
من الاخبار والآثار - وما اعتبار العقل وذلك ان من اعد للانسان كل ما هو ضرورى
له فى دوام وجوده كالآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالأظفار والاصابع وما هو
زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين ونحو ذلك مما لا ينتمى بفقره
غرض مقصود وانما يفوت به مزيد جمال فما ظلك باعداد ما هو أهم الامور عنده
وغاية النيات وأصل كل السعادات اننى سعادة الآخرة فالعناية الالهية اذا
لم ترض لعباده بعوات امثال هذه فكيف ترضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد واذا
كان حال اكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لاتجدها تبديلا
فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور
رحيم لطيف بعباده متمطف عليهم - وايضا من نظر فى حكمة الشريعة ووجه
الرحمة بها على العباد حتى انزل آية طويلة لبيان المدائنة ليهتدى بها الى حفظ دينه
فمن هداهم طريق حفظ دينهم فكيف لا يحفظ لهم طريق دينهم الذى لا عوض
لهم منه -

المطلب الثالث

فى الخوف

وقد عرفت حقيقته وهى تألم القلب بسبب توقع مكروه فى الاستقبال فالخوف
من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه
مانع

مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد وتارة يكون بهما جميعا فأخوف الناس
 لربه اعرفهم بنفسه وبربه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وقال الله
 تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ثم اذا اكملت المعرفة اورثت حال الخوف
 واحترق القلب ثم يفيض اثره على البدن والجوارح والصفات - اما في البدن
 فالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنفتح به المرارة فيفيض الى
 الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس -
 واما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيد بها بالطاعات - واما في الصفات فيقمع
 الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة وتتأدب الجوارح
 ويحصل في القلب الذل والخشوع ويفارقه العكبر والحسد والحقد بل يصير
 مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة
 والضئيلة بالانفاس والخطوات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات
 وهذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين - واقل درجات الخوف مما يظهر اثره
 في الاعمال ان يمنع من المحظورات ويسمى ورعا فان زادت قوته حتى كف
 عما لا يتيقن حرمة يسمى تقوى وهو ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يزداد
 عليه فيترك الالباس به مخافة ما به بأس فهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد
 في الخدمة بان لا يصرف الى غير الله من المأكل والملبس نفسا من انفاسه بان لا
 يلتفت الى غير الله اصلا فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا والصدق
 يتضمن التقوى والورع والعفة - ثم ان الخوف ليس كلما كان اقوى كان
 احمد قدر ما يسوق العبد الى العلم والعمل - واما ما خرج الى حد اليأس فيسمى
 القنوط لا الخوف وقد يخرج الى المرض والضعف والوله والدهشة وزوال
 العقل بل الموت وكل ذلك مذموم - وايضا الخوف القاصر الذي يعقبه الغفلة
 قليل الجدوى ضعيف النفع كن يسمع آية ويخاف منها ويرق رقة النساء ثم يعود
 الى الغفلة ومثل ذلك يسمى حديث النفس دون الخوف فان قلت من مات من
 الخوف يكون شهيدا فكيف يذم قلت محمودية الشهادة بالاضافة الى ان لو مات

بلا شهادة واما بالاضافة الى ما لو عمر ووصل بواسطة الخوف المحمود درجات
الولاية فكلا بل له في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء - ثم الخوف اما من المكروه
لذاته كنفس النار اوغيره كالموت قبل التوبة اوخوف نقض التوبة وزوال
الركة من القلب اوخوف ان يكله الله الى حسناته اوخوف الاستدراج بتواتر
النعم اوخوف الخاتمة وان كان حال العارفين خوف السابقة لان الخاتمة تبع لها
وهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها طريق الحذر - وايضا الخوف اما
من المعصية وهذا خوف الصالحين او من الله تعالى وهذا خوف الموحدين
والصديقين لان هذا الخوف لا يزول عند الطاعة ايضا لان من عرف ان الطاعة
والمعصية كلاهما بقضاء الله وقدره وانه تعالى خالق هو لاء للجنة ولايبالي وخلق
هو لاء للنار ولايبالي وهو الذى خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة للطيع
وللعاصي ولم يعرف ما الذى اوجب تخصيص هذا بارادة الطاعات وتخصيص ذاك
بتسليط دواعي المعصية عليه ولم يعرف كيفية احالة ذلك على العبد فاذا كانت
الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جنابة ولاوسيلة فالخوف ممن يقضى بما
شاء ويحكم مايريد جزم على كل حال ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لايجوز
افشاؤه - ثم ان الخوائف (١) من نفس المكروه من احوال الموت والقبر واهوال
المطلع والحشر والوقوف بين يدي الله والخوف من السؤال والصراط والميزان
والخوف من الحرمان عن الجنان ونحو ذلك وهذا خوف العابدين والزاهدين
واعلى ما ذكر من المخاوف هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف
العارفين -

المطلب الرابع

اعلم ان فضيلة الخوف ثابتة بالنقل والعقل اما النقل فمن حيث انه تعالى جمع
للخائفين مجامع مقامات اهل الجنان الهدى والرحمة والعلم والرضوان، قل عز وجل
(هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)
فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عز وجل (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى

دبه) وروى ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الفضيل وقيل هو موقوف على الفضيل ؟ من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء ، واما العقل فلأن فضيلة الشيء بقدر اعانته في الافضاء الى سعادة لقاء الله عز وجل ولا شيء انفع في الوصول الى هذه السعادة الا بمحبته تعالى والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل هي الا بدوام الفكر وايضا حصول الانس بالمحبة ودوام الذكر ولا يمكن المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا يتقاع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف فاذا هو أصل لاسباب السعادة وايضا كل ما ورد في مذمة الأمن فهو فضيلة الخوف واعلم ان الناس اختلفوا في ان الافضل غلبة الخوف او غلبة الرجاء او مساواتها ؟ والجواب الحق فيه ان الخوف والرجاء دواء وفضل الدواء بحسب الداء الموجود فان كان الغالب داء الأمن فالخوف افضل في حقه وان كان الغالب هو اليأس فالرجاء افضل ، وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل واما العبد التقى الذي ترك طاهر الاثم وباطنه خفيه وجليه فالاصح له ان يعتدل خوفا ورجاءا ويمكن ان يقال الخوف افضل مطلقا لكن بتأويل ان مرض المعصية والاغتراف في ... (١) غلب في الناس واما ان نظر الى ان مطلع الخوف بحر الغضب ومطلع الرجاء بحر الرحمة يقال الرجاء افضل لأن من نظر الى صفات الرحمة واللطف يعقبه المحبة التي هي منتهى المقامات ولا كذلك النظر الى صفات القهر والغضب ولكن لا تنوهم من ذلك ان الافضل غلبة الرجاء للعبد إذ لا يلزم من فضل الرجاء في نفسه فضيلته للعباد المبتلين بالامراض بل اللائق بهم الخوف لئلا يقعوا في الغرور فيهلكوا اذ الرجاء للعصاة غرور واما الصالحون وان كان ظاهر حالهم الرجاء لكن دقائق الصفات الذميمة الدفينة في القلب وجهالة حال العاقبة يعارض ظاهر احوالهم فيتساوى لهم الخوف والرجاء فالخوف غالب للعصاة والخوف والرجاء متساويان للصالحين ولا يمكن غلبة الرجاء بحال

اصلا الا عند الموت اذ لا حاجة له الى سوط يبعثه على العمل لانقطاع احتمال العمل عنه وايضا لا يطبق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته فاذا يضره دواء الخوف بل الدواء له الرجاء فانه يقوى قلبه ويحبب اليه ربه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه لأن غاية السعادة ان يموت العبد وهو محب لله تعالى -

المطلب الخامس

في دواء يستجلب الخوف

واعلم ان اول مقامات الدين اليقين وهذا يهيج خوف النار ورجاء الجنة وهما يقويان على الصبر فان الجنة حفت بالمكارة فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ثم يؤدى الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات ثم ان الخوف يحصل بطريقتين اضعفها الخوف من النار ورجاء الجنة بالايان التقليدى ولا يدرك وجه الخوف والرجاء واعلاهما ان يخاف البعد والحجاب عن الله عز وجل ويرجو القرب منه وهذا الخوف هو خوف العلماء وارباب القلوب - وقد تقدم كيفية الخوف من الله تعالى بان الله سبحانه خلق للعذاب اسبابا وللثواب اسبابا وخلق لكل اهلا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الالهى الى ما خلقوا له وسخر والاسبابها شأوا ام ابوا فهذه مخاوف العارفين بسر القدر وكان خوف نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من غيره وهو سيد الاولين والآخرين - وايضا حكايات الصحابة في باب الخوف المذكورة في كتب المناقب حتى ان بعضا منهم صاح صيحة ومرض عدة وبعضا منهم شفق شهقة حتى مات ثم ان اكثر خوف السارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عن ذلك فهو نفاق اذ قيل من امن النفاق فهو

فهو منافق - اما سوء الخاتمة فلها رتبتان احدهما وهى الاصل وهو اعظمها ان يغلب على القلب عند سكرات الموت اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في تلك الحال فيكون حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد وثانيهما ان يغلب عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها ويستغرق قلبه ولا يبقى متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها فيحصل له الحجاب فينزل عليه العذاب اذ لا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الاباعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فلا مطمع في عمل ولا في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عارضت له عند الموت فان كان ايمانه قويا يخرج من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه وان كان مثقال حبة فلا بد أن يخرج له ولو بعد آلاف سنين ثم ان هذا العذاب لا يؤخر الى الحشر بل يعذب في القبر بما هو مذكور في الاخبار ثم في الحشر وعند السؤال وعند الصراط الى غير ذلك - واما محل الايمان فهو الروح لا يفنى فيعاد اليه الاجزاء الاصلية للبدن ثم يحشر ويعذب الى ان يغلب حكم الايمان - ثم انهم حصروا اسباب سوء الخاتمة في نوعين احدهما الختم على الشك والجحود وان كانت اعماله صالحة وذلك نوعان احدهما اما بان يعتقد بدعة اما بعقله القاصر واما بتقليد مبتدع فاذا وقع سكرات الموت بدا له بطلان اعتقاده وربما ظن ان جميع عقائده باطلة او مشكوك فيها فان ختم قبل ان يتثبت ويعود الى اصل الايمان ختم بالسوء العياذ بالله - ولهذا منع السلف من البحث والنظر في علم الكلام والبله بمعزل عن هذا الخطر ولهذا قيل ان اكثر اهل الجنة البله لان البحث عن الصفات عظيم وعقباها كؤودة ومسالكها وعرة والعقول من درك جلال الله متحيرة - وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة سيما في هذا الزمان

قد استرعى العمان وفشا الهذيان واكتفى كل احد بظن وحسبان ويعتقد أن ذلك علم واستيقان وانه صفوا الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين هو علم اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين - وينبغي ان يمشد في هؤلاء عند كشف الغطاء قول الشاعر -

احسنت طبعك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسا لمتك الليالى واغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وثانيها ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب اذ يورث ذلك الابهالك فى الشهوات حتى يظلم القلب ويسود ويفسو ولا يزال يطفى نور الايمان حتى يصير طبعاً ورماً فاداء الموت واستشعر فراق الدنيا وهى المحبوب الاغلب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بالنكار ما قدر عليه من الموت وكرهته من حيث انه من الله فيخشى ان يثور من باطنه بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً فالسبب فى ذلك حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة وهو الداء العضال الذى عم أصناف الخلق من الجهال -

النوع الثانى

من انواع سوء الخاتمة التى هى دون الاول ولست مقتضية للخلود فى المار فاما ايضا سببان احدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لأن القلب الى ما لوفه اميل فان كان ما لوفه المعاصى يتقيد بذلك ويصير محجوباً عن الله تعالى وهذا الميل يتفاوت بقله المعاصى وكثرتها وتواتر المعاصى ساعة فساعة وبصلتها بزمان كثير - وقد ظهر لك بهذا ان الأ من سوء الخاتمة بان يرى الاشياء كما هى عليه من غير جهل ويزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية ومع ذلك فاعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج الروح فان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر وشكل جدا فاشغل بالاستعداد لذلك وواظب على ذكر الله وأخرج من قلبك

حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز
 من مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك واياك ان تسوف وتقول سأستعد
 له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس خاتمتك يمكن ان تحتطف فيه روحك فراقب
 قلبك في كل تطريفة واذا نمت فاياك ان تمام الاعلى طهارة الظاهر والباطن وان
 يغلبك النوم الابد غلبة ذكر الله على قلبك است اقول على لسانك فان حركة اللسان
 يحجردها ضعيفة الاثر واعلم انه لا يغلب على قلبك عند النوم الا ما كان غالباً قبله
 ولا يغلب في النوم الا ما كان غالباً عمده فالموت والبعث سببه النوم واليقظة
 ولا يموت المرء الاعلى ما عاش عليه ولا يخسر الاعلى ما مات عليه فاياك ان تعفل
 عن الله طرفه عين وانت اذا لم تعمل عنه ساعة ففي خطر عظيم فكيف اذا عففت
 عنه يوماً او اياماً ولا يمكن ذلك الا بان تكتمنى من الدنيا بقدر الضرورة وتترك
 الفضول من المأكول والملابس والمسكن نسأل الله ان يتوب علينا ويحکم لما
 بالخير ويقيها سوء الخاتمة انه كريم رحيم -

الاصل الرابع

في الفقر والرهـد وفيه مطالب

المطلب الاول

في حقيقة الفقر

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه واداء فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى
 فقراً وان كان المحتاج اليه مقدوراً عليه ووجود ما يكن المحتاج فقيراً واذا فهمت
 هذا لم تشك في ان كل وجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج اليه في دوام
 الوجود في ثانی الحال (والله الغني وانتم الفقراء) الا ان المبحوث عنه في هذا
 الباب هو الفقر في المال - واعلم ان فاقة المال له خمسة احوال احدها الزهد وهو أن
 يتأذى بوجود المال ويهرب من اخذه يبتغضه ويتحز من شغله وثانيها الرضاء
 لا يفرح بمحصله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ولكن يزيد فيه لو اتاه وثالثها

القناعة وهى ان لا ينهض لطلبه وان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به - ورابعها
الحرص وهو ان يرغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه لطلبه ولو بالتعب
خامسها الاضطراب وهو ان يكون مضطرا الى ما فقدته من المال كالجائع الفاقد
للخبز وقلمها ينفك هذا عن الرغبة اما الضعيفة او القوية - واعلى هذه الدرجات
الزهد سيما اذا انضم اليه الاضطراب فهو اقصى الدرجات ووراء هذه الدرجات
مرتبة اعلى من جميعها ويخص باسم المستغنى وهو الغنى عن دخول المال فى يده
وعن بقاءه فى يده وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به ليجتاح الى انحراجه
وليس يفرح به ليجتاح الى بقاءه وليس فاقد له ليجتاح الى الدخول فى يده فهو
الى الغنى الذى هو وصف الله تعالى اقرب ولانسميه غنيا بل مستغنيا اذ الغنى المطلق
هو الغنى عن كل شئ وهو يخص بالله سبحانه وتعالى واما هذا العبد فاما يستغنى
عن المال وجودا وعدما ، لاعتن اشياء اخر سيما توفيق الله الذى زين هذا فى
قلبه وهكذا كانت حال عائشة رضى الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من
العتاء فآخذتها وفرقتها فى يومها فقالت لها خادمتها لو اشتريت لنا لحما بدرهم
فقالت لو ذكرتنى لفعلت - فمن هذا حاله لو كانت الدنيا فى يده وخرأنته لم تضره
اذ هو يرى الاموال فى خزائن الله لافى يدينفسه فلا يفرق بين ان يكون فى يدينفسه
او فى يد غيره الا انه ينبغى ان لا ينظر الى الدنيا اصلا لابتظر المحبة وذلك ظاهر
اذ لا يجتمع فى القلب محبتان ولا ينظر البغض لأن ذلك ايضا التفات عن المحبوب الى
غيره بل الكمال ان لا يلتفت الى غيره بغضا وحبافانه كما لا يجتمع حبان فى قلب واحد
كذلك لا يجتمع حب وبغض اذا لمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول
بمحبة وانما الفرق ان الغافل بمحبة سالك طريق البعد والغافل ببغضها سالك
طريق القرب اذ يمكن ان يتوسل بذلك الى ان تبدل هذه الغفلة بالشهود وانما
الكمال فى امر المال ان يستوى عندك الماء والمال اذ لا يزد ذيك كثرة الماء فى جوارك
بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته الا فى قدر الضرورة مع ان المال محتاج اليه
كما لا يمكن قلبك مشغولا بالفراغ عن جوار الماء وبغض الماء الكثير بل تقول
أشرب

أشرب منه بقدر حاجتي وأسقى منه عباد الله بقدر حاجتهم ولا أنجل به على أحد -
 وإذا عرفت الله عز وجل ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر
 حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء وانت
 لا تضطرب للماء فلائى شيء تضطرب للقوت مع أن المدبر في كليهما واحد - ثم
 أنك لعلمك تقول أن مذمة الدنيا في الآيات والاخبار توجب البغض والفرار لمن
 يخاف عليه أن يخذله المال ويدعوه الى الشهوات كما هو حال الضعفاء وهم
 الاكثرون والا فلا قوياء لا يلزمهم الفرار ولا يجب عليهم البغض فمن يكون
 اقوى من النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهم فأخذوها ووضعوها
 في مواضعها وما هربوا منها ولم يكن عندهم حبها ولا الاشتغال ببغضها وانما
 استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل من الفرار عن الاقوياء
 فانما ذلك لئلا يقتدى في الاخذ الضعفاء فيهلكوا - فظهر مما سبق ان المراتب ست
 وان اعلاها المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الخريص - واما المضطر
 فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته مختلفة باختلاف هذه
 الاحوال -

المطلب الثاني

في فضيلة الفقر

اما بالآيات والاخبار فاكثر من ان يحصى - واما فضيلته على الغنى مطلقا
 فقد لا يستريب في ذلك احد ممن قرأ الاخبار والآثار لكن لا بد فيه من تفصيل وهو
 ان الشك ههنا في مقامين احدهما فقير صابر قانع وغنى منفق ماله في الخيرات ليس
 حريصا على امساك ماله - واما الغنى المتمتع بالمباحات فلا يتصور أن يفضل على
 الفقير القانع اصلا - ثم الناس اختلفوا وقال بعضهم ان الغنى افضل لأنهما متساويان
 في ضعف الحرص ويفضل الغنى بالخيرات - وقال آخرون الفقير افضل لأنهم
 لا يتفكرون في القدرة على المال عن اتس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة
 في بذلها والعبد بقدر استغنائه بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش

من الله ومن حبه ، مهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجا في القلب عن الدنيا وزهرتها الى محبة الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله عز وجل وغيره فيكون اقبال القلب الى احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بحسب بعده عن الآخر - فاذا المانع عن محبة الله تعالى هو محبة الدنيا والمحبة قد تكون مع وجودها كما في محبة الغنى الدنيا وقد تكون مع فقدها كما في محبة الفقير الدنيا فاذا الفقر قد يكون من الشواغل اذ قد يطلبها ويستغل بطاها كما ان الغنى من الشواغل لأجل طلبها - فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال احدهما فاقد والآخر واجد فهما متساويان اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة الا ان هذا المفروض نادر في الوجود - وانما الاكثر امتنان الفقر بالضراء والغنى بالسراء - فقد ذكر المحققون ان الفقراء بعد عن الخطر اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء وقالوا ان من العصمة ان لا يقدر ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك الغاذ المادر زجر عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه - فاذا عرفت ان الفضل بينهما بحسب تعلق القلب بالمال وعدمه حتى ان تساويا فيه تساوت درجاتهما - فاعلم ان ههنا منزلة قدم وموضع عرور وهو أن الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن حب المال ويكون حبه ذفيا في باطنه وهو لا يشعر به فليجرب نفسه بتفريقه او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفتا فليعلم انه كان مغرورا وهذا حال كل الاغنياء سوى الانبياء والاولياء فظهر منه ان الفقراء اصاح الكفاة الخلق وافضل ولهذا ورد فضل الفقر في الاخبار والآثار وكلمات المشايخ -

المقام الثاني في نسبة الفقير الحريص الى الغنى الحريص فان كان مطلوبا قدر الحاجة في ان يستعين بذلك على طريق الدين فما ل الواجد افضل لان الفقد يشغله بالطلب وان كان مطلوبا فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على طريق الدين لحالة الفقر افضل واصلاح لأنها وان استويا في الحرص وحب المال وفي عدم الاستعانة على الدين وفي عدم التعرض للعاصي بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن

ويطمئن الى الدنيا والفاقد المُنْطَطر يتجأ في قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي ينبغي الخلاص منه وانس الواجد اكثر من انس الفاقد وان كان حريصا فاذا الفقر هو الا شرف والافضل والاصح لكافة الخلق الابطل عائشة رضى الله عنها حيث استوى عندها الغنى والعدم والالفقر عن مقدار الضرورة وان ذلك يكاد أن يكون كفرا -

المطلب الثالث

في آداب الفقير في فقره

أما باطما فإن لا يكره الفقر من حيث انه فعل الله وان كان يكره الفقير كمن يكره الجحامة ويتقلد على الجحام منة على فعلة وارفع من هذا ان لا يكره الفقير ايضا وارفع منه ان يطلبه ويفرح به لعلمه بغوائل الغنى ويتوكل في باطنه على الله واثقا في قدر ضرورته وأنه يأتيه لا محالة ويكره الزيادة على الكفاف ، وأما طاهرا فإن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستتر أنه يستره - قال تعالى (يحسبهم الجاهل اعمياء من التعفف) وأن لا يتواضع لغنى لغناه بل يتكبر عليه ولا يخاطب الا اعمياء ولا يسكت عن ذكر الحق مداهمة للاغنياء وطمعا في العطاء وأن لا يقترب بسبب فقره عن عبادته ولا يجمع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وهو افضل من صدقة عن طهر غنى وأن لا يدخر ما لا بل يأخذ قدر الحاجة وبخروج الباقي ، وفي الادحار ثلاث درجات الصديقين ان لا يدخر الا ليومه وليلته ودرجة المتقين وهي ان يدخر لا ربعين يوما وما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهموا ذلك من ميعاد موسى عليه السلام حيث فهموا الرخصة في امل اصل الحياة اربعين يوما ، ودرجة الصالحين وهو أن يدخر لسنة ومن زاد في الادخار على السنة فهو واقع في نعمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ، واما آدابه في قبول المال بغير سؤال فاما في نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات واما في المعطى فان كان عرضة تطيب قلبه وهي الهدية او طلب الثواب وهي الصدقة او الزكاة او الصدقة والرئاء والسمة ، اما مجردا او مزمجا ببقية

الاغراض ، اما الهدية فلا بأس بقبولها فان ذلك سنة الا ان يكون فيها اوفى بعضها منة فيترك ذلك او قدر ما فيه منة ، واما الثواب فان كان زكاة فليُنظر أنه مستحق لذلك ام لا وفيه شبهة وقد مر احكامه في كتاب الزكاة وان كان صدقة ويعطيها المتصدق لدينه فليُنظر أن فيه امر خفي لو علمه المتصدق لنفر عنه فهذا احرام اخذه ، واما الرئاء والسمة فينبغي ان يرد عليه - واما آدابه في الاخذ فبان ينظر أنه محتاج اليه فالافضل له الاخذ ان سلم من الآفات المذكورة في المعطى اوزائد على قدر حاجته فان كان الآخذ مشغلا بنفسه فلا وجه لأخذه وامساكه ان كان طالبا لطريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى ، ثم هو إما ان يأخذ علانية ويرد سرا وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيق الامن اطمانت نفسه بالرياضة واما ان يترك ولا يأخذ لصرفه صاحبه الى من هو احق منه ويأخذ ويوصله الى من هو احوج منه ثم هو إما ان يفعل كلاهما (١) في السرا وفي العلانية وقد ذكرنا الافضل من هذه الاقسام في كتاب اسرار الزكاة ، فالامتناع عن القبول هو الزهد واخذه وصرفه الى محتاج هو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون ، واما ان تعهدت جماعة من الفقراء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادربه الى الصرف اليهم ولا تمسكه ولوليمة واحدة اذ ربما تستحليه فتمسكه اذ ما نا كثيرة الى ان تؤدي الى فنة عظيمة ، وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة وتوسلوا بها الى التنعم في المطاعم والمشارب وذلك هو الهلاك ويجوز لهم الاستقراض للفقراء طالبا للثواب لكن لا على اعتماد اموال السلاطين الظلمة بل على حسن الظن بالله تعالى فان مات قبل القضاء قضى عنه وارضى غرماءه ولكن بشرط ان يكشف حاله عند المقرض لئلا يفره ويخذه بالمواعيد ودين مثل هذا الرجل يجب ان يقضى من بيت المال او من الزكوات -

المطلب الرابع

في تحريم السؤال من غير ضرورة

وقد وردت الاخبار في تحريمه وجوازه والتوفيق بينهما انه حرام في الاصل

مباح للضرورة او لأمر قريب منها - اما حرمة فلامور ، اظهار الشكوى من الله تعالى بالسؤال لأنه اظهار نقصور نعمه الله تعالى عنه وايضا هو اذلال النفس لغير الله وليس للؤمن ان يذل نفسه وذلك في الذلة لغير مولاه واما هي فعزة حقيقة وايضا فيه ايداء المسئول غالبا وهو حرام اذ ربما لا تسمح نفسه بما يبذل له عن طيبة قلب وان بذله رياء او حياء فأخذه حرام عليه واما وجه اباحتها اما اضطرار كسؤال الجائع الخائف عن الموت او المريض وسؤال العارى ونيس معه ما يوارى بدنه واما احتياجه حاجة مهمة لا تبلغ حد الاضطرار كمن له جبة لكنه يتأذى بالبرد وكن يريد الكراء وهو قادر على المشى لكن بتعب وهذا المحتاج يحل له السؤال ايضا ولا يكره واما الحاجة الخفيفة كمن يريد ثوبا على ثيابه يريد ستره وحقها عن أعين الناس وكن يسأل الرجل الادم وله خبز وكن يكثرى الفرس وهو واحد كراء حمار وهذه ان اظهر حاجة غير هذه فهو حرام والا فالسؤال مباح مع الكراهة بشرط ان لا يصحبه المحذورات الثلاث من الشكوى او الدل او الايداء وان صحبه هذه الامور فيحرم لأن المصلحة المذكورة لا يباح بها هذه المحذورات فان قلت هل يمكن الخلو عن هذه المحذورات؟ قلت يمكن اما عن الشكوى بان يظهر الشكر لله ويقول انا مستغن حقيقة لكن دعونة النفس تطالبني بثوب فوق ثيابي هذه وهو فضلة عن الحاجة واما الدل فبان يسأل قريبه او صديقه او كريما يفرح بمثل هذا ويتقلد منة لقبوله واما الايداء فبان يلقى الكلام عرضا او يسأل من لا يستحي فان الحياء مما يؤذى حتى ان علم انه اعطاه لاجل الحياء فذلك المال حرام بل بمنزلة الاخذ بالضرب لأن سوء الباطن الحياء وخوف الملام وهذا استد نكايه من ضرب الظاهر بالسياط ورضا الظاهر وان كان عذرا في القضاء لعدم امكان الاطلاع على البواطن واما الذي يكون القلوب عنده كالالسمة وهو احكم الحاكمين فلا يفيد الظاهر عنده شيئا ويجب رده على صاحبه عنده فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك ولكن (١) حال القلب خفيا تورع عن السؤال المتقون الا اذا بلغ حدا يحل فيه التحذير والميتة - ومنهم من يثق

بيصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فيأخذون من بعض دون بعض ومنهم من لا يأخذ الا من اصدقائه او عند بلوغ الحال حدا لا يضطرار وبالجمله الاخذ بالرضا بأن يعلم ان المسؤل لو علم لا يتدأ بالعطاء فلا يكون منك الا اعلام حاجتك فهو حلال والأخذ بالحياء حرام وبينهما امور مشتبهات فاستفت فيما قلبك واعلم ان مقدار الغنى المحرم للسؤال يتوقف على تفصيل وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى عورته وبیت يكنه فما زاد فهو حساب هذه اجناسها - واما اقدارها فالثوب مثلاً راعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس وكذا اثاث البيت لا يطلب كون الاواني من النحاس والصفير فيما يكفى فيه الخزف فيقتصر العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدرة في اليوم مدو هو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعر ، والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فأقله ما يحزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة ثم هذه الامور ما يحتاج اليه حقيقة ثم الحاجة اليها اما في الحال من طعام يوم وليلة او ثوب يلبسه او مأوى يكنه فلا شك في حل السؤال له - واما في المستقبل فثلاث درجات اما ما يحتاج اليه في عدا وبعد اربعين يوماً او خمسين او بعد سنة فالسائل الذي له ولعياله قوت سنة فسؤاله حرام لان ذلك غاية الغنى واما مادون السنة فلا يحل له السؤال ان كان غنيا في الحال الا ان يحاف فوت الفرصة في الاستقبال بأن لا يجد من يعطيه اذا انحرلأن البقاء سنة ممكن عادة وان كانت خوف العجز في المستقبل ضعيفا وكان مالا جلله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهة وبالحقيقة جانب ترك السؤال اعلى لأن السؤال من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وحال من يسأل الحاجة وراء يومه وحال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة سيان في كونها حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وان كانا مباشرين في الفتوى الظاهرة والله اعلم -

المطلب الخامس

في حقيقة الزهد وفضيلته

وهو انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبلاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا ، فلا بد في الزهد من مرعوب عنه ومرغوب فيه ويشترط ان يكون المرغوب عنه مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك التراب والحجر مثلا لا يسمى زاهدا ويشترط ان يكون المرعوب فيه خيرا من المرعوب عنه عمده فالمشتري خير من المبيع عنده فكل من باع الدنيا بالآخرة وبالعكس فهو زاهد في وضع اللسان الا ان العرف جرى بتخصيصه بالاول والذي يرعب عن كل ما سوى الله فهو زاهد مطلق والذي يرعب عن الدنيا بل طمع في الحور والقصور فهو زاهد ايضا ولكنه دون الاول والذي يترك بعضا من حظوظ الدنيا كن يترك المال دون الجاه فلا يستحق اسم الزهد مطلقا وان جاز اطلاقه عليه كما ان اطلاق التوبة على من يتوب عن بعض المعاصي وان كانت توبة لكن التائب مطلقا من يترك كلها ثم ان المقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا بل العرف خصه بترك المباحات فظهر من هذا كله ان الزهد رغبة عن الدنيا الى الآخرة وعن غير الله الى الله عز وجل وهي الدرجة العليا ثم انه يشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه كما يشترط في المرعوب فيه ان يكون خيرا عنده ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اتاه الدنيا راعمة فتركها واما انافيا ذا زهدت ؟ هذا الذي ذكرناه هو الحال المسمى بالزهد وان هناك علما مثمرا لهذه الحال وعملا يثمره الحال اما العلم فهو معرفة كون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ ولا شك ان ما عند الله باق وان الآخرة هي خير وابقى وهذه المعرفة وان كانت كافية في نفسها في كونها مثمرة للزهد لكن قد لا تثمره واه الضعف عمله وبقية (١) اولاستيلاء الدنيا والشهوة عليه في الحال بكونه مقهورا في يد الشيطان واما لا عتراره بالتسوية يوما فيوما ، واما العمل الصادر عن الزهد

فهو ترك واخذ واستبدال للذى خير بالذى هو اذنى ، واما اذا لم تقدر على الدنيا لم يتصور منك الزهد لان الترك بعد القدرة الا ان الشيطان ربما يخيل اليك انك زاهد وتارك للدنيا اذا اتاك وهذا غرور باطل فلا تثق بالقدرة قبل التجربة ، ثم ان الزهد تركها لحقاتها لا لأجل السخاء واستمالة القلوب وعلى سبيل الطمع لأن هذه من محاسن العادات ولا مدخل لها فى العبادات بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاءه وقبح اسم وفوات حظ آخر للنفس فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون مشركا فى حب الله او تركها طمعا فى ثواب الآخرة فترك التمتع بملاذ الدنيا طمعا فى طيبات الجنة لئلا يقال له (اذهبتم طيباتكم فى حيوئكم الدنيا) الآية ، واما فضيلة الزهد فذكره فى الآيات والاخبار والآثار لا يحتاج الى تفصيلها بل كل فطرة سليمة نحكم بفضيلتها اذا خليت ونفسها -

المطلب السادس

فى درجات الزهد وأقسامه

اما درجاته فثلاث السفل منها للترهدين وهو ان يزهد فى الدنيا وقلبه مشته لها ولكنه يجاهد ها ويكفها وهذا على خطر اذ ربما تغلبه نفسه فيستريح اليها فى قليل او كثير والعليا منها ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا والدنيا بالاضافة الى الآخرة اخس من الخنفساء بالاضافة الى الجومرة ومثل ذلك بان القى لقمة الى كلب منعه عن الدخول الى باب الملك وشغله بها ودخل وبال القرب عنده والدنيا اقل من لقمة عند الله فكيف لا تلقىها الى شيطان يمنعك عن القرب الى الله تعالى - واما الدرجة الوسطى فهي ان يرى الدنيا شيئا ولكن يحتقرها بالاضافة الى الآخرة ويتركها لاجلها كالذى يترك الدرهم لدرهين وان كان منتظرا انتظارا قليلا وهذا الزاهد يرى زهده ويلتفت اليه ويظن نفسه انه ترك ماله قدر ما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان - ثم ان للزهد درجات ثلاث بالاضافة الى المرغوب فيه ايضا - الاولى وهو السفل ان يكون المرغوب فيه النجاة

النجاة من النار وساير الاهوال وهذا زهد الخائفين - والثانية ان يرغب في الثواب والنعيم وهذا زهد الراجين - الثالثة وهى العليا ان يرغب في الله تعالى وفي لقائه ولا يلتفت الى الآلام ليقصد الخلاص منها الا الى اللذات ليقصد نيلها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى اصبح وهمهم واحد وهو الموحد الذى لا يطلب غير الله وهذا زهد المحبين والمارفين - واما اقسامه باعتبار المربوب عنه فاربعة احدها ان يزهد عن كل ما سوى الله حتى عن نفسه، وثانيها ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة من الشهوة والغضب والكبر والجاه ونحوها، وثالثها ان يزهد في المال والجاه واسبابها لانها مرجع جميع الخطوط، ورابعها ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم لان الدينار والدرهم يجمع جميع الاموال وهذا اجمال وتفصيله مما يفوتها الحصر وقد ذكر الله تعالى سبعة منها في آية واحدة فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا) ثم ردها الى خمسة في آية اخرى فقال (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) ثم ردها الى اثنين في آية اخرى فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) ثم رد ذلك كله الى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى) لأن الهوى يجمع الكل - ولا يذهب عليك ان لاختلاف بين هذه التفصيل بل البعض داخل في البعض ولذلك اختلفت فيه عبارات السلف اذ كل منهم ذكر ما عنده في الحال ولا اجمع مما ذكره ابوسليمان الداراني اذ قال ان زهد ترك كل شغل يشغلك عن الله تعالى - واما اقسام الزهد بالاضافة الى احكامه اما فرض وهو الزهد في الحرام او نفل وهو الزهد في الحلال او سلامة وهو الزهد في الشبهات - واما درجات الزهد ظاهرة او باطنة فلا حصر لها واعلاها زهد عيسى عليه السلام حيث ترك حجرا تحت رأسه وزهد يحيى عليه السلام حيث لبس مسوحا تنقب منها جلده وجلس اويس رضى الله عنه في قوصرة للعري - وقال قوم الزهد لا يكون الا في الحلال ولم يبق حلال

في اموال (١) فلا يتصور الزهد في الخفائل - فان قلت كيف يتصور الزهد مع انك تأكل وتشرب وتلبس وتخالط الناس؟ قلت الغرض من الزهد الانصراف الى الله بكل القلب فلا استعانة بالامور المذكورة للعبادة ليس اشتغالا بغير الله - فان قلت تتلذذ بها؟ قلت التلذذ لا يضر إن كان قصدك الاستعانة للعبادة دون التلذذ بالامور المذكورة -

المطلب السابع

في تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها

اعلم ان قدر الحاجة ستة امور - الاول المطعم وله طول وعرض فلا بد من قصرها حتى يتم به الزهد اما طوله بخمسة العمر وقصره دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ولا يدخر اصلا وهي الدرجة العليا وان يدخر لشهر او لاربعةين يوما وهذه اوسطها او يدخر لسنة فقط وهذه اضعفها وليس وراء السنة شيء من مراتب الزهد - واما عرضه فبالمقدار واقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطها رطل واعلاها مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين وما وراء ذلك اشباع البطن - واما بالجنس فأقله كل ما يقوت ولو اخبز من الخالة واوسطها خبز الشعير والذرة واعلاها خبز البر غير منخول والمنخول والحواري من التنعم - واما الادم فأقله الملح والبقل والخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اى دهن كان واعلاها اللحم اى لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فاذا صار دائما واكثر من مرتين دخل في التنعم - واما بالاضافة الى الوقت في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل اوى كل ليلة ولا يشرب واعلاه ان يطوى ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه - الثاني من الامور الستة الملبس واقل درجاته ما يدفع الحرو البرد ويستريح العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان - واعلاه يكون معه منديل وسراويل وما زاد عليه فهو خارج عن الزهد ويشترط ان لا يجد آخر اذا غسل واحدا منها فلا يكون صاحب قميصين ومنديلين - اما الجنس فأقله

المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ - واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما كرفع الثوب بورق الشجر واوسطه ما يتما سك عليه شهرا او ما يقاربه - الثالث منها المسكن اعلاها ان لا يطلب لنفسه موضعا خاصا ويقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة - واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبنى من سعف او خوص ونحو ذلك - وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة - واما التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد ، واختلاف جنسه بالحصى او الطين او القصب واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستأجرا او مستعارا - الرابع منها اثاث البيت واثقل درجاته الخرز ولا يبالي ان يكون مكسور الطرف اذا حصل به المقصود وكان عيسى عليه السلام يصحبه مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب بكفيه فرمى الكوز - واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة بان يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد مثل ان يشرب من قصعة ويأكل الثريد منها ويحفظ المتاع فيها - واعلاها ان يكون له آلة بعدد كل حاجة من الجنس الخميس النازل - الخامس المنكح وذلك يختلف باختلاف الاحوال والاصل الاشتغال عن الله تعالى فمنهم من تشغله المرأة عن الله تعالى فيتركها ومنهم من يشغله العزوبة فيتزوج ومنهم من لا يشغله اكثر من واحد فيجوز له كما فعله خير الزاهدين نبينا صلى الله عليه وسلم - وكان على كرم الله وجهه ازهد الاصحاب وكان له اربع نسوة بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها وبضع عشرة سرية - السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو الكمال والجاه وقيل لابد من قدر جاء لينتفع به في عبادته كالجاه عند خادمه واقاربه وغير ذلك وليتمكن به من دفع مضاره الا ان الحق ان طلب الجاه هافية لا قهر لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بل الاشتغال بالدين والعبادة يمهده من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين ، واما التوهات والتقديرية المحوجة

الى زيادة في الجاه فهي اوهام كاذبة -

الاصل الخامس

في التوكل وفيه مطالب

المطلب الاول

ولا يخفى عليك فضيلة التوكل سيما من تتبع الآيات والا حاديث كقوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله عز وجل (ان الله يحب المتوكلين) واعظم بمقام موسوم بحجة تعالى صاحبه ومضمون بكفايته وجاء في الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغد ونحاصا وتروح بطانا - وفي الاحاديث كثرة يعرفها اهلها وكذا الآثار في حق التوكل - واما حقيقته فلا يذهب عليك ان التوكل حال ينبعث من علم ثم يثمر عملا اما العلم فهو التوحيد الذي هو اصل الايمان الذي ترجمته قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدر اعنى قولك له الملك وبالجود والحكمة وهو قولك وله الحمد - ثم ان اصل التوحيد من علم المكاشفة ولما كان بعضها يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها وجب التعرض له قدر ما يتوقف عليه علم المعاملة والا فهو لبحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول مراتب التوحيد اربع لب ولب اللب وقشر وقشر القشر فالمرتبة الاولى قول الانسان لا اله الا الله بلسانه وقلبه عنه غافل او جاحد وحكمه انه موحد بحجر داللسان ويعصمه في الدنيا عن السيف والسنان والثانية ان يصدق بقلبه معنى اللفظ وهو لا اعتقاد وهذا حال عموم المسلمين ليس فيه انشراح وانفساح وحكمه انه يحفظه في الآخرة عن عقاب ان توفي عليه ولم يضعف بالمعاصي عقدتها وتحليلها بالقصد يسمى بدعة وصاحبه مبتدعا وقصد احكامها وشدتها يسمى كلاما وصاحبه متكلمها والثالث موحد بمعنى لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف الحق على ما هو عليه ذ لا فاعل بالحقيقة الا واحد الرابعة موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد لا يرى الكل الا من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول

كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالسفل منه والثالث كاللب منه والرابع كلب اللب منه وهو الدهن من الجوز فان قلت كيف يمكن مشاهدة هذه الكثرة واحدا وهى كثيرة فى نفسها فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفة التى قال العارفون لعسرها ونموضها وبعدها عن مدارك الخلق افشاء سر الربوبية كفر فلا يجوز أن تسطر فى كتاب الا قدر سورة استبعادك بان تلاحظ الانسان مع كثرتها من حيث بدنها وروحها وقواها (١) الظاهرة والباطنة له جهة واحدة هى الانسانية فلاتنا فى بين هاتين الجهتين وهذا المثل لأجل التنبيه على مجرد عدم التنا فى بين الجهتين لانه يطابق المثل من كل وجه فعليك ان تصدق بهذه الحالة وان لم تكن تشاهدها والمشاهدة ايضا لاتدوم لاهلها بل تظهر كابرق الخاطف والدوام نادر عزيز الوجود ولما كان الرتبة الرابعة بعيدا عن الافهام لاجرم بينا التوكل على الرتبة الثالثة ولنذكر منها قدر ما يرتبط التوكل به وهو أنه اذا انفتحت لك ابواب المشاهدة يتضح عندك ان لافاعل الا الله وان كل فعل من التخليق والترزيق والميع والاعطاء والاحياء والاماتة وغير ذلك كلها من ابداع فاعل واحد واختراعه وهو الله تعالى لاشريك له فيها وما سواه مسخرون تحت قدرته لا استقلال لهم اصلا فى ملكوت السموات والارض ولو بتحرك ذرة فعند معرفة هذا الامر لم تنظر غيره بل يصير اليه خوفك ورجاؤك وثقتك واتكالك وانما يصدك الشيطان عن هذا فى مقامين احدهما الالتفات الى الجهادات كاشتراط الغيم فى المطراى بان يؤثر فيه وهذا شرك فى التوحيد وجهل بحقائق الامور بل المؤثر واحد لا غير وثانيهما الالتفات الى اختيار الحيوانات بان هذا الشخص يقدر ان يعطى رزقك ويمنعه ايضا وعند هذا زل اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لاسلطان عليهم للشيطان ومن لم يشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل والذين يسمعون من كل ذرة فى السموات والارض تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذائق يتكلم بلا حرف ولا صوت ولا بالسمع الظاهر الذى

يشار كك فيها الحمار بل سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا جمعي يشهدون ويشاهدون من كل شيء بالعجز وان لا قدرة الا من مبدع الكل وخالقها وان لم يسمعه ولم يشاهده الذين هم عن السمع معزولون وكيفية المناجاة مع الجمادات في السر أمر لا يمكن كشفها اما لأن افشاء السر غير جائز اذ صدور الاحرار قبور الاسرار اولعدم تناهي تلك الكلمات عن حد الحصر والنهاية و (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي) ومثال ذلك ان سائلا سأل عن الكاغد ما بال وجهك اسود وقد كان ابيض قال ما فعلته عن نفسي سأل عن ذلك الخبر ذلك فانه سود وجهي قهرا وعدوانا قال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال كنت ساكنا في المحبرة وهو وطني عازما ان لا افارقها فاعتدى على القلم وفرق شملي وبددني على صفحات اوراق فاسؤال عليه لاعلى قال صدقت ثم سأل القلم عن ذلك فقال كنت نابتا على شاطئ الانهار ذلك وطني منبتي ومسقط رأسي فجاءني اليد ونحاني عن وطني ثم براني وشق رأسي وغمسنني في بحر الخبر وامشاني على قننة رأسي فحصل منه هذا الأمر فسل عن قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن تعديها على القلم فقالت انا مركب مسخر ركبني فارس القدرة واستخدمني كيف شاء فسل القدرة عن شأني فان بيدها عناني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن استخدامها اليد قال دع عنك لومي وقد كنت في نومي حتى جاءني مؤكل الارادة وازعجني وارهنقني الى ما تراه مني فقال صدقت ثم سأل الارادة فقالت لانتعجل على فعل لي عذرا وانت تلوم فاني ما انبعت ولا كنت عليه بعازم الالبكم قاهر وامر جازم فاني مسخر تحت قهر العلم الوارد من حضرة القلب على لسان العقل فانزعت بقهر منه فقال صدقت وا قبل على العقل والعلم والقلب مطالباهم ومعاتباهم فقال العقل اما انا فسرارج ما اشتعلت بنفسي ولكنني اشملت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكنني بسطت وقال العلم اما انا فنقش في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل فسل قلما ينقشني فلما سمع السائل حديث اللوح والسراج والخط والقلم تحير اذ كان لم يعرف هذه

هذه الامور الالاف الاجسام فعند ذلك رحمه العلم وقال قد تعبت نفسك في السؤال فلا تنقلب خاسرا فأتى سمعك الى وانت شهيد واعلم ان العوالم اما عالم الملك والشهادة وقد قطعها بسهولة واما عالم الملكوت وفيها البحار المغرقة ولا يسلم منها الا الاقلون وهو ورأى - واما عالم الجبروت وهو واسطة بين هذين العالمين وذلك مثل سفينة هي بين المشي على الارض والمشي على الماء فعلم الملك من الخبر الى القدرة ومنها الى القلم الذي يكتب به العلم عالم الجبروت ومنه يبدأ عالم الملكوت ومن جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم ولذلك صار اول من انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة القلم ، ثم انك السائل جمعت ضوء عينيك وحدقته نحو عالم الملكوت يرحى لك ايضا كشف ذلك واعلم ان الله تعالى كما لا يشبه ذاته سائر الذوات كذلك لا تشبه يده سائر الايدي ولا قلبه سائر الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وانما هذه امور الهية من عالم الملكوت فعند ذلك اشتعل زيت السائل بنور العلم وفتح بصره فانكشف له القلم الالهى فاذا هولا من خشب ولا من قصب ولا له رأس ولا ذنب وله في كل قلب رأس يكتب ولا رأس له وانه العجب ، وقال السائل نعم المعلم انت ايها العلم جزاك الله عنى خيرا فعند هذا ودع العلم وشكره ثم سافر الى حضرة القلم وسأله عن نقشه في القلوب فقال ان عالم الملكوت موازن لعالم الملك وان في الثانی صوراً دون الاول كما ان قلم عالم الشهادة مسخرة في يمين الكاتب فكذلك انا مسخر ومقهور تحت يمين الملك ، قال وما هي قال انا سمعت قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) فقال هي التي يردوني (١) فسافر الى حضرة اليمين ورأى فيها العجب العجيب بحيث لا تحوى عشر عشر عجائب مجلدات ورأى انها يمين لا كالأيمان ويد لا كالأيدي واصبع لا كالاصابع والقلم في قبضته ثم سأل عن اليمين فاحاله على القدرة فسافر الى عالم القدرة فرأى فيها من العجائب استحققر فيها ما رأى قبلها فسأل عنها ما اشكل عليه فقالت انا صفة فأسأل التقادر الموصوف وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالحيرة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي

من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فغشيته هيبه الحضرة فخر صمعا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالى الا ان أسألك وأنضرع اليك وأبتهل بين يديك فأقول اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأتئى عليك فنودى من وراء حجاب العزة اياك ان تطمع فى الثناء وقد قال سيد الانبياء سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فارجع وما آتاك فخذ وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله ثم قال السالك الهى ان لم يكن للسانى جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك فنودى اياك انت تنخطى رقاب الصديقين وقد قال الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضر تما ان تعرف انك محروم عن حضر تما عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته للقلم والقدرة والعلم بانى كنت غريبا ولكل غريب دهشة وما كان انكارى الا عن قصور وجهل والآن قد اتضح عندى عذر كم وان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار وهو الاول والآخر والظاهر والباطن اى اول فى الوجود وآخر فى المشاهدة وباطن للسالكين تحت حجب عالم الشهادة وظاهر لمن تنور بصيرته بانوار عالم الملكوت - اذا عرفت هذا فلعلمك التوكل (١) مخصوص فمن (١) يفهم حقيقة التوحيد ولا يوجد فى غيره المتوكل - واعلم ان من لا يفهم التوحيد اما جاحدا فلا يقبل العلاج وهو لاء فى انكار عالم الملكوت بمنزلة الحشوية المنكرين لعالم الجبروت ايضا حيث حصروا العلم فى الحواس الخمس، وانكروا العلم والقدرة والارادة كما انكر السوفسطائية الحواس ايضا - واما جاهل غير جاحد فينظر ان كان عين بصيرته صحيحة يعالجون مرضها والافيتكلون معهم بقدر عقولهم لأنهم يعرفون ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد با ميرين فيقال لهم على حد عقولهم اله العالم ومدبره واحد لو كان فيها آلهة غير الله لفسدتا

فيكون ذلك على وفق مارآه في عالم الشهادة فينغرس في قلبه اعتقاد التوحيد بهذا الطريق اللائق بقدر قلبه - ثم ان هذا الاعتقاد اذا قوى عمل عمل الكشف في اثارة التوكل وسائر الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويسارع اليه الاضطراب والتزلزل ولهذا احتيج الى علم الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من ابويه او استاذة او اهل بلده - فان قلت كون الاسباب مسخرات ظاهرة الا في حركات الانسان فانه يتحرك او يترك ان شاء قلت نعم الحركة لازمة للقدرة والقدرة للمشيئة لكن المشيئة تحدث ضرورة في القلب (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) - فالمشيئة ان كانت ضرورية فما بعدها من القدرة والحركة مترتبة عليها ضرورة فهو مضطر في الجميع ويسمى هذا جبر الاجبر المحض كالجمادات بل جبراً في غير اختيار (١) وتفصيل ذلك ان للانسان فعلاً طبيعياً تحرق الماء اذا وقف عليه فانه ينزل بثقله الى قعره فيخرقه وفعلاً ارادياً كمنفسه وفعلاً اختيارياً ككتابتة ثم ان الاختيارى ربما يكون اضطرارياً لبعض الاسباب مثلاً طبق الاجفان ارادى ولو قصد عين الانسان بآلة يكون اضطرارياً اذ لا يقدر على فتحه في تلك الحال فيلتحق بالطبيعى في تلك الحال وانما موضع الالتباس الفعل الاختيارى كالكتابة والنطق اذ يظن انه ان شاء فعل وان شاء ترك وتارة يشاء وتارة لا يشاء لكن هذا الظن من الجهل بمعنى الاختيار وبما انه ان القدرة تبع للارادة وهى تبع للعلم الذى يحكم بان الشيء موافق لك ثم ان الخيرى قد تعلم بتردد وتوقف كن اراد سفره مثلاً وقد تعلم بلا تردد كما في حركة الاجفان عند القصد بالآلة وحركة اليد بدفع السيف اذ تظهر خيرىة الحركتين دفعة وهو عين الاختيار المشتق من الخير الا انه ظهر على البديهة لثبوت خيريته بتجارب كثيرة ومشاهدات دائمة ولذلك قيل العقل يحتاج الى التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين والاول كن يتردد بين كتابة كتابين كلاهما خيراً والثانى كن يرمى نفسه من السطح هرباً من السيف واما بين الخير والشر فلا يتردد اصلاً كن غمض عينيه للآلة فالحركة في الانسان مسخرة لقدرته وقدرته لارادته وارادته لداعيته وهى الامر الحاصل من

العلم بكون شيء خيرا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع هذا الامور حاصلة فيه من غيره لامنه اذ الخالق للكل هو الله عز وجل ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبر ا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النارفي الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض بشرط ان لا يفهم منه ارادة بعد تحير و تردد وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار - فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة فسموه كسبا وهو جامع بين الجبر والاختيار عند من فهمه ثم ان ترتب الامور المذكورة بعضها على بعض ليس بأن المتأخر حدث عن المتقدم بالتوليد لان ذلك جهل محض بل حوالة جميع ذلك على القدرة الازلية التي لم يقف على حقيقة معناها الا الراسخون وانما يقف من يقف على مجرد لفظها مع قياسها على قدرتنا القاصرة وهو بعيد عن الحق ولا يمكن تفهيم ذلك على وجه الصواب والقدر الممكن من ذلك هو ترتب بعض المقدورات على البعض في الحدوث انما هو ترتب المشروط على الشرط ودرجات ترتيب الشروط كثيرة لا تظهر للعوام وبعضها لا تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق - وبالجمل فلا يتقدم متقدما ولا يتأخر متأخرا عبثا وانفاقا بل ذلك بطريق الحق والزوم وكذلك جميع افعاله تعالى كما قال عز وجل (واخلقنا السموات والارض وما بينهما لا عيين ما خلقناهما الا بالحق) فكل ما بين السماء والارض حادث عن ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فمتأخرا متأخرا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فاذا لا بد من بيان كونه موقوفا على الشرط مع كونه مقدورا وأن القدرة موجودة ولا يمكن تفهيم ذلك لذوى الافهام الضعيفة الا بمثالي وهو أن نقدر انبيانا مجدثا منغمسا في الماء الى رقبته فان الحدث لا يرتفع عنه الا عند غسل الوجه فقبل غسله نقول لم يرتفع الحدث عن يده ورجله مثلا لتوقفه على غسل الوجه على ملائمة الماء الذي هو السبب الحقيقي في رفع الحدث فاذا الماء بمنزلة القدرة الازلية المتعلقة للإشياء واكني تأثيره في المقدور متوقف على

على شرط وهو غسل الوجه فعند حصول الشرط يكون رفع الحدث عن اليد بالماء لا بغسل الوجه - الا ان الجاهل اترتب رفع الحدث عن اليد على غسل الوجه ربما يتوهم ان المؤثر فيه غسل الوجه لا الماء كذلك يتوهم القاصرون من ترتب الافعال الالهية بالشرط تأثير الشروط فيها دون القدرة وليس كذلك كما لا يخفى على ذى خبرة تامة واولى بصيرة نافذة ناقدة فهكذا ينبغي ان يفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع لباب عالم الملكوت - وهذا من علوم المسكاشفات لا يمكن التعبير عنها فلتركتها اذ لا يفى باستيفاء قدر ما امكن منها عمر نوح عليه السلام ولنقتصر على ما هو المقصود وهو التنبيه على طريق التوحيد فى الفعل وهو المقام الثالث من مقامات التوحيد وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو، عليه التوكل والاعتماد وهذه المعانى كلها منظوية تحت قولك لا اله الا الله وهو خفيف على اللسان سهل اعتقاد مفهومه فى الجنان - واما حقيقته فأعز على العلماء الراسخين اولى الكشف والعيان - فان قلت اذا كانت الافعال مخلوقة لله عز وجل فاما ان يقال انها ليس فعلا للعباد اصلا فيبطل الشرح او يقال انه فعل للعبد ايضا فيلزم مفعول بين فاعلين وانه محال فاقول المفعول بين فاعلين جائز اذا كان للفاعل معنيان كما يقال قتل فلان الا لا مير والجلاد اذ الجلاد فاعل صورة والا مير معنى وكذا الخالق تعالى فاعل لا فعال العباد بمعنى انه مخترع وموجد والعبد فاعل لها بمعنى انه محل لخلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فاربطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتباط المعلول بالعلة او ارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط ولاجل تطابق ذلك وتوافقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن الى الملائكة مرة ومرة الى العباد ونسبها بعبادتها مرة اخرى الى نفسه كما قال تعالى فى الموت (قلى يتوفاكم ملك الموت) - وقال (الله يتوفى الانفس) واما واضع اللغة

فقد وضع اسم الفاعل للمخترع فمن ان المخترع هو العبد يجعله حقيقة في العبد ويلزمه ان يكون مجازا في من له الاقدار والتكفين مثل نسبة القتل الى الامير فانه حقيقة في الجلال عندهم - واما الذين انكشف الحق لهم عرفوا ان الامر بالعكس وان الصيغة حقيقة في حقه تعالى لأنه المخترع حقيقة فلا با على الا هو فيكون مجازا في العبد بمعنى انه كاسب ومحل للفعل كما ان من عرف ان حقيقة القتل من الامير يجعل نسبته الى الجلال مجازا لكونه مظهر له كما تقرر تحقيق هذا المقام في علم المعاني ولهذا عرفوا المجاز الحكيم بغير ما هو له عند المتكلم لا مطلقا ، فان قلت فاذا ظهر أن الكل فعل نفسه فكيف يغضب عليه ويرضى له فاعلم ان سر ذلك قد مر في كتاب الشكر فارجع اليه فهذا الذي ذكرناه من بحر التوحيد هو الذي يورث حال التوكل لكنه لا يتم الا بالايان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة باوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل ، وحاصله ان الله تعالى لو خلق آحادا مشتملين على جميع انواع الكمال واصناف القدرة التامة ومع ذلك لو تظاهروا على زيادة ذرة واحدة او نقصها في العالم لما قدروا على ذلك ولما وجدوا في خلقه تعالى من قصور وان أمعنوا في ذلك انظارهم ورجعوا فيها ابصارهم ، وايضا كل ما قسم الله بين عباده من كمال وفتور وعجز وسرور ورزق واجل واقدام ووجل وطاعة وعصيان وكفر وايمان كله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب والاسلوب الحق والقدر اللائق وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم واكمل ولو كان وادخره مع القدرة لكان بخلاف ما نقض الجود وظلمنا نقض العدل ولولم يكن قادرا لكان بعجز ايضاد الالهية بل كل ضرر وفقر هو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى الشخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لا الال لليل لما عرف

قدر النهار ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة ، وايضا فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لأهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص كالبهائم لم يعرف الكامل كالانسان وكذلك الامر في التفاوت في القسمة بين الخلق في الدنيا والآخرة وكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لالعب فيه ، وهذا الآن بحر آخر عظيم غرق فيه الاكثرون قريب في السعة من بحر التوحيد ولا يعقلها الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضى به وما قضى الله واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وانما اطينا في هذا المطلب لان هذا الباب غاية كل العلوم واليه ينتهى اصل كل سعادة فلا تغفل ..

المطلب الثاني

في بيان حال التوكل .

وما ذكرناه اصل التوكل وهو العلم وهذا حاله وحقيقته ثم نذكر ثمرته وهو العمل فنقول التوكل مشتق من الوكالة وهي تفويض الامر الى الغير والاعتماد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلًا والمفوض متكلاً ومتوكلاً فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم ان التوكل لا يتم في الانسان الا بان يعتقد في وكيله اربعة امور منتهى الهداية الى المصالح والمفاسد ومنتهى القدرة بان لا يخاف ولا يجهن ولا يستحي ومنتهى الفصاحة بان لا يكل من الكلام ومنتهى الشفقة اذا الامور المذكورة لا تفيد الا اذا قارنت الشفقة ، ثم الموكل ان كان شاكاً في هذه الاربعة اوفى واحد منها وجوز أن يكون خصمه اكل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله وعلى هذا القياس لابد لمن يتوكل على الله ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه لا فاعل غيره واعتقد معه تمام العلم والقدرة

ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد ، فان لم يعتقد بأحد هذه الامور لم يتم توكله وذلك اما الضعف بقيمته اضعف القلب واستيلاء الحزن عليه بسبب الاوهام الغالبة عليه لأن اللوهم تأثيرا قويا كما يخاف الانسان من ان يبيت مع الميت في قبر او فراش مع انه لا يشك انه جمد ولا يحشر الآن على ما جرت عادة الله عليه وانما يتم التوكل بقوة اليقين وقوة القلب معا - ثم ان التوكل بحسب القوة والضعف ثلاث درجات ، الاولى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه اذ لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها وان نابه امر في غيبتها لا يسبق الى لسانه الا ايا امه وان غضبت عليه امه لا يفزع الا اليها ، الثانية ان يكون حاله كصبي مميز وثق بكفالة امه وشفقتها ولا يطلب منها شيئا ولا يخطر في قلبه الا امه دون ضمانها وكفالتها عليه ، الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل مثاله صبي علم ان امه يتكفلها (١) ولم يطلب منها وهذا المقام يشمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وغنايته وينفى التدبير رأسا بل يبقى صاحبه كالمهتوم كما ان المقام (الثاني) يشمر ترك السؤال دون الدعاء وينفى كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والاول يشمر ترك السؤال من غيره فقط ولا ينفي اصل التدبير بل بعض التدبيرات والمقام الاول يمكن وجوده والثاني والثالث نادر الوجود وان وجد فلا يدوم فظهر من ذلك ان ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل بل يظهر أن ملاسته كل تدبير وعمل ينافي التوكل من حيث انه حول المتوكل وقوته واما مباشرة التدبير بحول الوكيل وقوته وأمره بالتدبير فلا يخل بالتوكل اصلا -

المطلب الثالث

في بيان اعمال المتوكلين

وقد عرفت العلم المثمر لحال التوكل ثم عرفت حال التوكل والآن نذكر عملا يشمره حال التوكل وهو أن عمل العبد اما جلب نافع مفقود أو حفظ نافع موجود او دفع ضار لم ينزل فلذا كشرط التوكل ودرجاته في كل من هذه الامور الاربعة ،

الاول جلب النافع واسبابه ثلاث درجات الاولى المقطوع كد اليد الى الطعام الموضوع بين يديك فانه من الاسباب المقطوع بها بتقدير الله ومشيئته فترك مثل هذه الاسباب منتظر حصول المطلوب جهل وحق وليس من التوكل في شيء لكن عند مباشرة الاسباب تعلم ان الحول والقوة من الله تعالى لامن يدك واسنانك ، الدرجة الثانية الاسباب المظنون بها كمن سافر في البرارى فانه الغالب فيها عدم وجود الطعام وان احتمل احتمالا بعيدا فليس ترك حمل الزاد فيها من التوكل المقبول عند المتوسطين وان كان جائرا عند الخواص وحمل الزاد ينبغي أن يعتمد على فضل الله تعالى لاعلى الزاد فان قلت فكيف يجوز الخواص وهو القاء النفس في التهلكة قلت ذلك ليس بالقاء النفس في التهلكة لأحد شخصين احدهما ان يعتاد ترك الطعام مقدار اسبوع من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وجاهد نفسه عليه وان تطيب نفسه بالموت ان لم يات به رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة واثانيهما ان يقدر على التقوى بالحشاش والاشياء الخسيسة اذ لا تخلو البوادي من ان يلقاه آدمى او حشيش يتقوت به او ينتهى الى قرية في كل اسبوع حتى انهم قالوا الحبل والركوة والابرة والمقراض لا يمنع التوكل اذ ينذر وجود هذه في البرارى ولا يقوم شيء مقامها مع انها من الضروريات ، الدرجة الثالثة الاسباب الموهومة كالتدبيرات الدقيقة في الاكتساب وان كان بطريق مباح اذ الطريق التي فيها شبهة فذلك داخل في حد الحرص ولا ينبغي ان مباشرة مثل هذه الاسباب يخل بالتوكل كالرقية والطيرة والكي وامثال ذلك - ثم المتوكلون اما خواص فهم يتركون اكثر الاسباب المقطوعة كما يدورون في البوادي مع ان عدم الزاد مقطوع فيها الامثل مد الايدي الى طعام عنده ليس من التوكل كما عرفت واما المتوسطون وهم القاعدون في الامصار المتقاعدون عن الكسب والاسباب الظاهرة ثقة بكفالة الله عز وجل واما عوام يكتسبون ولكن لا يعتمدون على الكسب بل على الله فيكون مكتسبا بيدنه ومنقطعا الى الله بقلبه حتى قالوا ان المعمل

يترجح له هذا القسم من التوكل على القسم الذى فوقه كما اكتسب الصديق رضى الله عنه بعد ما بوع الخلافة وايضا المتجرد عن العيال ان استشرف نفسه على ما فى ايدي الناس فالكسب افضل ثم ان النفس له موضع غرور اذ يظن انه من المتوكلين ولا اتكال له على بضاعته (١) وامتحن ذلك انه اذا سرق متاعه اوضاع هل يتأسف ام لا فان تأسف فليس له توكل اصلا اذ الرازق كثيرا ما يرزق لعباده بغير بضاعة وان ابتلى احد بالتكال على متاعه فعلاجه ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الرحمن واعلم ان توكل المعيل يخالف توكل المنفرد اذ دخول البوادي وترك العيال والقعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم فحرام وقد يفضى الى هلاكهم فيؤاخذ بهم الا أن التحقيق ان عياله ان ساعده على الصبر على الجوع وعلى الموت بالجوع فعليه التوكل وكذا نفسه وعياله فاذا نازعه نفسه ولم تساعده على الامور المذكورة فهو حكم المعيل الذى لا يصبر عياله فيجب له الكسب فلا فرق بين المنفرد والمعين فى وجوب التوكل -

المطلب الرابع

فى مراتب الادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او غير ذلك فله احوال ثلاثة اما ان يأخذ قدر الحاجة من المأكل والملبس والسكن ويفرق الباقي فى الحال ولا يدخره الاحتياج واما ان يدخر لسنة فما فوقها وهذا خارج عن حد التوكل واما ان يدخر لاربعين يوما فما دونها قيل انه خارج عن التوكل وقيل لا والحق ان اصل الادخار مناف للتوكل واما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له والتقدير باربعين لميعاد موسى عليه السلام لم يكن لطول الامل او قصره بل لسرحت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور - فالتوكل ترك الادخار وذلك لايتم الا بقصر الامل واقل درجاته يوم وليلة فما دونه واكثره ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها وكل أمر له مراتب له بداية ونهاية وأصحاب النهايات تسمى السابقين

وأصحاب البدايات تسمى أصحاب اليمين - وأصحاب اليمين ايضا على درجات فلا يتصور التقدير فوق هذا في امثال هذه المراتب فالأفضل ان لا يدخر اصلا - ثم كل ما قل ادخاره كان فضله اكثر ولكن هذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق والا فالادخار له اولى لان المقصود تجرد القلوب بذكر الله ورب شخص شغله وجود الدنيا ورب شخص شغله عدمها ولذلك لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم التجار عن تجارهم بل دعا الكل الى الله فقط هذا حكم المنفرد - واما المعيل فله ادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكيننا لقلوبهم وما فوق ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرار السنين فادخار ما يزيد عليه سببه ضعف القلب والمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليعين ذلك لضعفاء امته وكيف لا وقد نهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش افلا لا وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اخبر أن الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزيمة تطيبها لقلوب الضعفاء لئلا يتركوا الميسور عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات - ثم ان الناس يختلف حالهم فمن واحد يلقى بحاله الرخصة ومن آخر يتضرر بالرخصة وبالجملة الغرض فراغ القلب عما سوى الله تعالى سواء امكن ذلك بالعزيمة او بالرخصة - واعلم ان الاسباب الدافعة للضرر تجب المباشرة بها ان كانت مقطوعا بها والاحتراز عنها ان كانت موهومة والمظنونة ربما تكون في حكم المقطوع بها بالتجارب وان لم تكن كذلك فالاحتراز عنها ايضا افضل مثلا الصبر على اذى السباع والحيات ليس من التوكل اذ لا فائدة فيه فعليك الاحتراز عن امثالها ولا تغتر بمن وضع يده على الاسد ولم يضربه لان ذلك نرق العادة ولكل مقام رجال وان ظن ذلك المقام احد فليجرب بان الكلب الذي في بدنه اعنى القوة الغضبية هل تطاوعه ام لا فان سخر ذلك ترتقى منه الى ان يسخر لك كلب دارك ثم ترتقى الى تسخير كلب البوادي وايضا

لا تظن ان أخذ السلاح وغلقت الباب ينأى التوكل اذا أخذ السلاح وعرف الدفع من الله تعالى واغلق الباب وعرف الحفظ من الله عز وجل اذ كم من صاحب سلاح يقتل وكم من باب مغلق يفتح وينهب ما فى داخله ثم بعد ذلك يكون راضيا بما يقضى الله فى نفسه من القتل والجرح وفى بيته من السرقة والغصب فلا يكون تحصنه وتحفظه الا للجرى على سنة الله تعالى فى ترتيب الاسباب مع الثقة بمسبب الاسباب ولا تتوهم ان ليس للتوكل مال اذ هو لا يستغنى عن ضروريات الانسان من القصعة والكوز والعصا وقد يجد ما لا يحفظه ليدفع الى المحتاج ولا تتوهم ان الضروريات يجب ان يتألم بفقدها فكيف يمكن عدم التألم لان الاسباب لتيسير خدمة الحق تعالى وانما يمسكه طلبا لرضاه واذا فقد ينبغى ان يقول الخير لو لم يكن فى فقدته لما سلط الله عليه اللص فى عوض ثواب من ذلك فينبغى ان يفرح بفقدها فضلا عن التألم اذ الخير ما اختاره الله ولا يدري الانسان الخير لنفسه فى اى شىء حاصل اذ كم من غنى يبتلى بما له بلاء يكون سببا لهلاكه حتى يقول يا ليتنى كنت فقيرا وذلك يقع كثيرا -

المطلب الخامس

فى آداب المتوكلين

ما فى متاع بيته فانه يغلق الباب ولا يستقصى مثل ان يوصى جاره بالحفظ وان يجمع اغلاقا كثيرة وكان مالك بن دينار يشد بابيه بشرط ويقول لولا الكلاب ما شددته ، وان لا يترك فى بيته متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم كذا قال مالك بن دينار - وقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها ، وايضا انما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى ان ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق ويقول ما يأخذه سارق فهو فى حل منه او هو فى سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى اذ ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال حصانه بجماعه فى حل ، وايضا يفدى بماله مال مسلم آخر فنيته دفع المعصية عن

مسلم او فداء مال مسلم بما ل نفسه نصح للمسلمين ثم انه اذا وجد المال مسروقا ينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لعل الخير في تلقه ثم انه اذا وجد ماله الذي جعله في سبيل الله يترك طلبه فانه قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة وان قبله جاز في ظاهر العلم لكنه غير مستحب عند المتوكلين ، وايضا ينبغي ان لا يدعو على السارق والابطل توكله وزهده وايضا يبطل اجره بالدعاء عليه ، وايضا ينبغي ان يفتم عصيان السارق لاله له وان يشكر الله عز وجل اذ جعله مظلوما لا طاملا وجعل النقصان في دينه لافى دينه -

المطلب السادس

في الاسباب المزيله

وهي اما مقطوع بها كالماء في دفع العطش والخبز في دفع الجوع وترك هذه الاسباب حرام فضلا عن كونه توكللا ، او مظنون بها كالقصد والحماة وسائر اسباب الطب وهذا لا يناقض التوكل ، او موهومة كالكي والرقية والطيرة فشرط التوكل تركه لان ذلك من غاية التعمق في ملاحظة الاسباب ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم المتوكلين بها ، واما التدوى بالادوية الطبية فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء عليهم السلام الا ان بعضا من الادوية الطبية قد يلتحق بالمقطوع بها كالسكنجيين في دفع الصفراء فحكمها حكما في التجربة الا انه لا يجرم تركها اما لان معرفته تختص ببعض الناس وليس مما تدركه الكافة كالخبز في دفع الجوع والماء في ازالة العطش اولان لذلك اسبابا باطنة يمكن تخلفها ولا كذلك الخبز والماء ، فان قلت الكي ايضا من الاسباب الظاهرة المنفع قلت ليس كذلك والاعرفه في كل بلدة وذلك لا يعهد الا في الاتراك والاعراب مع ان الكي جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه اذ ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه بخلاف القصد والحماة ، روى ان عمران بن الحصين كان يرى نورا ويسمع صوتا ليسلم عليه الملائكة ولما اكتوى زال عنه ما رآه وسمعه ثم تاب منه وانااب الى الله عز وجل وقال بعد ذلك فرد تعالى على ما كنت اجد من امر

الملائكة ، واعلم ان التداوى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء
ايضا عليهم السلام وأمرُوا ايضاً بالتداوى ، وكذا نقل ترك التداوى عن الصحابة
والسلف والتوفيق بين هذه الامور هو أن ترك التداوى اسباباً ولعل من تركه انما
تركه لأجلها ولا يلزم من ذلك أفضلية الترك بل الافضل الفعل لما فعله النبي صلى الله
عليه وسلم ، وتلك الاسباب ستة احدها ان المريض قد كوشف له دنواً جله وان
الدواء لا ينفعه ولعل ما قال أبو بكر رضى الله عنه حين قيل له لو دعونا لك طبيباً الطيب
قد نظر الى وقال انى فعال لما اريد من هذا القليل وكذا قول أبى الدرداء اذ قيل
فى مرضه ما تشكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قالوا ألا ندعوك
طبيباً قال الطبيب امرضى ، وثانيها ان يشتغل المريض بحال عاقبته فلا يتفرغ
قلبه للتداوى وعليه يدل كلام أبى ذر وقد رمدت عيناه وقيل له لو داويتها فقال
إنى عنها مشغول فقيل لو سألت الله ان يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم على منها
ثالثها ان تكون العلة مزمنة والدواء موهوم النفع جارياً مجرى السكى والرقية
فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عاداً وثمود
وفيهما الاطباء فهلك المداوى والمداوى اى ان الدواء غير موثوق به ، ورابعها
ان يترك لبيان ثواب المرض بحسن الصبر وقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر
ذكره - وخامسها ان تكون له ذنوب فيرجو تكفيرها بالمرض - وفى الحديث
حمى يوم كفارة سنة قيل لأنها تهدم قوة سنة - وسادسها ان يستشعر من نفسه
مبادئ البطر والطغيان بطول الصحة فيترك التداوى لئلا يزول المرض قبل
استئصال البطر والغفلة وطول الامل من نفسه واذا ظهر لك ان ترك التداوى
لهذه الاسباب فلا يخفى عليه انه لا يلزم منه عدم فضيلة التداوى عند انتفاء هذه
الاسباب كما فى تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وايضاً لو كان ترك
التداوى من شرط التوكل لما فعله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين وايضاً
ان افضل ترك التداوى ان كان فيمن كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه
الطغيان من العافية واحتاج الى نيل ثواب الصبر وامثال ذلك ، وهذه الامور

وان

وان كانت كما لا بالاضافة الى بعض الخلق فهى نقصان بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان اعلى من هذه المقامات كلها فلماذا لم تضره مباشرة اسباب التداوى ولهذا فعلة - وايضا رجوع عمر رضى الله عنه من الطاعون وعدم دخوله الى الشام. واتفاق الصحابة عليه - وقوله نفر من قدر الله الى قدر الله فى جواب من قال أتفر من قدر الله دليل قوى على ان التداوى لا يخل بالتوكل وكيف لا والصحابة لا يسأمون فى امر التوكل اصلا سيما عمر وهو فى باب التوكل آية سيملا وقد روى عبد الرحمن بن عوف فى هذا الامر حديثا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعت الوباء فى ارض فلا تقدموا عليه وان وقع فى ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ثم ان نهى الدخول فى بلد الطاعون فسيبه ظاهر. وهو لقاء النفس فى التهلكة مع اسباب مظنون بها واما نهى الخروج للخلاص فلعله لكونه سببا وهما اذ ربما يستحكم ضرر استنشاق الهواء المتعفن فى بدنه قبل ذلك يكون الخروج الى الهواء الصحيح علاجا وهما يسبق تأثير الهواء العفن فى البدن سيما وقد انضم الى ذلك امور يكره معها الخروج وهى خروج الاصحاء وفقد المتعهدين للرضى ممن يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام ويظهر من ذلك انه لو دخل موضع الطاعون لتعهد المسلمين لا يأتى لأن الضرر فى حق نفسه موهوم ورجاء دفع الضرر عن بقية المسلمين امر محقق وتسمية الفرار من الطاعون فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف لما فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم وغلط الزهاد والعباد فى ظواهر الاخبار والآثار كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك حيث يحملها على محامل لطيفة دقيقة ويستخرج فى كل منها سبب النهى وعلة الامر ومراتب كل منها فى الحرمة والوجوب فيرفع التساقص المتوهم فى ظواهر الاخبار والله اعلم بحقيقة الحال - واعلم ان كتمان المرض والفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات ومع ذلك فلاظهار لابس به اذا صحت فيه النية والمقصد، وذلك فى ثلاثة احوال، احدها ان يصنف للطبيب حكاية لاشكايه وثانيها ان يذكره لمن يتعلم منه حسن الصبر بل الشكر بان

يراه نعمة وثالثها أن يظهر بذلك بجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك من يرحو
منه القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز فيذكره دفعا لاحتمال التجلد واظهارا
لعجزه وافتقاره -

الاصل السادس

في المحبة والشوق والانس والرضا وفيه مطالب

المطلب الاول

في المحبة لله عز وجل

وهي من اعلى المقامات وكل مقام يتقدمها فهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر
والزهد وغيرها وكل مقام بعدها من ثمراتها كالشوق والانس والرضا واخواتها
وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها - واما محبة
الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعضهم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله - واما حقيقة المحبة فمحال الامع الجنس والمثل فازمهم انكار لوازم
الحب من الانس والشوق ولذة المناجاة الا ان الامة مجمعون على ان الحب لله
ولرسوله فرض فيكون وجودها مجمعا عليه وجعلها مجازا عن الطاعة لاحاجة اليه
وكيف لا والطاعة ثمرة المحبة والقول بالطاعة يستلزم وجود المحبة - وايضا محبة الله
تعالى في الكتاب والسنة كثير الذكر وكذا في الآثار وكلمات المشايخ بحيث
لا يمكن الانكار عليها وسهل كلها على المجازي يؤدي الى اللجاج والعناد - واعلم ان
الحب فرع المعرفة والادراك ولهذا لا يتصف الجساد بالحُب ثم المدرك ان كان
ملذا فهو محبوب وان كان مؤلما فهو مبغوض ولا لا يكون مؤلما ولا ملذا فهو
لا يكون محبوبا ولا مكروها - فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان
تأكد ذلك الميل وقوى يسمى عشقا، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم
المتعب فاذا قوى يسمى مقتا - ثم لما كان الحب تابعا للادراك وكان ذلك منقسما الى
الحواس صارت لكل منها لذة مخصوصة فلذة العين في الصور الجميلة ولذة الاذن
في المنغيات الطيبة الموزونة وهكذا لا يخفى ان البصيرة الباطنة اقوى من البصر
الظاهري

الظاهر والقلب اشد إدراكاً من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فاذا لذة القلوب في ادراك الامور الالهية اتم وابانغ ويكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما عرفت فاذا لا ينكر حب الله الامن لم يتجاوز ادراكه رتبة البهائم وقعد في رتبة الحواس -

المطلب الثاني

في اقسام المحبة واسبابها

واعلم ان كل حي يحب دوام وجوده ويكره الموت والقتل ويجب ايضا كمال وجوده ويكره نقصه ولما توقف كمال الوجود ودوامه على سلامة الاعضاء يحبها ايضا ولما كان المال آلة في دوام وجوده يحبه ايضا وكذلك لما كان الولد يخلفه في الوجود يحبه ايضا وذلك لفرط حبه لبقاء نفسه لما عجز أن يطمع في بقاء نفسه طمع في ان يبقى جزء منه ، وكذلك الاقارب والعشائر لما كانوا وسائل الى كماله يحبهم ، فاذا المحبوب عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك كله فهذا هو اول الاسباب - والسبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جيات القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وهذا بالحقيقة يندرج في حب دوام الوجود او كماله بالمال الا انه سبب بعيد والمال قريب - الثالث ان يحب الشيء لذاته لا لخط ينال منه بل يكون ذاته عين حظه كحب الجمال والحسن من حيث انه كذلك لا لأن ينتفع بصاحبه بقضاء الشهوات - السبب الرابع ان الحسن والجمال غير منحصري المحسوسات بل هو في المحسوسات (١) اعظم واقوى كما يقال هذا خلق حسن وعلم حسن وهذه سيرة حسنة واخلاق جميلة ألا ترى ان الانبياء صلوات الله عليهم محبوبون بالطبع عند المؤمنين وكذا الناس يحبون ابا حنيفة والشافعي وما لكامع انهم لم يروهم وانما حبهم لصفاتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى - السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخص (٢) يتأكد المحبة بينهما لاسبب جمال

واو حظبل بجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجنودة
 كما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف - ثم ان هذه الاسباب اذا اجتمعت في
 شخص كان حبه اشدوا قوى واكمل - وايضا يتفاوت بحسب قوة هذه الحصال
 وضعفها فيه ثم ان هذه الاسباب كلها مجتمعة في حق الله تعالى على وجه القوة
 والكمال فلا محبة فوق محبته عز وجل - وتفصيل ذلك ان الحب لاجل دوام
 الوجود وكماله وبقائه موجود في حق الله تعالى على وجه الكمال اذ ليس وجوده
 ولا دوام وجوده الا بمن الله وبالله والى الله فهو المخرج والمبقي والمكمل اذ العبد عدم
 صرف لولا ايجاده تعالى وهالك محض لولا ابقاؤه تعالى وناقص لولا تكميله تعالى
 وكذا الحب للاحسان فليس الا الله تعالى فانه الذي انعم بخلقك وخلق مالك وخلق
 قدرتك وارادتك وداعيتك وكذا كل مال يصل اليك فانما هو من الله تعالى بالذات
 واليد الظاهرة وسيلة مضطرة اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فهو المنفرد
 بالوجود والاحسان والطول والامتنان وكذا حب الشخص لذاته واحسانه مثل ان
 تسمع في الشرق ملكا عالما عابدا عادلا متلطفا بالناس فانك تميل اليه وهو الحب مع انك
 آيس من خيره وكذا اذا سمعت ملكا بضد ذلك فانك تنفر عنه وهو البغض مع انك
 آمن من شره ولا يخفى ان المستحق لمثل هذه المحبة ليس الا الله تعالى اذ هو المحسن
 الى الكافة المتفضل على اصناف الخلائق اولا بايجادهم ثم بتكليفهم بالاعضاء والاسباب
 الضرورية ثم بتنعيمهم بخلق الاسباب المحتاج اليها وان لم تكن ضرورة ثم
 بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي مظنة زينتهم كالثياب الجميلة والبراكب الحسنة
 واما محبة شخص بالجماله المعنوي من العلم والقدرة فليس احق بتلك المحبة من الله اما
 العلم فآين علم الاولين والآخرين من الله الذي يحيط بالكل حتى لا يعزب عنه مثقال
 ذرة في السموات والارض بل نسبة علم الله تعالى الى اعلم اهل الارض اكثر من
 نسبة اعلم اهل الارض الى اجهل اهل الارض لأن زيادته بقدر متناه وزيادة
 علم الله غير متناهية واما القدرة فلا قدرة ولا قادر الا وهو أثر من آثار قدرته
 فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن

يحب قادرا لكمال قدرته فلا يستحق ذلك احد سواه، واما التزه عن العيوب الذي هو أحد موجبات الحب فلا يتصور على وجه الكمال الا للواحد الحق الملك القدوس ذى الجلال والاكرام اذ كل مخلوق وان كان منزها عن النقائص والعيوب فلا يخلو عن نقص من وجه آخر بل عن نقائص ولا اقل كونه عاجزا مخلوقا مسخرًا مضطرا ولا كمال الله وحده - واما المحبة لأجل المناسبة والمساكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل والمناسبة اما في معنى ظاهر وذلك لا يخفى وقد يكون لأمر باطن وذلك في حق الله تعالى اما ممكن التعبير بان يقرب من الله تعالى في الصفات التي أمرنا بان نتخلق بها حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك مثل العلم والاحسان والبر والرحمة - على الخلق واقاضة الخير وارشادهم الى الحق ونحو ذلك، واما غير ممكن التعبير بل يشار اليه بالرمز فقط مثل قوله تعالى (قل الروح من أمر ربي) وقوله (انا جعلناك خليفة في الأرض) اذ لم يستحق آدم خلافة الله الابتك المناسبة - واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ، ومن تلك المناسبة ما سموه قرب النوافل بعد كمال الفرائض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ، وهذا موضع يجب كف عنان القلم فيه اذ الناس تحزبوا حزبين قاصرون ما ثلون الى التشبيه الظاهر وغالون مسرفون متجاوزون حد المناسبة الى الاتحاد والحلول حتى ضل النصارى وقالوا عيسى عليه السلام هو الاله وقال بعضهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وقال بعض الناس انا الحق ، واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح مع ذلك حقيقة السرفهم الاقلون وهذه المناسبة هي اقوى اسباب الحب واعظمها وابعدا واعزها واقلها وجودا -

المطلب الثالث

واعلم ان كل قوة في الانسان لم تخلق عبثا بل لأجل ادراك ما يلائمها وانما لذتها

فى الوصول الى مدركتها - ثم ان فى الانسان قوة ربانية هى العقل ولذتها ادراك العلوم ولا يخفى ان اللذة العلمية اقوى من اللذة الحسية اذ الانسان لا يصبر عن العلم والتمدح به ولو فى الشيء الحقير كالشطرنج مثلا ولو ذكر احدا فى مقابلته لذة الاكل لربما نسب اهله الى البهيمية وغابوه - ثم لا يخفى ان لذة العلم بحسب شرف المعلوم فعرفة الله تعالى الذ من جميع المعارف اذ لا معلوم اشرف من ذلك وايضا هى ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ محلها الامر الربانى الذى هو باق لا يفنى ولعمري طلاب العلوم يجدون عند انكشاف المشكلات لذة عظيمة يعرفها اهله - فكيف حالها اذا كان الانكشاف فى جمال الله وجلاله اذ يعرض له حينئذ من الفرح ما يكاد يطير به حتى يتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدركه الا من ذاقه ولعل من لم يذوقها ينكر ذلك كما ينكر الصبى لذة السلطنة وليت شعري من لا يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وليس له صورة ولا شكل مع ان الرؤية اكل الانكشافات وذلك لان المدركات التخيلية ادراكها حال الرؤية اتم من ادراكها حال التخيل والدنيا بالنسبة الى الآخرة بمنزلة الخيال ، فاذا ارتفع حجاب البدن فان لم يبق فى النفس كدورات الدنيا يشاهدها فى الحال ، وان بقى فيه كدورات لا ينفك عنها اصلا فهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابدآباد نعوذ بالله منه ، ومنهم من يبقى فيه اثر ضعيف فيعرض على النار لتركيتها بقدر الحاجة الى التزكية واقابها لحظة خفيفة واقصاها فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة ، فاذا تطهرت النفس عن الكدورات يتجلى له الحق تجليا يكون تجليه بالاضافة الى علمه كانكشاف المراتب بالاضافة الى التخيلات وهذه المشاهدة والتجلى يسمى رؤية لكن (لا) بصورة مخصوصة ولا بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب ولا يكون بين المشاهدة فى الآخرة والمعلوم فى الدنيا فرق الامن حيث زيادة الكشف والوضوح فيظهر منه ان من لم يعرف الله فى الدنيا كيف يراه فى الآخرة - ولما كانت المعرفة على درجات كان التجلى ايضا على درجات متفاوتة اذ تختلف بقاتها وكثرتها وقوتها وضعفها وجنسها ولذلك

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة وذلك لانه لما فضل الناس في الدنيا بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفر دبه ، فان قلت كيف يقاس لذة النظر الى وجه الله تعالى بلذة المعرفة في الدنيا وهى ضعيفة فاعلم ان استحقات لذة المعرفة للخلو عن المعرفة والا فلذتها فوق سائر اللذات بل للعارفين لذائد لم يستبد لواهبها في الدنيا الجنة مع ان هذه اللذة لانسبة لها اصلا الى لذة اللقأ والمشاهدة ، فان قلت فهل محل الرؤية في الآخرة القلب او العين فاعلم ان ارباب البصائر مطمحن نظرهم الرؤية بأى آلة وقعت واما اهل النظر فقد اختلفوا والحق انها بالعين كما هو مذهب اهل السنة والجماعة ليكون لفظ الرؤية والمظر وامثال ذلك مما ورد في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز صرف الالفاظ عن الظواهر الا اضرة -

المطلب الرابع

في اسباب محبة العبد لله تعالى

اعلم ان اسعد الناس حالا واكملهم لذة في في الآخرة اقواهم حباً لله تعالى وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن اذ لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب المنتهى رتبة العشق فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما طريق تحصيله قطع علائق الدنيا وانحراج حب غير الله من القلب وكمال الحب في ان يحبه بكل قلبه فيقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه - ومنه حب المال والاهل والولد والا قارب والعقار والدواب ونحو ذلك ومن جملة طرقه قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها وهى الكلمة الطيبة التى اصلها ثابت وفرعها في السماء ولا يوصل هذه المعرفة الا الفكر الصافي والذكر الدائم والواصلون الى هذه المعرفة اما اقوياء يعرفون الله اولاً ثم يعرفون غيره به واما ضعفاء يعرفون الافعال اولاً ثم يتقون منها الى الفاعل وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثر والاسرع على السالك وذلك يحصل بالتفكير في عجائب الآفاق والانفس وملكوت السموات والارض اذ لا يبلغ فهمنا الى استقصائها وما بلغ

اليه فهمنا بالنسبة الى ما في علم الانبياء والاولياء كقطرة من بحر وكذا لا نسبة لعلومهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه فاذا استغرقت في هذا الفكر ازداد محبتك جدا ثم ان تفاوت الناس في المحبة لتفاوتهم في المعرفة واكثر الناس ما يعرفون الله تعالى الا بالصفات والاسماء ، ثم ان بعضا منهم آمنوا بها ايمان تسليم وتركوا البحث وهم اهل السلامة ، ومنهم من يتخيل لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وهم الضالون ، والعارفون بحقائقها هم المقربون وحبهم حب لذاته تعالى فلا يتغير في السراء والضراء ، واما من أحبه تعالى لانعامه واحسانه فربما يتغير حبه عند البلاء او ينقص واما من احبه لعجائب صنعه واستدل به على عظمته وجلاله فذلك لا يتغير بل يزداد متى ازداد مطالعته صنع الله تعالى وعجائب قدرته واما تصور الناس في معرفة الله تعالى فأمران احدهما الانهالك في الشهوات والاشتغال باحوال نفوسنا اذ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه فهما اشتغلت بذلك غفل عن معرفة الله تعالى ، وثانيهما شدة ظهوره تعالى وتناهيه في وضوحه فيصير ظهوره سبب خفائه وتفصيل ذلك هو أن الادراك وصول المدرك بالمدرك واحاطته به فلا بد في الوصول من غير المدرك عن غيره عنده (١) فمن كان وجوده اخفى يكون تمييزه عسيرا فيتعسر ادراكه كاحوال الزمان مثلا ، فان حقيقة الزمان لتكون وجوده اخفى بسبب كونه عرضيا وغير قاريعسر ادراكه وكذا من كان وجوده اظهر واشد واقوى لا يمكن تمييزه عن غيره ولا احاطة المدرك به فيتعذر ادراكه كالنور مثلا فانه لظهوره عند الحس يعسر ادراكه حتى لو لم يعقب ضده اعنى الظلمة لم يمكن تمييزه اصلا فحينئذ حقيقة الواجب تعالى لما كان في العقل بمنزلة النور بالقياس الى البصر ولم يمكن له ضد يتبين بسببه لم يمكن للعقل تمييزه عن غيره وايضا لقوته واحاطته بالكل تعذر للعقل احاطته ومعرفة فسبحان من احتجب باشراق نوره واخفى عن البصائر والابصار بظهوره ، وقيل -

لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكه لا يعرف القمر

لكن بطنت فما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعمة استترا

فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة ذى الجلال والاکرام الا ان من قويت بصيرته ولم تضعف منته في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غير الله ويعرف انه ليس في الوجود الا الله وانعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له ولا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق فقط - فعند ذلك لا تحتاج معرفته الى تمييزه عن غيره اذ لا غير له فلا يكون ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا الله ولا ينظر الى نفسه ايضا بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي ففي في التوحيد عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا فنيين عنا فنيين بلا نحن واذا عرفت محبة الله تعالى فاعلم ان المحبة مستتبعة للشوق فلعل من انكرها ينكره ايضا واعلم ان المدرك من كل وجه لا يشترط اليه وكذا ما لم يدرك اصلا وانما الشوق لمن ادرك من وجه ولم يدرك من وجه آخر فانه تعالى وان كان مدركا للعارفين لكنه غير مدرك لهم من وجهين احدهما ان الخيال في هذا العالم لا يفر عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للعارف فلا تنضح المعلومات لأجلها غاية الانضاح - ثانيهما ان ما انكشف لكل عبد بعض من الامور والا فالأمور الالهية لانهاية لها فعند ذلك تشترط كل نفس الى معرفة الله تعالى من جهة الانضاح ومن جهة الزيادة والشوق الاول يندفع في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤيية ومشاهدة ولقاء - واما الشوق الثاني فيشبه ان لا ينتهي في الآخرة ايضا اذ الامور الالهية لا تنتهي الا ان هذا الشوق لما كان في عين الوصال لا يظهر فيه الم والآيات والاحبار في اثبات الشوق اكثر واشهر -

المطلب الخامس

في محبة الله تعالى للعبد

وقد ورد ذلك في الشرع الا ان المحبة في حق الله تعالى معنى مجازي لها لان المحبة ميل للنفس الى ما يوافقها فلا بد فيها من عدم ما يوافقها وذلك محل في حق الله تعالى اذ كل جمال وكمال له تعالى بالفعل بل محبته (١) الا الى ذاته تعالى وفعاله وليس في الوجود شيء غير ذاته وفعاله فهو لا يحب الا ذاته وما ورد من حبه لعباده

فؤول ويرجع معناه الى كشفه المحاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى ان نسب الى قدرته الازلية وحادث بحدوث السبب المقتضى له اذا اضيف الى فعله كما قال ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الا انه قرب بالصفة لا بالمكان الا ان هذا التغير على العبد لاعلى الرب والعبد يتقرب بقدر قربه وكماله واذا لانه لاي نهاية للكمال فلانه فى درجات القرب ثم ان محبة الله للعبد علامات قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك ما لا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هوالمشير عليه والمدير لأمره والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه واحدا والمبغض الدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المماجة فى خلواته والكاشف له عن المحب بينه وبين معرفته واما علامات محبة العبد لله تعالى فهى كثيرة الا أن وجودها اعز من الكبريت الاحمر وان كثر مدعيها ، منها حب لقاءه فى دارالسلام واذا علم انه لايمكن بدون الموت فيحب الموت لاجله ومنها حب القتل فى سبيل الله واما من لا يحب الموت كما هو حال اكثر الناس فاما محبة الاهل والاولاد والمال فذلك القلب خال لالمحالة عن محبة الله واما لانه يحب هؤلاء حبا مال بكل قلبه فحبة الله فيه ضعيفة واما لانه لايجبه اعدم استعدادده الآن للقاء الله فذلك من امارت المحبة ومنها ان يؤثر ما احبه الله على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيتجنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولايزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده منزىا الدرجات - واما العصيان فان لم يضر اصل المحبة اذ قد ياكل المريض ما يضره وان علم ضرره لكن تضعف معرفته فيعجز عن القيام بحق المحبة

المحبة - ومما حب ذكره لان من احب شيئا اكثر ذكره وحب كلامه وهو القرآن وحب رسوله وكل ما ينسب اليه بل عباد الله الصالحين لأتم حبيبهم (١) بل حب كل الخلق لانهم خلقه ومن احب احدا يحب كل ما في محله وحب الاشياء المذكورة من حيث نسبتهم الى الله تعالى ليس محبة لغير الله تعالى بل محبة له تعالى - ومنها ان يتلذذ بالخلوة معه وبمناجاته في الليالي وبتلاوة كتابه ويفتتم بالتهجد وهدهوء الليل وصفاء الوقت - ومنها ان لا يأسف على ما يفوته مما سوى الله ويعظم تأسفه على فوت ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته - ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ولا يسقط عند تعبها (٢) ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكره الله ولا يصرفه عن الغضب لله صارف ومنها ان يكون في حبه خائفا متضاثا تحت الهيبة والتعظيم ، وادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان الجمال يوجب المحبة - وللمحبين مخاوف في مقام المحبة فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه الابداء الا انه انما تعظم في قلب الف القرب وذاته وتنعيم به - ثم اهل الخصوص ربما يحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما طهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكسر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز عنه الاذواء الاقدام الراسخة - ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحجوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظيم العقوبة عليه في العقبي ويتعجل عليه البلوى في الدنيا الا ان يغلب عليه سكر اضطره الى اظهاره فيعذر وانما يقبح التظاهر بالحب لا اظهاره لما في التظاهر من الدعوى والاستكبار - وحق الحب (٣) ان تنم على حبه الخفى اعماله واحواله دون اقواله وافعاله بل ينبغي ان يظهر حبه عن غير قصد الى الاظهار وينبغي ان يكون قصده اطلاع الحبيب فقط ، اما ارادة اطلاع غيره فشارك في الحب وقادح فيه الا

(١) كذا ولعله - لأنهم احبته - ح (٢) كذا (٣) لعله - المحب - ح

إذا غلب سكر الحب فانطاق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه -

المطلب السادس

في الانس والرضا والشوق

واعلم ان هذه الامور كلها من ثمرات المحبة الا ان الحب اذا تطلع الى منتهى الجمال من وراء حجاب الغيب واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انزعج قلبه للطلب وهاج اليه فسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرّب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وغير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلا حظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العجز والاستثناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعْد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا واما علامة الانس فضييق الصدر من معايشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر حتى انه ان خالط الخلق يكون كنفرد في جملة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في عيبة وغائب في حضور محالط بالبدن منفرد بالقلب وبعض المتكلمين انكروا الانس والحب والشوق وظنوا ان هذه تشبيهه وذلك لجهلهم ان جمال المدركات بالبصائر اكل من جمال المبصرات وانكار ذلك من القصور وانكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر وهذا ايضا كلام قاصر يقتصر من المقامات على القشور وهؤلاء معذورون الا ان عذرهم غير مقبول واعلم ان الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والنجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقيم فيه وتشبه به في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر يحكى ان موسى عليه السلام خرج يستقي في سبعين الفا من بني اسرائيل فأوحى الله عليه كيف استجيب لهم وهم يدعونني على غير يقين ويا منون مكرى فارجع الى عبدى برخ وهو عبد اسود حتى استجيب لهم فسأل عنه موسى عليه السلام فلم

فلم يعرف وقد استقبله عبد اسود وبين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقد ها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور النبوة فسلم عليه وطلب منه الدعاء فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلك وما الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك ام عاندتك الرياح عن طاعتك ام نفذ ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خاق الخطائين، وامثال ذلك فابرح حتى اخضلت بنوا اسرائيل بالمطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب - قال برخ كيف رأيت يا موسى حين خاضت ربي كيف انصفني فهم به موسى عليه السلام فأوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وامثال ذلك من المحبين كثيرة -

المطلب السابع

في الرضا

وهي من اعلى المقامات وقد انكرها طائفة لعمومها (١) وقالوا ان امكن الرضا بكل شيء من افعال الله عز وجل فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع قوم فرأوا التسليم بالفجور والفسق وترك الانكار من باب الرضا وليس كذلك وبيان الحق فيه ان فضيلة الرضا ثابتة بالآيات نحو قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه ونحو ذلك في الآيات والاخبار الكثيرة واما حقيقته فان الرضا مما يشمر المحبة وذلك اوجهين اما ان لا يحس الألم ولا يدركه لاستغراقه بمشاهدة محبوبه واما ان يحس به ويدرك الألم ولكن يرضى به بل يرغب فيه مريدا بعقله وان كان كارهيا بطبعه كن يجدد الم القصد ويرضى به بل يشكر القصد وقد يكون ذلك لطلب الاجر والثواب وقد يكون لكون رضا حبيبه مطلوباً ومراداً عنده - واما الفسق والفجور والمعاصي فلها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث ان فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً لذلك الى ملكه ورضاً بما يفعل ووجه الى العبد من حيث انه كسبه

وصفه وعلامة كونه ممقوتا وبغيضا عند الله تعالى فهو من هذا الوجه منكر ومذموم فالسكوت عنه وتسميته حسن خلق جهل محض ولا يخفى ان الرضا والكراهة ضدان لا يجتمعان من جهة واحدة ولكن من جهتين بخائر وبهذا يتقرر كيفية الجمع بين الرضا بالقضاء وبين البغض في الله والحب في الله والتشديد والتغليظ على الكفار والمبالغة في مقتهم وبالجملة الخير والشر كلاهما من الله ومن قال الشر ليس منه فهو جاهل وكذا من قال ان كلاهما منه بوجه واحد بل الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى ووراء هذا سر القدر الذي منع عن افشائه - واما الدعاء للبلاء مع وجوب الرضا بالقضاء فلأن الدعاء يستخرج منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر من ايا اللطف فيكون الدعاء من قبيل مباشرة الاسباب ولا يخفى ان الرضا من باب التوكل وقد عرفت ان لامنافة بين مباشرة الاسباب والتوكل - واما الفرار من بلاد تكثر فيها المعاصي فلا يخالف الرضا وليس ذلك فرار من القضاء بل من القضاء الفرار بما لا بد من الفرار منه - واما نهى الفرار عن بلد الطاعون فذلك ليس لحرمة الخروج بل لئلا يحمل امر المرضي فيه ليكون هنلا واضرا وقد عرفت تفصيل ذلك -

الاصل السابع

في النية والاخلاص والصدق وفيه مطالب

المطلب الاول

في النية

اما فضيلتها فبقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) والمراد بالارادة النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات، ونحو ذلك واما حقيقتها فاعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو صفة للقلب واعلم ان الانسان يوافق بعض الامور ويخالفه بعضها فانقرر اولا الى معرفة الملائم اى النافع والضار اى المنافر فيخلق الله فيه الهداية والمعرفة

لاجل

لأجل ذلك وجعل لها اسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة ، ثم هذه المعرفة فى حصول امر إن لم يشته ذلك الامر فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة اعنى نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه ان يحجز عن تحصيله فخلق الله له القدرة والاعضاء للحركة فالعضو لا يتحرك الا بالقدرة وهى تنتظر الداعية الباعثة وهى تنتظر العلم والمعرفة والظن والاعتقاد فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى ارادة وانبعث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال او فى المال ، ثم ان انتهاز القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اما بالاجتماع فى التأثير او تأكيده التأثير فههنا اقسام اربعة ، الاول ان ينفرد الباعث الواحد كهجوم السبع فى الهرب فلا نية له غيره وهذه تسمى خالصة والعمل بموجبها اخلاصا ، الثانى ان يجتمع باعثن كل منهما كاف بالانتهاز لو انفرد كأن يتصدق لقريبه الفقير لفقره وقرابته ويسمى هذا مرافقة البواعث ، الثالث ان يقوى مجموعهما على الانتهاز دون كل واحد منهما كالصدق عند الناس لغرض الثواب والثناء معا حتى لو كان الطالب فاسقا لكان لا يعطيه او كان صالحا وطلبه فى الخلوة لا يعطيه ايضا ويسمى هذا الجنس مشاركة ، الرابع ان يستقل احدهما لو انفرد والآخر لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفع عن تأثير بالا عانة والتسهيل . مثل ان يتصدق عند الناس ولكن علم انه لو كان خاليا لم يفتر عن عمله ولكن صار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم ويسمى هذا الجنس المعاونة ، واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم نية المرء خير من عمله قيل معناه ان النية سر والعمل السر فضل وهذا صحيح الا انه ليس بمراد اذ يقتضى عموم الحديث ان يكون نية ذكر الله خيرا من ذكره بقلبه وقيل ان انية تدوم الى آخر العمر دون العمل وهو ضعيف اذ معناه ان العمل الكثير خير من القليل مع ان النية لم تكن الا فى لحظات فلا يكون خيرا وقد دل عموم الحديث على خيريته ، وقد يقال ان جهة النية فقط خير من جهة العمل فقط وهو كذلك لكنه بعيد أن يكون مرادا اذ العمل بلا نية لا خير فيه اصلا مع ان المفهوم من الحديث اشتراكها فى اصل الخيرية

والحق ان المراد ان لكل من النية والعمل اثرا في الخيرية لكن اثر النية اكثر من اثر العمل -

المطلب الثاني

في تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

والاعمال ثلاثة - احدها المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية بل النية بها شر آخر فالقائل به اما معاند الشرع واما جاهل عاص بجعله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم مثال ذلك من بنى مسجدا او مدرسة بمال حرام وقصده الخير او علم علما لمن يجعله آلة شر وفساد وقصد بذلك نشر العلم فان استعمله هو في الفساد فهو المعاتب لانا الا انه تلبس ابليس - وثانيها الطاعات وهي بالنيات في اصل صحتها وفضل طاعتها فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة مثل ان يقعد في المسجد للاعتكاف ولا تنظار الصلاة ولكف الحواس عن المعاصي وللزوم السر للفكر ودفع الشواغل الدنيوية وللتجرد لذكر الله واستماعه ولا فائدة علم ولأن يستفيد اخاه الله ولأن يترك الذنوب حياء من الله تعالى في ان يفعل المعاصي في بيته - وثالثها المباحات وتصير بالنية من القربات فما اعظم خسران من يغفل عنها مثلا ان يطيب يوم الجمعة للتلذذ فهو حلال الا انه يحاسب عليه وينقص من نعيم الآخرة بقدره واما اذا تطيب لدفع النتن عن عباد الله فتكون عبادة وان تطيب للتفاخر او للتمكين في قلوبهم او تودد الى النساء الاجنبيات يكون معصية فاياك واياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من شرورها وغرورها وتعد الجواب يوم الحساب فان الله مطلع عليك وشهيد (ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) ثم ان النية غير داخلية تحت الاختيار فلا تظن ان قولك نويت ادرس لله واتجر لله نية بل ذلك حديث نفس او لسان او فكر وانتقال من خاطر الى خاطر وانما النية انبعاث النفس وتوجيهها وميلها الى مظهرها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقولك نويت ان اشهى الطعام وامل اليه بل لا طريق الى اكتسابه الا باكتساب اسبابه وذلك مما

يقدر عليه وقد لا يقدر وذلك يجري مجرى الفتوح من الله تعالى نعم من كان
الغالب على قلبه امر الدين يتيسر عليه احضار النية في اكثر الاحوال وذلك اما
لخوف اوللرجاء اولذاته تعالى وجلاله لا لأمر سواه -

المطلب الثالث

في الاخلاص

وفضيلته كثيرة مذكورة في الآيات والاخبار - قال الله تعالى (مخلصين له الدين)
وقل (الله الدين الخالص) وقال (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) والاحاديث والآثار
في هذا الباب كثيرة - واما حقيقة الاخلاص فكل من خلس عن شوب غيره سمي
خالصا والفعل اخلاصا وبضاده الاشر اك فكما ان الشرك جلي وخفى كذا الاخلاص
ثم ان الاخلاص هو النية بشرط كون الباعث واحدا فقط فمن تصدق وغرضه محض
التقرب الى الله تعالى فهو مخلص وكذا من تصدق وغرضه محض الرئاء فهو مخلص
ايضا لغة الا ان العرف ينحصر الاخلاص بالاول - كما ان الاحاد هو الميل مطلقا
والعرف خصصه بالميل عن الحق ثم ان من انبعث لقصد القربة ولكن امتزج بخاطر
آخر من حظوظ النفس كن صام للقربة وقصد معه الحمية اوحج للقربة مع قصد
صحة المزاج بحركة السفر او تعلم العلم لله مع قصد العزيب العشرة او كتب مصحفا
للقربة وقصد ان يجد خطه بالمواظبة ونحو ذلك من امثال هذه الخطرات التي يخف
معها العمل فقد خرج بهذه عن الاخلاص وتطرق اليه الشرك ولما كان الانسان قلما
ينفك عن امثال هذه الحظوظ قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه
الله تعالى نجا - ثم ان هذه البواعث اما ان تكون مثل القربة او اقوى منه
او اضعف والاخلاص تجرد النية عن هذه البواعث كلها حتى يتجرد فيه قصد
القربة عن باعث غيره - وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى حتى لا يحب الاكل
والشرب (الا) ليهتوى بهما على عبادة الله تعالى فلا يكون له هم الا الله ومن لم يكن
كذلك فباب الاخلاص كالمسدود عليه الاعلى الدور فعلاج ذلك كسر حظوظ
النفس والتجرد للآخرة وغلب (١) ذلك على القلب - ثم ان الانسان ربما يتعب في

الاعمال ويظنها خالصة وليس كذلك فهنا وضع غرور قلبها يسلم منه احد
وقلما يتنبه له سيما العلماء اذ الباعث للاكثرين على نشر العلم لذية الاستيلاء
والاستبشار بالحمد والثناء وهو يظن انه غرضه نشر دين الله والنضال عن شرع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا الحال في الوعظ - وربما يظن العالم ان نشره
للعلم لوجه الله حتى يظن من نفسه انه لو قام احد مقامه فيه لفرح به ولم يغتم الا انه
غير وربما ظن اذ لا عبرة بوعد النفس قبل نزول الامر فمعرفة حقيقة الاخلاص
والعمل به بحر عميق يفرق فيه الاكثرون الا الشاذ النادر والفرد الغد والكلام
في تفسير الاخلاص كثير الا ان البيان الشافي ما وقع عن سيد الاولين والآخرين
صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما
امرت اى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت
وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن النظر وهو الاخلاص حقا ثم بيان درجات
الشوائب المكسرة للاخلاص على مراتب جلى وخفى ضعيف مع الجلاء وقوى
مع الخفاء واطهر مشوشاتها الرثاء مثل ان يدخل داخل وهو يصلى فحسن صلاته
لاجل ان يقول له انه صالح اولا يتبع الشيطان في ذلك الا انه يحسن ليقترن به
ويتأسى غيره به فيكون له مثل ثواب اعمالهم اولا يتبع الشيطان في ذلك ايضا
فيحسن في الخلوة والملا معا وهذا ايضا مكر لان هذه التسوية من النظر الى الخلق
اولا يتبع الشيطان في ذلك ايضا الا انه اذا حضر احد وهو في صلاته يقول له
الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله واستحى من ان ينظر الله الى قلبك وانت
خافل عنه فيظنه المسكين اخلاصا فينبهه وهو عين المكر والخدع فانه لو كان اخلاصا
لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة والفرق بين الخلوة والملا من شوب
الرثاء الخفى - واعلم ان العمل اذا كان محض رياء يستحق صاحبه المقت والعقاب
واذا كان خالصا لوجه الله يستحق الثواب وانما الخلاف في العمل المشوب
المفهوم من ظواهر الاخبار ان لا ثواب له اصلا وقد يعارض فيه بعض الاخبار
بعضا فالذى ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ننظر الى قدر الباعث الدينى والباعث
النفسى

النفسى فان تساوى تساقطا فالعمل لاله ولا عليه وان قوى الباعث النفسى فالعمل غير نافع بل مقتضى للعقاب وان كان اخف من عقاب رثاء لم يمتزج فيه جهة قرب اصلا وان قوى الباعث الدينى فله ثواب بقدر زيادته لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ولقواه تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) فلا ينبغي ان يضع قصد الخير بل ان كان غالبا على الرثاء حبط منه القدر الذى يساويه ويبقى له الفضل ثوابا وان كان مغلوبا محى من الوزر ما كان يساويه ويبقى له الباقي وزرا فكما لا يضع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضع مثقال ذرة من الخير والشر عن تأثير في اثاره القلب وتوسيده وفي تقريبه من الله تعالى وتبعيده - واما ما ورد في الاخبار من ان الرثاء محبط للعمل مطلقا فالمراد به الرثاء المحض او الغالب على الخير فلا تناقض اصلا -

المطلب الرابع

في الصدق

هو فضيلته مركزه في كل طبع ولا حاجة الى التنبيه عليها واما حقيقته ومراتبه فاعلم ان الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وفي النية وفي الارادة وفي العزم وفي الوفاء بالعزم وفي العمل وفي تحقيق مقامات الدين كلها والمتصف بالصدق في جميع ذلك يسمى صديقا لانه مبالغة في الصدق ، الاول اعنى صدق اللسان لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمنها فالخبر اما ماض او مستقبل ويدخل فيه الوفاء بالوعد والخلف فيه وهذا الصدق الواقع في اللسان واجب على كل احد وله كما لان احدها الاحتراز عن المعارض لانه في حكم الكذب من حيث انه تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه وان صالح لغيره ايضا الا انه قد يترجح على الصدق في بعض المواضع في تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرى هؤلاء وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الغزاة والصدق ههنا يتحول الى النية - والكمال الثاني ان يراعى معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بهاربه كما في قولك اني وجهت

وجهي للذي فطر السموات والارض فينبغي ان يكون قلبه متوجها اليه عند كلامه. وكذا اذا قلت اياك نعبد ينبغي ان لا تشرك احدا في عبادته - الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص فكل صادق لا بد أن يكون مخلصا - الصدق الثالث صدق العزم مثل ان تقول ان رزقي الله ما لا تصدقت بجميعه او شطره او ان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اظلم احدا فصدها بانه لا يكون تردد عندهذا القول في عزمه بل يكون عزمه جزءا صادقا وان كان مع ميل وتردد وضعف لا يكون عزمه صادقا قطعاً - الصدق الرابع في الوفاء بالعزم اذ النفس قد تسخو في العزم والوعد اذ لا مؤنة فيه لكن اذا آن او ان تحقيقه قد ينحل عزمه فيكذب او يحقق فيصدق - الصدق الخامس في الاعمال وهو أن لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر مثلا يتخشع في الاعمال وقلبه في السوق وان لم يقصد الرثاء فهذا هو الفرق بينه وبين الرثاء وبالجملة مساواة السر والعلانية من احد انواع الصدق - الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل ونحو ذلك فان لهذه الامور مبادئ هي ظهورها وغايات هي حقائقها واذا غلب الشيء وتمت (١) يسمى صاحبه صادقا فيه كما يقال الخوف الصادق والشهوة الصادقة مثلا كل مؤمن يخاف من النار لكن صدق ذلك ان يصفر لونه ويتنقص عليه عيشه ويستبدل بالانس وحشة وبالراحة تعباً فالصادق في جميع المقامات عزيز جدا - ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض الامور دون آخر (١) فان كان صادقا في الجميع فصاحبه يسمى صديقا وذلك نادر عزيز الوجود جدا

الأصل الثامن

في المحاسبة والمراقبة

سواء علم ان التاجر يستعين بشريكه فيشارطه او لا ثم يراقبه ثم يحاسبه ثالثا ثم يعاتبه رابعا كذلك الغفل هو التاجر في متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه ان يحاسبها

لأن كل نفس من انفس العمر جوهره نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنوز لا تنهاى ابد الآباد فيقول للنفس في صبيحة كل يوم مالى بضاعة الا العمر فيها فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وهذا اليوم الجديد قد مهلتى الله تعالى فيه وانسانى اجلى وانعم على به ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا يوم ما واحدا اعمل فيه صالحا واحسبى أنى توفيت ثم رددت فاياك ان يضيع هذا اليوم فان كل نفس من الانفس جوهره لقيمة لها هذه وصيته لنفسه فى اوقاته ثم يستأنف لها وصيته فى اعضائه السبعة ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لم يحفظ هذه الاعضاء صارت ابوابا سبعة لجهم اما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن الفضول فانها مسؤولة عن الفضول كالكلام ثم يأمر بصرفها الى ما خلقت هى له وكذا اللسان يحفظه عن الغيبة والتميمة والكذب والبهتان وعن فضول الكلام ويأمر له العلم والاذاكار وسائر الخيرات وكذا الأذن والبطن واليد والرجل والفرج ثم ان العقل بعد ما شرط للنفس هذه الامور ينبغى ان يراقبها عند العمل ولا يخفى ان المراقبة من مبادئ مرتبة الاحسان ففضلها ظاهر واما حقيقتها فهي مراعاة القلب للرقب واشتغاله به والتفاتة اليه ولا يتم هذا الابصرة وهى ان الله تعالى مطلع على الضائر عالم بالسر اثر رقيب على اعمال العباد (ان ربك لبالمرصاد) واذا استولت على القلب هذه المعرفة لاجرم املت القلب الى جانب ملاحظة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون المنقسمون الى الصديقين والى صاحب اليمين واما مراقبة الصديقين فهو مراقبة التعظيم والاحلال بأن يستغرق قلبه فى ملاحظة ذى الاحلال ويصير منكسرا تحت الهيبة فلا يبقى معه متسع للضرر اصلا وتبقى جوارحه متمطلة عن التلفت الى المناجاة فضلا عن الحظورات (١) فلا يحتاج الى مدبر فى حفظها على سنن السداد وهذا هو الذى صار همه ها واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومثل هذا يغفل من الخلق كلهم حتى لا يبصر من عنده وعينه ناظرة اليه ولا يسمع الكلام وليس به صمم وقد يمر على ابنه فلا يكلمه - وقال بعضهم لمن عاتبه على عدم

الاكتفات اذا مررت فحر كفى - ومثل هذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه
اذ لا يتحرك الا بما هو فيه - واما مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم
غلب مطالعة جمال الله على قلوبهم وبواطنهم وظواهرهم ولكن لم يدهشهم ذلك
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال وهم
يجمعون بين ممارسة الاعمال والمراقبة بغلبة الحياء من الله تعالى فيثبت فيه
ويفر من الفضاحة في القيامة فينظر قبل العمل انه الله تعالى فيمضيه او غير الله
فيستحي من الله فيكف عنه ثم يلوم نفسه على رغبته فيه وهمها به وميلها اليه
وعرفها سوء فعلها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمة وعند الشروع
في العمل في كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله من حركة وسكون -
فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن
الفعل ، فراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الآداب وحراستها عن
الآفات ، وان كان في معصية فراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال
بالثفكير - وان في مباح فراقبته بمراعاة الادب ثم شهود المنعم في النعمة
وبالشكر عليها - ثم الناس في حق المطاعم والشارب على اربع مراتب ، قسم ينظرون
اليها بعين الاعتبار فينظرون في عجائب صنعها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها
وكيفية تقدير الله لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المستخرجة للشهوة
وهذا مقام ذوى الالباب ، وقسم ينظرون بعين المقت والكرهة ويودون لو اشتغلوا
عنها لانهم مضطرون اليها وهذا مقام الزاهدين ، وقسم يرون في الصنعة الصانع
وصفاته تنتفتح له ابواب الفكر وهو اعلى المقامات وهو من مقام العارفين والمحبين
وذلك عزيز جدا ، وقسم ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم
منها ويفرحون بما حضرهم من جملة ما يذمون ما لا يوافق طبعهم ويعيبون الطبيب
والطباخ مع ان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذنه فقد ذم الله تعالى ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر واذا عرفت محاسبة
النفسي

النفس ومراقبتها عند العمل فاعلم **■** مراقبتها محاسبتها بعد العمل وهي النظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان فضل حاصله شكره والاطالبه بضيائه وكلفه تداركه في المستقبل ثم ان رأس مال السالك في دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه المعاصي وموسم التجارة جملة النهار فليطالب نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض ان اداها على وجهها شكر الله عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط ثم انه يحاسبها عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن ثم انه بعد محاسبتها ينبغي ان لا يهمل تقصيرها والاعسر فظامها بعد ذلك وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها على ذلك مثلاً اذا اكل لقمة بشبهة يعاقبها بالجوع واذا نظر الى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر وهكذا واذا كنت عاقبت اهلك وعبدك وامتك وولدك على تقصيرهم في امر يؤدى الى ضرر في الدنيا فلا شيء لاتعاقب جوارحك وهي اخص بك مما ذكر مع ان ضررها في الآخرة - ثم اذا اتممت امر المحاسبة فعليك بالمجاهدة بان تعاقبها بالعقوبات مثلاً ان رآها تتنادى (١) في ورد من اورادها يعاقبها بتقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتدارك لما فرط ولعمرى ما اعظم حسرة من لا يمنع نفسه اياما قلائل عن شهوات مكدره ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهي ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك - ثم اعلم ان اعدى عدوك نفسك اتى بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء وامرت بمنعها عن شهواتها وغطاؤها عن لذاتها فان اهلتها شردت وجهت وان عاتبها كانت نفسك هي النفس اللوامة ورجوت ان تصير مطمئنة فلا تغفل عن عظمها ساعة وقل لها انت تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت احمق واجهل اما تعرفين الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما فمالك تستغلين باللهو اما تعلم ان كل آت قريب وايضا انه يا قى بغتة ولا اقل من ان المرض يا قى بغتة فعند

ذلك لا ينفعك الندم ، وايضا ما اجرأك على المعاصي ان قلت ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان قلت انه يراك فما اشد وقاحتك وان اغتررت بمكره وفضله فما لك لا تغترين بهما في أمر الدنيا وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تظنين انك اذا امت انفلت وتخلصت هيهات هيهات كيف تكذبن انبياء الله فان صدقتهم فما بالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد فيما ذا أمنت استعجال الاجل وما الباعث لك على التسويف فتتظنين يوما لا يعسر فيه مخالفة الشهوات فهذا من اقبح الجهالات اذ الجنة حفت بالمكاره والنار بالشهوات مع ان شجرة الشهوة تقوى وترسخ مهما طال الزمان سيما والقوة مهما تأخرت تكون في النقصان اذ رياضة الهرم من العناء والقصيب اذا علظ لا يقبل الانحاء وان لم تصبرى عن مقارفة الشهوات فتألمى ان الم الصبر عنها اعظم ام الم الصبر على النار فاذا عرفت هذا فلعلك لاتوانين عن النظر لنفسك الالضعف يقينك بيوم الحساب وهو الكفر الخفى او اعتمادك على كرم الله تعالى وعفو من غير الالتفات الى استدراجه ومكره واستغناؤه عن عبادتك وهذا هو الحق الجلى وانما كرم الله تعالى في تعريف اسباب الخلاص لافى ان يدفع عنك العقاب بدون التحصن بحصنه اعنى التوحيد والطاعات - ويحك فاحسبى انك غافلة عن عذاب الله وثوابه اما تعلمين انك تفارق الدنيا بالموت فلا يبقى لك الاحسرة مفارقتها تعمرها وانت ترتحل عنها وتخربين آخرتك وانت تصير اليها ولعلك اسكرتك حب الجاه وحاصله ميل قلوب الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد والك واطاعوك فما تعرف انه بعد خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجد فأف لدنيا ربما يفضلك فيها المجوس واليهود فيا حسرة عليك ان الموقى يتمنون الرجعة الى الدنيا ليشتعلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم غافل عنها ذاهل - افتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تظنين ما انت الا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك اما تحافين اذا بلغت النفس منك على التراق وتبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك

منك البكاء فانظري بأى قلب تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين واعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجى الا اليه ولا مقول الا عليه قد ضاقت بك السبل وانقطعت منك الخيل ولا يجيب دعوة المضطر الا هو ولا يغيث الطالب الملتهم الا هو فقولى يا رحمن يا رحيم يا عظيم يا كريم انا البائس الفقير والضعيف الحقير هنا مقام المتضرع المسكين والذليل المهين فعجل اغاثتى وفرجى وارنى آثار رحمتك واذقنى برد عفوك وشراب مغفرتك وارزقنى قوة عصمتك ولذة النظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين -

الاصل التاسع

فى التفكير وفيه مطلبان

المطلب الاول

فى فضيلة التفكير

وذلك شائع فى كتاب الله تعالى والاخبار بحيث لا حاجة الى تفصيل ذلك واما حقيقته فهى اختصار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة وهذا اما بالتقليد او بالفكر من عند نفسه اما بالتعلم والممارسة وهو الاكثر اوبنور الهى فى الفطرة كما كان للأنبياء عليهم السلام وذلك عزيز جدا ، وقد يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا وقد يخص اسم الاعتبار للعبور عن المعرفتين الى معرفة ثالثة ، واسم التذكر بالعثور على معرفتين فقط وكل متفكر متذكر بدون عكس كلى ، ثم ان ثمرة الفكر العلم ويحصل منه فى القلب تغير يسمى حالا ويلزم هذا الحال تغير فى الجوارح يسمى عملا فالفكر هو مفتاح لخيرات كلها ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فهنا خمس درجات 'ولها التذكر وهو حضار المعرفتين فى القلب مثل ان تعرف ان الابقى اولى بالاثار وان الآخرة ابقى ، وثانيها التفكير وهو طلب المعرفة الثالثة منها ، الثالث حصول المعرفة المطلوبة

واستنارة القلب بها وهى قولك الآخرة اولى بالا يثار ، الرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول المعرفة مثل تغير القلب الى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، والخامسة خدمة الجوارح للقلب ما تجدد له من الحال ، وذلك مثل تغير اعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على الآخرة -

المطلب الثانى

فى مجارى الفكر

اعلم ان الفكر اما فى امر الدين او فى غيره وانما غرضنا هو الاول والمراد منه المعاملة بين العبد والرب بجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله او بالمعبود وصفاته وافعاله سبحانه وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر فى غيرهما - وما يتعلق بالمعبود اما ان يكون نظرا فى ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا فى افعاله وملكوته وملكوته وجميع ما فى السموات والارض وما بينهما وانما انحصر الفكر فيما ذكر لان المحب اذا استغرق فى حبه لم يتسع فكره الا ملاحظة محبوه وملاحظة احوال من نفسه يرضى محبوه او يسخطه عليه ولا تمتنع لغيرهما فصار محل التفكير اربعة اقسام - القسم الاول التفكير فى صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه وطريق الفكر فى امور ثلاثة الاول انه هل هو مكروه عند الله ام لا اذ ربما يشتبه جهة الكراهة - الثانى جهة الاحتراز عن المكروه - الثالث ان المكروه اما فى الحال فيتركه او فى الاستقبال فيحترز عنه او فارقه فيما مضى من الاحوال فيتداركه - وقسم المحبوب ايضا ينقسم الى هذه الامور ثم هذه الامور اما طاعات او معاصى ظاهرة اما فى الاعضاء السبعة او غيرها او صفات منجيات ومهلكات باطنة - النوع الاول المعاصى فيحاسبها صبيحة كل يوم اعضاءه السبعة بل جميع بدنه فان كان ملابسا فى الحال يتركها اولابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها فى نهاره فيستمد لها بالاحتراز والتباعد فيفتش كل عضو عضو على الانفراد - النوع الثانى الطاعات فينظر اولافى الفرائض كيف

كيف اكملها او جبر نقصانها بالنوافل ثم يفتش كل عضو فيتفكر في صرفه فيما يحبه الله - النوع الثالث في الصفات المهلكة التي محلها القلب من الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب فيتأمل في كل ما ذكرنا في المهلكات فيمتحن قلبه ويستشهد بالعلامات ولا يلتفت الى ادعاء النفس التزهد عنها ثم يباشر علاجه وقد ذكرناه في موضعه - النوع الرابع في الصفات المنجيات من التوبة والندم والصبر والشكر ونحو ذلك وليتفكر كل يوم في قلبه وما الذي يعوزه من هذه الصفات المقربة الى الله فاذا افترق الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الاعلام وان العلوم لا يثمرها الا الافكار وانفع الامور في هذا اقراء القرآن بالتدبر والتفكير ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكير فيها من بعد اخرى ولو مائة مرة ويتوقف في التأمل ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة من القرآن اسرار لا تحصى وكذلك مطالعة الاحاديث لانه صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كتابه بحر من بحار الحكمة ولو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره فهذا هو طريق التفكير وينبغي ان يكون المبتدئ مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يصل الى المقامات الشريفة وهذا التفكير مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل هو محبوب عن مطلب الصديقين وهو التفكير في جلال الله وجماله واستغراقه فيه بحيث يفتي عن نفسه والقضاء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين والذي ذكرناه هو عمارة الباطن وهو وسيلة الى القضاء ويرى ان الحسين بن منصور لقي الخواص وهو يدور في البوادي فقال فيما انت فقال اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمر ان باطنك فابن القضاء في التوحيد وبالجملة تعمير الظاهر بالعبادات لا يثمر الا اللجنة دون المجاسة وتعمير الباطن بالصفات المنجيات يثمر الاستعداد للقاء اصل السعادة هو القضاء لانه يثمر اللقاء واعلم ان كل مرید ينبغي ان يكتب الصفات المهلكات والمنجيات في حريدة فيها كفي واحدة من المهلكات خط عليها ويدع التفكير فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه منها وهكذا حتى يفعل على الجميع ، وكذا يفعل بالمنجيات

والمهلكات والمنجيات وان كانت لا تقبل الاحصاء الا انه يكفى من كل منهما عشرة وهى الاصول وهى التى ذكرناها فى هذا الكتاب فتدبر فيها ، وهكذا حال المعاصى والطاعات الظاهرة الا ان كل صنف من الناس مبتلون بنوع من المعاصى فيكفى فى حقهم التفكير فى ذلك النوع -

القسم الثانى - الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان - الاول الفكر فى ذاته وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر الممكن من معرفته انه تعالى مقدس عن الزمان والسكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطبق مدالبصر اليه الا الصديقون ثم انهم لا يطبقون نور الشمس اصلا وعقول الصديقين كابصار الانسان حتى يطبقون النظر ولا يطبقون دوامه ولذلك قيل تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته - المقام الثانى - وهو النظر الى افعاله وبخائب صنعته وبدائع امره فى خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعاليه وعلى كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فالنظر اليها فى مصنوعاته كالنظر الى الشمس فى الطست فالافعال واسطة فى مشاهدة الفاعل فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ، فالتفكر فى خلق الله اما فيما نعرف اصلها فلا يمكن اصلا قال تعالى (سبحان الذى خالق الازواج كلها ماتنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) واما فيما نعرف اصلها وجمالها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر فى تفصيلها ثم هو اما غير مدرك بالبصر كالملائكة والجن والشياطين فمجال الفكر فيه مما يعمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بالبصر كالسموات السبع والارضين وما بينهما وكذا الموجودات فى السموات والموجودات على الارض ولكل هذه الاجناس انواع ولكل نوع منها اقسام وللانقسام اصناف ولكل منها صفات وحيات ومعان ظاهرة واطنة وجميع ذلك مجال للفكر فلا تتحرك ذرة فى السموات والارض الا وفى حركته حكمة او حكمتان او عشر او ائى حكمة كل ذلك شاهد

الله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وقد ورد القرآن بالحث على التفكير في هذه الآيات كما قال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب) وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كثير من المواضع في القرآن قوله (ومن آياته) كل ذلك مشتمل على العبر الكثيرة للمتفكرين ولمضرب لك مثالا امكنتك ان تحذو البواقى حذوه وهوان اقرب الاشياء اليك نفسك وهى مخلوقة من نقطة هى قطرة من الماء انرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وانرجها من صلب الرجل الى رحم المرأة ألقى الالفه والمحبة بينهما وقادها بسلسلة الشهوة الى الاجتماع ثم خلق من النطفة مولودا بان جعلها علقه وهى بيضاء مشرة ثم جعلها مضغة ثم مع تشابه اجزائها قسمها الى العظام والاعصاب والعروق والاورتار واللحم ثم ركب من هذه الاعضاء الظاهرة والباطنة فقدر الرأس ومشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسمها بالانامل ووضع فيها الاظفار ثم ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص بعمل مخصوص ثم لو ذهبتا تفصل احوال كل منها لفنيت القوى وتحيرت النهى مثلا ابصار العين وطبقاتها وكذلك كيفية السمع والذوق لدهش من عجائبها العقول فانظر الى الحدقة وهى مقدار عدسة كيف تحيط بنصف السماء دفعة مع عظمها وانظر الى السمع كيف يدرك الاصوات ويميز بين الحروف ويفرق بين جهات الصوت مع ان المدخل واحد الى غير ذلك من العجائب مثلاً مجموع عظام البدن مائتا عظم وثمانية واربعون عظماً سوى العظام الصغيرة ولو تكلمنا فى كل واحد منها لم نقض من حكمة واحد منها عشر أعشارها فضلاً عن سائر حكمها الا ان الذى ذكرناه من النظر فى الحكم لسنائر يده به نظر الطبيب فى حكم خواص هذه الاجزاء لينكشف وجه العلاج فيها ان زال عن مزاجها الطبيعى بل نريد به نظر اهل البصائر الذى يستدلون بحكمها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظيرين فسبحانه سبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه

فهذه نبذ من بحائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وانت غافل عنها مشغول ببطنك
وغرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتستهي فتجتمع
وتغضب فتقاتل ويشاركك في ذلك البهائم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان
• معرفة الله تعالى بالظرف في ملكوت السموات والارض وبحائب الآفاق والانفس
اذبها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين
مقربا من حضرة رب العالمين نسأل الله ان يجنبنا مزلّة اقدام الجهال -

الاصل العاشر

في ذكر الموت والبعث والنشور

وفيه مطالب

المطلب الاول

في ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك في الدنيا والمحب لشهواتها يغفل قلبه لاحالة عن ذكر الموت وان
ذكره كرهه ونفر منه - ثم الناس اما منهمك فلا يذكّر الموت وان ذكره فيذكره
ثمأسف على دنياه واماتائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف فيغى
بتمام التوبة وربما يكرهه خيفة من ان يحتطفه قبل تمام توبته وقبل اصلاح الزاد
ولايدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره لقاءه فان هذا
لا يكره لقاء الله بل يكره فوت لقائه - واما عارف يذكّر الموت دائما لانه موعده
لقائه لحبيبه وهذا في الاكثر يستبطن الموت ليتخلص من دار العاصين وينتقل
الى جوار رب العالمين - وههنا درجة هي مقام التسليم والرضاء وهي اعلى من
الكل وصاحبها يفوز امره الى مولاه فلا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون
الاحب اليه ما هو الاحب لمولاه وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب حتى
ان المنهمك ربما يستفيد به التجاني عن الدنيا لانه يكدر عليه اللذات والشهوات
فيكون من اسباب النجاة والذالك قال صلى الله عليه وسلم اكثر وامن ذكر هادم
الملات،

اللذات - اى نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله وما ورد في فضيلة الموت من الاخبار والآثار كثيرة جدا فلا نطول بذكرها الكلام الا ان ذكر الموت انما يؤثر في القلوب لذكرهم اياه بظاهر قلوبهم وعذبة ألسنتهم والا فلو ذكره بقلب فارغ عن الشهوات واذعان لحال الاموات والى ما صار حاله بعد طول فرحهم وسرورهم بالدنيا وغرورهم بالجاه والمال والاعوان والا نصار حتى ايتموا اولادهم وارملوا نساءهم ونصرف باموالهم اعدى الناس بل ايدى اعدائهم وكيف خلت منهم مجالسهم وبيوتهم وانقطعت آثارهم ونسيت اسمائهم لاثر ذكر الموت في قلوبهم وجعلوه نصب اعينهم - ثم ان قصر الامل ديدن العلماء وارباب القلوب وفضيلته مذكورة في الاخبار والآثار وانه اصل كل سعادة الا ان القلوب مبتلون بطول الامل وعمت هذه البلية الكافة - وله سببان احدهما الجهل حيث يستبعد الموت مع الصحة والشباب ولا يدري ان مشايخ البلد اقل من شبانه وليس ذلك الا لكثرة الموت في الشبان والصبيان اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وخمسة اشاب وايضا لا يدري ان الموت وان لم يكن نجاة لكن المرض بنجاة غير بعيد وذلك لان الوهم يعرف ما لم يألفه فالانسان الف موت غيره ولم يره موت نفسه اصلا فلذلك يستبعده الا ان من له عقل يعرف ان الاجل قدر والانسان كل يوم وساعة في القرب اليه وكل آت قريب - وثانيهما حب الدنيا فانه انس بشهواتها فيشق عليه مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه ويتمنى ما يوافق هواه فلا يزال يتوهم البقاء في الدنيا واسبابه الى ان يتقرر عنده ذلك ولا يخطر بباله الموت واذا خطر بباله الموت يسوفه الى الكهولة ثم الى الشيخوخة ثم الى الرجوع من سفره او الى الفراغ من تدبير ولده او جهاز ابنته او قهر عدوه الى غير ذلك من الاماني الباطلة - وهكذا يفضى به شغل الى شغل آخر او الى اشغال الى ان تخطفه المنية في وقت لا يحبه فعند ذلك تعظم حسرته وتندمه حين لا ينفعه الندم والمسكين يقدر انه سيفرغ من امور الدنيا وهيئات ما فرغ منها الا من اطرحها ولا يزيد التسويف الا قوة

ورسوخا واكثر حزن اهل النار وصيأهم من سوف يقولون واحزنانه من
سوف ونعم ما قيل -

ولست بمدرك ما فات منى بلهف ولا بليت ولا لوأنى

اذا عرفت ان طول الامل التسويف وسببه الجهل المحض اوحب الدنيا فاعلم ان
علاجه ان كان من الجهل يندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة
البالغة من القلوب الطاهرة وان كان من حب الدنيا فعلاجه شديد وهو الداء
العضال الذى اعمى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر
وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن
قلبه حب الدنيا فان حب الخطير يحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا
ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من
المشرق الى المغرب فمن كان مستعدا الى الآخرة فقد فاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا
بطول الامل فقد خسر خسرا نائبا هذا ثم ان الناس متفاوتون فى طول الامل
منهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك ابدا ، قال الله تعالى (يود احداهم لو يعمر الف
سنة) ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر وهو الذى يحب الدنيا
حبا شديدا ومنهم من يأمل الى سنة وانما يستعد فى الشتاء للصيف وفى الصيف
للشتاء واذا جمع ما يكفي لسنة اشتغل بالعبادة ، ومنهم من يأمل الصيف فقط
او الشتاء فقط فلا يستعد فى احدهما للآخر - ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة
فلا يستعد لغد - قال عيسى عليه السلام لا تهملوا (١) برزق غد فان يكن غدا من
آجالكم فيأتى فيه ارزا فكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهملوا لارزاق
غيركم - ومنهم من يجاوز امله ساعته كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا
اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح -
ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة - كان صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على
الماء قبل مضي ساعة ويقول لعل لا ابغته - ومنهم من يكون الموت نصب عينيه
كانه واقع به وهو ينتظره ويصلى صلاته صلاة مودع كما روى انه صلى الله عليه وسلم

سأل معاذ عن حقيقة إيمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى - وهذه مراتب الناس في الامل وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم ودرجاتهما عند الله تعالى ايضا متفاوتة فان الله لا يظلم مثقال ذرة (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ثم ان علامة قصر الامل المبادرة في العمل قبل حلول الاجل ومن ادعى قصر الامل وهو يعتنى بالدنيا فهو كاذب في دعواه فالتوفيق علامة ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن قلبه فرغ عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد -

المطلب الثاني

دواهي الموت وهي اربع

الاولى شدة النزاع واعلم ان الألم المصيب للبدن انما يدرك بواسطة الروح واذا وصل الألم الى نفس الروح فلا تسئل عن كربه وألمه حتى قالوا انه اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشير وقرض بالمقاريض وانما لا يقدر على الصباح مع شدة ألمه لزيادة الكرب حيث قهر كل قوة وضعف كل جارية فلم يبق له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها حتى ان بقيت فيه قوة سمعت له خوارا وغرغرة من صدره وحلقه حتى يباغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها وتعلق دونه ابواب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر فلا تسئل عن عظم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به حتى ان الانبياء لم عرفهم به يخافون من

ذلك خوفاً شديداً - الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح منه على القلب فلورأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته الا ان المطيع يراه فى احسن صورة واجملها - الثالثة مشاهدة العصاة وواضعهم من النار ولئن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نعمة ملك الموت باحدى للبشرين اما ابشر يا عدو الله بالنار وابشر يا ولى الله بالجنة - الرابعة خوف سوء الخاتمة وقدم ذكره فى الخوف والرجاء فلا نعيده - ثم المستحب للحاضر عند الموت هو صوت الهدى والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقاً بالشهادتين ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله - قال النبى صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه وييسر شفتاه فهى من رحمة الله قدزلت به واذا غط غطيظ المجنون واحمر لونه وا زبدت شفتاه فهى من عذاب الله قد نطق به واما انطلاق لسانه بالشهادة فهى من علامة الخير الا ان الملقن لا يلج عليه اذ ربما يستقله لشدة حاله ويخشى ان يفضى الى سوء الخاتمة - واما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس فى قلبه غير الله فان لم يبق غير الله تعالى فهو فى النعيم الدائم وان كان مشغولاً بالدنيا ومتأسفاً على لذاتها كان امره الى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يفضل الله بالقبول وانما الواجب على العبد حسن الظن فى ذلك الوقت -

المطلب الثالث

فى حقيقة الموت واحوال الميت

اعلم ان للناس فى احوال الموت ظنوناً فاسدة ظن بعضهم انه هو العدم ولا حشر ولا نشر بل الموتى كالتبات وجفافها ، هذا رأى الملاحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر - وظن بعضهم انه ينعدم بالموت ولا يتنعم ولا يتألم الى ان يعاد فى وقت الحشر - وقال آخرون الارواح باقية وهى المثاب والمعاقب دون الاجساد وانها لا تبعث ولا تحشر اصلاً - وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق والحق الذى نطق به الآيات والاخبار أن الموت تغير حال لا عدم وان الروح باقية

باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة او منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها في الجسد ولا يبعد أن تعاد الى الجسد في القبر قدر ما يدرك اللذة والالم ولا يبعد أن يؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على عبادِهِ ، واما نفسه وروحه فهي باقية ، نعم تغير حالها من وجهين احدهما انه بالموت سلب عن امواله واهله وسائر احواله الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم اما سعيد الحال او شقي البال - وثانيها انه ينكشف له ما يضره او ما ينفعه حسناته وسيئاته والناس نيام فاذا ماتوا اتنبهوا - فاما يتنعم او يتألم وهذه احوال تهجم عليه قبل الدفن واما بعد الدفن فقد ترد روحه اما لنوع آخر من العذاب او لنوع آخر من الثواب ولولم يكن له الا الخزي والافتضاح وهتك السر عند الموت لكانه ولكن وراءه امور اخر لا يكاد يعبر عنه الالسنه واما ان كان من اهل التمتع ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكشاف لا يبلغ طرف اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العودة الى السجن المظلم - وفي احوال القبر ثلاث مقامات احدها وهو الاسلم ان يصدق بوجودها ولا يفتش عن كيفيتها - وثانيها ان يفتش عن احواله ويقيس ذلك الى ناظم يرى في نومه ما يخافه او يتنعم منه ولا يقف عليه من يجاوره ولو في غرashes واحد ولا يخفى ان النوم اخو الموت - وثالثها ان الحية لا تعذب بل السم وكذا السم لا يعذب بل المؤلم اثره وخلق الامور بدون اسبابها العادية جائزة في قدرة الله تعالى وكذا الحال في اللذة ثم اهل البصائر قد حكوا بامكان هذه الطرق الثلاث فصدق بهم تقليد (١) واما من يعرف ذلك تحقيقا فيعز على بسطة الارض وعليك ان لا تشتغل بمعرفة تفاصيل العذاب بل اللاتقي بك الاشتغال بالتدبير في دفع العذاب - وان اردت معرفة كيفيات العذاب فعليك بمطالعة الاخبار والآثار اذ معرفة ذلك في هذا العالم لا يمكن الا بمشاهدة بعين اخرى غير عين تشاهدها عالم الملك والشهادة ولكن الانسان جعل غشاوة على عينه التي يشاهدها عالم

الغيب من شهواته واشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولما كانت عين الانبياء منقشة عن العشاوة شاهدوا تلك الاحوال وأخبروا بها فتتبع ذلك من اخبارهم ومن هذه المشاهدة حال الرؤيا التي نراها في المنام اذ كثير منها توجد صحيحة - والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علم المكاشفة وهي أمر عظيم لكن الناس غافلون عنها واجمال القول فيها ان النفس كالمرآة ولوح الله تعالى مكتوب فيها جميع ما كان وما سيكون لاعلى لوح من خشب او حديد بل على شيء مجرد لا بكتابة معهودة بل بنقش معنوى ثم الحواس اذا تعطلت بالنوم ارتفع حجاب النفس اذلا حجاب لها غير الالتفات الى المحسوسات فحينئذ يتقابل اللوح ومرآة النفس فتنتقش فيها صور اللوح الا ان النوم لا يمنع الخيال عن عمله فيحاكى المعاني بمثال يقارب ذلك المعنى فالمعبر انما يعبر عن الصورة الخيالية الى المعنى المأخوذ من اللوح فيحكم بحجة الحال - ولندكر مثالا من التعبير وهو ان رجلا ذكر لابن سيرين رأيت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت - فانظر ان روح الختم المنع والنفس لما انتقش حاله من اللوح بانه يمنع الناس من الأكل والشرب والجماع ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم مثله به في الصورة الخيالية ثم لا يبقى في الحفظ الا هذه الصورة فالمعبر اذا سمعها يعرف المناسبة بين هذه الصورة ومعناها فيعبر عن الصورة الى المعنى فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه ثم ان الانسان عند موته ينكشف له الحجاب فيرى نفسه اما محفوفة بالمخازي والانكال والفضائح فعوذ بالله من ذلك او مكنوفا بنعيم مقيم او بملك كبير لا آخر له فاعلم العلماء واحكي الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر بباله قط ولا اختلج به ضميره ولولم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكير في خطر تلك الحالة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين ايدينا والعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا ودوابنا بل باعضائنا واسماعنا وابصارنا مع اننا نعلم مفارقة جميع ذلك ولكن اين من ينفت

روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد البشر صلى الله عليه وسلم احبب
 ما احببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به -
 فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له صلى الله عليه وسلم بعين اليقين كان في الدنيا كبار
 سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف ديناراً ولا درهما ولم يتخذ
 حبيباً ولا خليلاً نعم قل لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابابكر خليلاً، ولكن
 صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وان حبه تمكن من
 حبة قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب - وقد قال صلى الله عليه وسلم لأمة
 ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وانما امة من اتبعه وما اتبعه الا من
 اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه مادعا الى الله واليوم الآخر وما صرف
 الاعن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة
 فقد سلكت سبيله وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امة
 وبقدر ما قبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعتها والتحقت بالذين
 قال الله فيهم (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) ولو انصفت
 من نفسك وانت من حين تصبح الى حين تسمى لاتسعى الا في الحظوظ العاجلة
 لم تطمع ان تكون غداً من امة واتباعه فان ظننت هذا وانت مصر على ما فعلت
 فما أبعد ظلك وما ابرد طمعك (افجعل المسلمين كالجرمين) لكم كيف تحكمون
 ففرجوا الله تعالى ان لا يعاملوا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهل به وسعة جوده
 انه جواد كريم رؤف رحيم -

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتبع التابعين
 ورضي الله عنا وعن آبائنا واستأذينا وعن اصحاب الحقوق علينا وعن إقاربنا
 وعشائرننا وعن جميع المسلمين اجمعين آمين -

وشقه افقر عباد الله الصمد خصالي حسين بن احمد بن محمد البوديني في ليلة البراءة
 من شهور سنة احدى وثلاثين والاف -

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى خلق لعباده عبادته ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه سيدنا محمد الذى نتج به ابواب السعادة ، وعلى آله واصحابه اولى الفضل والسيادة -

وبعد فقد تم طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة للولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة (١٦٢) وذلك فى شهر شعبان المكرم سنة ١٣٥٦ بمطبعة الجمعية العلمية الشهيرة (دائرة المعارف العثمانية) بحيدرآباد الدكن ادامها الله تعالى مصونة عن التفتن والحن فى ظل الملك المؤيد المعان الذى اشتهر فضله فى كل مكان ، السلطان بن السلطان ، سلطان العلوم مظفر الممالك آصف جاه السابع مير عثمان على خان بها درلا زالت مملكته بالعز والبقاء ، دائرة التقدم والارتقاء - وهذه الجمعية تحت صدارة ذى الفضائل السنية ، والمفاخر العلية ، النواب السير حيدر نواز جنجك بها در رئيس الجمعية ورئيس الوزراء فى الدولة الآصفية والعالم العامل ، بقية الأفاضل ، النواب محمد يار جنجك بهادر نائب الرئيس ، وتحت اعتماد الماجد الأريب ، الشريف النسيب ، النواب مهدي يار جنجك بهادر عميد الجمعية ووزير المعارف والدياسة فى الدولة الآصفية ومعين امير الجامعة العثمانية ، والماجد الهام النواب ناظر يار جنجك بهادر شريك العميد للجمعية وركن العدالة ، وضمن ادارة العالم المحقق والفاضل المدقق مولانا السيد هاشم الندوى معين عميد الجمعية ومدير دائرة المعارف ادام الله تعالى درجاتهم سامية ومحاسنهم زاكية - وعنى بتصحيحه من افاضل دائرة المعارف وعلمائها مولانا محمد طه الندوى ومولانا محمد عادل القدوسى ومولانا الطبيب السيد احمد الله والحقير عبد الرحمن اليانى غفر الله ذنوبهم وستر عيوبهم -

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الامين وعلى آله وصحبه الطاهرين الى يوم الدين -

النسخة الحظية لهذا الجزء

هي النسخة الوحيدة المحفوظة في خزنة دار حكومة الهند بلندره وقد كان طبع الجزء ان الأولان من هذا الكتاب في جمعيتنا هذه (دائرة المعارف العثمانية) وتم ذلك في سنة ١٣٢٩ - وهما المحتويان على الطرف الأول من الكتاب فان المؤلف ذكر في المقدمة انحصار تحصيل السعادة في طريقين طريق النظر وطريق التصفية ثم قال « ولما انحصر كسب السعادة في طريقين رتبنا الرسالة على طرفين الطرف الأول من الرسالة في الارشاد الى كيفية تحصيل طريق النظر مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٧ - ثم بسط الكلام على ذلك الطرف مفصلاً في دوحات وشعب وعلوم يذكر في كل علم المؤلفات المشهورة وأسماء مؤلفيها وشيئا من تراجمهم ، ولم تغفل الجمعية حينئذ بالطرف الثاني ثم وقف الاستاذ الفاضل امتياز على عرشى مدير الخزانة الاممورية على كتاب طبع الجزء الباقي من مفتاح السعادة فنحن على ذلك لكي نتم طبعه ولكن عند التحقيق تبين ان ذلك الكتاب هو (مدينة العلوم للارنيقي) وهو ملخص من الجزء الأخير من مفتاح السعادة ثم عثر المستشرق الفاضل سالم الكرنكوي على النسخة المذكورة المكتوبة سنة احدى وثلاثين الف فكتب الى ولاية امر الجمعية فاستحسنوا استنساخ الطرف الثاني من الكتاب وطبعه فانتسخه المستشرق المذكور بقلبه وقد واجهنا في النقل شيئا من الخلل كالنصحيح والسقط فأصلحنا الواضح ثم تنبهنا اخيرا الى مراجعة احياء العلوم للامام الغزالي رحمه الله تعالى فاذا بهذا الجزء ملخص منه فاستفدنا من ذلك اصلاح كثير من الخلل والله الحمد -

الابواب	الصفحة
الطرف الثانى من الرسالة	٢
المقدمة	»
الدوحة السابعة فى علوم الباطن	٣
الشعبة الاولى فى العبادات	٤
الاصل الاول فى العلم	»
المطلب الاول فى معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم	»
المطلب الثانى فى معرفة ما يجب على المسلم من العلم	»
المطلب الثالث فى المحمود العلوم والمذموم منها	»
المطلب الرابع فى آداب المعلم والمتعلم ووظائفهما	١٠
المطلب الخامس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة	»
المطلب السادس فى العقل وشرفه وحقيقته واقسامه	١٥
الاصل الثانى فى قواعد العقائد	١٧
الاصل الثالث علم اسرار الطهارة	١٨
الاصل الرابع على كل علم اسرار الصلاة	٢٤
المطلب الاول فى مراتب الصلاة	»
المطلب الثانى فى الشروط الباطنة	٢٦
المطلب الثالث فى بيان كيفية احضار القلب	٣٠
المطلب الرابع فى علم وظائف الامامة	٣٣
المطلب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها	٣٤
المطلب السادس فى علم نوافل الصلوات	٤١
الاصل الخامس فى علم اسرار الزكاة	٥٠
المطلب الاول فى مراعاة شروطه الظاهرة	»
المطلب الثانى فى بيان الآداب للزكاة	»

الصفحة	الابواب
٥٣	المطلب الثالث علم آداب قابض الصدقة
٥٤	المطلب الرابع في صدقة التطوع وفضلها
٥٥	المطلب الخامس
٥٦	الاصل السادس في علم اسرار الصوم
»	المطلب الاول في الواجبات الظاهرة
»	المطلب الثاني في لوازم الافطار
»	المطلب الثالث في السنن
٥٧	المطلب الرابع في اسرار الصوم وشروطه الباطنة
٥٨	المطلب الخامس في التطوع بالصيام
٥٩	الاصل السابع في علم اسرار الحج
»	المطلب الاول في فضيلتها وفضيلة البيت ومكة
»	المطلب الثاني في فضل الاقامة بمكة وكرامتها
٦٠	المطلب الثالث في فضيلة الاقامة بالمدينة
»	المطلب الرابع في وجوب الحج وصحته
»	المطلب الخامس في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر
	الى الرجوع
٧٦	المطلب السادس في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة
٧٨	المطلب السابع في الاعمال الباطنة
٨٣	الاصل الثامن في علم فضيلة الاذكار والتلاوة والاوراد
»	المقدمة
٨٤	المطلب الاول في علم آداب التلاوة
٨٧	المطلب الثاني في الآداب الباطنة
٩١	المطلب الثالث في فهم القرآن وتفسيره بالرأى

الصفحة	الابواب
٩٢	المطلب الرابع في علم الاذكار
٩٥	المطلب الخامس في ادعية مأثورة معزوة الى اربابها
١٠١	المطلب السادس في ادعية مأثورة عن النبی صلی الله علیه وسلم وآله واصحابه
١٠٥	المطلب السابع في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث
١١٠	المطلب الثامن في ادعية مأثورة رواها الشيخ العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي
١٣١	المطلب التاسع في فضيلة الدعاء وآدابه
١٣٤	المطلب العاشر في فائدة الدعاء
»	الاصل العاشر في تقسيم الاوراد وفضياتها واحكامها
»	المطلب الاول في ترتيب اوراد العابد المتجرد لعبادة الله عز وجل
١٤٦	المطلب الثاني في العالم الذي ينتفع بعلمه من فتوى وتدریس وتصنيف
١٤٧	المطلب الثالث في المتعلم والتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل
»	المطلب الرابع في المحترف المحتاج الى الكسب
»	المطلب الخامس في الوالى
»	المطلب السادس في الموحد المستغرق
١٥٢	الشعبة الثانية في العادات
»	الاصل الاول في آداب الاكل
»	المطلب الاول في احوال المنفرد
١٥٥	المطلب الثاني في آداب الجماعة في الأكل
١٥٦	المطلب الثالث في آداب تقديم الطعام
١٥٧	المطلب الرابع في آداب الضيافة
١٦٢	الاصل الثاني في آداب النكاح

الصفحة	الابواب
١٦٢	المطلب الاول في الترعيب فيه وعنه
١٦٣	المطلب الثاني في فوائد المكاح
١٦٥	المطلب الثالث في آفات النكاح
١٦٧	المطلب الرابع في شروط العقد
»	المطلب الخامس في احكام الممكوة
١٦٨	المطلب السادس في آداب المعاشرة
١٧٣	الاصل الثالث في آداب الكسب والمعاش
»	المطلب الاول في فضل الكسب
»	المطلب الثامن في بيان احوال العقود الاربعة
١٧٦	المطلب الثالث في العدل في المعاملة
١٧٧	المطلب الرابع في الاحسان في المعاملة
١٧٨	المطلب الخامس في شفقة التاجر على دينه
١٨٠	الاصل الرابع في الحلال والحرام
»	المطلب الاول في فضيلة الحلال
١٨١	المطلب الثاني في درجات الحلال والحرام
»	المطلب الثالث في مراتب الشبهات
١٩٠	المطلب الرابع في البحث والسؤال
١٩٢	المطلب الخامس في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية
١٩٥	المطلب السادس في ادرات السلاطين
١٩٨	المطلب السابع في حكم مخالطة السلاطين
١٩٩	المطلب الثامن
٢٠٠	الاصل الخامس في آداب الصحبة والمعاشرة
٢٠١	المطلب الاول في فضيلة الاخوة

٤٦٠ فهرس الابواب من مفتاح السعادة من المجلد الثالث

الصفحة	الابواب
٢٠٤	المطلب الثاني في اقسام المعاصي واحكام كل منها
٢٠٦	المطلب الثالث في انصاف المشروطة
٢٠٧	المطلب الرابع في حقوق الصحبة
٢١٢	المطلب الخامس في جمل من آداب المجالسة
٢١٤	المطلب السادس في حق المسلم والرحم والحوار والملك
٢١٧	المطلب السابع في حقوق الحوار
٢١٨	المطلب العاشر في حقوق الاقارب
٢١٩	المطلب الحادى عشر في حقوق الملك
٢٢٠	الاصل السادس في آداب العزلة
»	المطلب الاول في فضلها وكراهيتها
»	المطلب الثانى في فوائد العزلة
٢٢٣	المطلب الثالث في آداب العزلة
٢٢٦	الاصل السابع في آداب السفر
٢٢٧	المطلب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع
٢٣٠	المطلب الثانى في آداب السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع
٢٣٣	المطلب الثالث في الآداب الباطنة
٢٣٤	المطلب الرابع في رخص المسافر
٢٣٥	الاصل الثامن في آداب السماع والموجد
»	المطلب الاول في حله وحرمة
٢٤١	المطلب الثانى في مواضع حرمة السماع
٢٤٣	المطلب الثالث في آداب السماع وثمراته
٢٤٦	المقام الثامن في آداب السماع
٢٤٩	الاصل التاسع في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الفصحة	الابواب
٢٤٩	المطلب الاول في فضائله
٢٤٩	المطلب الثانى في اركانه وشرائطه
٢٥٤	المطلب الثالث في آداب المحتسب
٢٥٦	المطلب الرابع في أمر الامراء والسياسين
»	الاصل العاشر في اخلاق النبوة
٢٦٤	الشعبة الثالثة في ربح المهلكات
»	الاصل الاول في شرح بحائب القلب
٢٦٦	المطلب الثانى
٢٦٧	المطلب الثالث
٢٦٨	المطلب الرابع
٢٦٩	المطلب الخامس
٢٧٠	المطلب السادس
٢٧٢	المطلب السابع في احوال الشيطان
٢٧٣	المطلب الثامن في القدر المعفو عنه من الوسوسة
٢٧٤	المطلب التاسع في بيان الوسوسة
٢٧٥	المطلب العاشر في بيان سرعة تقلب القلب
٢٧٦	الاصل الثانى في رياضة النفس وتهذيب الاخلاق
»	المطلب الاول في تحقيقه
٢٧٧	المطلب الثانى في قبول الاخلاق التغير بطريق الرياضة
٢٧٨	المطلب الثالث في الاعتدالات المذكورة
٢٧٩	المطلب الرابع
٢٨٠	المطلب الخامس في رياضة الصبيان
٢٨٢	المطلب السادس في شرائط السلوك

٤٦٢ فهرس الابواب من مفتاح السعادة من المجلد الثالث

الصفحة	الابواب
٢٨٣	الاصل الثالث في كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج
٢٨٤	المطلب الاول في فضيلة الجوع
٢٨٥	المطلب الثاني في طريق الرياضة
٢٨٧	المطلب الثالث في شهوة الفرج
٢٨٨	الاصل الرابع في آفات اللسان
»	المطلب الفذ في آفات الكلام
٢٩٦	الاصل الخامس في ذم الغضب والحقد والحسد
»	المطلب الاول في الغضب
٢٩٧	المطلب الثاني في علاج الغضب
٢٩٨	المطلب الثالث في معرفة اسباب الغضب
٢٩٩	المطلب الرابع في الحقد والعفو والرفق
٣٠٠	المطلب الخامس في الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه
٣٠٢	المطلب السادس في دواء الحسد
٣٠٣	الاصل السادس في ذم الدنيا
»	المطلب الاول في التحقيق فيه
٣٠٥	المطلب الثاني في الحرف البخارية بين الناس باحتياهم
٣٠٧	الاصل السابع في ذم المال وكراهية حبه وذم البخل
»	المطلب الاول
٣٠٨	المطلب الثاني في الحرص والطمع
٣٠٩	المطلب الثالث في السخاء
٣١٠	المطلب الرابع في علاج البخل
٣١١	المطلب الخامس في وظائف العبد في ماله
»	المطلب السادس في مدح الفقر وذم الغنى

الابواب	الصفحة
الاصل الثامن في ذم الجاه والرئاء	٣١٣
المطلب الاول	»
المطلب الثاني ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه	٣١٤
المطلب الثالث في اسباب حب المدح والثناء	٣١٥
المطلب الرابع في علاج حب الجاه	٣١٦
المطلب الخامس في وجه العلاج لحب المدح وبغض الذم	»
المطلب السادس في احوال الناس في المدح والذم	٣١٧
المطلب السابع في الرئاء	٣١٨
المطلب الثامن في درجات الرئاء	٣٢٠
المطلب التاسع في الرئاء باصول العبادات	٣٢٢
المطلب العاشر في المرايا لاجله	٣٢٢
المطلب الحادى عشر في بيان الرئاء الذى هو اخفى من ذيب النمل	»
المطلب الثانى عشر في بيان ما يحبط العمل من الرئاء الخفى والجلي	٣٢٣
المطلب الثالث عشر في بيان دواء الرئاء	٣٢٥
المطلب الرابع عشر في الرخصة في اظهار الطاعات	٣٢٧
المطلب الخامس عشر في الرخصة في كتمان الذنوب	٣٢٨
المطلب السادس عشر في ترك الطاعات خوفا من الآفات	٣٢٩
الاصل التاسع في ذم الكبر والعجب	٣٣٢
المطلب الاول في ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع	»
المطلب الثانى في اقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه	»
المطلب الثالث في اقسام ما به الكبر	٣٣٣
المطلب الرابع في اسباب الكبر	٣٣٤
المطلب الخامس في طريق معالجة الكبر	٣٣٥

الصفحة	الابواب
٣٣٧	المطلب السادس في العجب وذمه
٣٣٨	المطلب السابع في علاج العجب
٣٣٩	الاصل العاشر في ذم الغرور
»	المطلب الاول في التحقيق فيه
٣٤٠	المطلب الثاني في اصناف المغترين
٣٤٦	المطلب الثالث في مداخل الغرور
٣٤٨	الشعبة الرابعة في ربح المنجيات
٣٤٩	الاصل الاول في التوبة
»	المطلب الاول في التوبة وجوبها
٣٥٠	المطلب الثاني في وجوب التوبة على الفور
٣٥١	المطلب الثالث
٣٥٢	المطلب الرابع في اقسام الذنوب
»	المطلب الخامس في كيفية توزع الدرجات والدرجات
٣٥٣	المطلب السادس فيما اعظم من الصغائر
٣٥٤	المطلب السابع في تمام التوبة وشروطها وآدابها
٣٥٥	المطلب الثامن في طبقات التائبين
٣٥٦	المطلب التاسع في تدارك التائب اذا جرى عليه ذنب اما عن قصد او باتفاق
٣٥٧	المطلب العاشر في طريق حل الاصرار على الذنوب من القلب
٣٥٩	الاصل الثاني في الصبر والشكر
»	المطلب الاول في فضيلة الصبر وحقيقته
٣٦٠	المطلب الثاني في اقسام الصبر بحسب القوة والضعف وهي ثلاثة
٣٦١	المطلب الثالث في ان العبد لا يستغنى عن الصبر في كل حال
	المطلب

الابواب	الصفحة
المطلب الرابع في معالجات مؤدية الى الصبر	٣٦٢
المطلب الخامس في الشكر	»
المطلب السادس في الشكر في حق الله	٣٦٤
المطلب السابع في تحصيل الشكر	٣٦٧
المطلب الثامن في حقيقة النعمة واقسامها	٣٦٩
المطلب التاسع في السبب المصارف عن الشكر وعلاجه	٣٧٤
المطلب العاشر فيما يشترك فيه الصبر والشكر	٣٧٥
المطلب الحادى عشر في ان الصبر افضل من الشكر	٣٧٧
الاصل الثالث في الرجاء والخوف وفيه مطالب	٣٧٨
المطلب الاول في حقيقة الرجاء	٣٧٩
المطلب الثانى في فضيلة الرجاء	»
المطلب الثالث في الخوف	٣٨٠
المطلب الرابع في فضيلة الخوف	٣٨٢
المطلب الخامس في دواء يستجلب الخوف	٣٨٤
النوع الثانى	٣٨٦
الاصل الرابع في الفقر والزهد فيه مطالب	٣٨٧
المطلب الاول في حقيقة الفقر	»
المطلب الثانى في فضيلة الفقر	٣٨٩
المطلب الثالث في آداب الفقير في فقره	٣٩١
المطلب الرابع في تحريم السؤال من غير ضرورة	٣٩٢
المطلب الخامس في حقيقة الزهد وفضيلته	٣٩٥
المطلب السادس في درجات الزهد وأقسامه	٣٩٦
المطلب السابع في تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها	٣٩٨

الصفحة	الابواب
٤٠٠	الاصل الخامس فى التوكل وفيه مطالب
»	المطلب الاول فى فضيلة التوكل
٤٠٩	المطلب الثانى فى بيان حال التوكل
٤١٠	المطلب الثالث فى بيان اعمال المتوكلين
٤١٢	المطلب الرابع فى مراتب الادّخار
٤١٤	المطلب الخامس فى آداب المتوكلين
٤١٥	المطلب السادس فى الاسباب المزيلة
٤١٨	الاصل السادس فى المحبة والشوق والانس والرضاء
»	المطلب الاول فى المحبة لله عزوجل
٤١٩	المطلب الثانى فى اقسام المحبة واسبابها
٤٢١	المطلب الثالث
٤٢٣	المطلب الرابع فى اسباب محبة العبد لله تعالى
٤٢٥	المطلب الخامس فى محبة الله تعالى للعبد
٤٢٨	المطلب السادس فى الانس والرضا والشوق
٤٢٩	المطلب السابع فى الرضا
٤٣٠	الاصل السابع فى النية والاخلاص والصدق وفيه مطالب
»	المطلب الاول فى النية
٤٣٢	المطلب الثانى فى تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية
٤٣٣	المطلب الثالث فى الاخلاص
٤٣٥	المطلب الرابع فى الصدق
٤٣٦	الاصل الثامن فى المحاسبة والمراقبة
٤٤١	الاصل التاسع فى التفكير
٤٤٢	المطلب الثانى فى مجارى الفكر

٤٦٧ فهرس الابواب من مفتاح السعادة من المجلد الثالث

الصفحة	الابواب
٤٤٦	الاصل العاشر في ذكر الموت والبعث والنشور
»	المطلب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه
٤٤٩	المطلب الثانى دواهى الموت
٤٥٠	المطلب الثالث في حقيقة الموت واحوال الميت



تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الخطأ	السطر	الصواب	الخطأ
٦	٢٣	التذكير	والتذكير
٨	١٠	بالخلف	بالخلف
٩	٣	للاستقصاء	للاستقصاء
١٠	٢٢	عل	على
١١	٦	كالشرق	والمشرق
١٢	١٧	وان	ان
١٤	٣	لا تقع	ولا تقع
»	٢١	حروف	وحروف
١٥	١٤	تنصف	تتنصف
١٧	١٧	قادرًا	قادرا
»	٢٣-٢٢	وانه الا	وانه لا واجب الا
»	٢٤	لا واجب مؤيدة	مؤيدة
١٩	٢٠	سوء	سوءا
٢٠	٤	زين	وزين
٢٧	٧	لا ظاهره	الاطاهره
٣١	٥	متقدرا	متقلدا
»	٧	ويصفو	ويصفو
»	٢٠	فانه على	فانه اعلى
٣٦	٢١	الاقدام	الانلام
٤٦	٦	اردأن	او ادأن

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٧	٢٤	٣١ ٣٠	٣١ - ٣٠
٥١	٢٠	الفقير	الفقير
»	٢٤	داخل	داخله
٥٣	٢	مقيد	مقيدو
٥٥	١٧	لا يوجد	لا يوجد
٥٩	٨	إذا الغرض	إذا الغرض
٦٠	٧	صالح	صالح
٦٣	٣	كتب الله (لأعلن)	(كتب الله لأعلن)
»	١١	احرام	الاحرام
٦٤	٢٣	وزده من حجه	وزد من حجه
٧٤	٢١	لوايكثرو	وليكثرو
»	٢٣	وجدوا	لوجدوا
٧٥	٧	الصلاة	لصلاة
٧٦	١	وتجعلاه	ولا نجعله
٧٩	١١	معناه	معناه
»	١٣	تقصد	تقصد
٨٠	١٨	فكما ان القلب	وكما ان القلب
٨٣	٧	تعظيم	تعظم
٩٠	٢٤	والكلام	في الكلام
١٠٤	٢١	بانجئة	بالجبة

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السمادة

الردوب	الخطأ	السطر	٥٠٠
وشر	وشر ما	٢٤	١٠٦
لينتين	ينتين	٢٣	١٣٢
الخروج	الخروج	٦	١٣٤
تفاصيل	تفاصيل	١٠	»
والدعاء	والدعاء	٢٠	١٤٢
وبعد	وبعد	١٦	١٥٢
ولا	والا	١٧	١٥٣
اخذ الكوز	اخذ الكوز	١٣	»
الوحدة	الواحدة	١٨	١٥٥
يجمع	يجمع	٦	١٥٦
ورد	ورد	٢٣	١٥٧
المطلب	المطلب	٩	١٦٢
المتأهل	المتأهل	٢٠	»
فان في	فان	٤	١٦٥
تعالى	تعال	٨	»
او النكاح	والنكاح	٢٠	١٦٦
كن	لين	٢	١٨٣
عندك الشك	عند الشك	١٨	»
علامة	علاقة	١٨	١٨٤
النواع	انواع	١٥	١٨٥

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السمادة

الخطأ	السطر	الصواب	الرقم
الآخذ	٩	الآخذ	١٨٨
مصارف	١٢	خم، مصارف	١٩٥
الصحة	١٣	الصحة	١٩٦
فلاستجاب	٢٠	فلاستجاب	٢٠٥
ومرأى	١٧	ومرأى	٢٠٩
قويث	١٣	قويث	٢١٤
حاجته	١٠	حاجة	٢١٥
ويهنئه	٧	ويهنئه	٢١٨
واظهار	٢٤	واظهار	٢٢١
من الصبر والصبر	٢١	من الصبر والصبر	٢٢٢
ولزيارة	٩	ولزيارة	٢٢٨
تقن	١٢	تقن	٢٢٩
آداب	٤	آداب	٢٣٠
(فليقل اللهم	١٩	(فليقل اللهم	٢٣١
لذا الحسبة	١٤	لذا الحسبة	٢٥٨
الثالثة	٥	الثالثة	٢٥٣
تضييق	٦	تضييق	٢٥٥
ولا	١٥	ولا	٢٥٦
وتحقير	٢١	وتحقير	٢٦٥
فانه	٤	فانه	٢٥٨

تصحیح ما وقع من الخطأ فی طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الخطأ	السطر	الصواب	الرقم
وثائها	٨	وثائها	»
النتجرد	٩	النتجرد	»
همته التمتع	١٤	همته الى التمتع	٢٨٧
دراء	١٣	وراء	٢٨٩
ايذاؤ	٦	ايذاؤه	٣٠٠
يجب	٤	يجب	٣٠١
عنه	٣٠	عند	»
تشوبه	٢٢	تشربه	٣٣٣
ظاهرا ويظهر	٨	ظاهرا او يظهر	٣٣٤
وقت وان	٥	وقت وآن	٣٥١
بأن	٧	بأن	٣٥٨
لذا ئد	٦	الذا ئد	٣٥٩
والضراء	١٤	(والضراء)	٣٦٠
مخفك	٨	مخفك	٣٦٥
وعنه	٤	وعند	٣٦٧
نظر	١٨	نظر	»
والمكروة	٢٠	والمكروه	٣٦٨
وما	٩	وما	٣٨٠
عدي	٢٢	عدي	٣٨٤

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

السطر	الخطأ	الصواب	الرقم
٢٠	فقال	فحال	٣٩٠
٩	فعلة	فعله	٣٩١
٢٣	سيان	سيان	٣٩٤
١٨	واما	وما	٣٩٥
١٩	الشيطان	الشيطان	٣٩٥
٢٤	وهو	وهى	٣٩٦
٧	بمحبة	بمحبتة	٤٠٠
١٠	اوراق	الاوراق	٤٠٢
١٧	مؤكل	مؤكل	»
٧	انكشاف	انكشاف	٤٢٢
٢٤	القل	العقل	٤٣٦
٢٤	فبتداركها	فيتداركها	٤٤٢
١٦	كره لقاءه	كره الله لقاءه	٤٤٦
١٩	والرضاء	والرضا	»
١٤	يعرف	لا يعرف	٤٤٧
٧	اعى	اعيا	٤٤٨
١٦	انصباح	الصباح	٤٤٩
٢٠	واحكى	واحكم	٤٥٢

اصلاح مواضع وقعت خطأ في النقل الذى طبع عنه الجزء الثالث من
مفتاح السعادة وبقيت في الطبع علي حالها اثرنا التنبيه
عليها واقتصرنا علي الواضح منها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	٧	الحضورى	الحصولى
٦	٢١	العلماء	الكلام
١٥	٢٥	مجرى الشجر من الثمر	مجرى الثمر من الشجر
٢٧	٧	الأدب تعود	الأدب في تعود
٣٥	٥	واوله	واقله
٥٤	١٤	مستأهلون	متساهلون
٥٥	١٣	الملاء	الملا
٥٧	١٢	على الحلال	على الحرام
٥٨	١٣	فاولئك	فاليك
٦١	١٦	اليدين	الدين
٦٢	١٦	بكلمات التامات	بكلمات الله التامات
٦٣	٦	وامانك	وامائك
٦٤	١٣	اغتسال	أغسال
٧٥	١١	الحسن	الحسين
١١٥	١٧	فوقاه سيئات	فوقاه الله سيئات
١٨٠	٢٠	وكذا الحلال	وكذا الحال
»	٢٤	وجهة	من جهة

اصلاح الخطأ الواقع في اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الخطأ	السطر	الصواب
١٨٢	١٠	يحرم يعلم
١٨٥	١٢	الاحتمال - الرابع الاحتمال الرابع
»	١٣	الاحتمال - الخامس الاحتمال الخامس
١٨٨	٢٤	لا يحكم لا يحكم
١٩٠	١٨	له بدله لا بدله
١٩٢	٤	القيمة الغنيمة
٢٠٤	١١	التكافؤ التكليف
٢١٨	١٠	إذا أتت به إذا أتت به
٢٢٣	١٧	وغيمة وغيمة
٢٣٧	٢١	واشتغاله واشتغاله
٢٣٨	١٧	على التأسف عن التأسف
٢٤٨	٨	وجد ذ وجد
٢٦٨	٢٠	الروح الروح
٢٧١	٩	وهو أنه وهو يرى أنه
٢٧٦	١٥	الضعف الغضب
٢٧٧	٢٤	إذا إذا
٢٧٨	٥	التعذيب وتهذيب التعذيب وتهذيب
٢٨٧	٥	لمتقين لمقتنين
»	٦	كفرا كفر
٢٨٨	٢	يحصل الفرق يحصل عدم الفرق

اصلاح الخطأ الواقع في اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الاصواب	الخطأ	السطر	الرقم
قديحدا اذا	قديحدا اذا	٧ - ٨	٣٢٩
عالم	عالم	٢٣	٣٣٣
الاستفادة	الاستفادة	٢٦	٣٣٦
وينا	دينا	١٢	٣٥١
الشهود	الشهوة	١٣	٣٦٤
عليهم	عليهم	٨	٣٦٦
وتقول	وتقول	١٥	»
تعوده	تعوده	٢٠	»
الشكر	شكر	٢٣	٣٦٨
جميعها	جميعها	٨	٣٧٠
الغيب	القلب	١٨	»
إذلا	اولا	١٠	٣٧٤
منها ولا	منها الا	٣	٣٩٧
ضار نزل او دفع ضار لم ينزل	ضار لم ينزل	٢٤	٤١٠
قانه لا يضر	فان لم يضر	٢٣	٤٢٦
المعرفة لا تكفى في	المعرفة في	١	٤٣١
للتغير	للضر	٢٠	٤٣٧
معول	مقول	٣	٤٤١
احضار	اختصار	١٤	»
الاعلوم	الاعلام	٧	٤٤٣

اصلاح الخطأ الواقع في اصل الجزء الثالث من مفتاح السماعة

الخطأ	السطر	الصواب	الترقيم
٨	اقراء	قراءة	٤٢٣
١٦	ويما نعرف	فيما لا نعرف	٤٤٤
٢٠	واحدا	واحد	٤٤٥
٦	اعدى	ايدى	٤٤٧
١١	مشائخ	مشايخ	»
١٨	عدا	عد	٤٤٨
٢٠	من يجاوز	من لا يجاوز	»

